محمود درويش

MAHMOUD DARWISH



علي مولا

محمود درويش

الأعمال الكاملة

مختارات

*****

إعداد : علي مولا

محمود درويش



محمود درويش -1941م -. شاعر فلسطيني يُعد من أبرز شعراء المقاومة الفلسطينية. ولد في قرية البروة التي تقع قريبًا من عكا. لجأ مع أهله إلى لبنان وهو في السابعة من عمره بعد أن احتل اليهود قرية البروة عام 1948م. وبعد عام، عاد إلى فلسطين وسكن في قرية تسمى دير الأسد لاجئًا في بلاده. أحب الشاعر القراءة والرسم منذ الصغر، وعمل فيما بعد مدرسًا. دخل السجون الإسرائيلية أكثر من مرة. كانت المرة الأولى سنة 1961م. ثم كانت الثانية عام 1965م. وسجن مرة ثالثة عندما ألقى قصيدته نشيد الرجال في أمسية شعرية في الجامعة العبرية. وما بين 1965 -1967م سجن الشاعر بتهمة النشاط المعادي لإسرائيل. وذاع اسم محمود درويش كشخصية عربية نضالية ضد الاحتلال الإسرائيلي. وفي سنة 1969م، اعتقل للمرة الخامسة بعد أن نسف الفدائيون عدة بيوت في حيفا وبعدها أصبح الشاعر عرضة للاعتقال بعد أي تدبير صهيوني مما أدى إلى نفيه خارج وطنه. تنقل الشاعر بين العواصم العربية والأجنبية واستقر به المقام أخيرًا في بيروت التي لم يتركها إلا في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي لها عام1982 م.

تميز الشاعر عن أترابه من شعراء الأرض المحتلة، بغزارة الإنتاج وبساطة العبارة وشمولية المضمون، وعمق الفكرة. وهي خصائص لم يتفرد بها عن إخوانه الشعراء الفلسطينيين المنفيين داخل الوطن فحسب بل هي خصائص ميزته في مسيرة حركة الحداثة الشعرية أيضًا والتي يُعد درويش من أهم رموزها وأعلامها. أصبح درويش ظاهرة مميزة في حركة الحداثة الشعرية العربية. وقد توصل إلى مرحلة جعلته في مصاف الشعراء العالميين.

مرَّ عطاء درويش الشعري عند بعض النقاد بمراحل عديدة. ففي المرحلة الأولى، كان الشاعر متمثلاً شعر غيره من الشعراء الكبار وفي هذه المرحلة، صدر ديوانه عصافير بلا أجنحة(1960 م)، وتتمثل المرحلة الثانية بديوان أوراق الزيتون(1964 م)، وفيها يظهر للعيان اتساع مخزون درويش من المقروءات الشعرية. ويلاحظ أن شعر درويش في هذه

المرحلة قد اتسم بالنضج وركن للتطور، فهو يبدو أكثر رقة وأقل مباشرة وابتعد فيه الشاعر عن الخطابة والصوت الصاخب المرتفع، ومن أهم قصائده في هذه المرحلة قصيدته التي يقول فيها:

سجل أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟

والمرحلة الثالثة تمتد من عام 1966م إلى 1970م وفيها أخرج درويش إلى النور أربعة دواوين، هي عاشق من فلسطين؛ آخر الليل؛ العصافير تموت في الجليل؛ حبيبتي تنهض من نومها .وتعتبر هذه المرحلة الأخيرة من شعر درويش داخل الأرض المحتلة. وتُعد المرحلة الرابعة هي الأكثر غنى وتميزًا عن المراحل الأخرى ويمثل هذه المرحلة ديوانه أحبك أو لا أحبك؛ محاولة رقم 7؛ تلك صورتها؛ وهذا انتحار العاشق .والمرحلة الخامسة هي مرحلة الغنائية الملحمية التي ابتدأت بديوان أعراس، وامتدت حتى ديوان لماذا تركت الحصان وحيدًا ، وتخللها ديوانا حصار لمدائح البحر؛ أغنية ... هي أغنية.

وصل الشاعر انعطافة مهمة لا على المستوى الفلسطيني بل على المستوى العربي ومنه إلى المستوى العالمي. وفي هذه المرحلة نلاحظ في شعر درويش اللجوء إلى القصائد الطويلة ذات البناء الشعري المسرحي. والمرحلة السادسة يمثلها ديوانه لماذا تركت الحصان وحيدًا وهي الفترة التي فتر فيها حماس محمود درويش وتغيرت فيها علاقته بالشعر. فأصبح شعره ممعنًا بالذاتية والبكاء والحزن. وعاد درويش شاعرًا غنائيًا مع اهتمام باللغة

والشكل مع البعد الفلسفي. ويلاحظ أن الشاعر في هذه المرحلة يهتم بقصيدة النثر إيمانًا منه بضرورة التعايش بين كل أشكال التعبير الأدبي والشعري.

لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي



الديوان الأخير

*

القصائد

. . . .
. .

هـهـنـا ، ا لان ، و هـنـا ا لان

*

ههنا ، بين شظايا الشيء

واللاشيء ، نحيا

في ضواحي الابدية

❖

نلعب الشطرنج أحيانا ، ولا

نأبه بالأقدار خلف الباب

ما زلنا هنا

نبني من الأنقاض

أبراج حمام قمريَة

❖

نعرف الماضي ، ولا نمضي

ولا نقضي ليالي الصيف بحثا

عن فروسيات أمس الذهبية

❖

نحن من نحن ، ولا نسأل

من نحن ، فما زلنا هنا

نرتق ثوب الأزلية

❖

نحن ابناء الهواء الساخن _البارد

والماء، وابناء الثرى والنار والضوء

وأرض النزوات البشرية

❖

ولنا نصف حياة

ولنا نصف ممات

ومشاريع خلود...وهوية

❖

وطنييون، كما الزيتون

لكنا مللنا صورة النرجس

في ماء الاغاني الوطنية

❖

عاطفيون ، بلا قصد

غنائيون ، عن قصد

ولكنَا نسينا كلمات الاغنيات العاطفية

❖

ههنا ، في صحبة المعنى

تمردنا على الشكل

وغيرنا ختام المسرحية

❖

نحن ، في الفصل الاضافي

طبيعيون ،عاديون

لا نحتكر الله

ولا دمع الضحية

❖

نحن ما زلنا هنا

ولنا احلامنا الكبرى ، كأن

نستدرج الذئب الى العزف

على الجيتار في حفلة رقص سنوية

❖

ولنا احلامنا الصغرى،كأن

نصحو من النوم معافيين من الخيبة

لم نحلم بأشياء عصية

❖

نحن احياء وباقون... وللحلم بقية

❖

ههنا ، فيما تبقة من كلام اللّه

فوق الصخر

نتلو كلمات الشكر بالليل وفي الفجر

فقد يسمعنا الغيب ، ويوحي

لفتىً منا بسطر من نشيد الأبدية

❖

الان

❖

الان ، بين الامس والغد ، تغسل امرأة

زجاج البيت . لا تنسى ولا تتذكر

الان يسألني صديق : ما هي السعادة

ثم يمضي مسرعا قبل الجواب

❖

الان بين الامس والغد برزخ متموج ومؤقت.

يقف الزمان ، كأنه يقف الهنينة بين منزلتين

الان ، البلاد جميلة وخفيفة.

❖

الان ، ترتتفع التلال لترضع الغيم الشفيف
وتسمع الإلهام .والغد يانصيب الحائرين

❖

الان ، يصقل امسنا ايقونة حجرية قمرية

❖

الان ، نحيا ماضيا وغدا معا . ونسير في
جهتين قد تبادلان تحية شعرية

❖

الان، للمعنى خدوش الحاضر المكسور كالجغرافيا

❖

الان، في قيلولة الزمن الصغير تغير الابدية
البيضاء اسماء المقدس .لا نبي على
الطريق الساحلي

الان ، يولد شاعر فينا وقد يختار اما ما ليعرف نفسه

❖

الان ، ينبت حاضرا من زهرة الرمان

❖

الان ، المدى ملك السنونو وحدها

❖

الان ، انت اثنان ، انت ثلاثة ، عشرون ،

الف ، كيف تعرف في زحماك من تكون ؟

❖

الان، كنت

الان، سوف تكون

فأعرف من تكون .... لكي تكون

❖

ههنا ..والان

❖

ههنا والان ....لا يكترث التاريخ بالأشجار

والموتى .على الاشجار ان تعلو ، وان

لا تشبه الواحدة الاخرى سموا وامتدادا

وعلى الموتى ، هنا والان ، ان يستنسخوا

اسماءهم ، ان يعرفوا كيف يموتون فرادى.

وعلى الاحياء ان يحييوا جماعات ، وان لا

يعرفوا كيف سيحيون بلا اسطورة مكتوبة. . .

تنقذهم من عثرات الواقع الرخو وفقه الواقعية

وعليهم ان يقولوا :

نحن ما زلنا هنا

نرصد نجما ثاقبا

في كل حرف من حروف الابجدية

وعليهم ان يغنوا :

نحن ما زلنا هنا

نحمل عبء الابدية .



عيـنـا ن

عينان تائهتان في الألوان. خضراوان قبل

العشب .زرقاوان قبل الفجر. تقتبسان

لونَ الماء، ثم تُصوّبان إلى البحيرةِ نظرةً

عسلية، فيصيرُ لونُ الماء أخضر. .
لا تقولان الحقيقة. تَكْذبان على المصادرِ
والمشاعر. تنظران إلى الرماديّ الحزين،
وتُخفيان صفاته. وتُهيّجان الظلِّ بين الليلكيّ
وما يشعّ من البنفسجِ في التباسِ الفرق.
تَمتلئان بالتأويل، ثم تحيّران اللون: هل هو
لازورديّ أم اختلطَ الزُمُرّدُ بالزبرجدِ والتركواز
المُصَفّى؟ تَكبران وتَصغران كما المشاعر. .
تكبران إذا النجومُ تنَزّهتْ فوق السطوح.
وتصغران على سريرِ الحبّ. تنفتحان كي تستقبلا
حلماً ترقرقَ في جفونِ الليل. تنغلقان كي
تستقبلا عسلاً تدفّقَ من قفيرِ النحل.
تنطفئان كاللاشيء شعرياً، غموضاً عاطفياً
يُشعلُ الغابات بالإقمار. ثم تعذّبان الظلّ:
هل يخضوضرُ الزيتيُّ والكحليّ فيّ أنا الرماديّ
المحايد؟ تنظران إلى الفراغ. وتكحّلان بنظرةٍ
لوزيةٍ طوقَ الحمامة. تفتحان مراوحَ الخُيلاء
للطاووس في إحدى الحدائق. ترفعان الحَوْرَ
والصفصاف أعلى ثم أعلى .تهربان من
المرايا، فهي أضيق منهما. وهما هما في الضوء
تلتفتان للاشيء حولهما فينهضُ، ثم يركضُ
لاهثاً، وهما هما في الليل مرآتان للمجهول

من قدري . أرى، أو لا أرى، ماذا يعدّ الليلُ
لي من رحلةٍ جويةٍ - بحريّة. وأنا أمامهما
أنا أو لا أنا. عينان صافيتان، غائمتان،
صادقتان، كاذبتان عيناها . ولكن، منْ هي؟

بالزنبق امتلأ الهواءُ

بالزنبق امتلأ الهواءُ، كأنّ موسيقى ستصدحُ.
كلُّ شيء يصطفي معنى، ويرسلُ فائض المعنى

إليّ. أنا المعافى الآن، سيّدُ فُرصتي
في الحب. لا أنسى ولا أتذكّر الماضي،
لأني الآن أولدُ، هكذا من كلّ شيء..
أصنعُ الماضي إذا احتاجَ الهواء إلى سلالته
وأفسدَه الغبار. وُلدتُ دون صعوبة،
كبناتِ آوى، كالسمندلِ، كالغزال.. ولم أهنئ
والديّ بصحتي وسلامتي. والآن، أقفزُ
صاحياً وأرى وأسمع. كلُّ هذا الزنبق
السحريّ لي :بالزنبقِ امتلأ الهواء كأنّ
موسيقى ستصدح. كلُّ ما حوالي يهنئني:
خلاءُ السقف من شبحٍ ينازعني على نفسي.
وكرسيّ يرحّبُ بالتي تختار إيقاعاً خصوصيّاً
لساقيها. ومرآةٌ أمام الباب تعرفني وتألفُ
وجه زائرها. وقلبٌ جاهزٌ للاحتفال بكلِّ
شيء. كلُّ شيء يصطفي معنى لحادثة الحياة،
ويكتفي بهبات هذا الحاضرِ البلّور. لم أعرفْ
ولم أسألْ: لماذا أحتفي بصداقةِ اليوميّ،
والشيء المتاح، وأقتفي إيقاع موسيقى ستصدح
من زوايا الكون؟ لا أنسى ولا أتذكّرُ
الغد... ربما أرجأتُ تفكيري به، عن غير
قصدٍ، ربما خبّأتُ خوفي من ملاكِ الموت،
عن قصدٍ، لكي أحيا الهنيهةَ بين منْزلتين:
حادثة الحياة وحادث الموت المؤجّل ساعةً

أو ساعتين، وربما عامين... يفرحني تَذكُّرُ

ما نسيتُ :نسيتُ أن أنسى غناء الناي

للأفعى. بلا سببٍ يفيضُ النهرُ بي، وأفيض

حول عواطفي: بالزنبق امتلأ الهواء كأنّ

موسيقى ستصدح !

على محطة قطار سقط عن الخريطة

*

عُشْبٌ، هواء يابس، شوك، وصبار

على سلك الحديد. هناك شكل الشيء

في عبثية اللاشكل يمضغ ظِلَّهُ. . .

عدم هناك موثق.. ومطوَّقٌ بنقيضه

ويمامتان تحلقان

على سقيفة غرفة مهجورة عند المحطةِ

والمحطةُ مثل وشم ذاب في جسد المكان

هناك ايضا سروتان نحيلتان كإبرتين طويلتين

تطرّزان سحابة صفراء ليمونيّةً

وهناك سائحةٌ تصوّر مشهدين:

الأوّلَ، الشمسَ التي افترشتْ سرير البحرِ

والثاني، خُلوَّ المقعدِ الخشبيِّ من كيس المسافرِ

يضجر الذهب السماويُّ المنافقُ من صلابتهِ

وقفتُ على المحطة.. لا لأنتظر القطارَ

ولا عواطفيَ الخبيئةَ في جماليات شيء ما بعيدٍ،

بل لأعرف كيف جُنَّ البحرُ وانكسر المكانُ

كحجرة خزفية، ومتي ولدتُ وأين عشتُ،

وكيف هاجرتِ الطيورُ الي الجنوب او الشمال .

ألا تزال بقيتي تكفي لينتصر الخياليُّ الخفيفُ

على فساد الواقعيِّ؟ ألا تزال غزالتي حُبلَي؟

كبرنا. كم كبرنا، والطريق الي السماء طويلةٌ

كان القطار يسير كالأفعي الوديعة من
بلاد الشام حتي مصر. كان صفيرُهُ
يخفي ثُغاءَ الماعزِ المبحوحَ عن نهم الذئاب .
كأنه وقت خرافي لتدريب الذئاب علي صداقتنا .
وكان دخانه يعلو علي نار القري المتفتّحات
الطالعات من الطبيعة كالشجيراتِ.

الحياةُ بداهةٌ. وبيوتنا كقلوبنا مفتوحةُ الأبواب

كنا طيبين وسُذَّجاً. قلنا : البلادُ بلادُنا
قلبُ الخريطة لن تصاب بأيِّ داءٍ خارجيٍّ .
والسماء كريمة معنا ، ولا نتكلم الفصحي معاً
الا لماماً : في مواعيد الصلاة ، وفي ليالي القَدْر .
حاضُرنا يسامرنا : معاً نحيا ، وماضينا يُسلّينا :
اذا احتجتم إليّ رجعتُ . كنا طيبين وحالمين
فلم نر الغدَ يسرق الماضي .. طريدَتَهُ ، ويرحلُ

كان حاضرنا يُرَبِّي القمح واليقطين قبل هنيهة ،
ويُرقِّصُ الوادي

وقفتُ على المحطة في الغروب :ألا تزال
هنالك امرأتان في امرأة تُلَمِّعُ فَخْذَهَا بالبرق؟

اسطوريتان ـ عدوّتان ـ صديقتان، وتوأمان
على سطوح الريح. واحدةٌ تغازلني. وثانيةٌ
تقاتلني؟ وهل كَسَرَ الدمُ المسفوكُ سيفاً
واحداً لأقول: إنّ إلهتي الأولي معي؟

صدَّقْتُ أغنيتي القديمةَ كي أكذّبَ واقعي

كان القطار سفينةً بريةً ترسو.. وتحملنا
الي مدن الخيال الواقعية كلما احتجنا الي
اللعب البريء مع المصائر. للنوافذ في القطار
مكانةُ السحريِّ في العاديِّ: يركض كل شيء .
تركض الاشجار والافكار والامواج والابراج
تركض خلفنا. وروائح الليمون تركض. والهواء
وسائر الاشياء تركض، والحنين الي بعيد
غامضٍ، والقلب يركضُ.

كلُّ شيءٍ كان مختلفاً ومؤتلفاً
وقفتُ على المحطة. كنت مهجوراً كغرفة حارس
الأوقات في تلك المحطة. كنتُ منهوباً يطل
علي خزائنه ويسأل نفسه: هل كان ذاك
العقلُ / ذاك الكنزُ لي؟ هل كان هذا
اللازورديُّ المبلَّلُ بالرطوبة والندي الليليِّ لي؟
هل كنتُ في يوم من الأيام تلميذَ الفراشة

في الهشاشة والجسارة تارة، وزميلها في
الاستعارة تارة؟ هل كنت في يوم من الايام
لي؟ هل تمرض الذكري معي وتُصابُ بالحُمَّي؟

أري أثري على حجر، فأحسب انه قَمَري
وأنشدُ واقفاً

طللية اخرى وأُهلك ذكرياتي في الوقوف
على المحطة . لا أحب الآن هذا العشب،
هذا اليابس المنسيّ، هذا اليائس العبثيَّ،
يكتب سيرة النسيان في هذا المكان الزئبقيِّ .
ولا أحب الأقحوان علي قبور الأنبياء.
ولا أحب خلاص ذاتي بالمجاز، ولو أرادتني
الكمنجةُ ان اكون صدي لذاتي. لا احب سوى
الرجوع الي حياتي، كي تكون نهايتي سرديةً لبدايتي.

كدويّ أجراسٍ، هنا انكسر الزمان

وقفتُ في الستين من جرحي . وقفتُ على
المحطة، لا لأنتظر القطار ولا هتاف العائدين
من الجنوب الي السنابل، بل لأحفظ ساحل
الزيتون والليمون في تاريخ خارطتي. أهذا . . .
كل هذا للغياب وما تبقي من فُتات الغيب لي؟

هل مرَّ بي شبحي ولوّح من بعيد واختفي
وسألتُهُ: هل كلما ابتسم الغريبُ لنا وَحَيَّانا
ذبحنا للغريب غزالةً؟

وقع الصدي مني ككوز صنوبرٍ

لا شيء يرشدني الي نفسي سوى حدسي .
تبيض يمامتان شريدتان رسائلَ المنفي على كتفيَّ،
ثم تحلقان علي ارتفاع شاحب. وتمرُّ سائحةٌ
وتسألني: أيمكن ان أصوّركَ احتراماً للحقيقة؟
قلت: ما المعني؟ فقالت لي: أيمكن ان أصوّرك
امتدادا للطبيعةِ؟ قلت: يمكنُ .. كل شيء ممكنٌ .
فَعِمِي مساءً، واتركيني الآن كي أخلو الي
الموت .. ونفسي!

للحقيقة، ههنا وجه وحيدٌ واحدٌ
ولذا.. سأنشد

أنتَ أنتَ ولو خسرتَ. أنا وأنتَ اثنان
في الماضي، وفي الغد واحد. مَرَّ القطار
ولم نكن يَقِظَيْنِ، فانهض كاملاً متفائلاً،
لا تنتظر احداً سواك هنا. هنا سقط القطار
عن الخريطة عند منتصف الطريق الساحليِّ .

وشبَّت النيرانُ في قلب الخريطة ، ثم اطفأها
الشتاء وقد تأخر. كم كبرنا كم كبرنا
قبل عودتنا الي أسمائنا الأولي:

أقول لمن يراني عبر منظار على بُرْجِ الحراسةِ:
لا أراكَ، ولا أراكَ

أرى مكاني كلُّهُ حولي. أراني في المكان بكل
أعضائي وأسمائي. أرى شجر النخيل ينقّح
الفصحي من الأخطاء في لغتي. أري عادات
زهر اللوز في تدريب أغنيتي علي فرح
فجائيٍّ . اري أثري وأتبعه. أرى ظلي
وأرفعه من الوادي بملقط شعر كنعانية
ثكلي. أرى ما لا يُرى من جاذبيةِ
ما يسيل من الجمال الكامل المتكامل الكُليِّ
في أبد التلال، ولا ارى قنّاصتي.

ضيفاً علي نفسي أحلُّ

هناك موتي يوقدون النار حول قبورهم .
وهناك احياءٌ يُعِدّون العشاء لضيفهم .
وهناك ما يكفي من الكلمات كي يعلو المجاز
على الوقائع. كلما اغتمَّ المكانُ أضاءه

قمر نُحاسيٌّ وَوَسَّعَهُ. انا ضيف على نفسي .
ستحرجني ضيافتها وتبهجني فأشرق بالكلام
وتشرق الكلمات بالدمع العصيّ. ويشرب الموتي
مع الأحياء نعناع الخلود ، ولا يطيلون
الحديث عن القيامة

لا قطار هناك، لا أحد سينتظر القطار

بلادنا قَلْبُ الخريطة. قلبها المثقوبُ مثل القرش
في سوق الحديد. وآخر الركاب من احدى
جهات الشام حتي مصر لم يرجع ليدفع اجرة
القناص عن عمل اضافيٍّ كما يتوقع الغرباء .
لم يرجع ولم يحمل شهادة موته وحياته معه
لكي يتبين الفقهاء في علم القيامة أين موقعه
من الفردوس. كم كنا ملائكة وحمقي حين
صدقنا البيارق والخيول، وحين آمنّا بأن جناح
نسر سوف يرفعنا الى الأعلى!

سمائي فكرةٌ. والأرض منفايَ المُفَضَّلُ

كلُّ ما في الأمر اني لا اصدق غير حدسي .
للبراهين الحوار المستحيلُ. لقصة التكوين
تأويلُ الفلاسفة الطويلُ. لفكرتي عن عالمي

خَلَلٌ يسبّبه الرحيل. لجرحي الأبديّ محكمة
بلا قاض حياديٍّ. يقول لي القضاة المنهكون
من الحقيقة: كل ما في الامر أن حوادث
الطرقات أمرٌ شائع. سقط القطار عن
الخريطة واحترقتَ بجمرة الماضي . وهذا لم
يكن غزواً!
ولكني اقول: وكل ما في الأمر اني
لا اصدّق غير حدسي
لم ازل حيا

لاعب نـرد

مَنْ أَنا لأقول لكمْ
ما أَقول لكمْ ؟
وأَنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ

فأصبح وجهاً

ولا قَصَباً ثقَبتْهُ الرياحُ

فأصبح ناياً . . .

أَنا لاعب النَرْدِ ،

أَربح حيناً وأَخسر حيناً

أَنا مثلكمْ

أَو أَقلُّ قليلاً . . .

وُلدتُ إلي جانب البئرِ

والشجراتِ الثلاثِ الوحيدات كالراهباتْ

وُلدتُ بلا زَفّةٍ وبلا قابلةْ

وسُمِّيتُ باسمي مُصَادَفَةً

وانتميتُ إلي عائلةْ

مصادفَةً ،

ووَرِثْتُ ملامحها والصفاتْ

وأَمراضها :

أَولاً   - خَلَلاً فِي شرايينها

وضغطَ دمٍ مرتفعْ

ثانياً   - خجلاً فِي مخاطبة الأمِّ والأَبِ

والجدَّة   - الشجرةْ

ثالثاً   - أَملاً فِي الشفاء من الانفلونزا

بفنجان بابونجٍ ساخنٍ

رابعاً   - كسلاً في الحديث عن الظبي والقُبَّرة

خامساً   - مللاً في ليالي الشتاءْ
سادساً   - فشلاً فادحاً في الغناءْ. . .

ليس لي أَيٌّ دورٍ بما كنتُ
كانت مصادفةً أَن أكونْ
ذَكَراً . . .
ومصادفةً أَن أَري قمراً
شاحباً مثل ليمونة يَتحرَّشُ بالساهرات
ولم أَجتهد
كي أَجدْ
شامةً في أَشدّ مواضع جسميَ سِرِّيَةً!

كان يمكن أن لا أكونْ
كان يمكن أن لا يكون أَبي
قد تزوَّج أُمي مصادفةً
أَو أكونْ
مثل أُختي التي صرخت ثم ماتت
ولم تنتبه
إلي أَنها وُلدت ساعةً واحدةْ
ولم تعرف الوالدةْ . . .
أَو : كَبَيْض حَمَامٍ تكسَّرَ

قبل انبلاج فِراخ الحمام من الكِلْسِ/

كانت مصادفة أَن أكون
أنا الحيّ في حادث الباصِ
حيث تأخَّرْتُ عن رحلتي المدرسيّة
لأني نسيتُ الوجود وأَحواله
عندما كنت أَقرأ في الليل قصَّةَ حُبٍّ
تَقمَّصْتُ دور المؤلف فيها
ودورَ الحبيب - الضحيَّة
فكنتُ شهيد الهوي في الروايةِ
والحيَّ في حادث السيرِ/

لا دور لي في المزاح مع البحرِ
لكنني وَلَدٌ طائشٌ
من هُواة التسكّع في جاذبيّة ماءٍ
ينادي : تعال إليّ!
ولا دور لي في النجاة من البحرِ
أَنْقَذَني نورسٌ آدميٌّ
رأي الموج يصطادني ويشلُّ يديّ

كان يمكن أَلاَّ أكون مُصاباً
بجنِّ المُعَلَّقة الجاهليّةِ
لو أَن بوَّابة الدار كانت شماليّةً

لا تطلُّ علي البحرِ
لو أَن دوريّةَ الجيش لم تر نار القري
تخبز الليلَ
لو أَن خمسة عشر شهيداً
أَعادوا بناء المتاريسِ
لو أَن ذاك المكان الزراعيَّ لم ينكسرْ
رُبَّما صرتُ زيتونةً
أو مُعَلِّم جغرافيا
أو خبيراً بمملكة النمل
أو حارساً للصدي!

مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم
عند باب الكنيسةْ
ولستُ سوي رمية النرد
ما بين مُفْتَرِسٍ وفريسةْ
ربحت مزيداً من الصحو
لا لأكون سعيداً بليلتيَ المقمرةْ
بل لكي أَشهد المجزرةْ

نجوتُ مصادفةً : كُنْتُ أَصغرَ من هَدَف عسكريّ
وأكبرَ من نحلة تتنقل بين زهور السياجْ
وخفتُ كثيراً علي إخوتي وأَبي

وخفتُ علي زَمَنٍ من زجاجْ
وخفتُ علي قطتي وعلي أَرنبي
وعلي قمر ساحر فوق مئذنة المسجد العاليةْ
وخفت علي عِنَبِ الداليةْ
يتدلّي كأثداء كلبتنا . . .
ومشي الخوفُ بي ومشيت بهِ
حافياً ، ناسياً ذكرياتي الصغيرة عما أُريدُ
من الغد   - لا وقت للغد-

أَمشي / أهرولُ / أركضُ / أصعدُ / أنزلُ / أصرخُ / أَنبحُ / أعوي / أنادي / أولولُ / أُسرعُ / أُبطئ / أهوي / أخفُّ / أجفُّ / أسيرُ / أطيرُ / أري / لا أري / أتعثَّرُ / أَصفرُّ / أخضرُّ / أزرقُّ / أنشقُّ / أجهشُ / أعطشُ / أتعبُ / أسغَبُ / أسقطُ / أنهضُ / أركضُ / أنسي / أري / لا أري / أتذكَّرُ / أَسمعُ / أُبصرُ / أهذي / أُهَلْوِس / أهمسُ / أصرخُ / لا أستطيع / أَئنُّ / أُجنّ / أَضلّ / أقلُّ / وأكثرُ / أسقط / أعلو / وأهبط / أُدْمَي / ويغمي عليّ/

ومن حسن حظّيَ أن الذئاب اختفت من هناك
مُصَادفةً ، أو هروباً من الجيشِ /

لا دور لي في حياتي
سوي أَنني ،
عندما عَلَّمتني تراتيلها ،
قلتُ : هل من مزيد ؟

وأَوقدتُ قنديلها

ثم حاولتُ تعديلها . . .

كان يمكن أن لا أكون سُنُونُوَّةً

لو أرادت لِيَ الريحُ ذلك ،

والريح حظُّ المسافرِ. . .

شمألتُ ، شرَّقتُ ، غَرَّبتُ

أما الجنوب فكان قصياً عصيّاً عليَّ

لأن الجنوب بلادي

فصرتُ مجاز سُنُونُوَّةٍ لأحلِّق فوق حطامي

ربيعاً خريفاً . .

أُعمِّدُ ريشي بغيم البحيرةِ

ثم أُطيل سلامي

علي الناصريِّ الذي لا يموتُ

لأن به نَفَسَ اللّه

واللّه حظُّ النبيّ. . .

ومن حسن حظّيَ أَنيَ جارُ الأُلوهةِ. . .

من سوءِ حظّيَ أَن الصليب

هو السُلَّمُ الأزليُّ إلي غدنا!

مَنْ أَنا لأقول لكم

ما أقولُ لكم ،

مَنْ أنا ؟

كان يمكن أن لا يحالفني الوحيُ
والوحي حظٌّ الوحيدين
إنَّ القصيدة رَمْيَةُ نَرْدٍ
علي رُقْعَةٍ من ظلامْ
تشعُّ ، وقد لا تشعُّ
فيهوي الكلامْ
كريش علي الرملِ/

لا دَوْرَ لي في القصيدة
غيرُ امتثالي لإيقاعها :
حركاتِ الأحاسيس حسّاً يعدِّل حساً
وحَدْساً يُنَزِّلُ معني
وغيبوبة في صدي الكلمات
وصورة نفسي التي انتقلت
من أَنايَ إلي غيرها
واعتمادي علي نَفَسِي
وحنيني إلي النبعِ/

لا دور لي في القصيدة إلاَّ
إذا انقطع الوحيُ
والوحيُ حظُّ المهارة إذ تجتهدْ

كان يمكن ألاَّ أُحبّ الفتاة التي
سألتني : كمِ الساعةُ الآنَ ؟
لو لم أَكن في طريقي إلي السينما . . .
كان يمكن ألاَّ تكون خلاسيّةً مثلما
هي ، أو خاطراً غامقاً مبهما . . .

هكذا تولد الكلماتُ . أُدرِّبُ قلبي
علي الحب كي يَسَعَ الورد والشوكَ. . .
صوفيَّةٌ مفرداتي . وحسِّيَّةٌ رغباتي
ولستُ أنا مَنْ أنا الآن إلاَّ
إذا التقتِ الاثنتانِ :
أَنا ، وأَنا الأنثويَّةُ
يا حُبّ ! ما أَنت ؟ كم أنتَ أنتَ
ولا أنتَ . يا حبّ ! هُبَّ علينا
عواصفَ رعديّةً كي نصير إلي ما تحبّ
لنا من حلول السماويِّ في الجسديّ.
وذُبْ في مصبّ يفيض من الجانبين.
فأنت   - وإن كنت تظهر أَو تَتَبطَّنُ -
لا شكل لك
ونحن نحبك حين نحبُّ مصادفةً
أَنت حظّ المساكين/

من سوء حظّيَ أَني نجوت مراراً
من الموت حبّاً
ومن حُسْن حظّي أنيَ ما زلت هشاً
لأدخل في التجربةْ!

يقول المحبُّ المجرِّبُ في سرِّه:
هو الحبُّ كذبتنا الصادقةْ
فتسمعه العاشقةْ
وتقول : هو الحبّ ، يأتي ويذهبُ
كالبرق والصاعقة

للحياة أقول : علي مهلك ، انتظريني
إلي أن تجفُّ الثُمَالَةُ في قَدَحي. . .
في الحديقة وردٌ مشاع ، ولا يستطيع الهواءُ
الفكاكَ من الوردةِ/
انتظريني لئلاَّ تفرَّ العنادلُ مِنِّي
فأُخطئ في اللحنِ/
في الساحة المنشدون يَشُدُّون أوتار آلاتهمْ
لنشيد الوداع . علي مَهْلِكِ اختصريني
لئلاَّ يطول النشيد ، فينقطع النبرُ بين المطالع ،
وَهْيَ ثنائيَّةٌ والختامِ الأُحاديّ:
تحيا الحياة!
علي رسلك احتضنيني لئلاَّ تبعثرني الريحُ/

حتي علي الريح ، لا أستطيع الفكاك
من الأبجدية/

لولا وقوفي علي جَبَلٍ
لفرحتُ بصومعة النسر : لا ضوء أَعلي!
ولكنَّ مجداً كهذا المُتوَّجِ بالذهب الأزرق اللانهائيِّ
صعبُ الزيارة : يبقي الوحيدُ هناك وحيداً
ولا يستطيع النزول علي قدميه
فلا النسر يمشي
ولا البشريُّ يطير
فيا لك من قمَّة تشبه الهاوية
أنت يا عزلة الجبل العالية!

ليس لي أيُّ دور بما كُنْتُ
أو سأكونْ. . .
هو الحظُّ . والحظ لا اسم لَهُ
قد نُسَمِّيه حدَّادَ أَقدارنا
أو نُسَمِّيه ساعي بريد السماء
نُسَمِّيه نجّارَ تَخْتِ الوليد ونعشِ الفقيد
نسمّيه خادم آلهة في أساطيرَ
نحن الذين كتبنا النصوص لهم
واختبأنا وراء الأولمب. . .

فصدَّقهم باعةُ الخزف الجائعون
وكَذَّبَنا سادةُ الذهب المتخمون
ومن سوء حظ المؤلف أن الخيال
هو الواقعيُّ علي خشبات المسارحِ /

خلف الكواليس يختلف الأَمرُ
ليس السؤال : متي ؟
بل : لماذا ؟ وكيف ؟ وَمَنْ

مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم ؟

كان يمكن أن لا أكون
وأن تقع القافلةْ
في كمين ، وأن تنقص العائلةْ
ولداً ،
هو هذا الذي يكتب الآن هذي القصيدةَ
حرفاً فحرفاً ، ونزفاً ونزفاً
علي هذه الكنبةْ
بدمٍ أسود اللون ، لا هو حبر الغراب
ولا صوتُهُ ،
بل هو الليل مُعْتَصراً كُلّه
قطرةً قطرةً ، بيد الحظِّ والموهبةْ

كان يمكن أن يربح الشعرُ أكثرَ لو

لم يكن هو ، لا غيره ، هُدْهُداً

فوق فُوَهَّة الهاويةْ

ربما قال : لو كنتُ غيري

لصرتُ أنا ، مرَّةً ثانيةْ

هكذا أَتحايل : نرسيس ليس جميلاً

كما ظنّ . لكن صُنَّاعَهُ

ورَّطوهُ بمرآته . فأطال تأمُّلَهُ

في الهواء المقَطَّر بالماء...

لو كان في وسعه أن يري غيره

لأحبَّ فتاةً تحملق فيه ،

وتنسي الأيائل تركض بين الزنابق والأقحوان...

ولو كان أَذكي قليلاً

لحطَّم مرآتَهُ

ورأي كم هو الآخرون...

ولو كان حُرّاً لما صار أُسطورةً...

والسرابُ كتابُ المسافر في البيد...

لولاه ، لولا السراب ، لما واصل السيرَ

بحثاً عن الماء . هذا سحاب - يقول

ويحمل إبريق آماله بِيَدٍ وبأخري

يشدُّ علي خصره . ويدقُّ خطاه علي الرملِ
كي يجمع الغيم في حُفْرةٍ . والسراب يناديه
يُغْويه ، يخدعه ، ثم يرفعه فوق : إقرأ
إذا ما استطعتَ القراءةَ . واكتبْ إذا
ما استطعت الكتابة . يقرأ : ماء ، وماء ، وماء.
ويكتب سطراً علي الرمل : لولا السراب
لما كنت حيّاً إلي الآن/

من حسن حظِّ المسافر أن الأملْ
توأمُ اليأس ، أو شعرُهُ المرتجل

حين تبدو السماءُ رماديّةً
وأَري وردة نَتَأَتْ فجأةً
من شقوق جدارْ
لا أقول : السماء رماديّةٌ
بل أطيل التفرُّس في وردةٍ
وأَقول لها : يا له من نهارْ!

ولاثنين من أصدقائي أقول علي مدخل الليل :
إن كان لا بُدَّ من حُلُم ، فليكُنْ
مثلنا ... وبسيطاً
كأنْ : نَتَعَشَّي معاً بعد يَوْمَيْنِ
نحن الثلاثة ،

مُحْتَفلين بصدق النبوءة في حُلْمنا

وبأنَّ الثلاثة لم ينقصوا واحداً

منذ يومين ،

فلنحتفل بسوناتا القمرْ

وتسامُحِ موت رآنا معاً سعداء

فغضَّ النظرْ!

لا أَقول : الحياة بعيداً هناك حقيقيَّةٌ

وخياليَّةُ الأمكنةْ

بل أقول : الحياة ، هنا ، ممكنةْ

ومصادفةً ، صارت الأرض أرضاً مُقَدَّسَةً

لا لأنَّ بحيراتها ورباها وأشجارها

نسخةٌ عن فراديس علويَّةٍ

بل لأن نبيّاً تمشَّي هناك

وصلّي علي صخرة فبكتْ

وهوي التلُّ من خشية اللّه

مُغْميً عليه

ومصادفةً ، صار منحدر الحقل في بَلَدٍ

متحفاً للهباء. . .

لأن ألوفاً من الجند ماتت هناك

من الجانبين ، دفاعاً عن القائِدَيْنِ اللذين

يقولان : هيّا . وينتظران الغنائمَ في
خيمتين حريرَيتَين من الجهتين. . .
يموت الجنود مراراً ولا يعلمون
إلي الآن مَنْ كان منتصراً!

ومصادفةً ، عاش بعض الرواة وقالوا :
لو انتصر الآخرون علي الآخرين
لكانت لتاريخنا البشريّ عناوينُ أُخري

أُحبك خضراءَ . يا أرضُ خضراءَ . تُفّاحَةً
تتموَّج في الضوء والماء . خضراء . ليلُكِ
أَخضر . فجرك أَخضر . فلتزرعيني برفق. . .
برفقِ يَدِ الأم ، في حفنة من هواء .
أَنا بذرة من بذورك خضراء/ . . .

تلك القصيدة ليس لها شاعر واحدٌ
كان يمكن ألا تكون غنائيَّةَ. . .

من أنا لأقول لكم
ما أَقول لكم ؟
كان يمكن أَلاَّ أكون أَنا مَنْ أَنا
كان يمكن أَلاَّ أكون هنا . . .

كان يمكن أَن تسقط الطائرةْ
بي صباحاً ،
ومن حسن حظّيَ أَني نَؤُوم الضحي
فتأخّرْتُ عن موعد الطائرةْ
كان يمكن أَلاّ أري الشام والقاهرةْ
ولا متحف اللوفر ، والمدن الساحرةْ

كان يمكن ، لو كنت أَبطأَ في المشي ،
أَن تقطع البندقيّةُ ظلّي
عن الأرزة الساهرةْ

كان يمكن ، لو كنتُ أَسرع في المشي ،
أَن أَتشظّي
وأصبح خاطرةً عابرةْ

كان يمكن ، لو كُنْتُ أَسرف في الحلم ،
أَن أَفقد الذاكرة.

ومن حسن حظّيَ أَني أنام وحيداً
فأصغي إلي جسدي
وأُصدِّقُ موهبتي في اكتشاف الألمْ
فأنادي الطبيب، قُبَيل الوفاة، بعشر دقائق
عشر دقائق تكفي لأحيا مُصَادَفَةً

وأُخيِّب ظنّ العدم

مَنْ أَنا لأُخيِّب ظنَّ العدم ؟
مَنْ أنا ؟ مَنْ أنا ؟

سيـنـا ريـو جـا هز

لنفترضِ الآن أَنَّا سقطنا ،
أَنا والعَدُوُّ ،
سقطنا من الجوِّ

فِي حُفْرةٍ . . .

فماذا سيحدثُ ؟/

سيناريو جاهزٌ:

فِي البداية ننتظرُ الحظَّ. . .

قد يعثُرُ المنقذونَ علينا هنا

ويمدّونَ حَبْلَ النجاة لنا

فيقول : أَنا أَوَّلاً

وأَقول : أَنا أَوَّلاً

وَيشْتُمني ثم أَشتمُهُ

دون جدوى ،

فلم يصل الحَبْلُ بعد/ . . .

يقول السيناريو:

سأهمس فِي السرّ:

تلك تُسَمَّي أَنانيَّةَ المتفائلِ

دون التساؤل عمَّا يقول عَدُوِّي

أَنا وَهُوَ ،

شريكان فِي شَرَكٍ واحدٍ

وشريكان فِي لعبة الاحتمالاتِ

ننتظر الحبلَ ... حَبْلَ النجاة

لنمضي على حِدَةٍ

وعلى حافة الحفرةِ - الهاويةْ

إلي ما تبقّى لنا من حياةٍ

وحربٍ . . .

إذا ما استطعنا النجاة!

أَنا وَهُوَ ،

خائفان معاً

ولا نتبادل أَيَّ حديثٍ

عن الخوف ... أَو غيرِهِ

فنحن عَدُوَّانِ/ . . .

ماذا سيحدث لو أَنَّ أَفعى

أطلَّتْ علينا هنا

من مشاهد هذا السيناريو

وفَحَّتْ لتبتلع الخائِفَيْنِ معاً

أَنا وَهُوَ ؟

يقول السيناريو:

أَنا وَهُوَ

سنكون شريكين في قتل أَفعى

لننجو معاً

أَو على حِدَةٍ . . .

ولكننا لن نقول عبارة شُكْرٍ وتهنئةٍ

على ما فعلنا معاً

لأنَّ الغريزةَ ، لا نحن ،

كانت تدافع عن نفسها وَحْدَهَا

والغريزةُ ليست لها أَيديولوجيا . . .

ولم نتحاورْ ،

تذكَّرْتُ فِقْهَ الحوارات

في العَبَثِ المُشْتَرَكْ

عندما قال لي سابقاً :

كُلُّ ما صار لي هو لي

وما هو لكْ

هو لي

ولكْ !

ومع الوقتِ ، والوقتُ رَمْلٌ ورغوةُ صابونةٍ

كسر الصمتَ ما بيننا والمللْ

قال لي : ما العملْ؟

قلت : لا شيء ... نستنزف الاحتمالات

قال : من أَين يأتي الأملْ ؟

قلت : يأتي من الجوّ

قال : أَلم تَنْسَ أَني دَفَنْتُكَ في حفرةٍ

مثل هذى ؟

فقلت له : كِدْتُ أَنسى لأنَّ غداً خُلَّباً

شدَّني من يدي ... ومضى متعباً

قال لي : هل تُفَاوضني الآن ؟

قلت : على أَيّ شيء تفاوضني الآن

في هذه الحفرةِ القبرِ ؟

قال : على حصَّتي وعلى حصّتك

من سُدَانا ومن قبرنا المشتركْ

قلت : ما الفائدةْ ؟

هرب الوقتُ منّا

وشدَّ المصيرُ عن القاعدة ْ

ههنا قاتلٌ وقتيل ينامان في حفرة واحدة ْ

..وعلي شاعر آخر أن يتابع هذا السيناريو

إلى آخره ْ

لا اريد لهذه القصيدة ان تنتهي

يقولُ لها ، وهما ينظران الى وردةٍ

تجرحُ الحائطَ: اقتربَ الموتُ منِّي قليلاً

فقلتُ له: كان ليلي طويلاً

فلا تحجب الشمسَ عنّي!

وأهديتُهُ وردةً مثل تلك...

فأدَّى تحيَّته العسكرية للغيبِ،

ثم استدارَ وقالَ:

اذا ما أردتك يوماً وجدُتك

فاذهبْ!

ذهبتُ...

انا قادمٌ من هناك

سمعتُ هسيسَ القيامةِ، لكنني

لم أكن جاهزاً لطقوس التناسخ بعد،

فقد يُنشد الذئب أغنيتي شامخاً

وانا واقفٌ، قرب نفسي، على اربعٍ

هل يصدقني أحد إن صرختُ هناك:

أنا لا أنا

وأنا لا هُو؟

لم تلدني الذئابُ ولا الخيل...

اني خُلقتُ على صورةِ اللّه

ثمّ مُسختُ الى كائنٍ لُغويّ

وسمّيت آلهتي

واحداً

واحداً،

هل يصدِّقني احد إن صرختُ هناك:

انا ابن أبي، وابن أمي... ونفسي

وقالت: أفي مثل هذا النهار الفتّي الوسيم

تفكّر في تبعات القيامةِ؟
قال: اذن، حدِّثيني عن الزمن
الذهبي القديم
فهل كنتُ طفلاً كما تدّعي امهاتي
الكثيرات؟ هل كان وجهي دليل
الملائكةِ الطيّبين الى الله،
لا أتذكّر... لا أتذكّر أني فرحتُ
بغير النجاة من الموت!
من قال: حيث تكون الطفولةُ
تغتسل الأبدية في النهر... زرقاء؟
فلتأخذيني الى النهر/
قالت: سيأتي الى ليلك النهر
حين أضُمُّك
يأتي الى ليلك النهر/
اين أنا الآن؟ لو لم ارَ الشمسَ
شمسينِ بين يديكِ، لصدّقتُ
أنكِ احدى صفات الخيال المروَّض
لولا هبوبُ الفراشات من فجر غمّازتيك
لصدّقتُ أنّي اناديكِ باسمك
ليس المكان البعيد هو اللامكان
وانتِ تقولين:
"لا تسكن اسمك"
"لا تهجر اسمك!"

ها نحن نروي ونروي بسرديّة

لا غنائيةٍ سيرةَ الحالمين، ونسخرُ مما

يحلّ بنا حين نقرأ ابراجَنا،

بينما يتطفّلُ عابر دربٍ ويسأل:

اين انا؟ فنطيل التأمّل في شجر الجوْز

من حولنا، ونقول له:

ههنا. ههنا. ونعود الى فكرة الأبدية! ليس المكان هو الفخ...

مقهى صغير على طرف الشارعِ

الشارعِ الواسع

الشارع المتسارع مثل القطارات

تنقل سكانها من مكان لآخر...

مقهى صغير على طرف الشارع

الشارع الواسع

الأسطوانة لا تتوقف - قالت له

قال: بعد دقائق نخرج من ركننا

الى الشارع الواسع المتسارع

مثل القطارات،

ثم يجيء غريبان، مثلي ومثلك،

قد يكملان الحديثَ عن الفنّ،

عن شهواتِ بيكاسو ودالي

وأوجاعِ فان غوغ والآخرين...

وعمّا سيبقى من الحب بعد الاجازة،

قد يسألان: أفي وُسْع ذاكرةٍ

ان تعيد الى جسدٍ شحنةَ الكهرباء؟
وهل نستطيع استعادةَ إحساسنا
بالرطوبة والملح في أوَّل البحر
بعد الرجوع من الصيف؟/
ليس المكان هو الفخ
في وسعنا ان نقول:
لنا شارعٌ ههُنا
وبريدٌ
وبائعُ خبزٍ
ومغسلةٌ للثياب
وحانوتُ تبغٍ وخمر
وركنٌ صغير
ورائحةٌ تتذكّر/
ها نحنُ نشربُ قهوتَنا بهدوءِ أميرينِ
لا يملكان الطواويس، انتِ أميرةُ نفسِكِ
سلطانةُ البر والبحر، من أخمص القدمين
الى حيرةِ الريحِ في خصلة الشعر.
في ضوء يأسكِ من عودة الأمسِ
تستنطقين حياةً بديهيةً. وبلا حرسٍ
تحرسين ممالكَ سريَّةً. وأنا، في
ضيافةِ هذا النهار، اميرٌ على حصَّتي
من رصيفِ الخريفِ. وأنسى مَن المُتّكلّمُ
فينا لفرطِ التشابه بين الغيابِ وبين

الإيابِ اذا اجتمعا في نواحي الكمنجات
لا أتذكّر قلبي الا اذا شقّهُ الحبُّ
نصفين، او جفَّ من عطش الحب،
او تركتني على ضفة النهر احدى صفاتك!
ضيفاً على لحظة عابرةْ
اتشبّثُ بالصحو،
لا امسَ حولي وحولك
لا ذاكرة،
فلتكن مَعْنوياتُنا عالية
عصافيرُ زرقاءُ، حمراءُ، صفراءُ، ترتشف
الماءَ من غيمةٍ تتباطأ حين تُطلُّ على
كتفيكِ. وهذا النهار شفيفٌ خفيفٌ
بهيٌّ شهيٌّ، رضيٌّ بزواره، انثوّيٌّ،
بريءٌ جريءٌ كزيتون عينيك. لا شيءَ
يبتعد اليوم ما دام هذا النهارُ
يرحِّب بي، ههنا يُولَدُ الحبُّ
والرغبةُ التوأمان، ونولدُ ...ماذا
أريد من الأمس؟ ماذا أريد من
الغد؟ ما دام لي حاضرٌ يافعٌ أستطيع
زيارةَ نفسي، ذهاباً إياباً، كأني
كأني. وما دام لي حاضرٌ استطيعُ
صناعةَ امسي كما أشتهي، لا كما
كان. إني كأني. وما دام لي

حاضرٌ استطيع اشتقاقَ غدي من
سماءٍ تحنُّ الى الأرض ما بين
حربٍ وحرب، وإني لأني!
تقول: كأنكَ تكتبُ شعراً
يقول: أُتابع إيقاعَ دورتي
الدمويةِ في لغة الشعراء. أنا،
مثلاً، لم أُحبَّ فتاةً معينةً
عندما قلتُ اني احبُّ فتاةً،   ولكنني
قد تخيَّلتُها : ذاتَ عينين لوزيتين،
وشَعرٍ كنهر السواد يسيل على
الكتفين، ورُمَّانتين على طبق مرمريّ.
تخيلتها لا لشيء، ولكن لأُسمعها
شعرَ بابلو نيرودا، كأني أنا هو،
فالشعر كالوهم/
ليس المكان هو الفخّ
لم أنتظرْكِ لتنتظريني، فمثلُك منْ
يأمر الحلْم بالانتظارِ الطويلِ على
ركبتيها. خذيني الى اللامكان المُعَدِّ
لأمثالنا الضالعين بتأويل ذاكرة الغيم
بين الربيع وبين الخريف، وأمّا
الربيعُ، فما يكتب الشعراء اذا نجحوا
في التقاط المكان السريع بصنّارة
الكلمات. وأما الخريف، فما نحن فيه

من الاهتداء برائحة الشجر العاطفيّ
وبحث الغريبة في كلمات الغريب عن
اسم الحنين... وعَن شَبَهٍ غائمٍ
في ثنائية الشعر والنثر. لا النثرُ نثرٌ
ولا الشعرُ شعرٌ اذا ما همستِ:
احبكَ! او قالت امرأةٌ في القطار
لشخصٍ غريبٍ، أعنِّي على
نحلةٍ بين نهديّ... او قال شخصٌ كسولٌ
لإسكندر الأمبراطور: لا تحجب
الشمسَ عني. ولكنني اذ أُغنِّي،
أُغنّي لكي أُغري بالموت بالموت/
ليس المكانُ هو الفخ
ما دمتِ تبتسمين ولا تأبهين
بطول الطريق... خذيني كما تشتهين
يداً بيدٍ، او صدىً للصدى، او سدى.
لا أريدُ لهذي القصيدة ان تنتهي ابداً
لا أريد لها هدفاً واضحاً
لا أريد لها ان تكون خريطةَ منفى
ولا بلداً
لا أريد لهذي القصيدة ان تنتهي
بالختام السعيد، ولا بالردى
أريدُ لها ان تكون كما تشتهي ان
تكون:

قصيدةَ غيري. قصيدةَ ضدي. قصيدةَ
ندِّي...
أريد لها ان تكونَ صلاةَ أخي وعدوّي.
كأن المخاطبَ فيها أنا الغائبُ المتكلم فيها.
كأنَّ الصدى جسدي. وكأني أنا
أنتِ، او غيرُنا. وكأني أنا آخري!
كي أوسِّعَ هذا المدى
كان لا بُدَّ لي:
-من سنونوة ثانية
-وخروج على القافية
-وانتباه الى سعة الهاويةْ
لا أريد لهذي القصيدة ان تنتهي
لا أريد لهذا النهار الخريفي ان ينتهي
دون ان نتأكّد من صحة الأبدية.
في وسعنا أن نحبَّ،
وفي وسعنا أن نتخيّل انّا نحبُّ
لكي نُرجئَ الانتحار، اذا كان لا بدَّ منه،
الى موعد آخر...
لن نموتَ هنا الآن، في مثل
هذا النهار الزفافيِّ، فامتلئي
بيقين الظهيرة، وامتلئي واملئيني
بنور البصيرة/

ينبئني هذا النهارُ الخريفيُّ
أنّا سنمشي على طرق لم يطأها
غريبان قبلي وقبلَك الا ليحترقا
في البخور الالهي.
ينبئني أننا سوف نسمعُ طيراً تغني
على قدر حاجتنا للغناء ...خفيفاً
خفيَّ التباريح، لا رعوياً ولا وطنياً
فلا نتذكّر شيئاً فقدناه/
ان الزمان هو الفخ
قالت: الى أين تأخذني؟
قال: لو كنتِ اصغرَ من رحلتي
هذه،   لأكتفيتُ بتحوير آخر فصل
من المشهد الهوميري... وقلتُ:
سريرُك سرّي وسرُّك،
ماضيك يأتي غداً
على نجمة لا تصيب الندى
بأذى،
أنام وتستيقظين فلا انت مُلتفّةٌ
بذراعي، ولا أنا زُنّار خصرك،
لن تعرفيني
لأن الزمان يُشيخ الصدى
وما زلتُ أمشي... وأمشي
وما زلتِ تنتظرين بريدَ المدى

أنا هو، لا تُغلقي بابَ بيتك

ولا ترجعيني الى البحر، يا امرأتي، زبدا

انا هُوَ، منْ كان عبداً

لمسقط رأسك... او سيّدا

انا هو بين يديك كما خلَقتْني

يداكِ، ولم اتزوَّج سواكِ

ولم أُشفَ منك، ومن نُدبتي ابداً

وقد راودتني آلهاتُ كل البحار سدى

أنا هو، من تفرطين له الوقت

في كُرة الصوف،

ضلَّ الطريقَ الى البيت ...ثم اهتدى

سريرُك، ذاك المخبّأُ في جذع زيتونة

هو سرِّي وسرُّك...

قالت له :قد تزوَّجَني يا غريبُ

غريبٌ سواك

فلا جذع زيتونة ههنا

او سرير،

لأن الزمان هو الفخ/

ينبئُني ضوءُ هذا النهار الخريفيّ

أني رأيتكِ من قبل، تمشين حافيةَ

القدمين على لغتي، قلت: سيري

ببطءٍ على العشب، سيري ببطءٍ

لكي يتنفّسَ منك ويخضرّ. والوقت

منشغلٌ عنك...سيري ببطءٍ لأُمسك

حلمي بكلتا يديّ .رأيتك من قبلُ

حنطيّةً كأغاني الحصاد وقد دلّكتها

السنابل، سمراءَ من سهر الليالي،

بيضاءَ من فرط ما ضحك الماءُ حين

اقتربتِ من النبع. سيري ببطءٍ،

فأنّى مشيتِ ترعرعت الذكرياتُ حقولاً

من الهندباء، رأيتك من قبلُ في

الزمن الرعويّ

على قدر ليل الغريب

تنامُ الغريبةُ/

فاحتجبي، واظهري، والعبي، واكسري

قدري بيديك الحريريتين، ولا تخبريني

الى أين تمضين بي في دهاليز سرِّك،

لا تخبريني الى أين تمضين بعدي

الى أين أذهبُ بعدَك. لا بعد

بعدك. ولنعتنِ الآن بالوردة الليلكية

ولتُكمل الأبديةُ أشغالَنا دوننا ،

إن أطلنا الوقوف على النهر او

لم نُطل. سوف نحيا بقية هذا

النهار .سنحيا ونحيا. وفي الليلِ،

ان هبط الليل، حين تنامين فيّ

كروحي، سأصحو بطيئاً على وَقْع

حلم قديم، سأصحو واكتب مرثيتي.
هادئاً هادئاً. وأرى كيف عشتُ
طويلاً على الجسر قرب القيامة، وحدي
وحراً. فإن أعجبتْني مرثيتي دون
وزن وقافية نمت فيها ومتُّ
والا تقمصت شخصيةَ الغجريّ
المهاجر:
جيتارتي فرسي
في الطريق الذي لا يؤدي
الى أيّ أندلسٍ
سوف أرضى بحظّ الطيورِ وحريةِ
الريح. قلبي الجريح هو الكون.
والكون قلبي الفسيح. تعالي معي
لنزورَ الحياةَ، ونذهبَ حيث أقمنا
خياماً من السّرو والخيزران على
ساحل الأبدية. ان الحياة هي اسم
كبير لنصر صغير على موتنا .والحياة
هي اسمك يطفو هلالاً من اللازورد
على العدم الأبيض، استيقظي وانهضي،
لن نموتَ هنا الآن، فالموت حادثةٌ
وقعت في بداية هذي القصيدة، حيث
التقيتُ بموت صغير وأهديته وردة،
فانحنى باحترام وقال: اذا ما أردتك

يوماً وجدتك/

فلنتدرب على حُبٍّ أشياءٍ ليست

لنا ، ولنا... لو نظرنا اليها معاً من علٍ

كسقوط الثلوج على جبلٍ

سيغنّي لك الغجري، كما لم يغنِّ:

أقولُ لها

لن أُبدِّلَ أوتارَ جيتارتي

لن أبدّلها

لن أحمّلها فوق طاقتها

لن أحمّلها

لن أقولَ لها

غير ما تشتهي ان أقول لها

حملتني لأحملها

لن أبدِّل أوتارَها

لن أبدّلَها

لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي

لا أريد لهذا النهار الخريفي أن ينتهي

يــأتــي ويــذهب

يأتي ويذهب

يأتي حين أنفصل

عن الظلال وأنسى موعدي معه

لا نلتقي ابدا

في وقتنا خلل

ولا يلوح عن بعد . . . لأتبعه

كأنه الشعر..

او ما يترك الحجل

من الخيال ،ويغويني لأُرجعه

ما الشيء هذا الذي

يأتي ولا يصل

الا غيابا ،فأخشى أن اضيعه

لا شيء، أحلم احيانا

وأرتجل

حلما يعانق حلما كي نوسعه

فلا أكون سوى حلمي

ولي جبل

ملقى على الغيم ، يدعوني لأرفعه

أعلى من الغيم إشراقا

وبي امل

يأتي ويذهب ، لكنلن اودعه

مــا أسـرع الــلـيـل

ما أسرع الليل

قال العاشقان معاً : ما أسرع الليل

موسيقى مصاحبةٌ لكل نبضٍ ونهر هائجٌ ..وغدٌ ينسى مواعيده في بيته ... ويدٌ تتسى لمن هي إذ تدنو وتبتعد

ما أبطأ الليل قالت عندما انتظرت:

ما أبطأ الليل

أشباحٌ ممددةٌ على السرير وصمتٌ صاخبٌ ودم يغلي ويبرد ...لا حمى ولا ألمُ لكنه الوقت،أو ما يضمر العدمُ

ما أبطأ الليل قال: الساعة احتضرت ما أبطأ الليل

أشجار معلقة

على المصابيح. دربٌ مقفرٌ قمر

معلقٌ جرساً والروح تنظر كأساً من الماء ترويها..وتتكسرُ

أما أنا فأقول:

الليل ملتبس فمرة هو أنثى تشتهي ذكراً ومرة هو موت جامعٌ شرسٌ ومرة حلم ناعمٌ سلسٌ ما أقصر الليل إذ نأوي إليه معاً فلا نكون سوى ما تحمل الفرسُ ما أطول الليل، إن فكرتُ:

أين أنا ؟

كأنني ظلّك المقطوع من شجرك كأنني الحجر المرمي من قمرك ما أطول الليل !

مـا أسرع الـلـيـل

ما أسرع الليل

قال العاشقان معاً : ما أسرع الليل

موسيقى مصاحبةٌ لكل نبضٍ ونهر هائجٌ ..وغدٌ ينسى مواعيده في بيته ... ويدٌ تنسى لمن هي إذ تدنو وتبتعد

ما أبطأ الليل قالت عندما انتظرت:
ما أبطأ الليل

أشباحٌ ممددةٌ على السرير وصمتٌ صاخبٌ ودم يغلي ويبرد ...لا حمى ولا ألمُ لكنه الوقت،أو ما يضمر العدمُ

ما أبطأ الليل قال: الساعة احتضرت ما أبطأ الليل

أشجار معلقة
على المصابيح. دربٌ مقفرٌ قمر
معلقٌ جرساً والروح تنظر كأساً من الماء ترويها..وتتكسرُ

أما أنا فأقول:
الليل ملتبس فمرة هو أنثى تشتهي ذكراً ومرة هو موت جامعٌ شرسٌ ومرة حلم ناعمٌ سلسٌ ما أقصر الليل إذ نأوي إليه معاً فلا نكون سوى ما تحمل الفرسُ ما أطول الليل، إن فكرتُ:
أين أنا ؟
كأنني ظلّك المقطوع من شجرك كأنني الحجر المرمي من قمرك ما أطول الليل !

مـن كـا ن يـحلـم

من كان يحلم مثلي في طفولته
هو المسافر من أمسي الى غده

وددت او عدت من لألاء نجمتنا
الى شبيهي في بستان موعده

ظلان نحن لشخص واحد ولنا

ما للسماوي من نعمى توحّده

وننأى وندنو صدى لا يلتقي ابدا
كأنني هو في منفى تشرده

هي الضرورة والرؤيا معطلة
كأي معنى تشظَى في تردده

لو كنت أصغر من قلبي لقلت له
خذني الى مُلتقى حلمي بمولده

هو المكان رهان المنشدين على
فعل الزمان وموسيقى تجدده

ما زلت أحلم حلمي ذاته وأرى
حلمي يسيرني والدرب في يديه

مضى القرين الى مجهوله وأنا
هو المسافر من امسي الى غده

الــخوف

(1)

للخوف رائحة القرنفل في الطريق من الربيع
الى الخريف . ونحن نمشي في هواجسنا عن
الغد : ربما يصل المسافر كامل

الاعضاء .لكن الربيع وراءه . في كل متر
من خطاه وداع شيء ما
يلاحقه كرائحة القرنفل غامضا
ويخاف أن لا يستعيده!

(2)

للخوف لون الماء ، ملتبس ، أضواء
ذائب هو ، أم سراب يستحم بنفسه ؟؟
لا شيء يثنينا عن التأويل الا الخوف
مما بعه ، ولأننا أبناء هذا الماء نخشى
السير في الصحراء والسكنى على قمم بعيدة!

(3)

للخوف طعم اللوتس السحري في
الأوديسة الكبرى .فقد ينسى الغريب
بلاده وصديقه الكلب الوفي
وزوجه الأولى ويمتهن الرحيل .أخاف
أن انسى وأخشى عبء ذاكرتي
على مخطوطة الغد ، لا هناك أنا
هناك ، ولا هنا . وأخاف الا أكتب
السطر الأخير من القصيدة!

(4)

للخوف صوت الناي يثقب صخرة ويرقّص
الوديان ،لا فرحا ولا حزنا ، ولكّن الحنين
هو الحنين ، وزفرة الصّوفي يقترب
البعيد اذا رأى ضوءاً إلهياً ويبتعد القريب .أخاف
صوت الناي يقسمني الى اثنين : الهواء وفتحة
القصب الوحيد

(5)

للخوف ملمس ثعلب يُغوي ، فلا ندري
تروّضنا الثعالب أم نروّضها ، ونخشى جاذبية
كل شيء غامض ونحبها كي نبلغ المجهول . لكني
أخاف طريقتي في جس نبض الكون .أحيانا
أخاف عليَّ من غيري ، وأخشى دائما
نفسي الشريدة!!

(6)

الخوف يوجع : رجفة في الركبتين ، وخفّة
في الإلتفاف الى الجهات . تشنج في البطن
والعضلات . نقص في الهواء وفي الفضاء.

جفاف حلق وانخفاض في الكرامة والحرارة
واكتظاظ السقف والجدران بالأشباح ، تسرع ثم تبطيء ،
ثم تسرع ، وارتفاع في نشاط الروح كي تبقى عنيدة!!

(7)

للخوف اسماء عديدة
من بينها ألا نخاف
وان نرى الصَّياد
في ريش الطريدة !

ا ذ ا ك ا ن ل ا ب ـد

إذا كان لا بُدّ من قمرٍ
فليكن كاملاً، ووصيّاً على العاشقة!
وأمّا الهلال فليس سوى وَتَرٍ
مُضمرٍ في تباريح جيتارةٍ سابقة!

وإن كان لا بُدّ من منْزلٍ

فليكنْ واسعاً ، لنربي الكناريّ فيه . .وأشياءَ أخرى
وفيه ممّر ليدخلَ منه الهواء ويخرج حرّا
وللنحلِ حقٌّ الإقامةِ والشغلِ في رُكنهِ المهمل

وإن كان لا بُدّ من سفرٍ
فليكن باطنيّاً ، لئلا يؤدّي إلى هدف
وأمّا الرحيل، فليس سوى شغف
مرهفٍ بالوصول إلى حُلُمٍ قُدّ من حجر!

وإن كان لا بُدّ من حلم، فليكنْ
صافياً حافياً أزرق اللون، يولد من نفسهِ
كأنّ الذي كان كان، ولكن لم يكنْ
سوى صورة الشيء في عكسهِ

وإن كان لا بُدّ من شاعرٍ مختلفْ
فليكن رعويّ الحنين، يُجعّد ليل الجبال
ويرعى الغزالة عند تخوم الخيال، ولا يأتلفْ
مع شيءٍ سوى حسّه بالمدى والندى والجمال

وإن كان لا بُدّ من فرح، فليكنْ ساخناً
كدمِ الثور، لا وقتَ يبقى على حاله
الغناءُ حلالٌ لنا مثل زوجاتنا ، فليكنْ ماجناً فاتناً
لكي يخجلَ الموتُ منه.. وينأى بأثقاله

وإن كان لا بُدّ من علمٍ للبلاد
فليكنْ عالياً، وخفيّ المجاز.. قليلَ السواد
وبعيداً، كأودية، عن جفاف المكان وأيدي الصغار
وعن غرفِ النوم، وليرتفع فوق سطح النهار.

وإن كان لا بدّ مني... فإني
على أُهبة المرتضى والرضا، جاهزٌ للسلام
مع النفس .لي مطلبٌ واحدٌ: أن يكون اليمام
هو المتحدّثُ باسمي، إذا سقط الاسم منّي !

ليل بلا حلم

ليل بلا حلم جديد للغريبة : من انا
في الليل ؟ ينقصني الكثير من الفراش
لكي اطير. انا الغريبة اينما اتجهت
خطاي ، وانت منفاي الأخير، انا

الغريب ، وكل ما حولي يذكرني بنفسي.
كلما حدقت في الماء امتلأت بنرجسي
وغضضت طرفي . من أنا في ليل
غربتك الطويل ؟مسافر يرتاح في
الجسد الجميل .حمامة حطت على
كتفي وعودها الهديل على الحنين اليَّ.
هل نبقى معاً ؟نبقى معاً .وتحبيني ؟
وأحب سرك ، لا تبوحي لي بسرك.
لا احب طفولتي والذكريات .ولا
أنا . حسنا ، لنذهب ! لا غريب
ولا غريبة في الرحيل . . .

قمر قديم

قمر قديم في يد امرأة .فلا ذكرى

بلا قمر.((انا لك...))...((انتي لي

يتنزهان على سوناتا تحت ضوء البدر.

يختبئان في ورق الصنوبر .يشربان

حليب ليل فاتراً. خذني.خذيني. . .

لا تقل شيئاً يذكرني بما يأتي به

الغدُ. كم أريدك)).((لاتقولي

أي شيء يوقظ الأمس المجاور ...كم

أريدك !))يجلسان على بساط العشب.

يرتديان عُري الليل .يقتسمان ملحهما وصمتهما.

فلا هي قالت :امتلأتْ بي الذكرى،

فأرحعني الى نفسي .ولاهو قال :إني

عبد من ملكتْ يداي فلا تعودي بي

إلى نفسي .ولا القمر المبلّل بالندى

أفضى بسرّهما القديم إلى أحدْ

ورغبت فيك ، رغبت عنك

ورغبت فيك .رغبت عنك . رغبت بالآتي

من الماضي .ستتسع الدروب لنا .

ستأخذنا الحياة إلى طبيعتها.سننسى

ظلنا تحت الصنوبرة القديمة جالساً

في ظله. وسيبزغ اليوم الجديد على

طريقنا. لنا ظلان منفصلان لا

يتعانقان ولا يردان التحيّة للسنونو .

فكري بالظل كي تتذكري -قلت.

قالت(كن قوياً واقعيا وانس

ظلّي -في طريقين ستأخذنا الحياة

إلى طبيعتها الجديدة .لن تبشرنا الحمامة

بالسلام وبالسلامة.لن نكون كما أردنا

أن نكون. كلما نام الحنين استيقظ

الغد. سوف نشفى من قيامتنا الصغيرة

عندما تقف الظلال على الحياد ،ولا

يكون البدر حمّى .عندما تقف الظلال

على الحياد •

هذا المساء

هذا المساء ،أريد لا شيء

الصنوبرة الوحيدة قرب نافذتي هي الآن

الصنوبرة الوحيدة. والروايات الجديدة لا

تقول سوى البسيط : تحرّر الأبطال من عبء

البطولة وانتشال الجوهريّ من الكلام الهامشي.

وغرفتي الملأى بأوراق ممزّقة وحبر جامد

هي غرفتي العطشى إلى الإلهام في هذا المساء.

وشاشة التلفاز صارت لوحة سوداء مذ

مرضت مُمثلتي الأثيرةُ في المسلسل ،والجدار

هوالجدار.فأي موسيقى سترشدني إلى

جهة العواطف ؟والهواء مُدخّن هذا المساء،

كأن جاراً فوضوياً،أوصبياً ما شقياً أشعل

الكبريت في كُوم القمامة .والهواء مُلوّن

هذا المساء كأن نجماً كن يخرج من مدار

الجاذبية .مَن هنا هذا المساء ؟ ومَنْ

يفسّرني إذاقلت : المساء هواية العبث

الأكيد ومهنة الأبدية ، أو هو مثل مطرقة

تدق الشيء واللاشيء كي يتساويا؟ عبثاً

أرمم داخلي ، هذا المساء ، بخارجي ...لاذئب

يعوي في البراري كي يسامرني ، ولا قمر ينام

على الصنوبرة الوحيدة قرب نافذتي . ارى

اللاشيء شفافا جلياً. والمساء غوايةُ

واللاشيء.واللاشيء أفضل من فساد الشيء.

واللاشيء يبعث ...لا ينازعني على شيء . يحملق

بي ويلعب. لا يُخيّبني ولا يحكي ويكذب.

إنه يأتي ويذهب فارغاً ومسالماً .ولربما عبأته

بخواطري فأعانني ..ولربما حمل الكلام نيابةً

عني ، وصاغ لي القصيدة... ربما هذي القصيدة !

طلـلـيـة الـبـروة

أمشي خفيفاً كالطيور على أديم الأرض،

كي لا أوقظ الموتى .وأُقفلُ باب

عاطفتي لأصبح آخَري ، إذ لا أحسُّ

بأنني حجرٌ يئنُ من الحنين إلى السحابة.

هكذا أمشي كأني سائح ومراسلٌ لصحيفة

غريبةٍ .أختارُ من هذا المكان الريحَ ...

أختارُ الغياب لوصفِهِ .جَلَس الغيابُ

محايداً حولي ، وشاهده الغراب محايداً.

يا صاحبي قفا..لنختبر المكان على

طريقتنا : هنا وقعت سماءٌ ما على

حجر وأدمته لتبزغ في الربيع شقائق

النعمان... (أين الآن أغنيتي؟) هنا

كسر الغزال زجاج نافذتي لأتبعه

إلى الوادي (فأين الآن أغنيتي؟) هنا

حملت فراشات الصباح الساحرات طريق

مدرستي (فأين الآن أغنيتي ؟

هنا هيات للطيران نحو كواكبي فرسا

فأين الآن اغنيتي ؟. أقول

لصاحبي : قفا ...لكي أزن المكان

وقفره بمعلقات الجاهليين الغنية بالخيول

وبالرحيل . لكل قافية سننصب خيمة .

ولكل بيت في مهب الريح قافية . . .

ولكني انا ابن حكايتي الأولى .حليبي

ساخن في ثدي أمي .والسرير تهزّه

عصفورتان صغيرتان .ووالدي يبني غدي

بيديه ..لم أكبر فلم أذهب الى

المنفى . يقول السائح : انتظر اليمامة ريثما

تنهي الهديل ! أقول : تعرفني

وأعرفها ، ولكن الرسالة لم تصل.

ويقاطع الصحفي أغنيتي الخفية : هل

ترى خلف الصنوبرة القوية مصنع

الألبان ذاك ؟؟ أقول كلا . لا

أرى الا الغزالة في الشباك.

يقول : والطرق الحديثة هل تراهل فوق

أنقاض البيوت ؟ أقول : كلا . لا

أراها ، لا ارى الا الحديقة تحتها ،

وأرى خيوط العنكبوت . يقول : جفف

دمعتيك بحفنة العشب الطري . أقول

هذا آخري يبكي على الماضي. . . .

يقول السائح : انتهت الزيارة .لم

أجد شيئا أصوره سوى شبح.

أقول : ارى الغياب بكامل الأدوات ،

ألمسه وأسمعه ، فيرفعني الى

الأعلى . أرى أقصى السماوات القصية.

كلما متُ انتبهت ، ولدت ثانية وعدت

من الغياب الى الغياب .

موعد مع اميل حبيبي

لا لأرثيه ، بل لنجلس عشر دقائق

في الكاميرا ، جئت .كان الشريط

معدا لمعركة بين ديكين.

قلت له قبل موعدنا : عم تبحث ؟

قال : عن الفرق بين "هنا" " وهناك"

فقلت : لعل المسافة كالواو

بين هنا و هناك.... مجازية

قال : عجل ! تعال صباح غد

قبل موتي ، وقبل تجعد زيي الجديد

خذ الشارع الساحلي السريع . فرائحة

المندرينة والبرتقال تعيدك من حيث

مر بعيدك . أما انا فسأقضي

نهاري الأخير على شاطئ البحر ، أبحث

عن سمك هارب من كهولة صنارتي. . .

لا لأرثيه جئت ، بل لزيارة نفسي.

ولدنا معا وكبرنا معا . اما زلت يا

نفس أمارة بالتباريح ؟ ام صقلتك

كما تصقل الصخرة الريح ؟تتقصنا

هدنة للتأمل : لا الواقعي هنا

واقعي ، ولا أنت فوق سفوح الأولمب

هناك ، خيالية .سوف أكسر أسطورتي

بيدي ، كما يكسر الطفل كوب حليب

ليرشد أما الى ثديها .

لا لأرثي شيئا أتيت ، ولكن

لأمشي على الطرقات القديمة مع صاحبي ،

وأقول له : لن نغير شيئا من الأمس

لكننا نتأمل غدا صالحا للاقامة . لن

يندم الحالمون ويعتذروا للروائي أو للمؤرخ

عما يرون ، وعما يريدون أن / يروا في

المنامات ، فالحلم أصدق من واقع

قد يغير من شكل البنايات لكنه لا يغير

أحلامنا!

اتيت ، لكني لم أصل . وصلت

ولكني لم أعد . لم أجد صاحبي في

انتظاري ، ولم اجد المقعدين المعدين

لي وله ، ولمعركة بين ديكين. . .

كان كعادته ساخرا . كان يسخر

منا ومن نفسه . كان يحمل تابوته

هاربا من جنازته ، قائلا : سينما

كل شيء هنا سينما ، سينما ، سينما ..

في بيت نزار قباني

بيت من الشعر -بيت الدمشقي

من جرس الباب حتى غطاء السرير،

كأن القصيدةُ سكنى وهندسة للغمام .

بلا مكتب كان يكتب . . . يكتب فوق الوسادة

ليلا ، وتكمل أحلامه ذكريات اليمام .

ويصحو على نفس امرأة من نخيل العراق،

تعد له الفل في المزهرية /

كان أنيقا كريش الطواويس ،لكنه

لم يكن ((دون جوان)). تحط النساء

على قلبه خدما للمعاني ، ويذهبن في

كلمات الاغاني . ويمشي وحيدا. اذا

انتصف الليل قاطعه الحلم : في

داخلي غرف لا يمر بها أحد للتحية /

منذ تركت دمشق تدفق في لغتي

بردى، واتسعت . أنا شاعر الضوء

والفل... لا ظل ... لا ظل في لغتي .

كل شيء يدل على ما هو الياسمين .انا

العفوي ، البهي . ارقص خيل الحماسة

فوق سطوح الغناء ، وتكسرني غيمة .

صورتي كتبت سيرتي ، ونفتني الى الغرف الساحلية/

بيت الدمشقي بيت من الشعر .

أرض العبارة زرقاء ، شفافة. ليلة

أزرق مثل عينيه.انية الزهر زرقاء

والستائر زرقاء .

سجاد غرفته أزرق . دمعه حين يبكي

رحيل ابنه في الممرات أزرق . اثار
زوجته في الخزانة زرقاء . لم تعد
الارض في حاجة لسماء ،فإن قليلا
من البحر في الشعر يكفي لينتشر الأزرق
الأبدي على الأبجدية/

قلت له حين متنا معا ،
وعلى حدة : أنت في حاجة لهواء دمشق!
فقال : سأقفز ، بعد قليل ، لأرقد في
حفرة في سماء دمشق . فقلت :انتظر
ريثما أتعافى ، لأحمل عنك الكلام
الأخير ، انتظرني ولا تذهب الآن ، لا
تمتحني ولا تشكُل الآس وحدك!
قال :انتظرأنت ، عش أنت بعدي .فلا بد من
شاعر ينتظر
فانتظرت ! وأرجأت موتي

فـي رام الله

الى سليمان النَّجاب

لا أمس لي فيها سواك ،
وما خرجت وما دخلت ، وانما

تتشابه الأوصاف كالصفصاف
ماعزها سطور قصيدة رعوية
ومحطة الإرسال ترسل صورة صوتية
لمدينة ، تبنى على عجل ،
ويسقفها السحاب

-ها نحن عدنا اثنين من سفر
أنا وحكايتي الأولى ،
يقول رفيق ذاكرتي
-الى سفر مجازي ، أقول
وأول الأرض اغتراب

-حدّق الى مرآة نرجسنا الوسيم!
يقول : ولنفرح بحصتنا من الماضي!
أقول : جراح نرجستنا ستكسر هذه
المرآة:
فأقول : في لغتي من المنفى ضباب

الآن ، في الماضي نحملق في غد
متردد خلف الروابي الزرق.
عالمنا يضيق بنا كقافية تحدد
وجهة المعنى - أقول لصاحبي المشغول
في تأويل ما ترك الصدى بين

السلالم : تلك صرخاتنا تهذَب
وحشة الصلصال من ايام نوح
الى بدايات الجفاف . أقول : تلك
حكاية المنفيَ للمنفيَ .ينقصها قليل
من صفات الشيء ينقصها كتاب

نمشي على جبل السماء ، ونقتفي
آثار موتانا ، وأسأله : هل
التاريخ كابوس سنصحو منه ، ام
درب سماويَ الى المعنى ؟ يقول:
هو الذهاب ، هو الإياب . حياتنا
معنا ، هنا والآن ، فاتبع فطرة
القلب الحكيمة وانتشر بين النباتات
البسيطة تزدهر . فالقلب ، لا
علم الحساب ، هو الصواب

ويقول لي : ربَيتُ خِشفاً في الحديقة .
كنت أسقيه حليب الشاة ممزوجا
بملعقة من العسل المُخفَف .كنت
اعطيه سريري حين يمرض ((أيها
الطفل اليتيم انا ابوك وأمك ،
انهض كي تعلمني السكينة)) . لم
يمت مثلي ومثلك . نام مثل قصيدة

بيضاء .أولها كآخرها سراب

لا امس لي فيها سواك - أقول
علمني سلام النفس ! يضحك صاحبي
ويقول : فلنفرح بحصتنا من الغد .
ههنا غدنا . ويفتح صاحبي قبر
الغزال الأبيض : ((انهض كي ينام
أبوك ، يا بني ، في سرير الأرض
ثانية ، ويخضر التراب)

لي أمس فيها ، في مدينته الصغيرة ،
لي عصا الراعي ، وعُرف الديك لي فيها
وباقة نرجس في المزهرية
لي تحيته التي تمتد من قاع الفراغ
الى اعالي السرو
لي ذكرى غد فيها ، ولي فيها إكتئاب
ونافذة على الوادي وباب

لي امس فيها
لي غياب !

فـر و سيـة

دهشا من خفة الأشياء

أوقفت حصاني

عند نبع ،

وترجَلتُ ، تاملت طويلا

ذوبان الضوء في الماء

الذي يضحك

غربا ، تستحم الشمس في البحر
وشرقا ، ينبت الليل بطيئا خلف حرش السنديان
وشمالا ، غيمة تبحث عن أترابها
وجنوبا ، شارع يفضي الى اشيائنا في اللامكان
والى الأعلى ، طريق اللازمان

كن صدى في قطرة الماء
وكن في ورق العشب صدىً
ثمة موسيقى تناجيك وتحميك من الفكرة
فالفكرة بنت الهذيان

قال لي صوت خفيٌ ..نبوي
فتمددت على العشب كاني
عشبة تحلم لا يوجعني شيءٌ
وجسمي فرح عار .ولا
أسمع الا جريان الضوء في الماء خفيفا
وخرير الماء في احدى أغاني
شاعر قد يولد اللحظة في هذا المكان.

عندما استيقظت من نومي
على وقع الخماسين ، تطلعت الى جغرافيا

حلمي ، ولكن لم اجد قربي
سوى سرج حصاني .

مـسا فــر

فرسا تسيَّر فارسا ، هذا الطريق يسير بي
لا يستطيع مسافر مثلي التلفت للوراء.
مشيت ما يكفي لأعرف اين يبتديء الخريف
هناك ، خلف النهر ينضج آخر الرمان

في صيفٍ اضافّي ، وتنبت شامة في حبة
التفاح/

سوف ننام خلف النهر تحت ظلالنا ، أنا والطريق
كأننا زوجان ، ثم نقوم عند الفجر ،
يحملني وأحمله ..وأسأله لماذا السرعة القصوى ؟؟
تمهّل ايها الفرس المُحمل بالفصول. . .
سنقطع الوديان والصحراء ، مهما
قلّت الاحلام ، كي نصل النهاية في البداية.
البداية خلفنا .وأمامنا سحبٌ تبشر بالشتاء.
مشيت ما يكفي لأعرف أين يبتديء الشتاء:
هنالك فوق التل ، تبحث ظبية عن
شادن تحت السحاب . هناك صياد يُصوِّب
بندقيته . يأعوي مثل ذئب كي تفرَّ الظبية
البيضاء من خط الرصاص ويجفل
الصياد .سوف ننام قرب مغارة ، أنا
والطريق ، هناك فوق التل .ثم نقوم
عند الفجر ، يحملني وأحمله ، ويسألني وأسأله:
ماذا بعد ؟؟ أين تسير بي ، فأرى الضباب ، ولا
أراه ولا يراني في الضباب . فهل وصلت ، ام انفصلت
عن الطريق ، سألت نفسي ثم قلت:
الآن من هذي المسافة ، يستطيع مسافر مثلي
التلفت للوراء !!

نـسيـت لأنـسـا ك

نسيت ، لأنساك ، طعم الخسارة . في
القلب ليمونة عُصرت بكفاءة انثى مدربة
قلت لي : لست جيتارة للتمارين . إن كنت
حقا تحب ، فكن انت ...كن وترا

الخسارة تُدمي ولا تقتل

نسيت ،لأنساك ، جسرا هناك ومقهى
هنا .تركتني على ضفاف النهر إحدى مزياك
أسأل : من انت منهنً ؟؟ من تركتني
على ضفة النهر لكنني لا ارى أثراً

هكذا يفعل الحجل

ونسيت ، لأنساك ، نفسي وما يتفرع منها
حواليك . قلت :الأغاني الجميلة تولد من
أول الحب ....أو آخر الحب شفافة . لا اريد
استعادة شيء لأصنع من الحجر قمرا

كل آت هو الاول

ونسيت ، لأنساك ، شعر الطبيعة والحب
حتى الكلام البريء المليء بطيب يديك وإبطيك

أقفر .ولكنني لن أبدل اوتار جيتارتي
لن أبدلها . لن احملها فوق طاقتها : نغما يابسا مقفراً

خلفنا ....يلهث الأمل

ونسيت، لأنساك ، مفتاح بيتي على مقعد في
الحديقة . لا ترجعيه اليَّ ولا تفتحي الباب . لن
تجدي شبحا واقفا في انتظارك . لن تجدي غير
سطر على الباب : صار الفتى حجرا

حاضري غيمة ....وغدي مطر

و ا قـعـيـو ن

واقعيون ، ودودون مع الواقع . لا نأتي
ولا نذهب .ننسى أمس عن قصد لكي
نفتح بابا للغد الواقف كالوعد الإلهي ،
على مرأى من الكهان . ننسى ان للتاريخ
أسياداً وفرساً وحمقى . وله جند
وفنانون . ننسى سيرة النهر ، لكي نختصر
الدرب الى البحر . ((هل الماضي ضروري))

يقول الواقعيون الودودون مع الحاضر. . . .

والمستقبليون يقولون : هو الماضي نشيد

العاطفيين المساكين النهائيً . ((هل المعنى

ضروري)) - يقول الشعراء الطيبون : العالم

الأرضي ينهار ولا نعرف عن فردوسنا

الموعود شيئاً .((وهل الواقع حقا واقعيً))

يسأل الطلاب أستاذ الأساطير . وشخص

عابر يسأل عرّافا)) : هل القتلى حياديون

في البحث عن النسيان والغفران))

لا بأس ...ولا بأس - يقول الواقعيون

الودودون مع الواقع : لن ننظر للماضي،

ولن نسمع أقوال الخياليين . هذا واقع

صلب . وهذا هيكل مكتمل لا لبس فيه. . .

فإذا انهار على اعدائنا انهار علينا

ومن الحكمة أن نفتح بابا لغد يأتي إلينا

ربما في ليلة القدر ، ولا يحتاج

عونا من احد

لـن أبـدل اوتـار جيـتـارتـي

لن أُبدّل اوتار جيتارتي ...لن أُبدّلها
لن أُحملَها فوق طاقتها ...لن أُحملَها
لن أقول لها : جديني على وتر سادس
أجد الفرس العائدة!!

المكان على حاله ، شجر ناقص . شجر

زائد . والسماء تُتقَحها غيمةٌ . وهنا حجر
أخضر . وهناك حمام يحط على
كتف إمرأة تتأمل ...مرآتها شادرة

وكما في القصيدة ...يطلع عشب على
حائط في الربيع . فلا هو حلمٌ ، ولا
هو رمزٌ يدل على طائر وطنيَ . ولكنه
لفظة السرً في أرضنا الخالدة

وكما في الطبيعة : يبزغ قوس قزح
فجأة في القصيدة ...((هذا هو اسم الفرح))
عانقيني لأصغر أكثر ، أو اتذكر كيف
ولدتُ ولم انتبه لبكائية الوالدة

خطوة خطوتان ، ثلاث. ساتبع ما
تركته الطيور على الباب من نمشٍ ، ربما
لأُعًرف نفسي على أهلها : لن تكوني
كما كنت الا هنا ، ومعي ، مرة واحدة

الربيع قصيرٌ على العتبات ، قصيرٌ على
المشمشيات ما كدت أرنو الى
رهرة اللوز حتى حلمت بها . . . . غيمة في
يد أمراة لوَّحت من بعيد لصورتها الصاعدة

المكان على أرضه . هل أسأت الى الشجرة
حين شبهتها بفتاة (وبالعكس) هل أطلب المغفرة
من مقابر اهلي ، لأني مت بعيدا
عن النائمين ، وأنقاصتها شاهدة ؟؟

لن ابدّل أوتار جيتارتي ...لن أبدلها
لن أُحملَها فوق طلقتها ...لن احَملها
لن أقول لها : جديني على وتر سادس
أجد الفرس العائدة !!

تـلال مـقـدسـة

التلال وراء التلال

صحائف من كتب

انزلتها السماء لمن

يقرأون ولا يقرأون

ولكنهم يؤمنون أن التلال

صحائف من كتب/

الرعاة القدامى على التل

كانوا يغنون : من شَعر ماعزنا

يتدرج ليل التلال بطيئا

على طرق لا تقود خطانا

الى حتفنا دائما . . .

ربما أنقذتهم من الخوف ناياتهم

ربما روضَ الناي وحشا هناك

وضلَّل جيشا ،

ورمم باب المغارة/

لولا ظلام المغارة لانطفأ الضوء/

لا يطرب الانبياء لشعر الحماسة

لكنهم يحملون التلال صحائف شعرية

يضغطون على صخرة فتسيل ندى

وعلى عشبة فتصير صدى.

ويقولون ما يفعلون . وإن قلَت الأرض

من حولنا وبنا ، وسَّعوها لنا ، بإشراقهم

وأحبوا الجميع ، ولم يقتلوا أحدا
أبداً ، لا غريبا ولا ملحدا

التلال وراء التلال معلقة
صفحةً صفحة،
لا رعاة هناك ولا انبياء
وللشعراء مهاراتهم في إقتناء الخسارة
قد يصدقون إذا كذبوا
فلنصدّق أكاذيبهم/ :

الغياب حنين الحضور الى شكله...
وعلى ظله اتكأ الحور
فأقرأ إذا ما استطعت القراءة
تأويلك الخاص : بيضاء فضية
هذه الشجرات . أقل ارتفاعا من
الكلمات ، وأكثر حزنا من الناي...
واكتب إذا ما استطعت الكتابة بيتا
من الشعر واسمك/

أحب الحمار لان الحمار
أقل كراهية

والسحابة بيضاء ، والابجدية بيضاء ،

والأبدية بيضاء . كم انت انت وكم

انت غيرك ...حين تصير تلالك بيضاء

خالية من خطاك وتاريخك الشفهيً،

وخالية من سواك وتاريخه الشفهيً .كأنك تأتي

لتوك من عدم في ممر الضباب الى عدم.

وكأن القيامة قامت على غفلة منك/

نسرٌ يحلق فوق القصيدة/

مونى بفرون من قبرهم سالمين. يطيرون

حول السماء بلا غاية ، قائلين : لقد

أصلح الأنبياء قبائل امس . فمن ينقذ

الحاضر الدموي من الحرب بين ملائكة طيبين

وبين ملائكة سيئين .يقول ملاك : انا ذكر ، فيقول

له اخر : انت انثى ! ومن ينقذ الغد

من خلل في الطبائع ، أو خطأ في كتاب

الشرائع ؟/

أرض على طرف الكون ملغومة

كرة تتدحرج في الملعب النوويَ

وراءك يمشي أمامك .فانظر : سدوم

تمارين أولى على العبث البشري.

وطوفان نوح حكاية طفل

تعلّم درس السباحة .كل الاساطير

كانت وقوع الخيال على

غامض ، وعلى جاذبية سر:

الى اين تمضي بنا الريح ؟ فاختلف

الانبياء مع الشعراء على وجهة الأستعارة/

لا يحمل الأرض ثور

ولا سلحفاة

كما في الأساطير : أسمع صوت الزلازل

في قدم الظبيً . أُبصر نار البراكين في

عرف ديك تنسَك . أشمُ

رائحة الموت من وعكة في اريج البنفسج .أشعر

بالماء يجرفني نحو طوفانه : انت لي وأذوق الهواء

بحدسي . له طعم خاطرة في

خيال نبيً شقيً يخاف على شعبه.

التلال المقدسة

والرعاة القدامى ينادون:

يا رب ...يا رب

نحن بقايا كلامك

فاحرس بقايا كلامك

حتى نكون

كما تبتغي ان نكون

الــى شـاعـر شـاب

لا تصدّقْ خلاصاتنا ، وانسها

وابتدئ من كلامك أنت. كأنك

أوّل من يكتب الشعر ،

أو آخر الشعراء!

إن قرأت لنا ، فلكي لا تكون امتداداً

لأهوائنا ،

بل لتصحيح أخطائنا في كتاب الشقاء.

لا تسل أحداً: منْ أنا؟

أنت تعرف أمّك..

أمّا أبوك ...فأنت!

الحقيقة بيضاء. فاكتبْ عليها

بحبر الغراب.

والحقيقة سوداء، فاكتب عليها

بضوء السراب!

إن أردت مبارزة النسر

حلّق مَعَهْ

إن عشقتَ فتاة، فكن أنتَ

لا هي،

منْ يشتهي مصرعهْ

الحياةُ أقلّ حياة،

ولكننا لا نفكّر بالأمر،

حرصاً على صحّة العاطفةْ

إن أطلت التأمّل في وردةٍ

لن تزحزحك العاصفة!

أنت مثلي، ولكنّ هاويتي واضحة
ولك الطرق اللانهائية السرِّ،
نازلة صاعدة!

قد نُسمّي نضوبَ الفتوة نضجَ المهارة
أو حكمةً
إنها حكمةٌ، دون ريب،
ولكنها حكمة اللاغنائيّة الباردة

ألفُ عصفورة في يدٍ
لا تعادل عصفورةً واحدة
ترتدي الشجرة!

القصيدةُ في الزمن الصعب
زهرٌ جميلٌ على مقبرة!

المثالُ عسير المنال،
فكن أنت أنت وغيرك
خلف حدود الصدى

للحماسة وقت انتهاء بعيد المدى

فتحمّسْ تحمّسْ لقلبك واتبعه
قبل بلوغ الهدى

لا تقل للحبيبة : أنتِ أنا
وأنا أنتِ،
قلْ عكس ذلك: ضيفان نحْنُ
على غيمةٍ شاردة/

شُدّ ، شُدّ بكل قواك عن القاعدة

لا تضع نجمتين على لفظة واحدة

وضع الهامشيّ إلى جانب الجوهريّ
لتكتمل النشوة الصاعدة

لا تصدّق صواب تعاليمنا
لا تصدّق سوى أثر القافلة

الخُلاصة ، مثل الرصاصة في قلب شاعرها
حكمة قاتلة

كن قوّياً ، كثور ، إذا ما غضبتَ
ضعيفاً كنوّار لوز إذا ما عشقتَ،

ولا شيء لا شيء
حين تسامر نفسك في غرفة مغلقةْ

الطريق طويل كليل امرئ القيس:
سهلٌ ومرتفعات، ونهرٌ ومنخفضات
على قدر حلمك تمشي
وتتبعك الزنبق
أو المشنقة!

لا أخاف عليك من الواجبات
أخاف عليك من الراقصات على قبر أولادهنّ
أخاف عليك من الكاميرات الخفيّات
في سُرَر المطربات

لن تخيّبَ ظنّي،
إذا ما ابتعدتَ عن الآخرين، وعنّي:
فما ليس يشبهني أجملُ

الوصيُّ الوحيدُ عليك من الآن: مستقبلٌ مهملٌ

لا تفكّر، وأنت تذوب أسىً
كدموع الشموع، بمن سيراك
ويمشي على ضوء حدسك،

فكّر بنفسك: هل هذه كلّها؟

القصيدة ناقصة... والفراشات تكملها

لا نصيحة في الحبّ، لكنها التجربة

لا نصيحة في الشّعر، لكنها الموهبة

وأخيراً: عليك السلام

كأن الموت تسليتي

انا القوي وموتي لا اكرره

الا مجازآ كأن الموت تسليتي...

احب سيرة اجدادي وأسأمها..

لكي اطير خفيفآ فوق هاويتي..

حرآ كما يشتهيني الضوء,من صفتي

خلقت حرآ.. ومن ذاتي ومن لغتي...

كان الوراء أمامي واقفآ ..وانا . . .

امشي امامي على ايقاع اغنيتي

أقول..لست انا من غاب وليس هنا

هناك...ان سمائي كلها جهتي . . .

امشي واعلم ان الريح سيدتي . .

وانني سيد في حضن سيدتي . .

وكل ما يتمنى المرء يدركه . .

اذا اراد... واني رب امنيتي . . . .

هنـالـك حب بـلا سبب

هنالك حب بلا سبب ، لا الهدوء ولا العاصفة

هما السيدان على العاطفة

نشك بأشياء اخرى ، ومن بينها الفرص السانحة

ولكننا لا نشك بنوستالجيا الرائحة

نحبُ ، وقد نتخيل أنَا نحب ، ونكتب شعرا

لندرك أنَا نحب ...فلا ينطق الحب نثرا

هنالك حب بلا سبب ، كانخطافالى نجمة عالية
وكالجاذبية في الهاوية

نرى قدرا واضحا .نحن نحن . ونحن هم الآخرون
نكرَر سيرتهم . ونعالج حكمتنا بالجنون

نحبُ نُضاء بزهرة جاردينيا في يد عابرة
ونُعتم في الضوء حين تودعنا الساحرة

نحب ولا نعرف الحب .هل هو طيف يطلُ
فتضطرب الأرض فينا ...ويمطر ظلُ؟؟

بلا سبب ، نتبع الغامض اللازوردي حتى
نهاياتنا ، هو حي ونحن ضحايا وموتى

ونشكره : إن رجعت إلينا رجعنا إليك قتيلا
يعانق قاتله قائلا : يا ملاكي الجميل

نشك بأشياء أخرى ، ومن بينها العاصفة
ولكننا لا نشك بوحشية العاطفة

لــو ولــدت

لو ولدت من امرأة استرالية

واب ارمني

ومسقط راسك كان فرنسا

ماذا تكون هويتك اليوم..؟

-طبعا ثلاثية

وجنسيتي

فرنسية

وحقوقي فرنسية

والى اخره ...

-وان كانت الام مصرية

وجدّتك من حلب

ومكان الولادة في يثرب

واما ابوك فمن غزة

فماذا تكون هويتك اليوم......؟؟

-طبعا رباعية مثل الوان رايتنا العربية

سوداء خضراء حمراء بيضاء ولكن جنسيتي تتخمر في المختبر

واما جواز السفر

فما زال مثل فلسطين مسألة كان فيها نظر

ومازال فيها نظر!

والى آخره . . . .

كـلـمـا ت

كلمات كلمات ....تسقط الأوراق/

أوراق البتولا شاحبات ، ووحيدات

على خاصرة الشارع / ذاك الشارع

المهجور منذ النتهت الحر . ونام القرويون

الودودون على أرصفة المدن الكبرى ،

فرادى وجماعات/

على الشارع يمشي شاعر

في قلبه ثقب سماويَ

وفي عينيه مرج سابق،

يمشي على اطلاله

يمشي خفيفا مثل اوراق الشجيرات ،

ويصفرُ ويحمرُ كأوراق الشجيرات

ويهذي ، مثل من واتاه وحيٌّ:

أنت اختي ، قبل أختي ،

يا سنونوةً في الرحلة!!

لم أذهب بعيدا

لي جناحان قصيران ، ووقتان على الريح.

يقول الشاعر : الرحلة في هذا الخريف

ابتدات . والأرض عطشى.

ويصلي : انت امي قبل امي

يا بلادي ، وأبي قبل ابي!!

ثم يواسي نفسه:

لا تسقط الأوراق / اوراق الشجيرات

هباء

إنها الرحلة والعودة والمعنى

إذا استغنى عن الشاعر

في شعر خريفيً خفيف الكلمات

ليس هذا الورق الذابل الا كلمات

كتيب مرفق مع الديون

بقلم : إلياس خوري

*

..

كان لقائي بمحمود درويش، ظهر ذلك اليوم من شهر ايلول ملتبسا وغريبا .ذهبت الى عمان للاشتراك في اجتماعات اللجنة التحضيرية لمؤسسة محمود درويش. مساء اليوم الذي سبقه، التقيت بأحمد درويش والمحامي جواد بولس، الآتيين من الجليل، وبعليّ حليلة ومارسيل خليفة، في باحة الفندق. علي الذي رافق، مع اكرم هنية، الشاعر في رحلته الأخيرة الى هيوستن بتكساس، حيث اجريت له جراحة الشريان الأبهر التي اودت به، روى لنا الايام الاخيرة من حياة الشاعر، وتطور الانهيار الجسدي الشامل الذي

اصابه بعد الجراحة.

كانت ليلة حزينة، لا ادري كيف اصفها الآن، لكنني اراها مثل منام مغطى بالبياض. لم يجعلني كلام علي حليلة اقتنع بأن محمود درويش مات، حتى عندما اضاف اكرم هنية في اليوم التالي بعض التفاصيل الصغيرة، وروى لنا ان درويش رأى في منام ليلته ما قبل الأخيرة معين بسيسو، وتساءل ماذا جاء معين يفعل هنا؟ لم اقتنع .فالموت حين يأتي يتشكل كحجاب سميك يفصل عالم الاحياء عن عالم الموتى. نتحدث عن الميت بصيغة الغائب، وننسى صوته. لكن مع درويش بدا لي الموت بعيدا. كنت استمع الى الحكايات التي تروى، وانا اتلفت يمينا وشمالا، كأنني انتظر وقع دعسات درويش في كل لحظة.

لكنه لم يأتِ، تركنا نحكي عنه كما تشاء لنا الذاكرة ان نحكي، ولم يكسر دائرة كلامنا بمزاحه وملاحظاته اللامعة.

في صبيحة اليوم التالي، عقدت اللجنة اجتماعها الاول بعدما انضم الينا ياسر عبد ربه واكرم هنية وغانم زريقات وخالد الكركي واحمد عبد الرحمن وصبيح المصري.

ناقشنا مطولا مسألة تشكيل المؤسسة، وتكلمنا عن الضريح، والحديقة التي ستقوم حوله، ومتحف الشاعر الذي سوف يبنى في المكان .تكلمنا في كلّ شيء، لكنني في الواقع كنت انتظر نهاية الاجتماع بلهفة، كي نذهب مع علي حليلة إلى بيت الشاعر في عبدون.

لم يدخل احد الى المكان منذ ان غادره درويش في رحلة موته الى اميركا. وكان على مجموعة منا ان تدخل الى البيت بحثا عن قصائده الأخيرة. قال محمود لعدد من اصدقائه انه يملك ديوانا جديدا جاهزا في غرفة مكتبه في منزله في عمان، واكد ذلك ناشره رياض نجيب الريّس.

فتح علي حليلة الباب ودخلنا .كان كل شيء على حاله. البيت يشبهه، اناقة من دون

بذخ، وايقاع هادئ تصنعه اللوحات المنتشرة، ومكتبة تضم كتّاب العرب والعالم امواتا واحياء. "لسان العرب" الى جانب ديوان المتنبي، مجموعات شعرية وروايات في كل مكان، مرتبة وتشير الى انها قُرئت او في طريقها الى ذلك. لا ادري لماذا عجزنا عن النطق، وحين تكلمنا لم تصدر عنا سوى اصوات هامسة. احمد درويش، شقيق الشاعر، جلس على الكنبة في الصالون وانفجر بكاء .مارسيل خليفة جلس الى جانبه مواسيا. دخلت مع جواد بولس الى المكتب، حيث من المفترض ان نجد الديوان. كنت انتظر ان اجد المخطوط على سطح المكتب، لكنني لم اجد شيئا. كنت انتظر ان اجد رسالة تشرح لنا ماذا يجب ان نفعل بالديوان، لكن الرسالة لم تُكتب.

لم يكتب محمود درويش وصية. ليلة الجراحة طلب من علي حليلة وأكرم هنية أن يبقيا معه، لأنه يريد ان يتكلم، لكنهما نصحاه بالراحة، لأن وقت الكلام سيأتي بعد نجاح العملية الجراحية!

لم يكتب درويش وصية ولم يتكلم، على رغم كل الاخطار التي كان يعرف انها في انتظاره. عندما استمعت الى علي واكرم يرويان الوحدة التي كان يشعر بها الشاعر المستلقي على سرير المستشفى الاميركي، اصبت بالقشعريرة، وشعرت بالخوف .في هذه المجموعة من القصائد، سوف نقرأ قصيدة عن الخوف، وندخل مع الشاعر لحظات النهاية التي يرسمها الخوف من النوم الأبدي على وجوهنا واجسادنا.

وقفنا امام المكتب الفارغ حائرين. كنت متأكدا من وجود الديوان، لأن درويش نشر منه ثلاث قصائد في الصحف هي: "على محطة قطار سقط عن الخريطة" و"لاعب النرد" و"سيناريو جاهز"، وقرأ ثلاث قصائد غير منشورة في الامسية الأخيرة التي اقامها في رام الله، هي: "ههنا، الآن، وههنا والآن" و"عينان" و"بالزنبق امتلأ الهواء". وهو منذ اعوام توقف عن نشر قصائد متفرقة قبل ان يكون قد انجز الديوان الشعري الذي سوف يضمها. كما ان درويش اصيب في السنين العشر الاخيرة، وهي التي اعقبت جراحة

الشريان الأبهر، التي اجريت في باريس عام 1998، بحمّى الشعر. كتب "الجدارية"، وتوقف تقريبا عن ممارسة اي نشاط آخر، سوى كتابة الشعر. كانت هذه الأعوام، اخصب اعوامه على الاطلاق، فيها نضجت تجربته وتألقت، وارتسمت صورته كأكبر شاعر عربي حديث.

لم نفهم دلالات هذه الحمّى، او رفضنا ان نفهمها، في وصفها نسجا لعلاقة الكلمات بالموت، حيث يخاطب الشاعر الاحياء والموتى، ملخصاً كل الشعراء في صوته المتفرّد.

في السنين العشر الأخيرة كان محمود درويش يحوّل العلاقة بالموت قصيدة، ورؤيا النهاية مقتربا الى البداية. "من أنا لأخيّب ظن العدم"، يسأل درويش في نهاية قصيدته "لاعب النرد"، حيث يصل الى ذروة العلاقة التراجيدية بين الكلمات التي تقاوم العدم، وتفتح افق استمرارية الحياة وديمومتها المتجددة، وبين هشاشة الجسد الانساني الذي يقود الافراد الى الاضمحلال .كنا نتعامل معه كما يحب، اي باعتبار الحياة مائدة للصداقة والمتعة والابداع، ولم نكن نحكي عن المرض الا نادراً.

خطر في بالي ان الديوان في الدُرج، حاولت فتحه، لكن اضطرابي اوحى لي بأن الدرج مقفل بالمفتاح. اين المفتاح، سألت؟ بحثنا عن المفتاح فلم نجده. قلت يجب ان نخلع الجارور، حين امتدت يد احد الاصدقاء وفتحت الدرج، فانفتح بسلاسة. اكوام من الاوراق. وقعت عيناي في البداية على قصيدة "طباق"، المهداة الى ادوارد سعيد، المنشورة في ديوان "كزهر اللوز او ابعد" مكتوبة بخط اليد. من المؤكد ان درويش وضعها هنا، كي يقرأها في محاضرة ادوارد سعيد التذكارية التي تنظمها جامعة كولومبيا في نيويورك في نهاية شهر ايلول، لكن الموت جاء، معلنا الوداع النهائي لـ"شعر الألم". بحثنا انا والمحامي جواد بولس شبه يائسين، وفجأة رأيت دفتر بلوك نوت ذا غطاء ازرق وضعت فيه القصائد. اولى القصائد كانت "لاعب النرد". قلبت الصفحات فعثرت على قصيدتي "عينان"، و"بالزنبق امتلأ الهواء". بحثنا في الدرج عن قصائد اخرى، فعثرنا على مسوّدات لقصائد قديمة منشورة، لكننا لم نعثر على قصائد جديدة.

رقّمنا المخطوط، وصوّرنا منه صورتين. اعدنا الأصل الى الدرج في مكانه، واخذ احمد، شقيق الشاعر، نسخة، بينما احتفظت انا بالنسخة الثانية. وقرّ رأي الجميع ان يُعهد إليّ بالقصائد، كي أعدّها للنشر، واكتب حكايتها، على أن تصدر في 13 آذار 2009، اي في يوم عيد ميلاد الشاعر، فتكون قصائده الأخيرة هديتنا إلى من أهدى الى العرب والفلسطينيين اجمل القصائد.

اخذت القصائد إلى غرفتي في الفندق، اقفلت الباب وقرأت، وشعرت بالحزن الممزوج بالعجز عن القراءة. في المساء سهرنا في حديقة منزل علي حليلة، وكانت القصائد معي. طلبوا مني ان اقرأ، فقرأت متلعثما. كانت تلك القراءة سيئة وعاجزة. كيف اقرأ وانا متيقن من ان درويش سوف يفاجئنا في كل لحظة ويسخر من وجوهنا الحزينة. لم ينقذ الليلة سوى مارسيل خليفة. امسك بعوده وغنّى الشعر الذي صار اشبه بالدموع. كانت كلمات درويش وموسيقى الروح في قصائده، تلفّنا وتأخذنا اليها. كان الحزن، ولا شيء آخر. بدل ان نفرح بالديوان، احتلنا شبح الغياب. الحقيقة ان المشاعر اختلطت، اذ كنا، ونحن نعمل في المنزل، نشعر بالحضور السري والغريب للشاعر. في غرفتي في الفندق شعرت ان عليَّ ان اعيد القصائد إلى مكانها في الدُرج. غداً يأتي محمود ويقرر كيف يرتب قصائده، ويتعامل مع التعديلات التي يقترحها. قلت في نفسي ان عليَّ التخلي عن هذه المهمة. نمت نوما متقطعا، والتبست عليَّ الأمور في شكل كامل. قرأت القصائد كلها اكثر من مرة، وتأكد لي اننا لم نعثر على كلّ المجموعة الأخيرة من القصائد. لا شك ان هناك قصيدة كبرى في مكان ما، وان اضطرابنا منعنا من اكتشاف مكان وجودها.

في صباح اليوم التالي، وبينما كنت اشرب قهوتي رنّ الهاتف، وسمعت صوت مارسيل خليفة يطلب مني المجيء الى منزل درويش لأن غانم زريقات عثر على القصيدة. في المنزل اخذت قصيدة طويلة بلا عنوان، مكتوبة بخط يد درويش في خمس وعشرين صفحة. وعلى عكس الكثير من القصائد التي وجدناها، فإنها ناجزة، ولا اثر فيها للتشطيب

او اقتراحات التعديل . قرأت القصيدة التي قفز عنوانها من بين السطور من دون اي جهد: "لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"، ووجدتني امام عمل شعري كبير، قصيدة تصل بالمقترب الملحمي - الغنائي الذي صاغه درويش الى الذروة. ومعها عثرنا على خمس قصائد جديدة.

في تلك اللحظة اقتنعنا أننا أمام عمل شعري كبير يشكل اضافة حقيقية على الديوان الذي تركه الشاعر. لكننا وقفنا امام ثلاثة اسئلة كبرى:

"لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"، هي قصيدة ناجزة ومكتملة بكل المقاييس. لكن هل هي الجزء الاول من قصيدة طويلة روى درويش انه كان يعمل عليها؟ تأتي شرعية هذا السؤال من حقيقة ان الشاعر لم يضع قصيدته هذه مع بقية قصائد الدفتر الأزرق. دفعنا هذا السؤال الى مواصلة البحث بين أوراق الشاعر، في عمان ورام الله، لكننا لم نعثر على شيء. السؤال الثاني يتعلق بنصوص نثرية وشعرية كانت من ضمن كتاب "اثر الفراشة"، وقد عثر عليها في منزل الشاعر في رام الله. من الواضح ان درويش قرر عدم نشر هذه النصوص، لذا قررنا انه لا يحقّ لنا نشرها. سوف تبقى هذه النصوص في ارشيف الشاعر، في المتحف الذي سيضم جميع مخطوطاته التي عُثر عليها . السؤال الثالث، حول قصيدة "محمد"، وهي قصيدة كتبها درويش في بداية انتفاضة الأقصى، وكانت تحيته الى الشهيد محمد الدرة. لم ينشر درويش هذه القصيدة في ايٍّ من مجموعاته الشعرية التي اصدرها، كما لم ينشرها في كتبه النثرية، على غرار قصيدته الشهيرة، " عابرون في كلام عابر". من المؤكد أن هذه القصيدة لا تمت بصلة الى مناخ قصائد هذه المجموعة، لذا آثرنا عدم نشرها هنا، على ان يضمها ديوان الشاعر الكامل، في طبعاته اللاحقة

وجدنا القصائد على الشكل الآتي:

في اليوم الأول وجدنا في درج المكتب دفتر بلوك نوت لون غلافه ازرق، وفي داخله وضعت غالبية قصائد هذا الديوان. لم يكن هناك ترقيم موحّد، بل رقمت صفحات كل

قصيدة على حدة. يستخدم درويش في ترقيمه الارقام الهندية، فقمت بترقيم الصفحات بالارقام العربية، محافظا على التتابع الذي وجدته، فكان عدد الصفحات 117 صفحة. قمنا بتصوير القصائد في نسختين: احتفظت بواحدة، وأخذ احمد درويش والمحامي جواد بولس نسخة ثانية، واعدنا النسخة الأصلية الى الدرج حيث كانت. ضمّ الدفتر 26 قصيدة هي على التوالي: 1 - "لاعب النرد"، 2 - "على محطة قطار سقط عن الخريطة"، 3 - "سيناريو جاهز"، 4 - "بالزنبق امتلأ الهواء"، 5 - "هذا المساء"، 6" -مسافر"، 7 - "عينان"، 8 - "واقعيون"، 9 - "الخوف"، 10 - "هنا الآن وههنا والآن"، 11" -من كان يحلم" (بلا عنوان)، 12 - "الى شاعر شاب"، 13 - "فروسية"، 14 - "نسيت لأنساك) "بلا عنوان) 15 - "هنالك حب بلا سبب" (بلا عنوان)، 16 - "اذا كان لا بد من قمر" (بلا عنوان) 17 - "يأتي ويذهب"، 18 - "ما اسرع الليل" (بلا عنوان) 19 - "كأن الموت تسليتي) "بلا عنوان)، 20 - "لو ولدت" (بلا عنوان) 21 - "كلمات"، 22 - "لن ابدل اوتار جيتارتي"،" -23 تلال مقدسة"، 24 - "في رام الله"، 25 - "محمد"، 26 - "موعد مع اميل حبيبي". في صباح اليوم التالي، عثر غانم زريقات واحمد درويش على 6 قصائد، لم اضمها الى الترقيم القديم وهي: 1 - "في بيت نزار قباني"، 2 - "طللية البروة"، 3 - "قمر قديم"، 4 - "ورغبت فيك رغبت عنك"، 5 - "ليل بلا حلم"، 6 - "لا اريد لهذي القصيدة ان تنتهي" (بلا عنوان.(

من الواضح اننا لم نعثر على الديوان في نسخته النهائية، لكننا كنا على ثقة، وخصوصا بعد عثورنا على القصيدة الكبرى: "لا اريد لهذي القصيدة ان تنتهي"، اننا عثرنا على كنز ثمين. ولا بد أن أشير هنا إلى أن هذه المجموعة تضم قصائد كتبت في فترة سابقة: "في بيت نزار قباني"، "قمر قديم"، "الخوف"، "موعد مع إميل حبيبي".. قمت بتصنيف القصائد التي عثرنا عليها في اربعة اقسام: 1 - القصائد الناجزة، التي نشرها

الشاعر او القاها في امسية رام الله قبيل وفاته، وهي: "لاعب النرد"، "على محطة قطار سقط عن الخريطة"، "سيناريو جاهز"، القصائد الثلاث نشرت في جريدتي "الأيام" في رام الله، و"القدس العربي" في لندن. اضافة الى قصائد: "بالزنبق امتلأ الهواء" و"عينان " و"ههنا، الآن، وههنا والآن" التي القاها الشاعر في امسيته الأخيرة في رام الله، وقصيدة "محمد"، التي نشرت في عدد كبير من الصحف العربية. من الواضح ان هذه القصائد وصلت الى صيغتها النهائية، ولن يطرأ عليها اي تعديل يذكر، لأن درويش اشرف على نشرها، لذلك ننشرها كما وجدناها. مع الاشارة الى ثلاث مسائل. أ - قصيدة "سيناريو جاهز" وجدت في المخطوط تحت عنوان "سيناريو ناقص". ب - حين قرأ درويش قصيدة "لاعب النرد" في رام الله، استبدل كلمة "هشا" بكلمة "حيا" في احد اسطر القصيدة، فقرأه كما يأتي: "ومن حسن حظي انيَ ما زلت حياً لأدخل في التجربة". لكنني آثرت نشر النص مثلما نُشر في "القدس العربي" بتاريخ 3 تموز 2008، لأن الشاعر سبق له ان غيّر بعض الكلمات في امسياته، من دون ان يحدث تعديلا في النص المنشور. ج - في قصيدة "عينان"، احدث الشاعر تعديلا طفيفا عليها في امسية رام الله، اذ حذف "ثم اعلى" بعد كلمة اعلى، فقرأ السطر على الشكل الآتي: "ترفعان الحور والصفصاف أعلى. تهربان من المرايا فهي اضيق منهما". كما احدث في الأمسية نفسها تعديلا آخر على قصيدة "ههنا، الآن، وههنا والآن"، اذ استبدل كلمة "علوا" التي تتكرر بكلمة "سموا"، فقرأ السطر على الشكل الآتي: "على الأشجار ان تعلو وان لا تشبه الواحدة الأخرى سموا وامتدادا". اعتمدت التعديلين لأنهما منطقيان من جهة، ولأن الشاعر لم ينشر القصيدتين، فاعتبرت القاءهما بمثابة النشر من جهة ثانية.

-2هناك اثنتا عشرة قصيدة بدت وكأنها قد وصلت الى نسختها النهائية، إذ لا اثر فيها للتشطيب او التعديل او اقتراح التعديلات، هي" :بالزنبق امتلأ الهواء"، "عينان"، "ههنا الآن وهنا والآن"، "هذا المساء، يأتي ويذهب"، "في رام الله"، "موعد مع اميل حبيبي"، "طللية البروة"، "قمر قديم"، "ورغبت فيك رغبت عنك"، "ليل بلا حلم"، "لا اريد

لهذي القصيدة ان تنتهي". هنا يجب التوقف عند قصيدتين: "طللية البروة" و"ورغبت فيك رغبت عنك". في الأولى وضع درويش خطاً تحت كلمة "الاولى"، في جملة: "انا ابن حكايتي الأولى"، كما وضع خطاً تحت كلمتي "الى المنفى"، في جملة: "لم اكبر فلم اذهب الى المنفى". ووضع علامة استفهام على هامش كلمة "وبالرحيل"، في المقطع الذي يقول: "قفا... لكي ازِن المكان وقفره بمعلقات الجاهليين الغنية بالخيول وبالرحيل". من الواضح ان الشاعر كان مترددا حيال هذه الكلمات، لكنه لم يقترح بدائل لها، فبقيت على حالها في النص النهائي الذي اعددناه للنشر. اما القصيدة الثانية، فقد وجدنا نسختين منها، الاولى مسوّدة ومليئة بالتشطيب واقتراحات التعديل، والثانية نهائية لا اثر للتشطيب فيها، وهي المنشورة في هذا الكتاب. قصيدة "في رام الله"، المهداة الى سليمان النجّاب، تحمل في مقطعين منها تضمينا من قصيدة سابقة لدرويش تحمل عنوان: "رجل وخشف في الحديقة"، من ديوان "لا تعتذر عما فعلت". وقد وضع الشاعر المقطعين ضمن مزدوجين، وهذا يدلّ على ان قصيدة "في رام الله"، كتبت بعد قصيدة "رجل وخشف في الحديقة". وهي القصيدة الوحيدة التي كتبها درويش عن المدينة التي سيُدفن فيها.

-قصيدة "لا اريد لهذي القصيدة ان تنتهي"، هي عمل كبير بكل المقاييس، بل استطيع القول انها الكلمة الأخيرة التي قالها درويش .فيها يصل التألق الشعري الى ذروته، حيث يمزج الشاعر السرد بالغنائية والملحمية، في خلاصة مدهشة لعلاقة الشاعر بذاته وارضه وحكاياته وموته. لذا آثرنا نشر هذه القصيدة المتفردة في قسم خاص بها، في هذا الديوان. قد تكون قصيدة غير منتهية، وهي كذلك، لأن الشاعر اراد لها ان لا تنتهي، كأنه كان يحاول ان يشتري بها الحياة. نجد في هذه القصيدة تضمينين من قصيدتين منشورتين، وتضميناً من قصيدة غير منشورة. التضمينان الاولان مأخوذان من قصيدتين نشرتا في مجموعة "كزهر اللوز او ابعد". التضمين الاول هو المقطع الآتي:

"عصافير زرقاء، حمراء، صفراء، ترتشف الماء من غيمة تتباطأ حين تطل على كتفيك"، وهو مأخوذ من قصيدة "نسيت غيمة في السرير"، لكن الشاعر استخدم هنا

صيغة المخاطب في "كتفيك"، بدل صيغة الغائب في القصيدة المنشورة. اللافت ان الشاعر وضع المقطع في "نسيت غيمة في السرير"، بين هلالين. فهل كان يشير هنا الى قصيدة طويلة بدأ في كتابتها؟ لا ادري. اما المقطع الثاني فيقول: "واما الربيع، فما يكتب الشعراء، اذا نجحوا في التقاط المكان السريع بصنّارة الكلمات". وهو مأخوذ من قصيدة" واما الربيع"، لكنه حذف هنا صفة السكارى عن الشعراء، التي جاءت في القصيدة المنشورة. تنتهي القصيدة بمقطع غنائي يبدأ بعبارة "لن ابدّل اوتار جيتارتي/ لن ابدّلها". لكننا عثرنا في المخطوط على قصيدة تحمل عنوان "لن ابدل اوتار جيتارتي ." ترددت طويلا أمام نشرها، لكن احد مقاطعها حسم الأمر وقرر ضرورة ان يضمها هذا الديوان: "المكانُ على ارضه، هل اسأتُ الى الشجرة حين شبَّهتها بفتاة (وبالعكس) هل اطلب المغفرة من مقابر اهلي، لأنيَ متُّ بعيداً عن النائمين وانقصتها شاهدة؟."

-بقية قصائد الديوان، وجدت كمخطوطات كتب عليها الشاعر تعديلات، وشطب منها بعض العبارات. ونحن نعلم، ان هذا يعني في القاموس الدرويشي، اننا امام اعمال غير منتهية. كان درويش يحرص على ان لا يتخلل قصائده ومقالاته التي يرسلها الى النشر اي تشطيب. كان حين يشطب كلمة واحدة يعيد كتابة الصفحة بأكملها. وبعد يأسي من امكان العثور على نسخ نهائية من هذه القصائد، تركّز البحث في منزليه في رام الله وعمان، على ملف امسيتيه الأخيرتين في رام الله وآرل، في الجنوب الفرنسي، لكن محاولاتنا لم تصل الى نتيجة. كان درويش يقول لنا انه لن يترك نصوصا غير مكتملة، او رسائل، وان على الباحثين ان لا يتعبوا انفسهم، لأنهم لن يجدوا شيئاً. لكن للأسف، وعلى الرغم من حرصه الشديد، فلقد ترك لنا محمود هذه القصائد. لذا كان ترددي كبيرا امامها. هل يجوز نشرها؟ واذا لم ننشرها فماذا نفعل بها؟ لكن سؤالا آخر طرح نفسه بقوة، هل يحق لنا عدم نشرها؟ وتركها تاليا في ارشيف الشاعر حيث يمكن ان تنشر مبعثرة او مجتزأة من قبل الدارسين الذين سيوضع ما وجدناه من ارشيف درويش في تصرفهم؟ بالطبع لا يحق لأحد تلف اي ورقة، وحده الشاعر كان

يملك هذا الحق. لذا قرّ الرأي على نشرها كلها من دون استثناء. لم أُحدث اي تعديلات على هذه القصائد، قرأتها بدقة، نفذت اقتراحات الشاعر بتغيير كلمة هنا او هناك، طبعتها على الكومبيوتر وارسلتها الى النشر. لكن يجب ان نتوقف هنا عند ثلاث قصائد. القصيدة الأولى: "في بيت نزار قباني". وضع درويش عنوانا اول لهذه القصيدة هو: "منازل الشعراء"، لكنه شطبه واستبدله بالعنوان الحالي. تبدأ القصيدة كما وجدت في المخطوط بالمقطع الصغير الآتي: "اثاثٌ من الصين ازرقُ، صالونهُ أزرقُ، والستائرُ زرقاءُ، عيناهُ، الفاظهُ، والدفاترُ زرقاءُ" وضع الشاعر على هامش هذا المقطع خطا واشارة ✕ وهي اشارة تدل على نية الحذف. ومن خلال قراءة القصيدة وجدنا ان مضامين هذا المقطع وصوره دخلت في نسيجها الداخلي، لذا حذفناه. السطر الأخير من المقطع الثالث كان على الشكل الآتي: "صورتي كتبت سيرتي ونفتني الى الضوء". رسم الشاعر خطاً تحت كلمة الضوء لأنها خروج على القافية، وكتب تحتها كلمة الأبدية، ثم اشار الى احتمالين آخرين كتبهما في اعلى الصفحة هما: الغرف الداخلية او الغرف الساحلية. هنا كان علينا ان نختار، فاخترنا الغرف الساحلية لأنها اقرب الى المعنى المائي الذي يشير في بداية المقطع الى بردى. القصيدة الثانية: "نسيت لأنساك"، كان الشاعر مترددا امام السطر الأخير من القصيدة، شطب اقتراحه الأول واستبدله بهذا السطر: "حاضري غيمة... وغدي مطر". من الواضح ان درويش كان لا يزال في طور البحث عن الكلمة الأخيرة الملائمة كي يحافظ على القافية، فمات قبل ان ينجز ذلك .كما نجد في هذه القصيدة تضمينا من قصيدة: "لن ابدّل اوتار جيتارتي"، على الشكل الآتي: "قلت: ولكنني لن ابدّل اوتار جيتارتي لن ابدلها/ لن احمّلها فوق طاقتها :نغما يابسا مقفرا". اترك تفسير دلالة هذا التكرار للنقاد، لكنني لا استطيع ان لا ارى فيه ايقاعا وداعيا حزينا. القصيدة الثالثة: "الخوف". عكس جميع القصائد، فإن درويش على رغم ترقيمه لقصيدته في طرف الصفحة الشمالي الأعلى، وضع رقم 6 في وسط الصفحة فوق العنوان مباشرة. هل يدل هذا على ان الشاعر كان في صدد ترقيم ديوانه؟ ام على شيء

آخر؟ لا ادري لأنني لم استطع حلّ هذا اللغز. القصيدة مكتملة، احدث عليها الشاعر العديد من التعديلات، لكنها تعديلات واضحة لا تحتمل اي تأويل. 5 - هناك العديد من القصائد التي تركت بلا عنوان، فأخذت سطرها الأول كعنوان، وهذا ما سبق للشاعر ان اعتمده في الكثير من الحالات. لكنني خرقت هذه القاعدة في قصيدة "لا اريد لهذي القصيدة ان تنتهي"، لأن عنوانها اشبه بالبديهة. كما جعلت من عنوان هذه القصيدة عنوانا للديوان، لما يحمله من دلالات. اما عنوان قصيدة "كأن الموت تسليتي"، فمأخوذ من عجز البيت الاول فيها. 6 - قسمت الديوان ثلاثة اقسام: القسم الأول بعنوان: "لاعب النرد"، وهو يبدأ بالقصيدة التي استهل بها امسيته في رام الله، ثم حافظنا في القصائد الثلاث التي نشرت في الصحف، على ترتيبها الزمني. القسم الثاني: خصصناه لقصيدة واحدة هي "لا اريد لهذي القصيدة ان تنتهي". اما القسم الثالث: "ليس هذا الورق الذابل إلا كلمات"، فقد حاولنا فيه ايجاد نوع من التناغم الموضوعاتي. حاولت أن يكون ترتيب القصائد منطقيا الى ابعد الحدود، ولا ادّعي على الاطلاق ان هذا الترتيب قد يكون هو الترتيب الذي كان الشاعر ليختاره. فدرويش يضع عناوين للاقسام، ويهندسها، في شكل متسق. للأسف تفتقد هذه المجموعة الهندسة الدرويشية الصارمة، التي جعلت من دواوينه الأخيرة، اشبه بمقاطع من قصيدة واحدة او قصائد طويلة، متعددة الصوت والايقاع. 7 - ترددت طويلا امام قصيدتَي: "تلال مقدسة" و"لو ولدت". من الواضح ان القصيدة الأولى لا تزال في طورها الأول، وهذا واضح من التشطيبات الكثيرة في المخطوط. لكنها تحمل رؤيا شعرية مهمة في المسار الدرويشي. اما القصيدة الثانية فهي صرخة وفكاهة سوداء عن الواقع الفلسطيني اليوم، وهي كالقصيدة الاولى لا تزال في مراحلها الأولى. لكن في النهاية هما نصان كتبهما الشاعر، ويجب ان ينشرا .

المفاجأة التي صعقتنا حين دخلنا منزل درويش في عمان، ان الشاعر لم ينظّم اوراقه قبل الرحيل. يبدو ان الرجل صدّق الأطباء وكذّب حدس الشاعر، الذي جعل الموت يتسلل الى جميع قصائده الأخيرة. وجدنا اوراقه الشعرية غير منظمة، وكان علينا ان نعيد ترتيبها، من دون ان نمسها تقريبا. كُلفتُ مهمة إعدادها للنشر، وافقتُ من دون تردد، وبشكل يشبه النزق. لكنني، في الليلة نفسها، شعرت بصعوبة المهمة. اعتقدت وانا اقلّب الاوراق، ان عملا كثيرا ينتظرني. وكان اعتقادي صائبا. عملت كثيرا وطويلا، واستشرت عددا محدودا من الأصدقاء، وكنت مرتبكا. لكنني اكتشف الآن، وانا اكتب هذا النص، انني لم افعل شيئا تقريبا، وان درويش كان صادقا، حين روى لنا، انه ترك مخطوط عمل شعري جديد في عمان، وانه شبه جاهز. لكنني خلال الأشهر الثلاثة التي أمضيتها في رفقة هذا الشعر في تفاصيله، تسنى لي ان اتعرف الى درويش اكثر، وفهمت لماذا اصاب موته منا هذا المقتل الحزين. فالرجل ليس شاعرا فقط، انه يتنفس الكلمات، جاعلا من الايقاع جزءا من دورته الدموية. قلبه ينبض بالصور، فكأنه يرسم بالايقاع، ويحيا في ثنايا الدوائر التي اكتشفها الخليل. لم استطع ان افهم اضطرابي امام موته الا حين صرت صديقا حميما لكلماته. درويش لم يتفجع امام الموت، بل دخل في ثناياه وتفاصيله، بحيث جعلنا نقترب من الموت في شكل لا سابق له، ودخلنا مع درويش الانسان في الخوف الذي كتبه درويش الشاعر. عندما روى لنا اكرم هنية وعلي حليلة أن جميع أعضاء الشاعر توقفت عن العمل ما عدا قلبه، تذكرت الحادثة التي رواها لنا بعد نجاته من جراحة الشريان الأبهر في باريس منذ عشر سنين.

قال انه عندما بدأ يستعيد وعيه، وكان عاجزا عن النطق بسبب آلة التنفس الاصطناعي، طلب ورقة وقلما، وكتب انه خائف من ان يكون قد فقد لغته ونسيها. في مستشفى هيوستن فقد درويش اللغة، ولم يستفق من الجراحة. لكن قلبه المريض قاوم حين انهارت كل الأعضاء، وهذا ما أثار عجب الأطباء، لأن لا مكان في طبّهم للشعر الذي استوطن القلب، واعاد صوغ ايقاع نبضاته. شاءت الظروف ان نلتقي في مركز

الابحاث الفلسطيني في بيروت عام 1972 ، ثم ان اعمل معه في مجلة "شؤون فلسطينية " بين عامي 1975 و1979 ، ثم ان نشترك في تأسيس مجلة "الكرمل" عام 1981. امتدت صداقتنا ستة وثلاثين عاما ، كانت بالنسبة اليَّ مدرسة ادبية وفكرية وشخصية. معه اعدت اكتشاف فلسطين، وتكحّل حبري بعبق الجليل. وفي خضم الصراعات الفكرية التي خضناها معا ، والخلافات ايضا ، رأيت فيه، عدا الذكاء اللامع والنبل والتواضع، كيف يكون الانسان شاعرا. في العادة، يخيّب الأصدقاء من الأدباء والشعراء توقعاتنا. لكن الرجل البهي والأنيق كان شاعرا فقط، يخفف جروح المعنى ببلاغة الشعر وموسيقاه، كي يصل الى معنى المعنى، بحسب ما علّمنا الجرجاني. قال الخليل: "الشعراء امراء الكلام يُصرّفونه انّى شاءوا. ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومدّ المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وايضاحه. فيقرّبون البعيد ويبعّدون القريب. ويُحتج بهم ولا يُحتج عليهم...". في ليالي قراءة هذا المخطوط واعادة قراءته، كنت اتذكر تحديد الخليل للشعر، وارى فيه، صورة الشاعر العربي الذي جسّد عبر الأزمنة والعصور، احتمالات اللغة وقدرة الشعراء على اخذها الى الرؤيا ، والإبحار عبرها إلى أعماق الرغبات الإنسانية في الآن نفسه. "على قلق كأن الريح تحتي/ اوجّهها يمينا اوشمالا". كان درويش يردد صدر هذا البيت دائما ، ويتوقف قبل ان يصل الى عجزه. كأنه اكتفى من المتنبي بالقلق، معلنا انتماءه الى الانسان - الشاعر، متخليا عن غواية السلطة التي طبعت سلوك شاعر العرب الأكبر. غير ان ما جمعه بالمتنبي كان القدرة على تلخيص شعر زمنه، والذهاب به الى الأبعد والأجمل والاكثر عمقا. قلت له مرة انه يكتب مثل الشعراء، فضحك من هذه المداعبة. لكنني كنت جادا ، لأنني اشعر امام شعره، الذي انضجته التجربة، وصهره الموت بخاتم البقاء، انني امام شعر يصلني بذاكرتي الشعرية العربية، كي يؤسس عليها ذاكرة جديدة. قد نقول انها فلسطين، وهذا صحيح، لكنها فلسطين

الأخرى التي تحولت في كلمات درويش الى سؤال انساني كبير، وصارت نسيجا جديدا تتألق فيه لغة العرب. صار شاعر فلسطين شاعر العرب، لأنه اخذنا الى فلسطين كي يعيدها الينا. "فالأرض تورث كاللغة"، وكان الشاعر وارث الجنّتين اللتين اكتوتا بنيران النكبات. انه الشاعر، بـ أل التعريف. هكذا قلت له في احدى مكالماتنا الأخيرة، مستعيدا التعبير الذي كان يطلقه المعري على ابي الطيب. سمعت ضحكته من بعيد، واظن انه اقتنع في ذلك اليوم من شهر آب 2008، بأنه شاعري الشخصي، الذي الجأ الى كلماته كي اكتشف اسرار روحي، لأن السر كالحب لا ينطق الا شعرا.

اود في النهاية ان اوجه شكري الى الأصدقاء الذين ساهموا معي في الوصول الى هذه النسخة النهائية من قصائد درويش الأخيرة: علي حليلة واحمد درويش وغانم زريقات واكرم هنية ومارسيل خليفة وياسر عبد ربه، وجواد بولس، الذين دخلوا الى بيت درويش، وساعدوني في العثور على قصائده، وكان دعمهم المعنوي في عمّان، حافزا لي للعمل. كما اوجه الشكر الى ليلى شهيد، التي كانت كعهدها دائما، محبة ومشجعة، من خلال طاقتها المعنوية التي لا تنضب .والى فاروق مردم بك، الذي تحمّل معي اعباء المراحل الأولى من قراءة هذا المخطوط .والى مجموعة محدودة من الأصدقاء قرأت لهم بعض قصائد الديوان طالبا منهم النصح. بفضل دعم هؤلاء تم انجاز العمل، غير انني اتحمّل وحدي المسؤولية عنه وعن اخطائه. كانت صحبتي لهذه القصائد تحية حب وصداقة لم يزدها الموت الا عمقا //

انتهى

أثر الفراشة



أثر الفراشة : 2008

عدد القصائد : 127

البنتُ / الصرخة

على شاطئ البحر بنتٌ . وللبنت أَهلٌ
وللأهل بيتٌ . وللبيت نافذتان وبابْ....
وفي البحر بارجَةٌ تتسلَّى
بصَيْدِ المُشَاة على شاطئ البحر:
أَربعَةٌ ، خَمْسَةٌ ، سَبْعَةٌ
يسقطون على الرمل ، والبنتُ تنجو قليلاً
لأنَّ يداً من ضبابْ
يداً ما إلهيَّةً أَسْعَفَتْها ، فنادتْ : أَبي
يا أَبي! قُمْ لنرجع ، فالبحر ليس لأمثالنا !
لم يُجِبْها أبوها المُسَجَّي على ظلِّهِ
في مهبِّ الغيابْ
دَمٌ في النخيل ، دَمٌ في السحابْ

يطير بها الصوتُ أَعلى وأَبعدَ مِنْ
شاطئ البحر . تصرخ في ليل بَرِّية ،
لا صدى للصدى .
فتصير هي الصرخةَ الأبديَّةَ في خَبَرٍ
عاجلٍ ، لم يعد خبراً عاجلاً
عندما
عادت الطائرات لتقصف بيتاً بنافذتين وبابْ !

ذبــاب أخضر

ألمشهد هُوَ هُو. صيفٌ وعَرَقٌ . وخيال
يعجز عن رؤية ما وراء الأفق . واليوم
أفضلُ من الغد . لكنَّ القتلى هم الذين
يتجدّدون . يُولَدُون كُلَّ يوم . وحين يحاولون
النوم يأخذهم القتلُ من نعاسهم إلى نومٍ
بلا أحلام . لا قيمة للعدد . ولا أَحد

يطلب عوناً من أحد. أصوات تبحث عن
كلمات في البرية ، فيعود الصدى واضحاً
جارحاً : لا أَحد . لكن ثمَّةَ من يقول:
((من حق القاتل أن يدافع عن غريزة
القتل . أمَّا القتلى فيقولون متأخرين :
من حق الضحية أن تدافع عن حَقِّها في
الصراخ)) . يعلو الأذان صاعداً من وقت
الصلاة إلي جنازات متشابهة : توابيتُ
مرفوعةٌ على عجل ، تدفن علي عجل... إذ لا
وقت لإكمال الطقوس ، فإنَّ قتلي آخرين
قادمون ، مسرعين ، من غاراتٍ أخرى . قادمون
فُرَادي أو جماعات... أو عائلةً واحدةً لا
تترك وراءها أيتاماً وثكالي . السماء رماديَّةٌ
رصاصية ، والبحر رماديٌّ أزرق . أَمَّا لون

الدم فقد حَجَبَتْهُ عن الكاميرا أَسرابٌ من
ذباب أَخضر !

كـقـصـيـد ةٍ نــثـريّــة

صيفٌ خريفيٌّ على التلال كقصيدةٍ نثرية. النسيم

إيقاعٌ خفيف أحسُّ به ولا أَسمعه في تواضُع
الشجيرات . والعشب المائل إلى الاصفرار صُوَرٌ
تتقشَّفُ ، وتُغري البلاغة بالتشَبُّه بأَفعالها
الماكرة. لا احتفاء على هذه الشِعاب إلاّ
بالـمُتاح من نشاط الدُوريّ ، نشاطٍ يراوح
بين معنيً وعَبَث. والطبيعة جسدٌ يتخفَّف
من البهرجة والزينة ، ريثما ينضج التين والعنب
والرُمَّان ونسيانُ شهواتٍ يوقظها المطر . لولا
حاجتي الغامضة إلى الشعر لَمَا كنت في حاجة
إلي شيء . يقول الشاعر الذي خَفَّتْ حماسته
فقلَّت أخطاؤه . ويمشي لأن الأطباء نصحوه
بالمشي بلا هدف ، لتمرين القلب على لامبالاةٍ ما
ضروريةٍ للعافية . وإذا هجس ، فليس
بأكثر من خاطرة مجانيّة. الصيف لا يصلح
للإنشاد إلاّ في ما ندر . الصيف قصيدةٌ
نثريَّةٌ لا تكترث بالنسور المحلِّقة في الأعالي.

ليتني حجر

لا أَحنُّ إلى أيِّ شيءٍ

فلا أَمس يمضي , ولا الغَدُ يأتي

ولا حاضري يتقدَّمُ أَو يتراجَعُ

لا شيء يحدث لي !

ليتني حَجَرٌ - قُلْتُ - يا ليتني

حَجَرٌ ما ليصقُلَني الماءُ

أَخضرٌ ، أَصفَرٌ ... أُوضَعُ في حُجْرَة

مثلَ مَنْحُوتةٍ ، أَو تمارينَ في النحت...

أو مادَّةً لانبثاق الضروريِّ

من عبث اللا ضروريّ ...

يا ليتني حجرٌ

كي أَحنَّ إلي أيِّ شيء !

أبـعـد مـن الـتـمـاهـي

أَجلسُ أمام التلفزيون , إذ ليس في وسعي
أن أفعل شيئاً آخر . هناك , أمام التلفزيون ,
أَعثُرُ على عواطفي , وأَرى ما يحدث بي ولي .
ألدخان يتصاعد مني . وأَمدُّ يدي المقطوعةَ
لأمسك بأعضائي المبعثرة من جسومٍ عديدة ،
فلا أَجدها ولا أهرب منها من فرط جاذبيّة
الألم . أَنا المحاصَرُ من البرِّ والجوِّ والبحر
واللغة. أقلعتْ آخرُ طائرةٍ من مطار بيروت
ووضعتني أمام التلفزيون، لأشاهد بقيَّة موتي
مع ملايين المشاهدين، لا شيء يثبت أني
موجود حين أفكِّر مع ديكارت، بل حين ينهض
مني القربان ، الآن ، في لبنان . أَدخُلُ في
التلفزيون ، أنا والوحش . أَعلم أنَّ الوحش
أقوى مني في صراع الطائرة مع الطائر . ولكني
أَدمنت ، ربما أكثر مما ينبغي ، بُطُولَةَ المجاز :
التهمني الوحشُ ولم يهضمني . وخرجتُ سالماً
أكثر من مرة . كانت روحي التي طارت شَعَاعاً
مني ومن بطن الوحش تسكن جسداً آخر
أَخفَّ وأَقوي ، لكني لا أعرف أين أنا
الآن : أمام التلفزيون ، أم في التلفزيون .
أما القلب فإني أراه يتدحرج ، ككوز صنوبر ،

الـعـدوّ

كنتُ هناك قبل شهر . كنتُ هناك قبل
سنة . وكنت هناك دائماً كأني لم أَكن
إلاّ هناك . وفي عام 82 من القرن الماضي
حدث لنا شيء مما يحدث لنا الآن . حُوصرنا
وقُتِلْنا وقاومنا ما يُعْرَضُ علينا من جهنم .
القتلى/ الشهداء لا يتشابهون . لكلٍّ واحد منهم
قوامٌ خاصْ، وملامح خاصة ، وعينان واسمٌ
وعمر مختلف . لكن القتلة هم الذين يتشابهون .
فَهُم واحدٌ مُوزَّعٌ على أَجهزة معدنية. يضغط
على أزرار إلكترونية. يقتل ويختفي . يرانا ولا
نراه ، لا لأنه شبح ، بل لأنه قناع فولاذيّ
لفكرة ... لا ملامح له ولا عينان ولا عمر ولا
اسم . هو ... هو الذي اختار أن يكون له
اسم وحيد : العَدُوّ !

نـيـرون

ماذا يدور في بال نيرون ، وهو يتفرّج على
حريق لبنان ؟ عيناه زائغتان من النشوة ،
ويمشي كالراقص في حفلة عُرْسٍ : هذا الجنون ،
جنوني ، سيِّدُ الحكمة . فلْتُشْعلوا النار في
كل شيء خارج طاعتي . وعلى الأطفال أَن
يتأدَّبوا ويتهذَّبوا ويكُفُّوا عن الصراخ بحضرة
أنغامي !

وماذا يدور في بال نيرون، وهو يتفرَّج على
حريق العراق ؟ يُسْعِدُهُ أن يُوقِظَ في تاريخ
الغابات ذاكرة تحفظ اسمه عَدُوّاً لحمورابي
وجلجامش وأَبي نواس : شريعتي هي أُمُّ
الشرائع . وعشبة الخلود تنبت في مزرعتي .
والشعر؟.. ما معني هذه الكلمة؟

وماذا يدور في بال نيرون ، وهو يتفرَّج على
حريق فلسطين ؟ يُبهجة أن يدرج اسمه في قائمة
الأنبياء نبيّاً لم يؤمن به أَحد من قبل ... نبيّاً
للقتل كلَّفه الله بتصحيح الأخطاء التي لا حصر
لها في الكتب السماوية : أنا أَيضاً كليمُ الله !

وماذا يدور في بال نيرون وهو يتفرَّج على
حريق العالم ؟ أنا صاحب القيامة . ثم يطلب

من الكاميرا وقف التصوير، لأنه لا يريد
لأحد أن يري النار المشتعلة في أَصابعه ،
عند نهاية هذا الفيلم الأميركي الطويل !

الـغـابـة

لا أسمعُ صوتي في الغابة , حتى لو
خَلَتِ الغابةُ من جوع الوحشِ...
وعاد الجيش المهزومُ أو الظافرُ , لا فرق ,
على أشلاء الموتى المجهولين إلى الثكَنات
أو العرشِ /
ولا أسمع صوتي في الغابة ، حتى لو
حملته الريحُ إليَّ ، وقال لي :
هذا صوتُكَ ... لا أَسمعُهُ

لا أسمع صوتي في الغابة ، حتى لو
وقف الذئب على قدمين وصفّق لي :
إني أسمع صوتك ، فلتَأْمُرْني! /
فأقول : الغابةُ ليست في الغابة
يا أَبتي الذئبَ ويا ابني ! /
لا أَسمع صوتي إلاّ إنْ
خَلَتِ الغابةُ مني
وخلوتُ أنا من صمت الغابة !

حَمَـام

رفٌّ من الحمام ينقشع فجأة من خلل الدخان .
يلمع كبارقة سِلْمٍ سماوية. يحلِّق بين الرماديّ
وفُتات الأزرق على مدينة من ركام . ويذكِّرنا
بأن الجمال ما زال موجوداً ، وبأن اللا موجود
لا يعبث بنا تماماً إذ يَعِدُنا ، أو نظنُّ أنه
يعدنا بتجلِّي اختلافه عن العدم . في الحرب
لا يشعر أَحد منا بأنه مات إذا أَحسَّ
بالألم . الموت يسبق الألم . والألم هو
النعمة الوحيدة في الحرب. ينتقل من حيّ إلي
حيّ مع وقف التنفيذ . وإذا حالف الحظّ أحداً
نسيَ مشاريعه البعيدة ، وانتظر اللا موجود
وقد وُجِدَ مُحلِّقاً في رفٍّ حمام . أرى في سماء
لبنان كثيراً من الحمام العابث بدخان يتصاعد
من جهة العدم !

البيتُ قتيلاً

بدقيقة واحدة ، تنتهي حياةُ بيتٍ كاملة. البيتُ
قتيلاً هو أيضاً قَتْلٌ جماعيّ حتى لو خلا من
سُكّانه. مقبرة جماعية للموادّ الأولية الـمُعَدَّةِ
لبناء مبني للمعني ، أو قصيدةٍ غير ذات
شأن في زمن الحرب. البيت قتيلاً هو
بَتْرُ الأشياء عن علاقاتها وعن أسماء
المشاعر. وحاجةُ التراجيديا إلي تصويب
البلاغة نحو التَّبَصُّر في حياة الشيء. في
كل شيء كائنٌ يتوجَّع... ذكري أَصابع
وذكري رائحة وذكري صورة. والبيوت تُقْتَلُ
كما يُقْتَلُ سكانها. وتُقْتَلُ ذاكرةُ الأشياء :
الحجر والخشب والزجاج والحديد والإسمنتُ
تتناثر أشلاء كالكائنات. والقطن والحرير
والكتّان والدفاتر والكتب تتمزّق كالكلمات التي
لم يتسَنَّ لأصحابها أن يقولوها. وتتكسَّر
الصحون والملاعق والألعاب والاسطوانات والحنفيّات
والأنابيب ومقابض الأبواب والثلاّجة والغسَّالة
والمزهريات ومرطبانات الزيتون والمخللات والمعلبات
كما انكسر أصحابها. ويُسحق الأبْيَضَان الملح
والسُّكّر، والبهارات وعلب الكبريت وأقراص الدواء
وحبوب منع الحمل والعقاقير الـمُنَشطة وجدائل
الثوم والبصل والبندورة والبامية الـمُجَفَّفة والأَرُزُّ

والعدس ، كما يحدث لأصحابها. وتتمزَّق عقود
الإيجار ووثيقة الزواج وشهادة الميلاد وفاتورة
الماء والكهرباء وبطاقات الهوية وجوازات السفر
والرسائل الغرامية ، كما تتمزّق قلوب أَصحابها.
وتتطاير الصُّوَر وفُرَشُ الأسنان وأمشاط
الشَّعْر وأدوات الزينة والأحذية والثياب
الداخلية والشراشف والمناشف كأسرار عائلية
تُنْشَرُ على الملأ والخراب. كل هذه الأشياء
ذاكرةُ الناس التي أُفْرِغَتْ من الأشياء ، وذاكرة
الأشياء التي أُفْرِغَتْ من الناس... تنتهي
بدقيقة واحدة. أشياؤنا تموت مثلنا. لكنها
لا تُدْفَنْ معنا !

مَكْرُ المجاز

مجازاً أقول : انتصرتُ

مجازاً أقول خسرتُ...

ويمتدُّ وادٍ سحيقٌ أمامي

وأَمتدُّ في ما تبقّى من السنديانْ

وثَمَّة زيتونتان

تَلُمّانني من جهاتٍ ثلاثٍ

ويحملني طائرانْ

إلى الجهة الخاليةْ

من الأَوْج والهاويةْ

لئلاّ أقول : انتصرتُ

لئلاّ أقول : خسرتُ الرهانْ!

البعوضة

أَلبعوضةُ ، ولا أَعرف اسم مُذَكَّرها ، أشَدُّ
فَتْكاً من النميمة. لا تكتفي بمصّ الدم ، بل
تزجّ بك في معركة عَبَثيّة. ولا تزور إلاّ في
الظلام كَحُمَّى المتنبي . تَطِنُّ وَتَزُنُّ كطائرةٍ
حربية لا تسمعها إلاّ بعد إصابة الهدف.
دَمُكَ هو الهدف. تُشْعل الضوء لتراها
فتختفي في رُكْنٍ ما من الغرفة والوساوس، ثم
تقف على الحائط ... آمنةً مسالمةً كالمستسلمة.
تحاول أن تقتلها بفردة حذائك ، فتراوغك
وتفلت وتعاود الظهور الشامت. تشتمها
بصوت عال فلا تكترث. تفاوضها على هدنة
بصوت وُدِّي : نامي لأنام ! تظنُّ أَنك
أَقْنَعْتَها فتطفئ النور وتنام . لكنها وقد
امتصت المزيد من دمك تعاود الطنين إنذاراً
بغارة جديدة . وتدفعك إلي معركة جانبيّة
مع الأَرَق . تشعل الضوء ثانية وتقاومهما ،
هي والأرق بالقراءة. لكن البعوضة تحطُّ
على الصفحة التي تقرؤها ، فتفرح قائلاً في
سرّك : لقد وَقَعَتْ في الفخّ . وتطوي
الكتاب عليها بقُوَّة : قَتَلْتُها... قتلتُها ! وحين
تفتح الكتاب لتزهو بانتصارك ، لا تجد
البعوضة ولا الكلمات. كتابك أَبيض !. البعوضة ،

ولا أعرف اسم مُذَكّرها ، ليست استعارة ولا
كنايةً ولا تورية. إنها حشرة تحبُّ دمك
وتَشُمُّه عن بُعْد عشرين ميلاً . ولا سبيل
لك لمساومتها على هدنة غير وسيلة واحدة :
أن تغيِّر فصيلةَ دمك !

نسر على ارتفاع منخفض

قال المسافرُ في القصيدة

للمسافر في القصيدة :

كم تبقّي من طريقكَ؟

ـ كُلُّهُ

ـ فاذهبْ إذاً ، واذهبْ

كأنَّكَ قد وصلتَ ... ولم تصلْ

ـ لولا الجهات ، لكان قلبي هُدْهُداً

ـ لو كان قلبُـكَ هدهداً لتبعتُهُ

ـ مَنْ أَنتَ؟ ما اسمُكَ؟

ـ لا اسمَ لي في رحلتي

ـ أأراك ثانيةً ؟

ـ نعم. في قِمَّتَيْ جَبَـلَيْن بينهما

صديً عالٍ وهاويةٌ ... أراكَ

ـ وكيف نقفز فوق هاويةٍ

ولسنا طائِرَ يْنِ؟

ـ إذنْ، نغني :

مَنْ يرانا لا نراهُ

ومَنْ نراهُ لا يرانا

ـ ثم ماذا ؟

ـ لا نغنّي

ـ ثم ماذا ؟

ـ ثم تسألني وأسألُ :

كم تبقّي من طريقكَ ؟

ـ كُلُّهُ

ـ هل كُلُّهُ يكفي لكي يَصِلَ المُسَافِرُ؟

ـ لا. ولكني أرى نسراً خرافيّاً

يحلِّقُ فوقنا... وعلى ارتفاعٍ منخفضْ !

و اجب شخصي

هتفوا له : يا بطل ! واستعرضوهُ في

الساحات. نَطَّتْ عليه قلوب الفتيات
الواقفات على الشرفات ، ورششنه بالأَرُزِّ
والزنبق . وخاطبه الشعراء المتمردون على
القافية بقافية ضروريّة لتهييج اللغة :
يا بَطَلْ ! أنتَ الأَمَلْ . وهو ، هو
المرفوع على الأكتاف رايةً منتصرة ، كاد
أن يفقد اسمه في سيل الأوصاف.
خجول كعروس في حفلة زفافها . لم أفعل
شيئاً. قمت بواجبي الشخصي . في صباح
اليوم التالي ، وجد نفسه وحيداً يستذكر
ماضياً بعيداً يلوِّح له بيد مبتورة الأصابع
يا بطل ! أنت الأمل . يتطلع حوله
فلا يري أحداً من المحتفلين به البارحة.
يجلس في جُحرْ العزلة. ينقِّبُ في
جسده عن آثار البطولة. ينتزع الشظايا
ويجمعها في صحنِ تَنَك ، ولا يتألم...
ليس الوجع هنا. الوجع في موضع آخر.
لكن من يستمع الآن إلى استغاثة القلب ؟
أحسَّ بالجوع . تفقَّد معلبات السردين والفول
فوجدها منتهية الصلاحية. ابتسم وغمغم :
للبطولة أيضاً تاريخ انتهاء صلاحية .
وأدرك أنه قام بواجبه الوطنيّ !

عَدّو مشترك

تمضي الحرب إلى جهة القيلولة . ويمضي
المحاربون إلى صديقاتهم متعبين وخائفين على
كلامهم من سوء التفسير : انتصرنا لأننا
لم نمت. وانتصر الأعداء لأنهم لم يموتوا.
أمَّا الهزيمة فإنها لفظة يتيمة. لكنَّ المحارب
الفرد ليس جندياً بحضرة من يُحبُّ : لولا
عيناك المُصَوَّبتان إلى قلبي لاخترقتْ رصاصةٌ
قلبي ! أو: لولا حرصي على ألاّ أُقْتَلَ
لما قتلتُ أحداً ! أو : خفت عليك من
موتي ، فنجوت لأطمئنك عليَّ . أو : البطولة
كلمة لا نستخدمها إلاّ على المقابر . أو :
في المعركة لم أفكِّر بالنصر، بل فكرت بالسلامة
وبالنمش على ظهرك . أو : ما أَضيق الفرق
بين السلامة والسلام وغرفة نومك . أو :
حين عطشتُ طلبتُ الماء من عدوي ولم
يسمعني ، فنطقت باسمك وارتويت...
ألمحاربون من الجانبين يقولون كلاماً متشابهاً
بحضرة من يُحِبُّون . أمَّا القتلى من الجانبين ،
فلا يدركون إلّا متأخرين ، أن لهم عدواً
مشتركاً هو : الموت. فما معنى
ذلك , ما معنى ذلك ؟

بـقـيَّـةُ حـيـا ة

إذا قيل لي : ستموتُ هنا في المساء

فماذا ستفعل في ما تبقّى من الوقتِ ؟

ـ أنظرُ في ساعة اليد /

أشربُ كأسَ عصيرٍ ،

وأَقضم تُفّاحَةً ،

وأطيلُ التأمُّلَ في نَمْلَةٍ وَجَدَتْ رزقها ،

ثم أنظر في ساعة اليدِ /

ما زال ثمَّة وقتٌ لأحلق ذقني

وأَغطس في الماء / أهجس :

"لا بُدَّ من زينة للكتابة /

فليكن الثوبُ أزرق"/

أجْلِسُ حتى الظهيرة حيّاً إلى مكتبي

لا أرى أَثر اللون في الكلمات ،

بياضٌ ، بياضٌ ، بياضٌ...

أُعِدُّ غدائي الأخير

أَصبُّ النبيذ بكأسين : لي

ولِمَنْ سوف يأتي بلا موعد ،

ثم آخذ قَيْلُولَةً بين حُلْمَيْنْ /

لكنّ صوت شخيري سيُوقظني ...

ثُمَّ أَنظرُ في ساعة اليد:

ما زال ثَمّةَ وَقْتٌ لأقْرأ /

أَقرأ فصلاً لدانتي ونصْفَ مُعَلَّقَةٍ

وأرى كيف تذهب مني حياتي

إلى الآخرين ، ولا أتساءل عَمَّنْ

سيملأُ نُقْصَانَها

- هكذا ؟

- هكذا

ثم ماذا ؟

- أمشّط شَعْري ،

وأرمي القصيدة... هذي القصيدة

في سلة المهملات

وألبسُ أحدث قمصان إيطاليا ،

وأُشَيّع نفسي بحاشِيَةٍ من كَمَنْجات إسبانيا

ثُمَّ أمشي إلى المقبرةْ !

أزهارٌ صفراء توسِّع ضوء الغرفة. تنظر
إليّ أكثر مما أنظر إليها. هي أولى رسائل
الربيع . أهْدَتيها سيِّدةٌ لا تشغلها الحرب
عن قراءة ما تبقّى لنا من طبيعة
متقشفة. أغبطها على التركيز الذي يحملها
إلى ما هو أبعد من حياتنا المهلهلة...
أغبطها على تطريز الوقت بإبرة وخيط
أَصفر مقطوع من الشمس غير المحتلة.
أُحدِّق إلى الأزهار الصفراء ، وأُحسّ
بأنها تضيئني وتذيب عتمتي ، فأخفّ
وأشفّ وأجاريها في تبادل الشفافية .
ويُغويني مجاز التأويل : الأصفر هو
لونُ الصوت المبحوح الذي تسمعه الحاسة
السادسة. صوت مُحايدُ النَّبرِ ، صوت
عبّاد الشمس الذي لا يغيِّرُ دِينَه .
وإذا كان للغيرة – لونِهِ من فائدة ،
فهي أن ننظر إلى ما حولنا بفروسية
الخاسر، وأن نتعلم التركيز على تصحيح
أخطائنا في مسابقاتٍ شريفة !

في مرحلة ما من هشاشةٍ نُسَمِّيها
نضجاً , لا نكون متفائلين ولا متشائمين .
أَقلعنا عن الشغف والحنين وعن تسمية
الأشياء بأضدادها , من فرط ما التبس
علينا الأمر بين الشكل والجوهر, ودرَّبنا
الشعورَ على التفكير الهادئ قبل البوح .
للحكمة أسلبُ الطبيب في النظر إلى
الجرح . وإذ ننظر إلى الوراء لنعرف أَين
نحن منَّا ومن الحقيقة نسأل : كم ارتكبنا
من الأخطاء ؟ وهل وصلنا إلى الحكمة
متأخرين . لسنا متأكدين من صواب
الريح , فماذا ينفعنا أن نصل إلى أيّ
شيء متأخرين , حتى لو كان هنالك
من ينظرنا على سفح الجبل , ويدعونا
إلى صلاة الشكر لأننا وصلنا سالمين ...
لا متفائلين ولا متشائمين , لكن متأخرين !

غريبان

يرنو إلى أَعلى

فيبصر نجمةً

ترنو إليهْ !

يرنو إلى الوادي

فيبصر قبرَهُ

يرنو إليهْ

يرنو إلى امرأةٍ ،

تعذِّبُهُ وتعجبُهُ

ولا ترنو إليه

يرنو إلى مرآتِهِ

فيرى غريباً مثله

يرنو إليهْ !

يُسَلِّي نفسه ، وهو يمشي وحيداً ، بحديث

قصير مع نفسه . كلمات لا تعني شيئاً ،
ولا تريد أن تعني شيئاً : «ماذا ؟ لماذا
كل هذا ؟» لم يقصد أن يتذمر أو
يسأل ، أو يحكّ اللفظة باللفظة لتقدح
إيقاعاً يساعده على المشي بخفَّةِ شاب .
لكن ذلك ما حدث . كلما كرَّر : ماذا...
لماذا كل هذا ؟ أحسَّ بأنه في صحبة
صديق يعاونه على حمل الطريق . نظر
إليه المارة بلا مبالاة . لم يظن أحد أنه
مجنون . ظنّوه شاعراً حالماً هائماً يتلقّى
وحياً مفاجئاً من شيطان . أما هو ، فلم
يَتَّهِم نفسه بما يسيء إليها. ولا يدري
لماذا فكّر بجنكيزخان . ربما لأنه رأى
حصاناً بلا سرج يسبح في الهواء ، فوق
بناية مُهَدَّمة في بطن الوادي . واصل
المشي على إيقاع واحد : «ماذا... لماذا

كل هذا ؟» وقبل أن يصل إلى نهاية
الطريق الذي يسير عليه كل مساء ، رأى
عجوزاً ينتحي شجرة أكاليبتوس ، يسند

على جذعها عصاه ، يفك أزرار سرواله
بيد مرتجفة ، ويبوّل وهو يقول : ماذا...
لماذا كل هذا ؟. لم تكتف الفتيات
الطالعات من الوادي بالضحك على العجوز،
بل رمينه بحبّات فستق أخضر !

كلما فكَّر بالأمل أنكه التعب والملل ,
واخترع سراباً, وقال : بأيّ ميزانٍ أَزِنُ
سرابي ؟ بحث في أدراجه عمَّن كأنه
قبل هذا السؤال , فلم يعثر على مُسَوَّداتٍ
كان فيها القلبُ سريعَ العطب والطيش .
ولم يعثر على وثيقة تثبت أنه وقف
تحت المطر بلا سبب . وكلما فكَّر بالأمل
اتسعت المسافة بين جسد لم يعد
خفيفاً وقلب بالحكمة . ولم يكرِّر
السؤال : مَنْ أنا ؟ من فرط ما هو
مُجَافٍ لرائحة الزنبق وموسيقى الجيران العالية.
فتح النافذة على ما تبقّى من أفق ، فرأى
قطَّتين تمازحان جَرْواً على الشارع الضيِّق ,
وحمامةً تبني عشاً في مدخنة . وقال :
ليس الأمل نقيض اليأس , ربما هو الإيمان
الناجم عن لا مبالاة آلهةٍ بنا ... تركتنا
نعتمد على مواهبنا الخاصة في تفسير
الضباب وقال : ليس الأمل مادَّةً ولا
فكرة . إنه موهبة . تناول قرصاً مضاداً
لارتفاع ضغط الدم . ونسي سؤال الأمل ....
وأَحسَّ بفرح ما .... غامض المصدر !

ما أنا إلاّ هو

بعيداً ، وراء خطاه
ذئابٌ تعضُّ شعاع القمرْ

بعيداً ، أمام خطاه
نجوم تضيء أَعالي الشجرْ

وفي القرب منه
دمٌ نازفٌ من عروق الحجرْ

لذلك ، يمشي ويمشي ويمشي
إلى أن يذوب تماماً
ويشربه الظلّ عند نهاية هذا السفرْ

وما أنا إلاّ هُوَ
وما هو إلاّ أنا
في اختلاف الصّوَر !

لـم أحـلـم

متتبّهاً إلى ما يتساقط من أَحلامي , أَمنع
عطشي من الإسراف في طلب الماء من
السراب. أَعترفُ بأني تعبت من طول
الحلم الذي يعيدني إلى أَوَّله وإلى أخرى,
دون أن نلتقي في أيٍّ صباح . ((سأصنع
أحلامي من كفاف يومي لأتجنَّب الخيبة)).
فليس الحلم أن ترى ما لا يُرى ,على
وتيرة المُشْتَهى , بل هو أن لا تعلم أنك
تحلم . لكن , عليك أن تعرف كيف تصحو .
فاليقظة هي نهوض الواقعي من الخياليّ مُنَقَّحاً ,
وعودةُ الشِعْر سالماً من سماءٍ لُغَةٍ متعالية
إلى أرض لا تشبه صورتها . هل في
وسعي أن أختار أحلامي , لئلا أحلم
بما لا يتحقّق , كأن أكون شخصاً آخر ...
يحلم بأنه يرى الفرق بين حيّ يرى
نفسه ميتاً , وبين ميت يرى نفسه حيّاً ؟
ها آنذا حيّ , وحين لا أحلم أَقول :
((لم أحلم , فلم أَخسر سيئاً))!

جار الصغيرات الجميلات

يمشى على الشارع ذاته , في الموعد ذاته ,

مكتفياً بما يمنحه المساء من تذوّق متهّل

لطعم الهواء . يأسف كلما لاحظ النقصان

المتزايد في الأشجار الزيتون , حيث تزداد

البنايات ارتفاعاً كآلامنا وتُقَلِّص كمية الفضاء .

لكن الفتيات الصغيرات يكثرن ويكبرن وينضجن

دون أن يخشين الزمن المتربِّص بهن عند

نهاية الشارع النازل إلى الوادي , ينظر

إليهن بلا اشتهاء . وينظرون إليه بفضول ,

ويقلن له : مساء الخير يا عم ! يُحِبُّهنَّ

بلا غصَّةٍ سفرجليَّة , ويحتفي بجمال نضارتهنَّ

وبنضارة آمالهنّ , كما يحتفي بموسيقى, وبلوحة

مائية , وبطائر أزرق الذيل . هُنَّ يستعجلن

الزمن ليصبغن أظافرهن بالأحمر المتحرّش

بثيران خفيّة , ولينتعلن الكعب العالي لكسر

ثمار الجور وإيقاظ النائم . وهو يستمهل

الزمن ليطيل متعة المرور بينهن جاراً لجمال

مستقلّ . ولا بأس في أن يتذكر أنه

عندما كان أَصغر كان يغبط نفسه كلما

مشى برفقة مُهْرَةٍ على طرق أخرى((هل

كُلُّ هذا الكليّ لي؟)) ثم يواصل المشي

على الشارع وحيداً. يَعُدُّ على أصابع يديه

ما تبقّى من أشجار الزيتون , ويفرح بغزلان

تتقافز حوله بحياد متبادل . لا يغبط

نفسه على شيء! .. ولا يحسد غيره !

((كم البعيدُ بعيدٌ)) ؟

كم هي السُبُلُ؟

نمشي

ونمشي إلى المعنى

ولا نَصِلُ ...

هُوَ السرابُ

دليلُ الحائرين

إلى الماء البعيد

هو البُطْلاَن... والبَطَلُ

نمشي , وتنضج في الصحراءِ

حكمتنُا

ولا نقول : لأنّ التيه يَكْتملُ

لكن حكمتنا تحتاجُ أُغنيةً

خفيفةَ الوزن ,

كي لا يتعب الأَمَلُ

((كم البعيد بعيدٌ)) ؟

كم هِيَ السُبُلُ ؟

يـرى نـفـسـه غـائـبـاًيـرى نـفـسـه غـائـبـاً

يرى نفسه غائباً

أنا هنا منذ عشر سنوات . وفي هذا المساء ،

أجلس في الحديقة الصغيرة على كرسيّ من

البلاستيك ، وأنظر إلى المكان منتشياً بالحجر

الأحمر . أَعُدُّ الدرجات المؤدية إلى غرفتي

على الطابق الثاني . إحدى عشرة درجة. إلى

اليمين شجرةُ تين كبيرة تُظَلِّل شجيرات خوخ.

والى اليسار كنيسةٌ لثورية . وعلى جانب

الدرج الحجري بئر مهجورة ودلو صدئ وأزهار

غير مرويَّة تمتصّ حبيبات من حليب أوَّل الليل .

أنا هنا ، مع أربعين شخصاً ، لمشاهدة مسرحية قليلة

الكلام عن منع التجوُّل ، ينتشر أبطالها

المنسيّون في الحديقة وعلى الدرج والشرفة

الواسعة. مسرحية مرتجلة ، أو قيد التأليف ،

كحياتنا. أسترق النظر إلى نافذة غرفتي

المفتوحة وأتساءل : هل أنا هناك ؟

ويعجبني أن أدحرج السؤال على الدرج ،

وأدرجه في سليقة المسرحية : في الفصل

الأخير، سيبقى كل شيء على حاله ...

شجرةُ التين في الحديقة. الكنيسةُ اللوثرية

في الجهة المقابلة. يوم الأحد في مكانه

من الرُزنامة. والبئر المهجورة والدلو الصدئ.

أما أنا ، فلن أكون في غرفتي ولا في

الحديقة . هكذا يقتضي النص : لا بد من

غائب للتخفيف من حمولة المكان !

قال : أنا خائف

خافَ. وقال بصوت عالٍ: أنا خائف.
كانت النوافذ مُحْكَمَةَ الإغلاق ، فارتفع
الصدى واتّسع : أنا خائف . صَمَتَ ،
لكن الجدران ردَّدتْ : أنا خائف.
الباب والمقاعد والمناضد والستائر
والبُسُط والكتب والشموع والأقلام واللوحات
قالت كلُّها : أنا خائف . خاف صوت
الخوف فصرخ : كفى! لكن الصدى لم
يردِّد : كفى ! خاف المكوث في البيت
فخرج إلى الشارع . رأى شجرة حَوْرٍ،
مكسورة فخاف النظر إليها لسبب لا
يعرفه. مرت سيارة عسكرية مسرعة ،
فخاف المشي على الشارع . وخاف
العودة إلى البيت لكنه عاد مضطراً.
خاف أن يكون قد نسي المفتاح في
الداخل ، وحين وجده في جيبه اطمأنّ .
خاف أن يكون تيار الكهرباء قد انقطع .
ضغط على زر الكهرباء في ممر الدرج ،
فأضاء ، فاطمأنّ . خاف أن يتزحلق على
الدرج فينكسر حوضه ، ولم يحدث ذلك

فاطمأنّ . وضع المفتاح في قفل
الباب وخاف ألا ينفتح ، لكنه انفتح
فاطمأن . دخل إلى البيت ، وخاف أن
يكون قد نسي نفسه على المقعد خائفاً.
وحين تأكد أنه هو من دخل لا سواه ،
وقف أمام المرآة ، وحين تعرَّف إلى
وجهه في المرآة اطمأنّ. أصغى إلى

الصمت ، فلم يسمع شيئاً يقول : أنا
خائف ، فاطمأنّ . ولسببٍ ما غامض...
لم يعد خائفاً !

أُصغي إلى الصمت. هل ثمة صمت ؟ لو
نسينا اسمه , وأَرهفنا السمع إلى ما
فيه , لسمعنا أَصوات الأرواح الهائمة
في الفضاء , والصرخات التي اهتدت إلى
الكهوف الأولى . الصمت صوت تبخّر واختبأ
في الريح , وتكسّر أَصداء محفوظةً في
جِرارٍ كونيّة. لو أرهفنا السمع لسمعنا
صوتَ ارتطام التفاحة بحجر في بستان اللّه ,
وصرخةَ هابيل الخائفةَ من دمه الأول ,
وأَنينَ الشهوة الأصلي بين ذكر وأُنثى
لا يعرفان ما يفعلان , ولسمعنا تأملاتِ
يونس في بطن الحوت , والمفاوضاتِ السرية
بين الآلهة القدامى . ولو أرهفنا السمع
إلى ما وراء حجاب الصمت , لاستمعنا إلى
أحاديث الليل بين الأنبياء وزوجاتهم ,
وإلى إيقاعات الشعر الأولى , وإلى
شكوى الأباطرة من الضجر , وإلى حوافر
خيل في حرب مجهولة الزمان والمكان , وإلى
الموسيقى المصاحبة لطقس الدعارة المقدس ,
وإلى بكاء جلجامش على صاحبه أَنكيدو ,
وإلى حيرة القرد حين قفز من الشجرة

إلى عرش القبيلة , وإلى الشتائم المتبادلة
بين سارة وهاجر . لو أَرهفنا السمع
إلى صوت الصمت ... لصار كلامنا أَقل !

شخص يطارد نفسه

كما لو كنتَ غيرك سادراً ،
لم تنتظر أحداً
مشيتَ على الرصيف
مشيتُ خلفك حائراً
لو كنتَ أنت أنا لقلتُ لكَ :
انتظرني عند قارعة الغروب
ولم تقل : لو كنتَ أنتَ أنا
لما احتاج الغريب إلى الغريب.
ألشمس تضحك للتلال . ونحن نضحك
للنساء العابرات . ولم تقل إحدى النساء :
هناك شخص ما يُكَلِّم نفسه...
لم تنتظر أحداً
مشيتَ على رصيفك سادراً
ومشيتُ خلفك حائراً.
والشمسُ غابت خلفنا...
ودَنوْتَ مني خطوةً أو خطوتين
فلم تجدني واقفاً أو ماشياً
ودَنوتُ منك فلم أجدك...

أكنتُ وحدي دون أن أدري
بأني كنت وحدي؟ لم تقل

إحدى النساء : هناك شخصٌ ما
يطارد نفسَهُ!

حنين إلى نسيان

ظلام . وقعتُ عن السرير ممسوساً بسؤال :
أَين أنا ؟ بحثت عن جسدي فأحسستُ
به يبحث عني . وبحث عن مفتاح النور لأرى
ما يحدث لي , أَجده . تعثَّرتُ بكرسيّ
فأسقطتُهُ وأسقطني على ما لا أَعرف . وكأعمى
يرى بأصابعه الأشياء فَتَّشت عن جدار
أَستند إليه ,فارتطمتُ بخزانة. فتحتُها...
فلامستْ يدي ثياباً شَمَمْتُها فعثرتُ على رائحتي .
أدركت أني في حيِّز من العالم يخصني , وانفصل
عني أو انفصلت عنه . تابعتُ البحث عن
مفتاح النور لأرى إن كان ذلك صحيحاً ,
فوجدته . تعرفت إلى أشيائي : هذا سريري ,
وهذا كتابي , وهذه حقيبتي , وهذا الذي
في البيجامة هو أَنا تقريباً. فتحت النافذة ,
وسمعت نباح كلاب في الوادي . ولكن , لم
أتذكر متى عدت , ولا أتذكر أني وقفتُ على
الجسر . ظننتُ أني أحلم بأني هنا ولستُ
هنا. غسلت وجهي بماء بارد , وتأكدت من
يقظتي . سرت إلى المطبخ فرأيت فواكه طازجة ,
وصحوناً غير مغسولة تدلُّ على أنني تناولت
العشاء هنا. لكن , متى حدث ذلك ؟ تصفحت
جواز السفر فأدركت أني وصلت اليوم , دون

أن أتذكر أني سافرت . هل حصل فصامٌ ما
في ذاكراتي ؟ هل انفصل وجودي النفسي عن
وجودي الفيزيائي . خفتُ ... واتصلتُ بصديق في
ساعة متأخرة من الليل : أُعاني من وعكة في
الذاكرة... أين أنا ؟ قال: أنت في رام الله.
سألته : متى أتيت ؟ قال : اليوم , وكنا معاً بعد
الظهر في حديقة ڤاتشي. سألته : لماذا لا أتذكر ,
هل تظن أني مريض ؟ قال : يحدث ذلك مع مرضى
من نوع آخر : مرضى الحنين إلى النسيان !

نـهـر يـمـوت مـن الـعطش

كان نهرٌ هنا ,
وله ضفّتان

وأُمٌّ سماويَّةٌ أرضَعَتْهُ السحابَ المُقَطَّرَ ,
نهرٌ صغيرٌ يسير على مهله
نازلاً من أعالي الجبال
يزور القرى والخيام كضيف لطيف خفيف
ويحمل للغَوْر أشجارَ دفلى ونخل
ويضحك للساهرين على ضفتيه :
((اشربوا لَبَنَ الغيمِ
واسقوا الخيول
وطيروا إلى القدس والشام))
كان يغني فروسيةً مرةً
وهوى مَرةً ...
كان نهراً له ضفتان
وأُمٌّ سماويّةٌ أرضعته السحاب المُقَطَّر
لكنهم خطفوا أُمَّه ,
فأصيب بسكتة ماء
ومات , على مهله , عطشاً !

الـجد ا ر

أَفعى معدنية ضخمة تلتفُّ حولنا . تبتلع
جدراننا الصغيرة الفاصلة بين غرفة النوم
والحمام والمطبخ وغرفة الاستقبال . أَفعى
لا تسعى بخط مستقيم لئلاً تَتَشَبَّه
بنظراتنا إلى أمام . تتلوَّى وترفع كابوسها
المصنوع من فقرت إسمنت مُقَوَّى بحديد
مرن... يُسَهِّلُ عليها الحركة إلى ما تبقَّى
لنا من فُتات جهاتٍ وأحواضِ نعناع .
أَفعى تسعى لوضع بيضها بين زفيرنا
والشهيق : لنقول مرة واحدة : نحن ,
من فرط نختنق , نحن الغرباء .
ننظر في مرايانا فلا نرى غير اقتراب الأفعى
من أعناقنا . لكننا , وبقليل من جهد
الرؤيا , ما فوقها : نرى سماء
تتثاءب ضجراً من مهندسين يسقفونها
بالبنادق والبيارق . ونراها في الليل
تتلألأ بكواكب تحدِّق إلينا بحنان . ونرى
أيضاً ما خلف جدار الأفعى : نرى
حُرَّاس الجيتو خائفين مما نفعل خلف
ما تبقى لنا من جداران صغيرة ... نراهم
يُزَيِّتون أَسلحتهم لقتل العنقاء التي

ظنوها تختبئ عندنا , في قنّ دجاج .
فلا نملك إلاّ أَن نضحك !

شريعة الخوف

ينظر القاتل إلى شَبَح القتيل , لا إلى
عينيه , بلا ندم . يقول لمن حوله : لا
تلوموني , فأنا خائف . قتلتُ لأني خائف ,
وسأقتل لأني خائف. بعض المشاهدين
المدربين على تفصيل التحليل النفساني على
فقه العدل , يقول: إنه يدافع عن نفسه.
والبعض الآخر من المعجبين بتفوُّق التطور
على الأخلاق , يقول : العدل هو ما يفيض
من كرم القوة . وكان على القتيل أن
يعتذر عما سبَّب للقاتل من صدمة !
والبعض الآخر , من فقهاء التمييز بين الواقع
والحياة , يقول : لو وقفتْ هذه الحادثة
العادية في بلاد أخرى غير هذه البلاد
المقدسة , أكان للقتيل اسم وشهرة ؟
فلنذهبنَّ , إذن إلى مواساة الخائف
وحين مشوا في مسيرة التعاطف مع
القاتل الخائف , سألهم بعض المارة من
السُيَّاح الأجانب : وما هو ذنب الطفل ؟
فأجابوا : سيكبر ويسبِّب خوفاً لابن
الخائف . وما هو ذنب المرأة ؟ قالوا :

ستلد ذاكرة. وما هو ذنب الشجرة ؟
قالوا : سيطلع منها طائر أَخضر . وهتفوا :
الخوف , لا العدل , هو أساس الملك
أما شبح القتيل , فقد أطلَّ عليهم من
سماء صافية. وحين أطلقوا عليه النار
لم يروا قطرة دم واحدة !... وصاروا
خائفين !

على قلبي مشيتُ ، كأنَّ قلبي
طريقٌ ، أو رصيفٌ ، أو هواءُ
فقال القلبُ : أتعبَنِي التماهي
مع الأشياء ، وانكسر الفضاءُ
وأَتعبني سؤالُكَ : أين نمضي
ولا أرضٌ هنا ... ولا سماءُ
وأنتَ تطيعني... مُرني بشيء
وصوِّبني لأفعل ما تشاءُ
فقلتُ له : نسيتُكَ مذ مشينا
وأَنت تَعِلَّتي ، وأنا النداءُ
تمرَّدْ ما استطعت عليَّ ، واركُضْ
فليس وراءنا إلاَّ الوراءُ !

روتـيـن

مُنْخَفَضٌ جويّ . الرياح شمالية غربية , زخّات
من مطر . البحر مجعَّد رمادي . أشجار السرو
عالية. وغيوم الخريف تسقط اليوم ثلاثين
شهيداً شمالي غزة , بينهم امرأتان اشتركتا
في مظاهرة تطالب بحصة النساء من الأمل .
السماء عالية . البحر هادئ أزرق . الرياح
شمالية. الرؤية صافية . لكن غيوم الخريف -
الاسم الرمزي للقتل – تقضي على أسرة كاملة
مكونة من سبع عشرة حياة ... تبحث الأخبار
عن أسمائهم تحت الأنقاض . ما عدا ذلك ,
تبدو الحياة غير العادية عاديَّةَ الوتيرة .
ما زال الأفراد إذا صحوا أحياء
قادرين على القول : صباح الخير . ثم يذهبون
إلى أشغالهم الروتينية : تشييع الشهداء
ولا يعرفون إن كانوا سيعودون سالمين إلى
ما تبقى من بيوت تحاصرها جرافات ودبابات وأشجار
سرو مكسورة . والحياة , من فرط
لامبالاتها , لا تُرَى إلاّ تخطيطاً أولياً
لأمنيّة عصيّة على التدوين : المساواة مع
بنات آوى في الاستمتاع بكهف آمن . لكننا
مطالبون بمهمة صعبة : الوساطة بين الله

والشيطان للتوصل إلى هدنة قصيرة ندفن

خلالها شهداءنا !

بـنـدقـيَّـة وكـفـن

((لن يهزمني أَحد . ولن أَنتصر على أَحد)) -

قال رَجُلُ الأمن المُقَنَّعُ المُكَلَّفُ مهمَّة غامضة.
أطلق النار على الهواء , وقال :على الرصاصة
وحدها أن تعرف مَنْ هو عدوِّي . ردَّ علية
الهواء برصاصة مماثلة . لم يكترث المارة العاطلون
من العمل بما يدور في بال رجل الأمن المقنع
العاطل مثلهم من العمل , لكنه يبحث عن حربه
الخاصة منذ لم يجد سلاماً يدافع عنه . نظر
إلى السماء فرآها عالية صافية . وبما أنه لا
يحبُّ الشعر فلم ير فيها مرآة للبحر . كان
جائعاً , وازداد جوعاً حين شمَّ رائحة
الفلافل , فأحسَّ بأن بندقيته تُهينُهُ . أطلق
رصاصة على السماء لعلَّ عنقوداً من عنب
الجنّة يسَّاقط عليه . ردّت عليه رصاصة
مماثلة , فأجَّجت حماسته المكبوتة إلى القتال.
فاندفع إلى حرب متخيَّلة , وقال : عثرت أخيراً
على عمل . إنها الحرب . وأَطلق النار على
رجل أَمن مُقَنَّع آخر , فأصاب عدوَّه المُتَخَيَّل ,
وأُصيب بجرح طفيف في ساقه . وحين عاد
إلى بيته في المخيّم متكئاً على بندقيته , وجد
البيت مزدحماً بالمعزّين , فابتسم لأنه ظنَّ
أنهم ظنوا أنه شهيد , وقال: لم أَمت !
وعندما أخبروه أنه هو قاتل أخيه , نظر

إلى بندقيته باحتقار , وقال : سأبيعها لأشتري
بثمنها كفناً يلتق بأخي !

إن أردنـــا

**سنصيرُ شعباً , إن أَردنا , حين نعلم أَننا لسنا ملائكةً , وأَنَّ
الشرَّ ليس من اختصاص الآخرينْ**

سنصيرشعباً حين لا نتلو صلاة الشكر للوطن المقدَّس ,
كلما وجد الفقيرُ عشاءَهُ ....
سنصيرشعباً حين نشتم حاجبَ السلطان والسلطان ,
دون محاكمةْ
سنصيرشعباً حين يكتب شاعرٌ وصفاً إباحياً لبطن
الراقصةْ
سنصيرشعباً حين ننسى ما تقولُ لنا القبيلة.... ,
حين يُعْلي الفرد من شأن التفاصيل الصغيرةْ
سنصيرشعباً حين ينظر كاتبٌ نحو النجوم , ولا يقول:
بلادنا أَعلى ..وأجملْ !

سنصيرشعباً حين تحمي شرطةُ الآداب غانيةً وزانيةً من الضرب المبرِّح في الشوارعْ !

سنصيرشعباً حين لا يتذكَّرُ الفردُ الفلسطينيُّ رايته سوى في ملعب الكرة الفسيح ,
وفي مسابقة الجمال ,
ويوم نكبته فقطْ
سنصيرشعباً , إن أردنا , حين يؤذن للمغنِّي أَن يرتِّل
آية من ((سورة الرحمن)) في حفل الزواج المُخْتَلَطْ
سنصيرشعباً حين نحترم الصواب , وحين نحترم الغَلَطْ !

وَقْـتٌ مـغشوش

لأنَّ أَحداً لا يأتي في موعده. ولأنَّ
الانتظار يشبه الجلوس على صفيح ساخن ...
أَعاد عقارب ساعته اليدوية عشرين دقيقة

إلى الوراء . هكذا خفَّف عن نفسه عذاب
الانتظار , ونسي الأَمر . لكنه , ومنذ
غشَّ الوقت , لم يصل إلى أيّ موعد . يجلس
على حقيبته في المحطة منتظراً قطاراً لا يصل
أبداً , دون أن ينتبه إلى أن القطار مَرَّ
في موعده الدقيق , وإلى أنه هو الذي تأخر .
يعود إلى بيته خائباً . يفتح حقيبة السفر
ويعيد محتوياتها إلى الأدراج ككُل عائدٍ من
سفر . ثم يتساءل غاضباً : لماذا لا يحترمون
الوقت ؟ وحين دقَّ الموتُ على بابه
مستأذناً بالدخول , وبَّخه قائلاً : لماذا
وصلت قبل الموعد بعشرين دقيقة ؟
اختبأ في الحمام . ولم يفتح له الباب ,
كأنه مات في الحمَّام !

إ تـقـا ن

فضاء لازورديّ , عالٍ وعريض ومغسول
بماء الضوء . وإنْ ظَهَرَتْ غيمةٌ خفيفة

كفقاعة صابون , فلا تلبث أن تذوب في
قصيدة منسية. فضاء دائري محمول
على أشجار الغابة الباسقة وعلى أَجنحة
النوارس , محمول على هودج في ذاكرة
الحجاج إلى الأرض المقدسة. فضاء شاسع
واسع مُتْقَنُ التكوين والتلوين . من فرط
الإتقان ... أَخشى من حريق في الغابة ,
ومن غارة على النوارس , ومن سطو على
زوجة نبي . أَخشى من خلل طارئ في
نظام الأشياء .... وأخشى من كتابة قصيدة
موزونة ... على سطح الشفافية !

واحد , اثنان , ثلاثة

صعد الممثِّل إلى خشبة المسرح مع مهندس
الصوت : واحد , اثنان , ثلاثة . توقَّفْ !

سنجرِّبُ الصوت مرة ثانية : واحد , اثنان ,
ثلاثة , توقَّفْ ! هل تفضّل قليلاً من الصدى؟
قال : لا أَعرف ... افعل ما تشاء !. كانت
القاعة خالية تماماً . مئات المقاعد الخشبية
تحملق فيه بصمتِ مقبرةٍ جماعيّة , وتدعوه إلى
المغادرة أو إلى الانضمام إليها . آثر الخيار
الثاني , واختار مقعداً في الوسط .... ونام .
أَيقظه المخرجُ ليجري البروفْة الأخيرة . صعد
إلى الخشبة , وارتجل فصلاً طويلاً إذ أعجبته
فكرة أن يخاطب المقاعد الفارغة , وأن لا
يصفق له أَحد ما عدا المخرج . ثم ارتجل
فصلاً آخر بلا أَخطاء . وفي المساء , حين
امتلأت القاعة بالمشاهدين , ورُفِعَت الستارة ,
وقف واثقاً من سلامة الصمت.... نظر
إلى الصّفّ الأمامي , وتذكر نفسه جالساً
هناك , فارتبك . نسي النصَّ المكتوب
وتبخَّر النصُّ المرتجل ... ونسي المشاهدين
واكتفي بتجريب الصوت : واحد , اثنان , ثلاثة
ثم كَرَّر : واحد , اثنان , ثلاثة ... حتى
أُغمي عليه وضجَّت القاعة بالتصفيق !

صناديق فارغة

إذا كان السلامُ هدنةً بين حربين, فإنَّ للموتى حقَّ الإدلاء بأصواتهم : سنختار الجنرال . وإذا كانت الحرب حادثةَ سيرٍ

وقعت على الأوتوستراد السريع , فإنَّ على
الأحياء واجب الإدلاء بأصواتهم : سنختار
الحمار . لكن الأحياء لم يذهبوا إلى
صناديق الاقتراع , لا لأن الثلج كان يندف ,
بل لأن شللاً مفاجئاً النوافذ رأوا عناكب
تبني بيوتها في الثلج , فأصيبوا بالعمى . وحين
أرهفوا السمع إلى ما يحدث , هبَّت عواصف
لا عهد لهم بأصواتها الوحشية , فأصيبوا
بالصمم . وقال المنجمون : هي فوضى الكون
على باب القيامة . ومن حُسْن حظنا أو
من سوئه , أن المؤرخين الأجانب الخبراء
في مصائرنا وتاريخيا الشفهي لم يكونوا
هنا , فلم نعرف ما حلَّ بنا !

عن اللا شيء

هو اللا شيء يأخذنا إلى لا شيء ,
حدَّقنا إلى اللاشيء بحثاً عن معانيه ...
فجرَّدنا من اللاشيء شيءٌ يشبه اللاشيءَ
فاشتقنا إلى عبثية اللاشيء
فهو أخفّ من شيء يُشَيِّئنا...
يحبُّ العبدُ طاغيةً
لأن مَهابة اللاشيء في صنم تُؤَلِّهُهُ
ويكرهُهُ
إذا سقطت مهابته على شيء
يراهُ العبد مرئيّاً وعاديّاً
فَيَهْوَى العبدُ طاغيةً سواهُ
يطلُّ من لا شيءَ آخرَ ....
هكذا يتناسل اللاشيء من لا شيء آخرَ ...
ما هو اللاشيء هذا اليِّدُ المتجدِّدُ ,
المتعدِّدُ , المتجبرّ, المتكبرِّ, اللزجُ
المُهَرِّجُ.... ما هو اللاشيء هذا

ربُمَّا هو وعكةٌ رُوحيَّةٌ

أو طاقةٌ مكبوتةٌ

أو . ربما هو ساخرٌ متمرِّسٌ

في وصف حالتنا !

على الطريق إلى لا هدف ، يُبَلِّلني رذاذ

ناعم ، سقطتْ عليَّ من الغيم تُفَّاحةٌ لا

تشبه تفاحة نيوتن . مددتُ يدي لألتقطها

فلم تجدها يدي ولم تَرَها عيناي . حدَّقتُ

إلى الغيوم ، فرأيتُ نُتَفاً من القطن تسوقها

الريح شمالاً ، بعيداً عن خزانات الماء

الرابضة على سطوح البنايات . وتدفَّق الضوءُ

الصافي على إسفلت يَتَّسع ويضحك من قلَّة

المشاة والسيارات... وربما من خطواتي

الزائغة. تساءلتُ: أَين التفاحة التي

سقطت عليَّ ؟ لعلَّ خيالي الذي استقلَّ

عني هو الذي اختطفها وهرب. قلت:

أَتبعه إلى البيت الذي نسكنه معاً في

غرفتين متجاورتين . هناك ، وجدت على

الطاولة ورقة كُتِبَ عليها ، بحبر أَخضر،

سطر واحد : «تفاحة سقطت عليَّ من

الغيوم» ، فعلمت أَن خيالي كلب صيد

وفيٌّ !

لـو كـنـتُ غـيـري

في العزلة كفاءةُ المُؤْتَمَن على نفسه –
يكتب العبارة , وينظر إلى السقف. ثم
يضيف : أن تكون وحيداً.... أن تكون قادراً
على أن تكون وحيداً هو تربية ذاتيَّة .
ألعزلة هي انتقاء نوع الأَلم , والتدرّب
على تصريف أفعال القلب بحريّة العصاميّ ... أَو
ما يشبه خلوَّك من خارجك وهبوطك الاضطراري
في نفسك بلا مظلّة نجاة . تجلس ,
وحدك ة كفكرة خالية من حجة البرهان ,
دون أن تحدس بما يدور من حوار بينا
الظاهر والباطن . العزلة مصفاة لا مرآة
ترمي ما في يدك اليسرى إلى يدك اليمنى ,
ولا يتغيَّر شيء في حركة الانتقال من
اللا فكرة إلى اللا معنى . لكن هذا العَبَثَ
البريء لا يؤذي ولا يجدي : وماذا
لو كنتُ وحدي ؟ العزلة هي اختيار
المُتْرَف بالممكنات ... هي اختيار الحرّ .
فحين تجفّ , بك نفسُك , تقول :
لو كنتُ غيري لانصرفتُ عن الورقة البيضاء إلى
محاكاة رواية يابانية ,
يصعد كاتبها إلى قمة الجبل ليرى ما

فعلت الكواسر والجوارح بأجداده الموتى .
لعلّه ما زال يكتب , وما زال موتاه يموتون
لكن تنقصني الخبرة . والقسوة الميتافيزيقية
تنقصني . وتقول : لو كنتُ غيري ,كما
أنا الآن , لنزلتُ إلى بطن الوادي , حيث
تؤجّج فتاة مكبوتة شهوتها بورقة تين
خشنة وتَعَضُّ سرواله , لكن , تنقصني
مهارة الوصف. والجرأة الإباحية تنقصني !

على باب الحديقةِ

حرَّكوا المعنى بملعقة الحساء
وإن هَمَسَتُ: الأمُّ أمٌّ ، حين تشكل طفلها
تذوي وتيبس كالعصا
قالوا : تزغرد في جنازته وترقُصُ
فالجنازة عُرْسُهُ...

وإذا نظرتُ إلى السماء لكي أَرى
ما لا يُرَى
قالوا : تَعَالى الشعرُ عن أَغراضه...

يغتالني النُقّادُ أَحياناً
وأَنجو من قراءتهم ،
وأشكرهم على سوء التفاهم
ثم أَبحثُ عن قصيدتيَ الجديدةْ !

حفـيـف

كَمُصْغٍ إلى وَحْيٍ خفيّ , أُرهف السمع
إلى صوت أوراق الشجر الصيفيّ ... صوتٍ
خَفِرٍ مُخَدَّر مُتَحدِّرٍ من أَقاصي النوم...
صوتٍ شاحب ذي رائحة حنطية قادم
من عزلة ريفيّة.. صوتٍ متقطعٍ مُوَزَّع
بتقاسيمَ مرتجلةٍ على أوتار نسيم مُتَمَهِّل.
لا يسترسل ولا يطيل الفواصل. لصوت
أوراق الشجر في الصيف تَقَشُّف الهمس
وتعفُّف النداء . كأنَّ الصوت هذا لي
وحدي, يخطفني من ثقل المادة إلى خفّة
الإشراق : هناك وراء التلال , وما
بعد الخيال , حيث يتساوى الظاهر والباطن ,
أَسبح خارج ذاتي في ضوء بلا شمس
بعد غفوة تشبه الصحوة , أو بعد
صحوة تشبه الغفوة , يعيدني حفيف
الشجر إلى ذاتي معافىً مُصَفّىً من
الوساوس والهواجس . لا أَسأل
عن معنى هذا الصوت : هل هو نجوى ورقة
إلى أختها في هذا الخلاء , أم هو حنين الهواء إلى
قيلولة ؟ صوت بلا
كلام يهدهدني ويمسّدني ويحولني

وعاء ينضح بما ليس منه... ولا فيه.

كأنه عاطفة تبحث عن عاطفيّ ... شبيهِ !

استـعـارة

في هذا النهار الأزرق تطيل الوقوف
على جبل مرتفع وتطيل النظر إلى
غيوم تَحْتَكَ تغطّي البحر والسهل فتظنُّ
أنك أعلى من نفسك شِبْهُ طائرٍ
لم يوجد إلا في استعارة. وتُغْريك
الاستعارة بأن تنفصل عنها و تنظر إلى
سماء مهجورة ؛ كصحراء زرقاء ؛ خلوٍ من
سراب. ثم تناديك الاستعارة للرجوع
إلى مصدرها فلا تجد طريقا في الغيوم .
وفي هذا الليل الأزرق ؛ ترى الجبال
تنظر إلى النجوم ؛ وترى النجوم تنظر إلى
الجبال . و تظن أنها تراك ؛ فتشكرها على
لطيف المسامرة. ولا تريد الخروج من
الاستعارة لئلا تسقط في بئر الوحدة !

في صحبة الأشياء

كنا ضيوفاً على الأشياء , أكثرُها
أقلُّ منَّا حنيناً حين نهجُرُها

النهر يضحك , إذ تبكي مسافرةٌ :
مُرِّي, فأُولى صفات النهر آخِرُها

لاشيء ينتظرُ . الأشياءُ غافلةٌ
عنا , ونحن نُحَيِّيها ونشكرها
لكننا إذ نُسَمِّيها عواطِفَنا
نصدِّقُ الاسم . هل الاسم جوهرُها ؟
نحن الضيوف على الأشياء , أكثرنا
ينسى عواطِفَهُ الأولى ... ويُنْكِرُها !

شـال حريـر

شال على غصن شجرة . مرَّت فتاةٌ من هنا ،
أو مرّت ريح بدلاً منها ، وعلّقت شالها على
الشجرة . ليس هذا خبراً . بل هو مطلع
قصيدة لشاعر متمهِّل أَعفاه الحُبُّ من الأَلم ،
فصار ينظر إليه – عن بعد – كمشهد
طبيعةٍ جميل . وضع نفسه في المشهد:

الصفصافة عالية ، والشال من حرير . وهذا
يعني أن الفتاة كانت تلتقي فتاها في
الصيف ، ويجلسان على عشب ناشف. وهذا
يعني أيضاً أنهما كانا يستدرجان العصافير
إلى عرس سري ، فالأفق الواسع أمامهما ،
على هذه التلة ، يغري بالطيران ، ربما قال
لها : أَحنُّ إليك ، وأَنتِ معي ، كما لو
كنتِ بعيدة . وربما قالت له : أَحضنكَ ،
وأَنت بعيد ، كما لو كنتَ نهديَّ . وربما
قال لها : نظرتك إليَّ تذوِّبني ، فأصير
موسيقى . وربما قالت له : ويدك على
ركبتي تجعل الوقت يَعرَق ، فافْرُكْني لأذوب...
واسترسل الشاعر في تفسير شال الحرير،
دون أن ينتبه إلى أن الشال كان غيمة
تعبر، مصادفة ، بين أغصان الشجر عند

الغروب.

ما يشبه الخسارة

أَصعدُ من هذا الوادي , على درجات
نفسي تقريباً. أَصعد إلى ربوة عالية
لأرى البحر . لا أغنية تحملني ولا سوء
تفاهم مع الكينونة. أَتسلّى بمراوغة ظلّي ,
وبالتفكير المريح في مآل قوس قزح الذي
يلهيني , فجأة , عن ظلّي المشتبك بعوسجة
جرحته ولم ينزف أَنحني عليه لأسعفه
من وخزات الشوك , فتنغرز شوكةٌ في
يدي وتسيل قطرةُ دمٍ حمراءُ خِلْتُها , في
البداية , انعكاساً لأحد ألوان قوس قزح .
لكن أَلماً خفيفاً في يدي نَبَّهني إلى أَن ما
تفعله الشمسُ بكثافة الماء الطائرِ هو
شيء آخر ضمَّدتُ جرحي التافه بمنديل
ورقيّ , وواصلتُ الصعود إلى الربوة
العالية لأرى البحر . ولكن الغيوم تكاثفت
وغطَّت السهلَ والجهاتِ والبحرَ الذي وقع
أَسيراً في إحدى الحروب. هبط الليل
على كل شيء , وظهرتْ أضواء المستعمرات
منكل ناحية . وحين نزلتُ على درجات
نفسي تقريباً , من الربوة العالية إلى الوادي , تذكّرتُ
أني نسيتُ ظلّي عالقاً بعوسجة
لا أعرف إن كنت حزنت أَم لا , فإنَّ

خسارةً أدبيَّةً مثلَ هذه لا تصلح للتدوين .
وقلت : غداً أصعد إلى ربوة أعلى
لأرى البحر خلف المستعمرات . لكني سأربط
ظلي برَسَنٍ لئلاً أُضيّعه مرة ثانية !

أ ر ض فـضـيـحـة

أرض ضيقة هي تلك الأرض التي نسكنها و تسكننا. أرض ضيقة لا تتسع لاجتماع قصير بين نبي و جنرال. وإذا تعارك ديكان على دجاجة و على خُيلاء ، تطاير ريشهما على الأسوار. أرض ضيقة لا حميمة فيها لنكاح بين ذكر الحمام و أنثى الحمام . أرض فضيحة . أرض صفراء الصيف ينقر الشوك فيها وجه الصخر لتزجية الوقت ، حتى لو قالت قصائدنا عكس ذلك ، و أمدَتها بمختارات من أوصاف الفردوس لإشباع جوع الهوية إلى جماليات. و نحن ، رواةَ ما تحتاج إليه البداهةُ من وثائق رسمية و شعرية ، نعلم أن السماء لن تتخلّى عن أشغالها الكثيرة لتدلي بشهادتها . أَرض ضيّقة... و نحبها. و نظن أنها تحبّنا أَحياء و موتى . نحبها ، و نعلم أنها لا تتسع لضحكة الفاجر، ولا لصلاة الراهبة ، ولا لنشر الغسيل بعيداً عن فضول الجيران ، و لا تتسع للسطر الرابع عشر من سوناتة مترجمة. أرضٌ ضيقة لا ساحة فيها تكفي لمعركة حقيقيّة مع عَدُوّ خارجيّ، و لا قاعة تسع المجتمعين لصوغ ديباجة عريضة عن سلامٍ كَذِب. و مع ذلك ، أو لذلك ، ... يقولون إن أحد الآلهة الضجرين اختارها كهفاً للخلوة ، أو الاختفاء عن المتطفلين الذين سرعان ما سرقوا قرون أكباشنا ، و استخدموها سلاحاً لإبعادنا عن باب الكهف المُقَدَّس !

صيف و شتاء

لا جديد ، الفصولُ هنا اثنانِ :
صَيْفٌ طويل كمئذنة في أقاصي المدى .
و شتاءٌ كراهبةٍ في صلاة خشوعْ .
وأَمَّا الربيعْ
فلا يستطيع الوقوف على قدميه
سوى للتحية : أَهلاً بكم
في صعود يسوعْ .
وأَمَّا الخريف ،
فليس سوى خُلْوةٍ
للتأمُّل في ما تساقط من عمرنا
في طريق الرجوعْ.
فأين نسينا الحياةَ ؟ سألت الفراشةَ
وهي تحوِّم في الضوء
فاحترقتْ بالدموع !

غيمة ملونة

وأَنا أَغسل الصحون ، أمتلئ بفراغ منعش وأَملأ الوقت بفقاعات الصابون . لماء الحنفيَّة إيقاعٌ يفتقر إلى آلة موسيقية. أُصاحبه بصفير متقطّع ، و بمقطع من أغنية شائعة لا شخصية لها . أَلهو بالرغوة الشبيهة بغيمة تلمع فيها ألوانٌ موسميَّةٌ وتنطفئ .

أُمْسِك الغيمةَ بيديّ و أوزِّعها على الصحون والكؤوس والفناجين والملاعق و السكاكين . تَنْتَفِخُ الغيمة كلَّما سالت عليها قطراتُ الماء. أحفِنها وأُطيِّرها في الهواء فتضحك لي، و أزداد امتلاء بفراغي . لا أفكِّر بشيء كأني ظهيرة لا مبالية. لكن صُوَر ذكريات محايدة تهبط من مكان بعيد إلى حوض الماء ، ذكريات لا تجرح و لا تفرح ، كنزهة في حرش صنوبر، أو كانتظار حافلة تحت المطر، فأغسلها بحرصِ مَنْ يحمل إناء من بلّور أدبي . و حين أتأكد من أنها لم تتكسر تعود سالمةً إلى مصادرها الأولى في حرش صنوبر، و أبقى هنا. أَلهو برغوة الصابون ، و أسهو عمَّا ليس موجوداً. أنظر برضا إلى ذهني الصافي كزجاج المطبخ ، و إلى خُلُوِّ قلبي من الشوائب كصحن مغسول بعناية. و حين أحسّ بأني امتلأت تماماً بالفراغ المنعش، أملأ الفراغ بكلمات لا تخصّ أحداً سواي : بهذه الكلمات!

ربيع سريع

مَرَّ الربيعُ سريعاً
مثل خاطرةٍ طارت من البالِ -
قال الشاعر القَلِقُ

في البدء، أَعجبه إيقاعُهُ
فمشى سطراً فسطراً
لعلَّ الشكل ينبثقُ

وقال: قافيةٌ أخرى
تساعدني على الغناء
فيصفو القلبُ و الأُفُقْ

مَرَّ الربيع بنا
لم ينتظر أَحداً
لم تنتظرنا "عصا الراعي"
ولا الحَبَقَ

غنّي، ولم يجد المعنى
وأَطربَهُ
إيقاع أُغنية ضاقت بها الطُرُقُ
وقال: قد يُولَدُ المعنى
مصادفةً

وقد يكون ربيعي..ذلك القَلَقُ!

الـحيـاة . . .حتـى آخر قـطرة

وإن قيل لي ثانيةً: ستموت اليوم، فماذا تفعل؟ لن أحتاج إلى مهلة للرد: إذا غلبني الوَسَنُ نمتُ. وإذا كنت ظمآن شربتُ. و إذا كنتُ أكتب، فقد يعجبني ما أكتب و أتجاهل السؤال. و إذا كنت أتناول طعام الغداء, أضفت إلى شريحة اللحم المشويّة قليلاً من الخردل و الفلفل. و إذا كنت أحلق، فقد أجرح شحمة أذني. و إذا كنت أقبل صديقتي، التهمت شفتيها كحبة تين. و إذا كنت أقرأ قفزت عن بعض الصفحات. وإذا كنت أقشِّر البصل ذرفت بعض الدموع. و إذا كنت أمشي واصلت المشي بإيقاع أبطأ. وإذا كنت موجوداً، كما أنا الآن، فلن أفكِّر بالعدم. وإذا لم أكن موجوداً، فلن يعنيني الأمر. وإذا كنت أستمع إلى موسيقى موزارت، اقتربتُ من حيِّز الملائكة. وإذا كنتُ نائماً بقيت نائماً وحالماً وهائماً بالغاردينيا. وإذا كنتُ أضحك، اختصرتُ ضحكتي إلى النصف احتراماً للخبر. فماذا بوسعي أن أفعل؟ ماذا بوسعي أن أفعل غير ذلك، حتى لو كنتُ أشجع من أحمق، و أقوى من هرقل؟

أثـر الـفـراشة

أَثَرُ الفراشة لا يُرَى
أثرُ الفراشة لا يزولُ

هو جاذبيةُ غامضٍ
يستدرج المعنى، ويرحلُ
حين يتَّضحُ السبيلُ

هو خفَّةُ الأبديِّ في اليوميّ
أشواقٌ إلى أَعلى
وإشراقٌ جميلُ

هو شامَةٌ في الضوء تومئ
حين يرشدنا إلى الكلماتِ
باطننا الدليلُ

هو مثل أُغنية تحاولُ
أن تقول، و تكتفي
بالاقتباس من الظلالِ
ولا تقولُ...

أَثَرُ الفراشة لا يُرَى

لـم أكن مـعـي

محدقاً إلى السقف، واضعاً يدي على خدِّي، كمن يتلصَّص على فكرة بيضاء، أو يتربص بإشراقة وحي. أَنْتَبِهُ بعد ساعات إلى أنني لم أكن هناك في السَقف ولا هنا على المقعد، ولم أفكر بشيء. كنت مستغرقاً في اللا شيء... في الفراغ الكلي الكامل، منفصلاً عن وجودي، جاراً لعَدَمٍ غيرِ متطفِّل، وخالياً من الألم.

لم أحزن ولم أفرح، فلا شأن للّا شيء بالعاطفة، ولا شان له بالزمن، لم توقظني يَدُ ذكرى واحدة من غيبوبة الحواس. ولم توقظني خشيةُ الأقدار من نسيان الغد. إذ كنت، لسبب ما، متأكداً من أنني سأحيا إلى الغد. لم أسمع صوت المطر يكسِّر رائحةَ الهواء في الخارج، ولا النايات تحمل الداخل وترحل. كنت لا شيء في حضرة اللا شيء. وكنت هادئاً، آمناً، مطمئناً. فما أجمل أن يكون المرء لا شيء، مرة واحدة، مرة واحدة... لا أكثر!

وجوه الحقيقة

ألحقيقةُ أُنثى مجازيّةٌ
حين يختلط الماءُ والنارُ
في شكلها

والحقيقةُ نسبيّةٌ
حين يختلط الدمُ بالدمِ
في ليلها

والحقيقةُ بيضاءُ ناصعةٌ
حين تمشي الضحيّةُ
مبتورةَ القَدَمَيْنِ
على مهلها
و"الحقيقة شخصيَّةٌ"
في القصيدةِ
لاهِيَ ما هِيَ
أو عكسها
إنها ما تقطّر من ظلّها!

صحا من النوم دفعةً واحدة. فتح النافذة على ضوء فاتر و سماء صافية و هواء معافى. تحسَّس جسده، عضواً عضواً، فوجده سليماً. نظر إلى الوسادة ولم يرَ شعراً تساقط في الليل. نظر إلى الملاءة ولم يرَ دماً. فتح جهاز الترانزستور ولم يسمع خبراً عن قتلى جدد في العراق و غزة و أفغانستان. ظنَّ أنه نائم، فَرَكَ جفنيه أمام المرآة و تعرَّف إلى وجهه بسهولة. هتف: أنا حيّ. مشى إلى المطبخ لإعداد القهوة. وضع ملعقةً من العسل في كأس الحليب الخالي من الدَّسَم. رأى على الشرفة كناريّاً زائراً يقف على حوض زهور نسي أن يسقيها. قال للكناريّ: صباح الخير، و نثر حوله فتات خبز. طار الكناريّ وحطَّ على فَنَنِ شجيرة وغنَى. مرة أخرى، ظن أنه نائم. نظر إلى المرآة ثانية و قال: أنا هو. استمع إلى نشرة أخبار جديدة. لا قتلى جدداً في أي مكان. فرح بهذا الصباح الشاذ. قاده الفرح إلى طاولة الكتابة وفي باله سطر واحد: "أنا حي بالرغم من أنني لا أشعر بالألم". كان ممتلئاً بشغف الإنشاد لصفاءٍ بِلَّوْريّ هبط عليه من مكان بعيد: من مكانه هذا! وحين جلس إلى طاولة الكتابة وجد السطر مكتوباً على ورقة بيضاء: "أنا حيٌّ على الرغم من أنني لا أشعر بالألم". لم يظن هذه المرة من أنه نائم. كان متأكداً من ذلك!

وأنا أستمع إلى الموسيقى، تتفتح حولي حدائق، فتصير النغمةُ زهرةً أسمعها بعينيّ. للصوت صورة، وللصورة صوت متدرِّج متموِّج...أَبعد من مجاز أدبي. يَخْرُجُ القرنفل من أحواضه، و ينتشر على طاولات المطاعم الراقية لتعويض الغريب عن خسارة منسية، أو للإمعان في تدريب المُنْتَظِرِ على مفاجآت القادم. وليس على النرجس من حَرَجٍ إن أطال الاستماع إلى أغنية الفرح في الماء، وظنَّها أغنية مديحه. أَمَّا الزنبق الأبيض، إذا اتسع الصالون لرائحته الشاسعة اللاذعة، فإن خواطره تضلِّلني، على عكس البنفسج الذي يوقفني على تقاطع صوتين يتداخلان و يذوبان في تشابه الدموع بين عرس و جنازة... وعلى عكس شقائق النعمان المكتفية بغناء الهامش الفسيح على سفوح الرَعَويَّات. كل هذا لأقول: إن الوردة الحمراء موسيقى مرئية. وإن الياسمين رسالة حنين من لا أَحد إلى لا أحد!

الطريق إلى أين

[إلى سركون بولص]

أَلطريقُ طويلٌ إلى أين؟ مرتفعاتٌ
ومنخفضاتٌ. نهارٌ وليلٌ على الجانبين.
شتاء طويل وصيف قصير. نخيلٌ
وسرورٌ، وعبادُ شمسٍ على الجانبين.
محطَّاتُ كازٍ، مقاهٍ، ومستوصفاتٌ،
وشرطةُ سير على الجانبين. و سجنٌ
صغير، ودكّانُ تبغ وشاي، ومدرسةٌ
للبنين، وأقبيةٌ للبنات، وأجهزةٌ
لقياس المُناخ، ولافتةٌ للأجانب: أهلاً
بكم في الطريق إلى أين؟ مرتفعات
ومنخفضات. وآثار موتى رأوا موتهم
واقفاً في الطريق، فألقوا عليه التحيَّة.
قال: إلى أين؟ قالوا : إلى أَين!
نمشي كأنَّا سوانا. كأنَّ هناك / هنا
بين بين. كأن الطريق هو الهدف
اللانهائيُّ، لكنْ إلى أين نمضي، ومن
أين نحن إذن؟ نحن سُكَّان هذا
الطريق الطويل إلى هدف يحمل اسماً
وحيداً : إلى أين؟

فـكـا هـة الـخـلـو د

للمقابر هيبة الهواء وسطوة الهباء. تشيع
صديقك ممدوح, وتنتظر دورك ...
تنقلك روائح الزهور الذابلة وحفيف الأشجار
إلى البعيد ... إلى ما وراء الشيء ... إلى عنوانك
الأخير في ناحية من نواحي العدم. لكنك
تفكر في ما هو أبسط: ألقبور مراتب.
فمنها ما يبدو لك أنه راحة النائم. ومنها
ما يحرم النائم من التطلع إلى سمائه
المدفونة. ومنها, كالمحاذية لساحة التروكاديرو
في باريس, ما يجعل النائم جزءاً من وتيرة
الحياة. فهو قريب من المقاهي والمتاحف
ومواعيد الأحياء. الحياة في متناول قبره
الرخامي. وحوله من تنوع الزهر والشجر
والطير والبشر ما يغنيه عن الخروج إلى
نزهة, بعدما أنفق مدخراته لامتلاك
خصوصية هذا العنوان الدائم. ومن القبور
ما يجعل العدم مادة مرئية,كتلك
القبور المرمية في الصحراء بعيداً عن
الشجر والماء. لا أنيس للنائم الذي
يحترق في حرّ الصيف ويتجمد من البرد
في الشتاء. كأنه يواصل الموت بلا
نهاية, حيث يخلو الموت من استعارة النوم.

لكن الذين يشرفون على تشييد قبورهم،
وتأثيثها بصورهم، لا يفكرون براحة النوم
قريباً من صداقة الأحياء، إنما يفكرون
بتدريب التاريخ على القراءة. ويفكرون
بما هو أصعب: برشوة الخلود. دون
أن يعلموا أن الخلود لا يزور القبور.
وأنه يحب الفكاهة !

الـلامـبـالــي

لا يبالي بشيء . إذا قطعوا الماء

عن بيته قال : لا بأس ! إن الشتاء
قريب. وإن أوقفوا ساعة الكهرباء
تثاءب : لا بأس ، فالشمس تكفي.
وإن هددوه بتخفيض راتبه قال: لا
لا بأس ! سوف أصوم عن الخمر
والتبغ شهراً. وإن أخذوه إلى السجن
قال : ولا بأس ، أخلو قليلاً إلى النفس
في صحبة الذكريات
وإن أرجعوه إلى بيته قال:
لا بأس ! فالبيت بيتي.
وقلت له مرة غاضباً : كيف تحيا غداً ؟
قال: لا شأن لي بغدي .. إنه فكرة
لا تراودني. وأنا هكذا هكذا : لن
يغيرني أي شيء، كما لم أغير أنا
أي شيء ... فلا تحجب الشمس عني
فقلت له : لستُ اسكندر المتعالي
ولستَ ديوجين
فقال : ولكن في اللامبالاة فلسفة ،
إنها صفة من صفات الأمل !

اللوحة والإطار

إذا انكسر إطار اللوحة، بسبب هزة
أرضية خفيفة، تحمل اللوحة إلى صانع
أطر ماهر، فيضع لها إطاراً ربما أجمل.
أما إذا تشوهت اللوحة بسبب خلل
فني أصلي، وبقي إطارها سليماً، فلن
تحتاج إليه إلا إذا نقص الحطب في
المدفأة.. كذلك هي الفكرة: إذا انكسر
إطارها وجدت لها إطاراً أقوى وأصلب.
. أما إذا انكسرت الفكرة، فلن يكون إطارها
السليم غير ذكرى حزينة، تحتفظ بها كما
يحتفظ راع خائب بجرس كبش من قطيعه
افترسته الذئاب !

ثــلـج

تكثَّفَ الهواءُ الأبيض، وتباطأ وانتشر
كالقطن المنفوش في الفضاء. وحين لامس
جَسَدَ الليل أضاءه من كل ناحية. ثلج.
انقطع التيار الكهربائي، فاعتمدت على
ضوء الثلج لأهتدي إلى الممر، الفاصل
الموسيقي، بين جدارين، فإلى الغرفة المجاورة
لشجيرات النخيل الست الواقفات كراهبات
على كتف الوادي. فَرَحٌ شِبْهُ ميتافيزيقي
يأتيني من كُلِّ ما هو خارجي، وأَشكر الريح
التي جاءت بالثلج من أقاليم لا تصل إليها
إلا الروح. لو كنتُ غيري لاجتهدت في وصف
الثلج. لكني إذ أنخطفُ في هذا العشب
الكونيّ الأبيض، أتخفف من نفسي فلا أكون
أنا ، ولا أكون غيري، فكلانا ضيفان على
جوهر أبيض، مرئي وواسع التأويل.
وحين عاد التيار الكهربائي، أطفأت الضوء
وبقيت واقفا أمام النافذة لأرى كم أنا
هناك... طيفاً في ما وراء الثلج !

عدوى

قال لي ، بعدما كسر الكأس:
لاتصف الشعرَ ، يا صاحبي ، بالجميل
ولا بالقويّ ،
فليس هنالك شعر قويّ وشعر جميل
هنالك شعر يُصيبُكَ، سرّاً
بعدوى الكتابة والانفصام ، فتهذي
وتخرج ذاتك منك إلى غيرها ... وتقول :
أنا هو هذا وهذا ، ولست أنا . وتطيل
التأمل في الكلمات . وحين تجس لها
نبضها ، تشرئب وتهمس في أذنيك :
اقترب وابتعد ، واغترب واتّحد . ويسيل
حليب من الليل . تشعر أنك طفلٌ
سيولد عما قليل !

حوض خزامى

محتشمة متكتمة, على طيبك, كحوض
خزامي, تجلسين قبالة مطالعي. وأصابعي
تحك أصابعي, فيسقط فنجان قهوتي ـ
ذريعتي وخديعتي, لتقربي طيبك مني,
وألّمه مع شظايا الهال ... فلا يصل. لأن
رائحة الخزامى لا تنتقل من خدرها الحذر
إلى المنتظر سخاء المخفي. أكثر من
حاسة فاقدة الصبر تشرئب إلى ما سيهب
من جهتك المتقشفة المنصرفة إلى صون
بكارة الرائحة الملتفة بأوراق الكثافة. أدنو
منك كمقبل على مغامرة,كمدبر عن خوفه.
أمدّ يديّ إلى حوض الخزامى. أفركها وأحضنها
وأشمها وأضمها, ولا تقولين شيئاً. كأنك
حقاً خزامى... تؤخذ رائحتها باليدين !

أكـثـر و أقـل

حتى لو لم تكوني ما أنت عليه من حضور

باهر، سأكون أنا ما أنا عليه من غياب

فيك.. باطن وظاهر. شفاف حضورك بلوري

أرى ما وراءه من حدائق فأخطف إلى

متاهات عليا لا يبلغها خيال تبهجه سعة

المجاز ويخرجه فقر الكلام المتداول. أقول

ما أقول لك بلغة تفتقر إلى كثافة العسل

وخفة الفراشة ... في حضرة هذا الممكن المتمكن

من رفع المصادفة إلى مرتبة الإعجاز. فإلى

أين يأخذنا صمتك المضفي على الكلام الغامض

إغواء التورية؟ كأني لم أكتب من قبل,

ولم أحفظ ما كتبت لك في سري. وشفّاف

حضورك, فلا أدري إن كانت روحك تسكن

جسدك, أم أن جسدك يلبس روحك

ويشعّ لؤلؤة في عتمتي.يختلط عليّ

الشكل والجوهر,فأرى الشكل جوهراً

والجوهر شكل الكمال. وأباريك في الصمت

لئلا تزلّ بي كلمة فأسقط على ما كنته

قبلك من ارتجال متعثر.لا,لست

شاعراً ينتظر قصيدته في ما تنثرين من

إيماءات,أنت وأنا ـ إن كان لنا أن

نجتمع في عبارة واحدة كما نحن هنا في

غرفة واحدة ـ ضيفان خفيفان على ما يسبق المعنى
من غيوم , ممتلئان بحنين الطير إلى شجر الليل, بلا
فكرة عن غد لا يعدنا بغير الأمل. فأحضر وتغيبين.
وأنظر إلى غيابك يهيل عليّ سماء ما.حتى
لو لم تكوني ما أنت عليه من غياب.سأكون
أما ما أنا عليه من حضور. كأنك معي.
كأني في حاجة أكثر إلى ما هو أقلّ!

أغبط حواسي.للهواء لون الغاردينيا...
ولرائحتك على كتفي أقواس نصر و ضحك
. أغبط الخناجر المسالمة النائمة في أغمادها
أمامك على المنضدة, في انتظار أشارة
منك لقتلي.أغبط المزهرية,تستغني عن
وردها ألأصفر بما تغدقين عليها من قرمز
الشفتين الجائعتين إلى جوعي. وأغبط اللوحة
المحدقة إليك بضراعة :أنظري إلي أطول
لأكمل ما ينقصني من بحيرات وبساتين كرز.
وأغبط أعشاب السجادة تشرئب إلى حجلة
تهبط إليها من عل, والى حجلة تستريح على
الركبة, فيسخن رخام الغرفة وخيالي.
وأغبط المكتبة المضطربة المكتئبة لخلوها من
كتاب شهواني في مديح ربوتين عاجيتين صغيرتين
مكشوفتين أمامها على هياج الجيتارات, ومغلفتين
بموجة حرير يتنهد, وأغبط أصابعي تلتقط
ما يفيض عن حاجة يديك إلى حوار الضوء
والظل وحركة الملعقة في فنجان الشاي,
وتحريك الملح في جسد يحن إلى عاصفة
لتأجيج نار النشيد : يا هذه الأشياء لميني وضميني
لأغبط ذكرياتي عنك في ما
بعد. وأغبط لساني الذي يناديك باسمك

بحرص من يحمل أربع كؤوس كريستال بيد
واحدة. أتذوق حروف أسمك,حرفاً حرفاً,
كفواكه موسيقية. ولا أشرب الماء معها لأحفاظ على
مذاق الدراق وعلى عطش حواسي ...
وأغبط خيالي يحتضنك ويسكنك ويقبّلك
ويدللك ويطويك ويرخيك ويدنيك ويقصيك
ويرفعك وينزلك ويخضعك ويخضع لك,
ويفعل ما لا أفعل !

استعـارة

في هذا النهار الأزرق تطيل الوقوف
على جبل مرتفع وتطيل النظر إلى
غيوم تَحْتَكَ تغطّي البحر والسهل فتظنُّ
أنك أعلى من نفسك شِبْهُ طائرٍ
لم يوجد إلا في استعارة. وتُغْريك
الاستعارة بأن تنفصل عنها و تنظر إلى
سماء مهجورة ؛ كصحراء زرقاء ؛ خلوٍ من
سراب. ثم تناديك الاستعارة للرجوع
إلى مصدرها فلا تجد طريقا في الغيوم .
وفي هذا الليل الأزرق ؛ ترى الجبال
تنظر إلى النجوم ؛ وترى النجوم تنظر إلى
الجبال . و تظن أنها تراك ؛ فتشكرها على
لطيف المسامرة. ولا تريد الخروج من
الاستعارة لئلا تسقط في بئر الوحدة !

قِلّي كوكباً

هل كل هذا أنت؟

غامضة وواضحة

وحاضرة و غائبة معا...

عيناك ليل حالك ... ويضيئني

ويداك باردتان ترتجفان

لكن، توقدان الجمر في جسدي

وصوتك نغمة مائية ... و تذبيني في الكأس

أنت كثيفة و شفيفة، و عصية و أليفة

عذراء، أم لابنتين:

قصيدتي

وقصيدة أودى بصاحبها خيال قاصر!

هل كل هذا أنت؟

صيف في الشتاء، وفي الخريف ربيع نفسك

تكبرين و تصغرين على وتيرة نايك السحري

يخضر الهواء على مهبك

يضحك الماء البعيد إذا نظرت إلى السحاب

و يفرح الحجر الحزين إذا مررت بكعبك العالي ....

أهذا .... كل هذا أنت؟

قلي كوكبا أو كوكبين لكي اصدق

انك أمراة تجسُّ،

ولستِ موسيقى تكسرني كحبة بندق

قلي قليلا ، واستقلي عن مجازك
كي أضمك من جهاتك
ماعدا الجهة التي أشرعتها للريح...

((الليل تاريخ الحنين,وأنت ليلي)) ـ
قلتَ لي,وتركتني
وتركت لي ليلي وليلك باردين ...
وسوف يوجعني الشتاء وذكرياتك
سوف يوجعك الهواء معطراً بزنابقي
لا بأس!
سوف أحب أول عابر
يبكي على امرأة رمته إلى الهباء كما فعلت
سنعتني أنا والغريب بليلنا ونضيئه.
سنؤثث الأبد الصغير... سننتقي
أنا والغريب سريرنا وشعورنا بعناية
ولربما نتلو معاً أنا والغريب
قصيدة الحب التي أهديتني:
((والليل تاريخ الحنين
وأنا ليلي))!

عطس

الإحباط هو ما يلي الإحساس الزائف
بالسعادة التي تشبه العطس بسبب
رائحة البنزين . أسعدني أني عطست ،
لكن ذلك لا يصلح لاختراع ذكرى
أستعيدها . وحين أسأل : ما هي السعادة ؟
أتفلسف بلا فلسفة . ولا أحاول أن
أتصوف بحثاً عنها في الماوراء . قد
أجدها مصادفة ، وقد لا أجدها . لكني
لا أبحث عنها بقدر ما أبحث عن جواب
يعزيني ويسليني . وكلما تساءلت : هل
أنا الليلة سعيد ؟ خجلت من سذاجتي ،
وفتحت النافذة لأرى أحوال السماء ، لأن
البرد أيضا يجعلني أعطس ، ولأن النجوم
كلمات في طريقها إلي ، هكذا تأتي
هنيهة السعادة من خارجي . فالفرح
ليس أكثر من ورقة يا نصيب رابحة
لا تلزمنا بغير تقديم الشكر للمصادفة .

هل حياتي هي تغاضي العدم

عني الآن ؟ حين كتبت هذا السؤال ،
انقطع التيار الكهربائي ، وشعرت بالبرد
دون أن، أعطس !

أَتأمَّل النبيذ في الكأس قبل أَن أتذوقه/
أتْركُهُ يتنفّس الهواء الذي حُرم منه سنين.
اختنق ليحمي الخصائص. وتخمَّر في سُبَاته،
و ادَّخَر الصيفَ لي و ذاكرةَ العنب/.

أتركُهُ ينتقي لونه المُسَمَّى، خطأً، أحمر.
فهو مزيج من قُرْمُزيّ تشرَّب غيمة خفيفة
السواد. لون لا لون له إلا اسمه:
نبيذيّ، لنرتاح من مراوغة الوصف./

و أترُكُهُ يحترم رائحته، الرائحةَ المتكبرة
المتعالية كالمُحْصَنَات من النساء. إن شئتَ
أن تَشُمَّها فلا تأتي هي إليك. عليك أنت
أن تتأكّد من طهارة يدك و خلوِّها من
العطر، ثم تمدَّها بلينٍ عاطفيّ إلى الكأس
كأنها تقترب من نَهْد. تقرِّبُ الكأس
من أَنفك بأناة نحلة، فتبعثرك رائحةٌ
عميقة سريّة: رائحةُ اللون التي تُدْخِلُكَ
إلى أَدْيِرَةٍ قديمة./و أَتركه يستجمع
خواطر مذاقه إلى أن نكون، أنا و هو،
جاهِزَيْن عطشاً لاستقبالِ وَحْيٍ بالفم.

لا أَتعجَّل و لا أَتمهل، فكلاهما كسر في
إيقاع المتعة. أُقرِّبُ الكأس من شفتيّ
بخفر المتسوِّل قبلةً أولى من امرأةٍ
غامضة العواطف. أرتشف جرعة خفيفة.
و أَنظر إلى أَعلى بعينين نصف مغمضتين
إلى أن يسري سُلافُ نشوةٍ في شراييني.
و تتفتح شهيَّتي على ما يليق بالنبيذ من
حاشِيةٍ ملكية. هو النبيذ يرفعني إلى مرتبة
أعلى، لا هي سماوية، و لا هي أرضية.
و يقنعني بأنَّ في وسعي أن أكون شاعراً،
و لو لمرة واحدة!

على أعالي السرو

قالت له : هل أنت من كتب القصيدة ؟

قال : لا أدري . حلمتُ بأنني حيٌّ

فقالت: ثم ماذا؟

قال: صدقت المنام,وطرت من فرحي

إليك إليك

قالت: ثم ماذا؟

قال: حين نطقت باسمك ردّد الوادي

الصدى,واغرورقت عيناي بالرؤيا

فقالت:ثم ماذا ؟

قال: لم أحلم بما هو أكثر

المرآة صافية أمامي. أنت أنت

كما رأيتك حالماً. وأنا أنا

قالت: وماذا بعد؟

قال لها : الحياة قصيرة وجميلة ...

هل أنت من كتبت قصيدتي الأخيرة لي؟

فقالت: لا. أنا شبح

فقال: أنا كذلك, ربما تتسامر الأشباح

كالأرواح

قالت: أين نحن الآن؟

قال: على أعالي السرو ...!

وجهة نظر

الفارق بين النرجس وعباد الشمس هو
الفرق بين وجهتي نظر: الأول ينظر إلى
صورته في الماء، ويقول: لا أنا إلا
أنا . والثاني ينظر إلى الشمس ويقول:
ما أنا إلا ما أعبد.
وفي الليل، يضيق الفارق ويتسع
التأويل!

رصاصة الرحمة

أغار من الحصان، فإذا انكسرت ساقه وأحس
بإهانة العجز عن الكر والفر في الريح ...
عالجوه برصاصة الرحمة. وأنا إذا انكسر
شيء فيّ، جسديّ أو معنويّ, أوصي
بالبحث عن قاتل ماهر, حتى لو كان من
أعدائي. سأدفع له أجرة وثمن الرصاصة.
سأقبل يده والمسدس. وإذا كنت قادراً
على الكتابة, مدحته بقصيدة عصماء, يختار
هو وزنها والقافية!

بحياء، أنظر إلى طاسة الشحّاذ.

بحياء، أستمع إلى أغنية قديمة من أسطوانة
مشروخة.

بحياء، أشمّ عطر وردة ليست لي.

بحياء، أتذوق طعم التوت البري.

بحياء، أحك أحد أعضائي.

بحياء، أستعمل حواسي الخمس.

بحياء، أطيع حاستي السادسة.

بحياء، أحيا، كما لو كنت ضيفاً على
غجريّ يتأهب للرحيل.

الـكمـال كفــاءة الــنقـصان

الوقت طار ، ولم أطِر معه ...
توقف ـ قلت ـ لم أكمل عشائي بعد
لم أشرب دوائي كلُه
لم أكتب السطر الأخير من الوصية
لم أُسدد أي دين للحياة
وقد رأتني جائعاً قرب السياج
فأطعمتني حبةً من تينها ...
ولقد رأتني عارياً تحت السماء
فألبستني غيمةً من قطنها ...
ولقد رأتني نائماً فوق الرصيف ..
فأسكنتني نجمةً في صدرها ...
قالت : تَعَلّمني تجِدُني في انتظارك !
قُلت : شكراً للحياة ، فإنها هِبة وموهبة ...
تَعلّمت الحياة بما استطعت من الشقاء
وعلّمتني كيف أنساها لأحياها ...

وقال الموت لي متطفلاً:
لا تنسني فأنا أخوها,
قُلت : أُمـُكُما سؤالٌ غامضٌ لا شأن لي فيه ...
وطار الموتُ من لُغتي إلى أشغاله.
تحيا الحياة ـ هتفت حين وجدتُها عفويةً
فطرية, تلهو وتضحك للهواء .. تُحبنا ونُحبها...

وتكون قاسيةً وناعمةً ، وسيدةً وجارية..
ولا تبكي على أحد, فلا وقت لديها
تدفن الموتى على عجل, وترقص مثل غانية
وتنقص ثم تكتمل. الكمال كفاءة النقصان

والذكرى هي النسيان مرئياً...
ولكني لعبت مع الحياة كأنها كرةٌ ولعبة يا نصيب... ..
لم أفكر مرةً باللغز : ما هي ؟
كيف أملأها وتملأني ؟؟ - تساءلت وقد
رأيتُ الموت يتركني على مهلي - لأسأل
قلت : غداً سأمعن في السؤال
عن الحياة. ولم أجد وقتاً
لكني لم أجد وقتاً ، ،
لأن الوقت راوغني وغافلني ... ثم طار!

صبـا ر

ألصبار الذي يسيّج مداخل القرى كان
حارساً مخلصاً للعلامات . حين كنا أولاداً ،
قبل دقائق ، أرشدنا الصبار إلى المسالك .
لذلك أطلنا السهر خارج البيوت ، برفقة
بنات آوى والنجوم . كذلك خبأنا مسروقاتنا
الصغيرة من بلح وتين مجفف ودفاتر في
مخدعة الشائك . وحين كبرنا دون أن
ندري كيف ومتى حدث ذلك ، أغوتنا أزهاره
الصفراء بملاحقة البنات على طريق النبع
الضاحك ، وتباهينا بما على أيدينا من شوك .
ولما انطفأت الزهرة ونتأت الثمرة ، كان
الصبار عاجزاً عن صد سلاح الجيش
الفاتك . لكنه ظل حارساً مخلصاً للعلامات :
هنالك ، خلف الصبار منازل موءودة وممالك ،
ممالك من ذكرى ، وحياة تنتظر شاعراً
لا يحب الوقوف على الأطلال ، إلا
إذا اقتضت القصيدة ذلك !

في الساحة الخالية

ساحة خالية . ذباب وظهيرة وشجرة
تين لا تؤنس أحداً . ينبح كلب من
بعيد ، وأنا أقترب من الساحة الخالية .
أفكر في ما وراءها ، وفي ما وراء
قصيدة يكتبها شاعر محبط عن رهبة الساحة
الخالية : " أنا والكلام الذي قلته ،
والكلام الذي لم أقله ، وصلنا إلى الساحة
خالية " . هنالك يرن الجفاف كقطعة معدنية .
وتحدث خطاك صوتاً مشابهاً " كأنك
غيرك " ... يتبعه صدى هواء ناشف " كأني
هو " . وحين تكون إلى ساحة خالية تمتد
الخواطر إلى ما قبل : إلى حياة كانت هنا .
جاءت من أزقة ضيقة ، لتتشمّس أو
تتنفّس أو لتعرض براهينها على الممكنات .
لم أسأل : من أين جئت ؟ بل سألت :
لماذا وصلت إلى الساحة الخالية ؟. خفت .
وحاولت الرجوع إلى أي زقاق ضيق ،
فتحولت الأزقة كلها أفاعي . أغمضت عيني
وفركتهما وفتحتهما لأرى كابوسي أمامي . لم
يكن كابوسا . كان واقعاً كابوسياً . لكن
الساحة الخالية اتسعت ، وشجرة التين

ارتفعت ، والظهريرة سطعت ، وتكاثر الذباب .
أما نباح الكلاب فقد آنسني من بعيد ،
ثمة حياة هناك . ولسبب ما ، غامض ، تذكرت
الكلام الذي لم أقله ... تذكرته ونسيته .

إجازة قصيرة

صدقت أني مت يوم السبت,

قلت: عليّ أن أوصي بشيء ما

فلم أعثر على شيء...

وقلت: عليّ أن أدعو صديقاً ما
لأخبره بأني مت
لكن لم أجد أحداً ...
وقلت: عليّ أن أمضي إلى قبري
لأملأه, فلم أجد الطريق
وظلّ قبري خالياً مني
وقلت: عليّ واجب أن أؤدي واجبي:
أن أكتب السطر الأخير على الظلال
فسال منها الماء فوق الحرف ...
قلت: عليّ أن آتي بفعل ما
هنا والآن
لكن لم أجد عملاً يليق بميت

فصرخت: هذا الموت لا معنى له

عبث وفوضى في الحواس,

ولن أصدق أنني قد مت موتاً كاملاً

فلربما أنا بين بين

وربما أن ميت متقاعد

يقضي إجازته القصيرة في الحياة

الشهرة

الشهرة فضيحة الكائن المحروم من الأسرار
تغير مشية صاحبها بين سريعة وبطيئة,
لتلائم ما يريد لها المشاهد من ثقة
بصلابة الأرض. على الهامة ألا ترتفع
كثيراً لتبقى السماء وجهة نظر عامة.
والطيور التي قد تحلق على ارتفاع منخفض.
اليد اليسرى, حاملة الساعة المختلف
على معدنها بين ذهبي وماسي تندسّ في
جيب البنطلون ذي اللون الرمادي المحايد.
واليد اليمنى تضبط حركتها بالقبض على كتاب
أو جريدة. لون المعطف كحلي .. لأن أي
لو آخر يهيج الشائعات. الشهرة,
وهي عري الكائن, تقتضي حماية ما تحت
الثياب من الكاميرات السرية الملأى بالصور
قبل التصوير. والشهرة تغري النميمة
بالارتفاع إلى مستوى الجريمة, بارتكاب اغتيال
معنوي لا يعاقب عليه القانون. والشهرة
عقوبة على اللاخطأ, تملي على صاحبها
ارتداء قناع الترضية ليبتسم وفق الطلب
والوقوف الطويل مع الواقفين حتى لو كان
حاقنا. وتملي على لسانه المفردات الجاهزات
الخاويات من المعنى والقصد. الشهرة عدو

السليقة والفطرة والبداهة, واختلاف ما

يقال عما يجب أن يقال. وتحويل الواحد إلى

اثنين يتحاوران في غرفة مغلقة النوافذ: من منا يراوغ

نصفه الثاني ... أنا أم أنت؟

الشهرة ضرة العفوي ... وسجن كثير

النوافذ, حسن الإضاءة, والمراقبة

لـو كـنـت صيـا د اً

لو كنت صياداً

لأعطيت الغزالة فرصة أولى

وثانية

وثالثة

وعاشرة،

لتغفو...

واكتفيت بحصتي منها:

سلام النفس تحت نعاسها...

أنا قادر لكنني أعفو

وأصفو

مثل ماء النبع قرب كناسها

لو كنت صيادا

لآخيت الغزالة...

"لا تخافي البندقية

يا شقيقتي الشقية"

واستمعنا، آمِنَيْن، إلى

عواء الذئب في حقل بعيد!

كــابــوس

إذ أصحو فجراً يمرض نهاري. لا يأتيني

الكابوس من الليل، بل من فجْر فاجر،

كما لو أن حزناً ميتافيزيقياً يجرّني إلى

غابة كُحْليّة: هناك مُسلّحون مُقنّعون

وكاميرا. يشدّون وثاقي إلى جذع نخلة

عراقية ثكلى، قرب نخلة أخرى رُبط إلى

جذعها جواد عربي. يسألونني عن اسمي

الرباعي، فأخطئ في اسم أبي وجدّي من

وطأة الفجر. لا أرى سخريتهم المُقنّعة،

لكني أسمعهم يتهامسون: لن نُعدِمَه الآن

دَفعةً واحدة ... فما زلنا في الفصل الأول

من الرواية. نقتله بالتقسيط وعلى دفعات.

وسنكتفي بإعدام الحصان. وعندما فكّوا

وثاقي دَسّوا في جيبي شريط فيديو،

وقالوا: هذا للتدريب على التعذيب ...

وأعادوني إلى البيت. حين شاهدتُ الشريط

لم أفرح بأني حيّ. حزنت لأن الحصان

كان ينظر إليّ بمزيج من الشفقة والتأنيب!

في قرطبة

أبواب قرطبة الخشبية لا تدعوني إلى
الدخول لإلقاء تحية دمشقية على نافورة
و ياسمينة . أمشي في الأزقة الضيقة في
نهار ربيعي مشمس سلس. أمشي خفيفا
كأني ضيف على ذاتي و ذكرياتي ، كأني
لست قطعة أثرية يتداولها السياح .
لا أربت على كتف ماضي بفرح يتيم ،
كما تتوقع مني قصيدة مرجأة . ولا
أخاف الحنين منذ أغلقت عليه حقيبة
السفر ، بل أخاف الغد الراكض أمامي
بخطى الكترونية . كلما تطفلت عليه نهرني
قائلا : ابحث عن الحاضر . لكن الشعراء
كثر في قرطبة . أجانب و أندلسيون . يتحدثون
عن ماضي العرب و عن مستقبل الشعر.
و في حديقة ، قليلة الشأن و الشجر ،ارى نصبا
بحجم الكف لابن زيدون و ولادة ، فأسأل
احد شعرائي المفضلين ، ديريك ولكوت ، إن
كان يعرف شيئا عن الشعر العربي ، فلا
يأسف عندما يقول : كلا...لا شيء ، و مع
ذلك بقينا ثلاثة أيام لم نتوقف
فيها عن الضحك و السخرية من الشعر و الشعراء

الذين وصفهم بلصوص الاستعارات ...
سألني : كم استعارة سرقت ، فأخفقت في
جواب . و تبارينا في مغازلة القرطبيات,
و سألني : إذا أعجبت بامرأة فهل تتقدم
منها ؟ قلت: على قدر جمالها جرأتي ...
و أنت ؟ قال : أما أنا ، فإذا أعجبتني امرأة
جاءت إلي . قلت : لأنك ملك و ابن ...
ما لا اعرف . و كانت زوجته الثالثة تضحك.
و في قرطبة ، وقفت أمام بوابة بيت خشبية
و بحثت في جيبي عن مفاتيح بيتي القديم،
كما فعل نزار قباني . لم اذرف دمعة ،
لان الجرح الجديد يخفي ندبة الجرح القديم
لكن ديريك ولكوت فاجأني بسؤال جارح :
لمن القدس ؟ لكم أم لهم ؟

يمشي على الغيم في أحلامه، ويرى
ما لا يرى. ويظن الغيم يابسة...
عال هو الجبل

أعلى وأبعد. لا شيء يذكره
باللامكان، فيمشي في هواجسه
يمشي ... ولا يصلُ

كأنه هو، أو إحدى صفات «أنا»
وقد تقاسمها الضدان بينهما:
اليأس والأملُ
كان الضباب كثيفاً في قصيدته
وكان يصعد من حلمي، فقلت له:
عال هو الجبل

لا أنتبه

أرى ما أرى

دون أن أنتبه

وإذ, لا أرى ما أرى

يورطني القلب به

وأحيا

كأني أنا

أو سواي

ولا أنتبه!

تــلــك الــكــلــمــة

أعجبته كلمة

فتح القاموس,

لم يعثر عليها,

وعلى معنى ضبابي لها ...

لكنها تسكنه في الليل

موسيقية منسجمة

مع ذات مبهمة

قال: لا بد لها من شاعر

ومجاز ما لتخضر وتحمر

على سطح الليالي المعتمة

ما هي؟

وجد المعنى

وضاعت منه تلك الكلمة

صدى

في الصدى بئرٌ

وفي البئر صدى

والمدى

يبدو رمادياً حيادياً

كما لو أن حرباً لم تقع

أو وقعت أمس,

وقد تأتي غداً...

في الصدى بئر

وفي البئر صد

وأنا أبحث ما بينهما

عن مصدر الصوت

سدى!

شجرة الزيتون الثانية

شجرة الزيتون لا تبكي ولا تضحك .هي
سيدة السفوح المحتشمة .بظلها تغطي
ساقها ،ولا تخلع أوراقها أمام عاصفة.
تقف كأنها جالسة،وتجلس كأنها واقفة.
تحيا أختاً لأبدية أليفة وجارة لزمن
يعيها على تخزين الزيت النوراني وعلى
نسيان أسماء الغزاة،ما خلا الرومان
الذين عاصروها واستعاروا بعض أغصانها
لضفر الأكاليل.لم يعاملوها كأسيرة حرب ،
بل كجدة محترمة ينكسر السيف أمام
وقارها النبيل في فضة حضرتها المتقشفة
خفر اللون من الإفصاح ،والنظر إلى ما
وراء الوصف ،فلا هي خضراء ولا فضية .
هي لون السلام إذا احتاج السلام إلى فصيلة
لون .لا يقول لها أحد :كم أنتي جميلة !
لكنه يقول:كم أنت نبيلة وجليلة .وهي,
هي التي تدرّب الجنود على نزع البنادق,
وتمرنهم على الحنين والتواضع:"عودوا إلى
بيوتكم, وأضيئوا بزيتي القناديل". لكن
هؤلاء الجنود, هؤلاء الجنود الجدد,

يحاصرونها بالجرافات ويجتثونها من سلالة
الأرض .....ينتصرون على جدتنا التي انقلبت
وصار فرعها في الأرض وجذورها في السماء.
لم تبك ولم تصرخ .إلا أن أحد
أحفادها ممن شاهدوا عملية الإعدام ،رمى
جندياً بحجر، واستشهد معها ، وعندما مضى
الجنود منتصرين , دفناه هناك في الحفرة
العميقة _مهد الجدة .ولسبب ما ،كنا
متأكدين من أنه سيصبح ،بعد قليل ،شجرة
زيتون ... شجرة زيتون شائكة ....وخضراء!

فـي قـرطبـة

أبواب قرطبة الخشبية لا تدعوني إلى
الدخول لإلقاء تحية دمشقية على نافورة
و ياسمينة . أمشي في الأزقة الضيقة في
نهار ربيعي مشمس سلس. أمشي خفيفا
كأني ضيف على ذاتي و ذكرياتي ، كأني
لست قطعة أثرية يتداولها السياح .
لا أربت على كتف ماضي بفرح يتيم ،
كما تتوقع مني قصيدة مرجأة . ولا
أخاف الحنين منذ أغلقت عليه حقيبة
السفر ، بل أخاف الغد الراكض أمامي
بخطى الكترونية . كلما تطفلت عليه نهرني
قائلا : ابحث عن الحاضر . لكن الشعراء
كثر في قرطبة . أجانب و أندلسيون . يتحدثون
عن ماضي العرب و عن مستقبل الشعر.
و في حديقة ، قليلة الشأن و الشجر ، ارى نصبا
بحجم الكف لابن زيدون و ولادة ، فأسأل
احد شعرائي المفضلين ، ديريك ولكوت ، إن
كان يعرف شيئا عن الشعر العربي ، فلا
يأسف عندما يقول : كلا...لا شيء ، و مع

ذلك بقينا ثلاثة أيام لم نتوقف

فيها عن الضحك و السخرية من الشعر و الشعراء

الذين وصفهم بلصوص الاستعارات ...

سألني : كم استعارة سرقت ، فأخفقت في

جواب . و تبارينا في مغازلة القرطبيات,

و سألني : إذا أعجبت بامرأة فهل تتقدم

منها ؟ قلت: على قدر جمالها جرأتي ...

و أنت ؟ قال : أما أنا ، فإذا أعجبتني امرأة

جاءت إلي . قلت : لأنك ملك و ابن ...

ما لا اعرف . و كانت زوجته الثالثة تضحك.

و في قرطبة ، وقفت أمام بوابة بيت خشبية

و بحثت في جيبي عن مفاتيح بيتي القديم،

كما فعل نزار قباني . لم اذرف دمعة ،

لان الجرح الجديد يخفي ندبة الجرح القديم

لكن ديريك ولكوت فاجأني بسؤال جارح :

لمن القدس ؟ لكم أم لهم ؟

صفصافة

صفصافة في ملتقى دربين: هل
جاء الشماليون؟ أم ذهب الجنوبيون؟
لا حرب هناك ولا سلام، والسماء
نظيفة وخفيفة فوق المكان ...
وقال لي، متأبطاً كراسه الشعري:
هذا، يا غريب، هويتي

متداخلاً في الأبجدية. كل حرف ربوة
وحديقة. هو، لا أنا، في الحرف
سيد نفسه. يختار عالمه الخيالي
البعيد من الطبيعة: ربما نقحت
أخطاء الخريطة. ربما أصلحت ما فعل
النحاس بإخوتي ..
ويقول لي: أنا حاضر في كل شيء
غائب عن كل شيء، بين أمس
وحاضري صفصافة
صفصافة في ملتقى زمنين
قلت: فمن تكون؟
فقال لي، متأبطاً كراسه
متورطاً بكلامه الشعري:
هذا ما تبقى من حطام هويتي!

حق العودة إلى الجنة

إذا كان الله قد عاقب آدم , بطرده من

الأبدية إلى الزمن , فإن الأرض منفى , والتاريخ

مأساة ... بدأت بحرب عائلية بين قابيل

وهابيل, ثم تطورت إلى حروب أهلية وإقليمية

وعالمية , ما زالت مستمرة إلى أن يقضي

أحفاد التاريخ على التاريخ. فماذا بعده؟

ماذا بعد التاريخ ؟ يبدو أن حق

العودة إلى الجنة محفوف بالعدم وبالأسرار

الإلهية. أما الطريق الممهّد الوحيد فهو

الطريق إلى الهاوية, حتى إشعار آخر ...

حتى صدور العفو الإلهي.

لــو لا الــخطيـئـة

لا كما ظن آدم !

لولا الخطيئة

لولا النزول إلى الأرض

لولا اكتشاف الشقاء

وإغواء حواء

لولا الحنين إلى جنةٍ غابرة

لما كان شعرٌ

ولا ذاكرة

ولما كان للأبدية معنى العزاء!

خريف إيطالي

أغنية تفتقر إلى كلمات ايطالية . يا له
من خريف ... ويا له من خريف . السماء
لا هي زرقاء ولا هي بيضاء ولا رمادية ، لأن
الألوان وجهات نظر تختلف وتأتلف . الغيوم
الصغيرة مناشف تمسح الرذاذ عن أعالي
الجبال. وترتفع الجبال كلما دنت منها السماء .
الأشجار كائنات أنثوية خرجت للتو من
حمام السحاب لارتجاء طيور لا تهاجر
اليوم ، لأن الخريف لا يومئ إلى زمن
ذابل وشجن . هو عرض أزياء احتفالي
لاشتقاق اللون من اللالون . يهيج الحنين
إلى ما يتلو الوصف ، ويسبق حشرجة
الكهرمان في المضاجع. الخريف شحوب الرخام
إذا ما استيقظت الحواس على نداء العسل .
وأنا هنا ، في ضواحي أكويلا الإيطالية ،
جالس وراء شرفة زجاجية واسعة ترشد
النظر إلى ما ينتظر القلب من سكينة :
في الوادي أبدية تلقي التحية العابرة على
زوارها الصاعدين على سفوح جبال نقش

عليها التاريخ قلاعاً حصينة لصد البرابرة .
ثم هبط على الوادي مجعداً مطاطئ الرأس.
لا شيء يثير فزع الغزلان والأرانب .
ولا شي يرسل حنيني إلى شيء ، وأنا
أتابع أوراق الشجرة المتباطئة في الهبوط
التدريجي إلى الأرض, كامرأة تتعرى على
مهلها في خيال العاشق. أنا هنا ورقة
الشجرة يحملني الهواء إلى نوم شتائي أصحو
منه على برعمي. هنا قرب هذه الأبدية
الأليفة, اللامبالية بتاريخ القلاع, يعثر
زائر مثلي على معنى ما من معاني
الغيوم, فيقول: حمداً للخفّة .. حمداً!

مسافران إلى النهر

رأيت الحب عن بعد خمسة أمتار. رأيته
جالساً على مقعد في قاعة المسافرين إلى
عناوين غير مرتجلة. المطار مزدحم. الفتى
الفرنسي والفتاة اليابانية غريبان عن
الزحام. ملفوفان، كما بدا لي، بغمامة
واحدة زرقاء. يتناوبان النعاس ولا يلتفتان
إلى ما هو خارجهما. تنظر إليه حين يضع
رأسه على كتفها نظرة حريرية تحرص على
ألا تخترقه. كأنها لا تريد له أن يراها
تراه، كأنهما في أول الحب وتخجل من أن
يعرف كم ستحبه. ثم يتبادلان الخفر ...
ينظر إليها حين تضع رأسها على كتفه نظرة
من يخشى على تحفة بلورية هشة من
الانكسار. وحين تلتقي النظرتان على
شغف وشفافية، تنهض الفتاة لتشتري
زجاجة ماء. تسقي الفتاة الفتى كأنها
ترضعه، ويسقيها كما لو أنه يقبّلها
طويت رواية الرحلة لأرى صورة الحب
عن بعد. ارتعشت وانتعشت بموجة عطر

خفي هبت علي من فتاة يابانية وفتى
فرنسي بلغا من الرهافة منزلة غزال وظبية.
لم يقل لها شيئاً. ولم تقل له شيئاً.
فقد اكتفى بفواصل الصمت في الموسيقى
اليابانية. لعلهما لم يبلغا سنّ الكلام عمّا
هما فيه من تلاشي الواحد في الآخر.
لو قالت له شيئاً لكان: النهر الذي
سنجتازه بعد هذه الرحلة يمر قرب بيتنا.
ولو قال لها شيئاً لكان: النهر الذي
سنجتازه بعد هذه الرحلة هو بيتنا!

قـــاتـــل وبـــريء

هو الحب , كالموج

تكرار غبطتنا بالقديم _الجديد

سريع , بطيء

بريء كظبي يسابق دراجة

وبذيء ... كديك

جريء كذي حاجة

عصبي المزاج رديء

هادئ كخيال يرتب ألفاظه

مظلم , معتم ... ويضيء

فارغ ومليء بأضداده

هو الحيوان / الملاك

بقوة ألف حصان , وخفة طيف

وملتبس ,شرس , سلس

كلما فر كر

ويحسن صنعاً بنا ... ويسيء

يفاجئنا حين ننسى عواطفنا

ويجيء ...

هو الفوضوي/ الأناني /

والسيد /الواحد /المتعدد

نؤمن حيناً ونكفر حيناً

ولكنه لا يبالي بنا

حين يصطادنا واحداً واحدة

ثم يصرعنا بيد باردة

إنه قاتل ... بريء

كـأنـهـا أغـنـيـة

كما لو حلمتُ: رأيتكِ بيضاءَ، سمراء,
حنطيّـةً ... تصْطَـفين من اللون تأويله.
تجلسين على ركبتيّ، كأنّكِ أنتِ. كأني
أنا . ولنا ما يُعدُّ لنا الليل من
نزهةٍ في حدائقه الليلكية. كل هناك
هنا. كل شيء لنا. أنت لي, وأنا لك
والظل ـ ظلك يضحك كالبرتقالة. والحلم
أدى مهمته مثل ساعي البريد, وطار
إلى غيرنا. فعلينا إذن أن نكون
جديرين, هذا المساء, بنا ... وبنهر
يرافقنا, ونفيض به ويفيض بنا!

شاعري / آخرى

القصيدة تولد في الليل من رحم الماء.

تبكي ، وتحبو ، وتمشي ، وتركض في الحلم

زرقاء بيضاء خضراء . ثم تشب وتهرب

في الفجر /

يحدث هذا, وشاعرها نائم لا يحس بها

وبما حوله. لا يراها تغافله وتطير إلى

غيره.

في الصباح, يقول: كأني حلمت بها,

بالقصيدة... أين هي الآن؟

يشرب قهوته شارداً, حاسداً غيره

ويقول أخيراً: هنيئاً له شاعري/ آخري!

سماء صافية وحديقة خضراء

السماء الصافية تفكير بلا فكرة كحديقة
كلها خضراء. قصيدة لا عيب فيها سوى
إفراطها في الوضوح. تفتقر السماء إلى
غيمة ولو عابرة لتوقظ الخيال من خَدَر
الأزرق. وتفتقر الحديقة الخضراء إلى
لون أخر، أحمر أو أصفر أو ليلكي،
وإلى بنات آوى، لكي يحار القلب بين الأنواع.
فالجهاز خصم الحافز. والقصيدة
محتاجة إلى ما يشبه الخلل الماكر لكي
نصدِّق الشاعر حين يكذب ويكتب عن حيرة الروح
بين سماء صافية وحديقة
خضراء، فما حاجتنا للشعر إذا قال
الشاعر: إن السماء صافية. وإن
الحديقة خضراء؟

كـلـمـة واحـدة

هسيس الكلمة في اللامرئي هو موسيقى
المعنى، يتجدد في قصيدة يظن قارئها ، من
فرط ما هي سرية ، أنه كاتبها!
كلمة واحدة، كلمة واحدة فقط، تشع
كماسة أو يراعة في ليل الأجناس، هي ما يجعل
النثر شعراً!
وكلمة عادية يقولها لا مبال للا مبال
آخر، على مفترق طرق أو في السوق، هي
ما يجعل القصيدة ممكنة!
وجملة نثرية ، لا وزن فيها ولا إيقاع،
إذا أحسن الشاعر استضافتها في سياق ملائم،
ساعدته على ضبط الإيقاع، وأضاءت له
طريق المعنى في غبش الكلمات.

بيت القصيد

الشيء الناقص في القصيدة ، ولا أعرف ما

هو ، هو سرها المشع ، وهو ذلك

الناقص ،ما أسميه "بيت القصيد"



حين تكون القصيدة واضحة في ذهن الشاعر,

قبل كتابتها ، من السطر الأول حتى الأخير,

يصبح الشاعر ساعي بريد, والخيال دراجة!



ألطريق إلى المعنى ، مهما تشعب وطال,

هو رحلة الشاعر . كلما ضللته الظلال

اهتدى!

❖❖❖

ما هو المعنى؟ لا أعرف. لكني قد

أعرف ما هو نقيضه. نقيضه هو استسهال

العدم!

❖❖❖

ليس الألم موهبة. هو امتحانها : فإما أن

تقهره... أو يقهرها!



كل شعر جميل ... مقاومة

❖❖❖

التراث الحي هو ما يُكتب اليوم ... وغداً

❖❖❖

الشاعر الكبير هو من يجعلني صغيراً حين

أكتب ... وكبيراً حين أقرأ!

❖❖❖

أمشي بين أبيات هوميروس والمتنبي

وشكسبير ... وأمشي وأتعثر كنادل متدرب

في حفلة ملكية!

❖❖❖

الغيمة في خيال الشاعر ... فكرة

❖❖❖

الشعر ... ما هو؟ هو الكلام الذي نقول

حين نسمعه أو نقرأه: هذا شعر!

ولا نحتاج إلى برهان.

هجاء

لا يستقيم مديح السلطانة إلا بقصيدة
عمودية: الصدر للصدرية. والعجز للعجيزة!

ورثاء السلطان مديح تأخر لأسباب
بروتوكولية: لم يأذن الحاجب للشاعر
بدخول القصر وتأدية الواجب. لكن أذن
له بزيارة القبر.

لا أكره شاعراً يكرهني. لكني أعتذر
عما سببت له من ألم!

فـي الـخطابـة والـخطيب

الخطابة، في معظمها الآن هي فنّ ابتذال
المهارة. طبل يناجي طبلاً في ساحة كلما
اتسعت، وجد الصوت متسعاً لامتلاء
الصدى بضجيج الفراغ. يتلقفه الخطيب
ليحشوه بمزيد من هباء المعنى. الصوت،
لا الكلام ، هو السيد مرفوعاً على صدى
تحميه الأكف من خطر السقوط على الحقيقة.
الخطابة ليست ما يريد الخطيب ـ المهرج قوله،
فالصوت يسبق القول الغائب، والخطبة
هي الغاية ... هي ما ترتجله الغريزة
من حماسة الفتك بالخصم، وما يعجب
مشاهدي مصارعة الثيران الساديين من
نصال فارس بلا فروسية. الخطابة هي
إعدام المعنى في ساحة عامة. المبتدأ يبدأ
بعد استراحة الصوت القصيرة لارتشاف جرعة
ماء. أما الخبر المتأخر فهو متروك للارتجال
المتبخر الذي تسنده آية قرآنية أخرجت
من سياقها، أو بيت شعر قاله شاعر في
مدح أمير أمويّ ظنه الخطيب عباسياً، فأثار
التصفيق. التصفيق هو المبتغى والقصد،

يستعيد خلاله الخطيب اللاأفكار القادمة عليه من المشهد, فيبتسم كمن يكافئ جمهوره على حسن ظنهم بذكائهم المكتسب من فائض ذكائه, ويمنحهم نكتة تنوس بين الفكاهة والتفاهة, فيضحكون ويضحك. الخطابة هي تأليب الضجر على الضجر ببلاغة الشكوى مما لحق بالأمة من خطر الضجر. يخلع الخطيب معطفه ليدل الجمهور على موضع ضميره الحي. يضع يده في جيب بنطاله بحثاً عن فكرة, ويتحرك يميناً ويساراً لأنه حائر في تمايز القوم. فإن كانوا يمينيين صدقوه, وإن كانوا يساريين صدقوه. ثم يعود إلى منزلة بين المنزلتين. ولا يكف عن ترديد كلمة: صدقوني! الخطابة هي الكفاءة العالية في رفع الكذب إلى مرتبة الطرب. وفي الخطابة يكون "الصدق زلة لسان"

مـنـا صفـة

تحيا مناصفة ،

لا أنت أنت ، ولا

سواك

أين (أنا) في عتمة الشبه ؟

كأنني شبح

يمشي إلى شبح

فلا أكون سوى شخص مررت به

خرجت من صورتي الأولى

لأدركه

فصاح حين اختفى:

يا ذاتي انتبهي!

أظن

أظن

ولا إثم في مثل ظني

أني

بخيط حريرٍ أقُصُّ الحديد

و أَني

بخيط من الصوف

أَبني خيام البعيد

و أَهرب منها

ومني

لأني ... كأني!

السطر الأول هبة الغيب للموهبة، أما
السطر الثاني فقد يكون شعراً أو خيبة
أمل(فروست). السطر الثاني هو صراع
المجهول مع المعلوم. خلاء الطرق من الإشارات،
وامتلاء الممكن بالأضداد، فكل ممكن ممكن ,

وهو حيرة تقليد المخلوق الخالق هل

.

الكلمة تقود قائلها، أم قائلها يقودها؟ السطر

الثاني لا يوهب، بل يصنع بكفاءة ترويض

اللامرئي.فأنت ترى ولا ترى من شدة
التباس الضوء مع العتمة وأنت .. أنت
الذي منحك الإلهام إشارة البدء وتخلى
عنك لتمضي وحدة في مغامرة بلا بوصلة.

أنت كمن يخرج إلى غابة دون أن تعرف

ما ينتظرك: قطاع طرق، أم طلقة، أم
صاعقة، أم امرأة تسألك: ما لزمن؟
فتقول لها : "توقف الزمن فمري" (بيسّوا) .

الممكن غابة، فعلى جذع أية شجرة تسند
خيالك، ومن أي وحش تنجو؟ إذا

اهتديت إلى السطر الثاني في متاهة الممكن،
عرفت الطريق المعبد إلى موعد مع المستحيل!

أ علـى و أ بـعـد

رطب هواء البحر/

عذب شدو عصفور على الشباك/

هذا ما تبقى من كلام الحلم ...

حين صحوت، عند الفجر، قلت:

لعل لا وعيي البريء يفضّل الإيقاع

حين يقول لي:

"رطب هواء البحر

عذب شدو عصفور على الشباك"

لكن، كان وعيي يرشد المعنى إلى الإيقاع

[أو بالعكس]

حين يقول لي:

صعب صعود التل ... فاصعد

أعلى وأبعد!

قرب ما سيكون

استمعنا إلى ما يقول الكناري

لي ولك:

الشدو في قفص ممكن

والسعادة ممكنة ...

والكناري حين يغني

يقرّب ما سيكون

غداً تنظرين إلى اليوم ـ أمسِ

تقولين: كان جميلاً

وكان قليلاً

ولا تفرحين ولا تحزنين

غداً, نتذكر أنّا تركنا الكناري

في قفص, وحده

لا يغني لنا

بل يغني لقناصة عابرين ...

في مركب على النيل

مركب علي النيل. يوم الثلاثاء. قهوة
وشاي ودخان سجائر. وكلام عن الدنيا
التي لا نعرف غيرها. أما ما يتخيله كل
واحد من المتحلقين حول نجيب محفوظ عما
وراء الدنيا ، فيتقاسمه سرا مع طيور
تحلق فوق نهر الأبدية. وهو ، هو
المستمع بأذن انتقائية ، تأخذ الكلمات وقتها في
الوصول إليه ، لا يريد للمريدين أن
يفسروا كلامه المتقشف بأكثر مما فيه.
يعرف من المدائح ما يكفي ليجعل العبث
زهدا. ولا يريد لأحد أن يحدق إلى
صنم أو منحوتة. لكننا نحج إليه ، لا
لنعرفه... فقد امتلأنا برواياته وتقمصنا
شخوصها ، بل لنحييه علي ما كتب ، ولنحيي
أنفسنا جالسين بحضرة أسطورة حية خرجت
من مخطوطة فرعونية. رأيت نساء قادمات
من أقاصي حرف الضاد يقبلن يده ، فيخجل
ولا يعرف السبب ، كأنه هو ولا هو
في آن واحد. ثم يضحك ضحكة عالية ، ويطلب
سيجارة حان وقتها ليبدد بسحابة
دخانها قداسة لا يصدقها ماكر مثله ،
وللناس التأويل. عاش ليكتب. ومنذ

طعنه خنجر في الرقبة تخلي عن سرد
التفاصيل بدأب النملة، واختار تقطير
النحلة. من يومها، ونحن نجيء إليه
مودعين، فالحياة انتبهت إلي نقصانها وسئم الموت
التأجيل... دون أن نشي بذلك،
ونحن من حوله في مركب علي النيل،
يوم الثلاثاء! لكن يوم الثلاثاء لم يعد موعدنا!

أستمع إلى أم كلثوم كل ليلة منذ,
كان الخميس جوهرتها النادرة, وسائر الأيام
كالعقد الفريد .هي إدمان الوحيد .
وإيقاظ البعيد على صهيل فرس لا تروض
بسرج ولجام نسمعها معا فنطرب واقفين ,
وعلى حدة فتظل واقفين ... إلى أن تومئ
لنا الملكة بالجلوس فنجلس على متر من
ريح . تقطعنا مقطعاً مقطعاً بوتر سحري
لا يحتاج إلى عود وكمان ... ففي حنجرتها
جوقة إنشاد وأوركسترا كاملة , وسر
من أسرار الله. هي سماء تزورنا في
غير أوقات الصلاة , فنصلي على طريقتها
الخاصة في التجلي . وهي أرض خفيفة
كفراشة لا نعرف إن كانت تحضر أم
تغيب في قطرة ضوء أو في تلويحة
يد حبيب. لآهتها المتلألئة كماسة
مكسورة أن تقود جيشا إلى المعركة ....
ولصرختها أن تعيدنا من التهلكة سالمين .
ولهمستها أن تمهل الليل فلا يتعجل قبل
أن تفتح هي أولا باب الفجر. لذلك
لا تغمض عينيها حين تغني لئلا ينعس
الليل. هي الخمرة التي تسكرنا ولا تنفذ .

الوحيدة الوحيدة سعيدة في مملكتها
الليلية ... تجنبنا الشقاء بالغناء, وتحبّبنا
إلى احدى حفيدات فرعون, وتقربنا من
أبدية اللحظة التي تحفرها على جدار معبد
ينصاع فيه الهباء إلى شيء ملموس. هي
في ليلنا مشاع اللا أحد. منديلها.
ضابط إيقاعها , بيرق لفيلق من عشاق
يتنافسون على حب من لا يعرفون .
أما قلبها , فلا شأن لنا به ... من
فرط ما هو قاس ومغلق كحبة جوز يابسة!

في الرباط

في مدينة الرباط، المرفوعةِ على أمواج
الأطلسي العالية، يمشي الشاعرُ على الشارع
بحثاً عن مُصَادَفَة المعنى و عن معنى المصادفة.
يعرف النخيل جيّداً، و يسأل المارة عن
أسماء الأشجار الأخرى، حاملةِ الجَمْر، دون
أن يحصل على جواب واحد، كما لو أَن
الشجر وجهةُ نظر أو استعارة. لكن المارة يسألونه عن
وجهة الاستعارة في قصيدةٍ
ما نسي أنه كاتبها، فلا يقدّم جواباً واحداً،
كما لو أن الاستعارة شجرةٌ مجهولة الاسم.
من تحية إلى تحية، يمشي الشاعر على
الشارع كأنه يمشي في قصيدة غير مرئية،
يفتتحها شيخ مغربي ينحني على كسرة خبز ... ينفض
عنها التراب، و يقبّلها و يَدَّخرها رزقاً
للطيور في ثغرة جدار. و لي ... في
مدينة الرباط مكان شخصي هو مسرح محمد
الخامس. هناك تمتلئ نفسي بما ينقصها
من ضفاف. ما أَعرفه عن نفسي - و هو قليلٌ - يكفي
لأن أتوحَّد مع هذا المعبد المفتوح لمفاجآت
الإلهام. كأني هناك لا أَقرأ و لا أُنشد،
بل أَرتجل ما يملي عليَّ الصمتُ و الضوء الخافت
و العيونُ التي ترسل الإشارات، فأصوغها في

عبارات و أعيدها إلى أَيدٍ تمسك بها
كما لو كانت مادة شفّافة ، مصنوعةً من
هواء. كأني أقرأ شعر غيري، فأطرب
لأنه شعر غيري. و أنا لا أنا إلا بقدر
ما يكون الشعر هو الشاعر. لكني أسترق
النظر إلى فتاة تضحك و تبكي في ركن
القصيدة القصيّ، فأبكي و أَضحك لها
متواطئاً معها على فتح أبواب المسرح
للتأويل. و للمغاربة أن يقولوا : نحن
مَنْ أوحى إليه!

و صف

مرّت كحادثة،

على الكتفين صقران استراحا في العلوّ ...

وصدرها يعلو ويهبط مثل فعل الحب

يحمل توأمين تغامزا وتقافزا فوق الرخام ...

وركبتاها ترسلان البرق للأعمى ...

وساقاها عمودا هيكل من مرمر

يتبادلان الريح والإعجاز ...

والقدمان عصفوران شريران جويان ـ بريان

والشعر المبعثر في مهب الريح

بيرق عسكري يفتح الصحراء ...

والعينان لا تتطلعان إلى ضحاياها

فلا أحد رأى العينين كي يروي

بأي بنفسج صرعته

تلك المرأة ـ الجنية ـ القدر

التي مرت كحادثة ...

ولكني نجوت ولم يصبني أي سوء

غير ضعف الوصف في هذي القصيدة!

فــي سكوغوس

سكوغوس، من ضواحي ستوكهولم. غابة من
أشجار البتولا والصنوبر والحور والكرز
والسرو. وسليم بركات في عزلته المنتقاة
بمهارة المصادفة التي تهبُّ بها الريح على
المصائر. لا يخرج منها منذ صار جزءاً
من المشهد، محاطاً بطيور الشمال:
العقعق والغراب وكسّار الجوز ونقّار
الخشب والزرياب والقُرْقُف والشحرور الأسود
والسمَّان والذيل الحرير. صادقها ريشاً
ومنقارا وذيلا وهجرة، ومنحها صفاتٍ
كردية من مشتقات القلق، لا ليكسر
العزلة، بل ليؤثث شروط الإقامة
في البعيد...بعيدا عما يفعل الكُتّاب
بالكتاب إذا غاروا من بلاغة المنفي...
وقريبا من أُلفة السناجب، والأرانب
والغزلان والثعالب التي تلقي عليه التحية
عبر النافذة، وتهرب وتلعب خلف تمارينه
اللغوية. يستيقظ على تحرُّشات الطير
بزجاج البيت المبنيّ بالطوب والخشب.
يجرُّ عربته الصغيرة إلى سوق اللحم:
نداءِ الحسّيّ للحسّيّ. يختار منه الصريح
المتعطش إلى تدريب المتوحش على آداب

الطهو. ويختار، لتأجيج الرغبة بين
الآكل والمأكول، توابلها الحارقة الحاذقة...
الفُطْر المخصص لمذاق التورية، ونبيذاً
شيرازي النَّسَبِ يوقظ في الشاعر نزعته
إلى الطرب في خريف المنفى. يجر عربته
الصغيرة وسط الغابة برفقة طيور الشمال
التي تعرفه من فانيلته المبللة بالمطر والعرق.
فلا أحد سوى كوردي مثله يتجاسر
على مناخ البلطيق. وهو إذ يهجس الآن
فلا يهجس إلا بالطهو: قصيدة نهاره
المرئية. الطهو موهبة اليد المدربة
على وضع الملائم في الملائم، وعلى
إدراك المتخيل الشعوري بالرائحة والطعم،
وعلى إبداع المعنى الحسي مما كان بدائي
الشكل. الطهو شعر الحواس إذا
اجتمعت في يد... قصيدة تؤكل ولا
تتحمل خللاً في التوازن بين العناصر.
وسليم بركات لا يتحمل الثناء، منذ
صار سريع البكاء!

جهة المنفيّ

يتلفت المنفيّ نحو جهاته

وتفر منه المفردات - الذكريات

ليس الأمام أمامه

ليس الوراء وراءه

وعلى اليمين إشارة ضوئية

وعلى اليسار إشارة أخرى

فيسأل نفسه:

من أين تبتدئ الحياة ؟

- لابد لي من نرجس

لأكون صاحب صورتي!

ويقول: إن الحر من يختار منفاه

لأمر ما ...

أنا حرٌ إذن

أمشي ... فتتضح الجهات

بـولـيـفـا ر سـا ن ـــ جـيـرمـا ن

يقول لي جورج شتينر: على الشاعر أن
يكون ضيفاً ...
أقول: ومضيفاً!



الأوراق الذابلة، النازلة من شجر يتعرى،
كلمات تبحث عن شاعر ماهر يعيدها إلى
الأغصان!



كلما تخفى الإيقاع في الصورة صار موسيقى
مصاحبة للفكرة!



جالساً مع بيتر بروك، تحلق فوقنا طيور
أرسطوفان وفريد الدين العطار في رحلة مشتركة
إلى تخوم المعنى.



منفي؟ يحن إليه الزائر، لأنه نزهة
الطائر في رحلة لا يسأله فيها أحد: ما
اسمك؟ وماذا تريد؟



في الحافلة، أتطلع إلى الرصيف، فأراني
جالساً على مقعد المحطة في انتظار حافلة!



التظاهر بالحياد الصعب في القصيدة والرواية،
هو الجريمة الأخلاقية الوحيدة التي تغتفر!



كسر الإيقاع، بين حين وآخر، هو ضرورة
إيقاعية.



أترك الجانب الآخر من حياتي، حيث يريد
الإقامة. وأتبع ما تبقى من حياتي بحثاً عن الجانب
الآخر منها.



إحساسي يقفز مني، يحمل مظلة ويسير
تحت المطر. إحساسي فعل خارجي كالمطر.

❖❖❖

رياح الخريف تكنس الشارع, وتعلمني مهارة الحذف. الحذف كتابة.

حيــاة مـبـتـدئـة

في حانوت خبز, على ناصية شارع باريسي
ضيِّق... أَحتسي قهوتي الأولى. صباحاً
تختلط رائحة الخبز برائحة القهوة، و توقظان
فيَّ شهية على حياة طازجة .. حياة
مبتدئة، و على سلام طوعي مع الأشياء
الصغيرة، و مع حمامات تُؤْثِرُ المشي بين
المارة و السيارات على الطيران. لا أَجد غيري
يجلس وحيداً إلا من دفتر يوميات.
لكني أحس بأني أشارك السيدات المتقدمات
في العمر حماستهنّ تجاه تفاصيل يروينها عن
حياةِ غيرهنّ. و أُشارك بائعات الخبز و النادلات
الجميلات حيادهنَّ اللبق تجاه مغازلات الزبائن
المتقدمين، أكثر مني، في السن. أَتباطأ في
احتساء قهوتي لأحافظ على صحبة مفترضة
مع ما حولي، فليس للغريب إلا اختراع
أُلفة ما مع مكان ما. و أَنا اخترت هذا
الركن من حانوت الخبز لتأليف عادة يومية،
كأني على موعد مع ذكريات مجتهدة تعتمد
على نفسها في النمو. و أَسترسل في التفكير
بتاريخ الخبز: كيف اكتُشِفَتْ حَبَّةُ القمح
الأولى في سنبلةٍ خضراء مجدولةٍ كضفيرة.
و كيف راقبها شخص ما إلى أن نضجت و اصفَرَّتْ؟

و كيف خطر على باله أن يطحنها و يعجنها
و يخبزها حتى وصل إلى هذه المعجزة؟ أَرى
حقولاً بعيدة في زمن بعيد ، و أتساءل:
كم استغرق هذا الإبداع من الوقت؟ تعلو رائحة
الخبز الطازج، و أنظر في ساعتي .. ثم أَعود
من آلاف السنين إلى حياة مبتدئة!

يـد الـتـمـثـال

يد التمثال، تمثال الجنرال أو الفنان،
ممدودة ... لا لتحية الشمس والمطر،
أو الجنود القدامى والمعجبين الجدد.
يد التمثال ممدودة كيد متسول نبيل
يطلب تبرعات من العابرين، لا لمساعدته
على المشي .. بل لدفع نفقات الخلود.
فلا تحظى يد الغرانيت الممدودة،
لا تحظى في أحسن الأحوال، إلا
بباقة ورد حملها رجل إلى امرأة ...
تركته وحيداً قرب التمثال!

فـي بـيـروت

بيروت: شمس ومطر. بحر أزرق/
أخضر وما بين اللونين من قربى ومصاهرة.
لكن بيروت لا تشبه نفسها هذه المرة.
تنظر إلى صورتها في المرآة, وتسأل:
لماذا تريدين أن تشبهي غيرك يا جميلة؟
تضع جمالها على موجة قلقة, وتخفي
أدوات الزينة في الأدراج. تسرح
شعرها بيدين نزقتين وتنتظر, دون
أن تعرف ما تنتظر كوردة على قارعة
الطريق العام. لكن المناخ مكتظ بأسرار
الغيوم القادمة من جهتين: من الصحراء
ومن البحر ... ولا سيطرة للخيال على فوضى
المفاجآت. تضع خيالها جانباً, وتسلم
نفسها لأغنية تمدح اللامعنى دون أن
ترقى إلى شرف العبث. بيروت محرومة
من نسيان جرحها, ومحرومة من تذكر
غدها المتروك لرمية نرد في لعبة بلا
قواعد, كتجريبيّة شعر ما بعد الحداثة
في مقاهيها الخالية من الروّاد. لا أحد
يربح, والكل خاسر, حتى لو قال صديقي
أنسي الحاج" والرابح يخسر والخاسر

يريح". بيروت الحزينة تخدر حزنها
بأغنية سابقة عن زمن سابق: عن
ريف وأرز وبراءة ومبارزة بين عاشقين
على عروس. فينام الحزن لساعات, لكن
الخوف لا ينام. بيروت خائفة على نفسها
ومن نفسها, ومما تعدّ لها العاصفة
من معلوم في صورة مجهول!

أربعون حزيران: دبابة في الطريق إلى
البيت. بروج مراقبة عسكري لرصد الطيور.
حمام يحلق في نصف دائرة. نخلة عاقر
ضجر فاجر يقتل الأخ فيه أخاه, ويهرب
من أمه. وشعار يضيء الشوارع:"ونحن
نحب الحياة ونكره أعداءها". شارع ضيق
لا تمر به الفتيات. مظاهرة للتلاميذ
ضد الخرائط. "لا رب ينزل عن
عرشه" ـ قال لي عابر ساخر: ليس
لي بطل منذ جاء حزيران مسترسلاً.
أنا والله صرنا وحيدين! ما الزمن
الآن؟ ـ في ساعتي خلل ـ قلت.
قال: وفي ساعتي خلل مزمن مرت
الشاحنات تقل بضائع عبرية التسميات:
صناديق ماء. فواكه. قمحاً وخمراً. فقال:
كأنّا نسينا ينابيعنا والكروم وأسماءنا
وكأن القناع هو اسم الهوية: أن لا
نُرى واضحين نَرى الغامضين هنا جيداً.
وهنا أربعون حزيران . أرض تقل وسكانها
يكثرون ... يفيضون عن حاجة العشب للفقراء
وعن حاجة الإشكناز إلى العملل العربي.
ولكنهم يصمدون, ولو مرغمين , ولا يرحلون

إلى كندا. هذه أرضنا, والسماء حقيقية
لا مجاز فيها ... وعالية مثل آمالنا, قال لي:
هل حزيران ذكرى؟ فقلت: هي الجرح
ينزف حياً وحيا, ولو قال صاحبه: قد
نسيت الألم!

لـيـتـنـا نُـحسد

تلك المرأة المهرولة المكللة ببطانية
صوف وجرة ماء ،تجر بيدها اليمنى
طفلا ، وبيدها اليسرى أخته ، ومن
ورائها قطيع ماعز خائف ، تلك المرأة
الهاربة من ساحة حرب ضيقة إلى ملجأ
غير موجود ، اعرفها منذ ستين عاما.
إنها أمي التي نسيتني على مفترق طرق،
مع سلة خبز ناشف وعلبة كبريت
أفسدها الندى.
وتلك المرأة التي أراها الآن في الصورة
ذاتها على شاشة تلفزيون ملون ... أعرفها
جيداً منذ أربعين عاماً. هي أختي التي
تكمل خطى أمها ـ أمي في سيرة التيه:
تهرب من ساحة حرب ضيقة إلى ملجأ
غير موجود.
وتلك المرأة التي سأراها غداً في
المشهد ذاته، أعرفها هي أيضاً. إنها
ابنتي التي تركتها على قارعة القصائد
كي تتعلم المشي فالطيران إلى ما وراء
المشهد. فلعلّها تثير إعجاب المشاهدين
وخيبة القناصة. إذ إن صديقاً ماكراً

قال لي: آن لنا أن ننتقل, إذ ما

استطعنا, من موضوع يشفق عليه ...

إلى ذات تحسد!

أنت منذ الآن, غيرك

هل كان علينا أن نسقط من عُلُوّ شاهق،
ونرى دمنا على أيدينا... لنُدْرك أننا لسنا
ملائكة.. كما كنا نظن؟

وهل كان علينا أيضاً أن نكشف عن عوراتنا
أمام الملأ، كي لا تبقى حقيقتنا عذراء؟

كم كَذَبنا حين قلنا: نحن استثناء!

أن تصدِّق نفسك أسوأُ من أن تكذب
على غيرك!

أن نكون ودودين مع مَنْ يكرهوننا، وقساةً
مع مَنْ يحبّوننا - تلك هي دُونيّة المُتعالي،
وغطرسة الوضيع!

أيها الماضي! لا تغيِّرنا... كلما ابتعدنا عنك!

أيها المستقبل: لا تسألنا: مَنْ أنتم؟
وماذا تريدون مني؟ فنحن أيضاً لا نعرف.

أَيها الحاضر! تحمَّلنا قليلاً، فلسنا سوى
عابري سبيلٍ ثقلاءِ الظل!

الهوية هي: ما نُورث لا ما نَرِث. ما نخترع
لا ما نتذكر. الهوية هي فَسادُ المرآة
التي يجب أن نكسرها كلّما أعجبتنا الصورة!

تَقَنَّع وتَشَجَّع، وقتل أمَّه.. لأنها هي ما
تيسَّر له من الطرائد.. ولأنَّ جنديَّةً
أوقفته وكشفتْ له عن نهديها قائلة: هل
لأمِّك، مثلهما؟

لولا أن محمداً هو خاتم الأنبياء، لصار
لكل عصابةٍ نبيّ، ولكل صحابيّ ميليشيا

أعجبنا حزيران في ذكراه الأربعين: إن لم
نجد مَنْ يهزمنا ثانيةً هزمنا أنفسنا
بأيدينا لئلا ننسى!

مهما نظرتَ في عينيّ.. فلن تجد نظرتي
هناك. خَطَفَتْها فضيحة!

قلبي ليس لي... ولا لأحد. لقد استقلَّ
عني، دون أن يصبح حجراً.

هل يعرفُ مَنْ يهتفُ على جثة ضحيّته —
أخيه: "الله أكبر" أنه كافر إذ يرى

اللّه على صورته هو: أصغرَ من كائنٍ
بشريٍّ سويِّ التكوين؟

أخفى السجينُ، الطامحُ إلى وراثة السجن،
ابتسامةَ النصر عن الكاميرا. لكنه لم يفلح
في كبح السعادة السائلة من عينيه. ربما.
لأن النصّ المتعجِّل كان أَقوى من المُمثِّل.

ما حاجتنا للنرجس ... ما دمنا فلسطينيين؟

وما دمنا لا نعرف الفرق بين الجامع والجامعة،
لأنهما من جذر لغوي واحد، فما حاجتنا
للدولة... ما دامت هي والأيام إلى مصير
واحد؟

لافتة كبيرة على باب نادٍ ليليٍّ: نرحب
بالفلسطينيين العائدين من المعركة. الدخول مجاناً.
وخمرتنا... لا تُسْكِر!

لا أستطيع الدفاع عن حقي في العمل، ماسحَ
أحذيةٍ على الأرصفة, لأن من حق.
زبائني أن يعتبروني لصَّ أحذية - هكذا
قال لي أستاذ جامعي!

""أنا والغريب على ابن عمِّي. وأنا وابن
عمِّي على أَخي. وأَنا وشيخي عليّ". هذا
هو الدرس الأول في التربية الوطنية الجديدة،
في أقبية الظلام.

من يدخل الجنة أولاً؟ مَنْ مات برصاص
العدو، أم مَنْ مات برصاص الأخ؟ بعض
الفقهاء يقول: "رُبَّ عَدُوٍّ لك ولدته أمّك"!

حار الفقهاء أمام النائمين في قبور متجاورة:
هل هم شهداء حرية؟ أم ضحايا متناحرة في
عبث المسرحية؟ حار الفقهاء واتفقوا على
أمر واحد هو: أن الله أعلم.

القاتل قتيل أيضاً!

سألني: هل يدافع حارس جائع عن دارٍ
سافر صاحبها، لقضاء إجازته الصيفية في
الريفيرا الفرنسية أو الايطالية.. لا فرق.
قُلْتُ: لا يدافع!

وسألني: هل أنا + أنا = اثنين؟
قلت: أنت وأنت أقلُّ من واحد.!

لا أَخجل من هويتي، فهي ما زالت قيد
التأليف. ولكني أخجل من بعض ما ورد
في مقدمة ابن خلدون!

أنت، منذ الآن، غيرك!

أنت منذ الآن, أنت

أَنت، منذ الآن، أَنت

الكرملُ في مكانه السيِّد... ينظر من علٍ إلى
البحر. والبحر يتهدَّد، موجةً موجةً، كامرأةٍ
عاشقةٍ تغسل قَدَميْ حبيبها المتكبِّر!

كأني لم أذهب بعيداً. كأني عُدتُ من
زيارة قصيرة لوداع صديقٍ مسافر، لأجد
نفسي جالسة في انتظاري على مقعد حجري
تحت شجرة تُفَّاح.

كل ما كان منفى يعتذر، نيابةً عني،
لكُلّ ما لم يكن منفى!

ألآن، الآن... وراء كواليس المسرح،
يأتي المخاض إلى عذراء في الثلاثين،
وتلدني على مرأى من مهندسي الديكور،
والمصوِّرين!

جرت مياه كثيرة في الوديان والأنهار

.

ونبتت أعشاب كثيرة على الجدران. أَمَّا

النسيان فقد هاجر مع الطيور المهاجرة...

شمالاً شمالاً.

ألزمن والتاريخ يتحالفان حيناً ، ويتخاصمان
حيناً على الحدود بينهما. الصفصافةُ العاليةُ
لا تأبه ولا تكترث. فهي واقفة على
قارعة الطريق.
أَمشي خفيفاً لئلاَّ أكسر هشاشتي. وأَمشي
ثقيلاً لئلاَّ أَطير. وفي الحالين تحميني
الأرض من التلاشي في ما ليس من صفاتها!
في أَعماقي موسيقى خفيَّة ، أَخشى عليها
من العزف المنفرد.
ارتكبتُ من الأخطاء ما يدفعني ، لإصلاحها ،
إلى العمل الإضافيّ في مُسَوَّدة الإيمان
بالمستقبل. من لم يخطئ في الماضي لا
يحتاج إلى هذا الإيمان.
جبل وبحر وفضاء. أطير وأسبح، كأني

طائرٌ جوّ - - مائي. كأني شاعر!!
كُلُّ نثر هنا شعر أوليّ محروم من صَنعَة الماهر.
وكُلُّ شعر، هنا، نثر في متناول المارة.

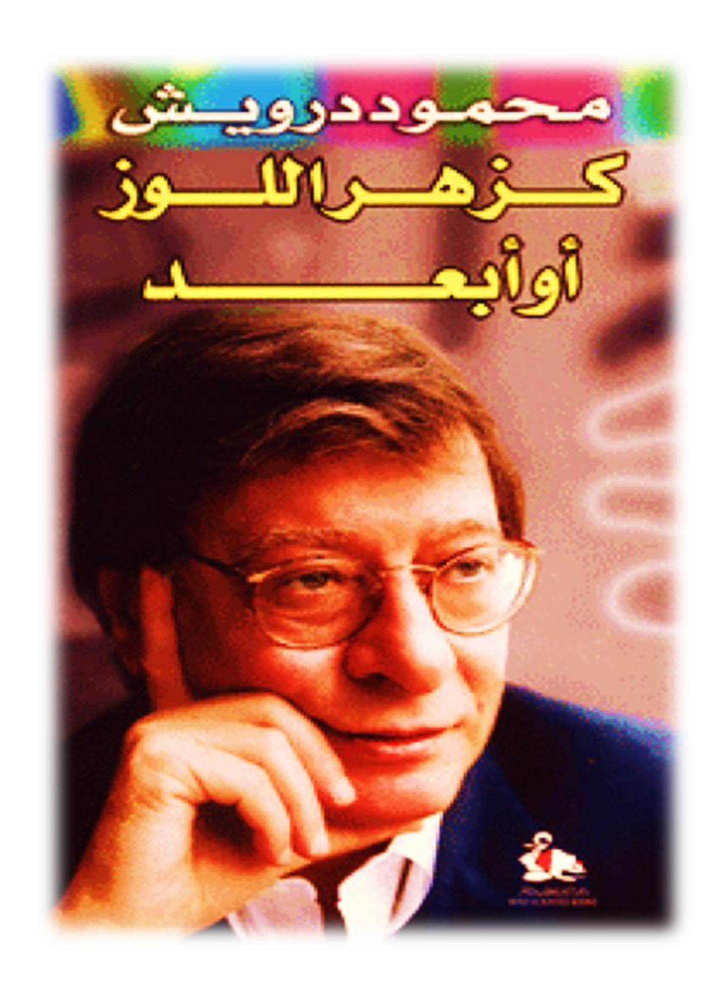
بكُلِّ ما أُوتيتُ من فرح، أُخفي دمعتي
عن أوتار العود المتربِّص بحشرجتي، والمُتَلصِّص
على شهوات الفتيات.
ألخاص عام. والعام خاص... حتى إشعار
آخر، بعيد عن الحاضر وعن قصد القصيدة!
حيفا! يحقّ للغرباء أن يحبُّوكِ، وأن ينافسوني
على ما فيك، وأن ينسوا بلادهم في
نواحيك، من فرط ما أنت حمامة تبني عُشَّها
على أنف غزال!!
أنا هنا. وما عدا ذلك شائعة ونميمة!
يا للزمن! طبيب العاطفيين... كيف يُحوِّل
الجرح ندبة، ويحوِّل الندبة حبَّة سمسم.
أنظر الى الوراء، فأراني أركض تحت المطر. هنا،
وهنا، وهنا. هل كنتُ سعيداً دون أن أدري؟
هي المسافة: تمرين البصر على أعمال البصيرة،
وصقلُ الحديد بناي بعيد.
جمال الطبيعة يهذِّب الطبائع، ما عدا طبائع مَنْ
لم يكن جزءاً منها. الكر مل سلام. والبندقية نشاز.

على غير هُدىً أمشي. لا أبحث عن شيء. لا
أبحث حتى عن نفسي في كل هذا الضوء.
حيفا في الليل... انصراف الحواس إلى أشغالها
السرية، بمنأى عن أصحابها الساهرين على الشرفات.
يا للبداهة! قاهرة المعدن والبرهان!
أُداري نُقَّادي، وأُداوي جراح حُسَّادي على
حبٍّ بلادي ... بزِحافٍ خفيف، وباستعارة
حمّالةِ أوجُه!
لم أَرَ جنرالاً لأسأله: في أيّ عامٍ قَتَلتَنِي؟
لكني رأيتُ جنوداً يكرعون البيرة على الأرصفة.
وينتظرون انتهاء الحرب القادمة، ليذهبوا إلى
الجامعة لدراسة الشعر العربي الذي كتبه موتى
لم يموتوا. وأَنا واحد منهم!

خُيِّل لي أن خُطَايَ السابقة على الكرمل هي
التي تقودني إلى «حديقة الأم»، وأَن
التكرار رجع الصدى في أُغنية عاطفية لم تكتمل،
من فرط ما هي عطشى إلى نقصان متجدِّد!
لا ضباب. صنوبرة على الكرمل تناجي أَرزة
على جبل لبنان: مساء الخير يا أُختي!
أعبرُ من شارع واسع إلى جدار سجني

القديم، وأقول: سلاماً يا مُعلِّمي الأول في
فقه الحرية. كُنتَ على حق: فلم يكن الشعر

كـزهـر الـلـوز أو أبـعـد



تـاريـخ الـنشر 2005

عدد الـقـصـائـد 34

فـكـر بـغـيـرك

وأَنتَ تُعِدُّ فطورك ، فكِّرْ بغيرِكَ

[لا تَنْسَ قُوتَ الحمامْ]

وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيرِكَ

[لا تَنْسَ مَنْ يطلبون السلامْ]

وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيرِكَ

[مَنْ يرضَعُون الغمامْ]

وأَنتَ تعودُ إلى البيت ، بيتكَ، فكِّرْ بغيركَ

[لا تنس شعب الخيامْ]

وأَنت تنام وتُحصي الكواكبَ، فكِّرْ بغيركَ

[ثَمَّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام]

وأَنتَ تحرِّرُ نفسك بالاستعارات، فكِّرْ بغيركَ

[مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكلامْ]

وأَنتَ تفكِّر بالآخرين البعيدين، فكِّرْ بنفسك

[قُلْ: ليتني شمعةٌ في الظلامْ]

الآن... في المنفى

أُلآن في المنفى.... نَعَمْ في البيت،
في السِّتينَ من عُمْرٍ سريعٍ
يُوقدون الشَّمْعَ لَكْ

فافرَحْ, بأقصى ما استطعتَ من الهدوء,
لأنَّ موتاً طائشاً ضَلَّ الطريقَ إليك
من فرط الزحام.... وأَجَّلَكْ

قَمَرٌ فضوليٌّ على الأطلال,
يضحك كالغبيّ
فلا تصدِّقْ أنه يدنو لكي يستقبلَكْ
هُوَ, في وظيفته القديمةِ ، مثل آذارَ
الجديد .... أَعادَ للأشجار أَسماءَ الحنينِ
وأَهمَلَكْ

فلتحتفلْ مع أَصدقائكَ بانكسار الكأس.
في الستين لن تَجِدَ الغَدَ الباقي
لتحملَهُ على كَتِفِ النشيد..... ويحملَكْ

قُلْ للحياةِ, كما يليقُ بشاعرٍ متمِّرسٍ:
سيري ببطء كالإناث الواثقات بسحرهنَّ
وكيدهنَّ. لكلِّ واحدةٍ نداءٌ ما خفيٌّ:

هَيْتَ لَكْ/ ما أَجملَكْ!

سيري ببطءٍ, يا حياةُ, لكي أَراك
بِكامل النُقْصَان حولي. كم نسيتُكِ في
خضمِّكِ باحثاً عنِّي وعنكِ. وكُلَّما أدركتُ
سرّاً منك قُلْتِ بقسوةٍ: ما أَجهلَكْ!

قُلْ للغياب: نَقَصْتَني
وأَنا حضرتُ... لأُكْملَكْ!

حين تطيل التأمُّل

حين تُطيلُ التأمُّلَ في وردةٍ
جَرَحتْ حائطاً وتقول لنفسكَ:
لي أَملٌ في الشفاء من الرملِ /
يخضرُّ قلبُكَ...

حين تُرَافِقُ أُنثى إلى السيرك
ذاتَ نهارٍ جميلٍ كأَيقُونةٍ...
وتحلُّ كضيفٍ على رقصة الخيلِ /
يحمرُّ قلبُكَ....

حين تَعُدُّ النجومَ وتخطيء بعد
الثلاثةَ عشرَ، وتنعس كالطفل
في زُرقَة الليلِ /
يبيضُّ قلبُكَ ...

حين تَسيرُ ولا تجد الحُلْمَ
يمشي أَمامك كالظلّ /
يصفرُّ قلبك ...

إن مشيت على شارع

إن مَشَيْتَ على شارعٍ لا يُؤَدِّي إلى هاويةْ
قُلْ لمن يجمعون القمامةَ : شكراً!

إن رجعتَ إلى البيت ، حيّاً ، كما ترجع القافيةْ
بلا خَلَلٍ، قُلْ لنفسك : شكراً!

إن توقَّعْتَ شيئاً وخانك حَدْسُك , فاذهبْ غداً
لترى أَين كُنْتَ، وقُلْ للفراشة: شكراً!

إن صرختَ بكُلِّ قواك ، وردَّ عليك الصدى
((مَنْ هناك؟)) فقل للهويّة : شكراً!

إن نظرتَ إلى وردةٍ دون أن توجعَكْ
وفرحتَ بها, قل لقلبك: شكراً!

إن نهضت صباحاً , ولم تجد الآخرين مَعَكْ
يفركون جُفُونَكَ ,قل للبصيرة:شكراً!

إن تَذَكَّرْتَ حرفاً من اُسمكَ واُسمِ بلادكَ,
كُنْ وَلَداً طيِّباً!
ليقول لك الربُّ: شكراً!

مقهى , وأنت مع الجريدة

مقهىً وأَنتَ مع الجريدة جالسٌ
لا , لَسْتَ وحدَك. نِصْفُ كأسك فارغٌ
والشمسُ تملأُ نصفها الثاني...
ومن خلف الزجاج ترى المشاة المسرعين
ولا تُرَى ولكن لا تُرَى !
كم أَنت حُرٌّ أَيها المنسيُّ في المقهى!
فلا أَحدٌ يرى أَثَرَ الكمنجة فيك,
لا أَحَدٌ يحملقُ في حضوركَ أَو غيابكَ,
أَو يدقِّقُ في ضبابك إن نظرتَ
إلى فتاةٍ وانكسرت أَمامها....
كم أنت حُرٌّ في إدارة شأنك الشخصيِّ
في هذا الزحام بلا رقيب منك أَو
من قارئ!
فاصنع بنفسك ما تشاء، اخلع
قميصك أو حذاءك إن أَردتَ، فأنت
منسيٌّ وحُرٌّ في خيالك ، ليس لاسمكَ
أَو لوجهكَ ههنا عَمَلٌ ضروريٌّ . تكون
كما تكون.... فلا صديقَ ولا عَدُوٌّ
هنا يراقب ذكرياتِكَ /

فالتمسْ عُذْراً لمن تركتك في المقهى
لأنك لم تلاحظ قَصَّةَ الشَّعْرِ الجديدةَ
والفراشاتِ التي رقصتْ على غمَّازَتَيْها /
والتمسْ عذراً لمن طلب أُغتيالكَ,
ذات يومٍ ' لا لشيءٍ ... بل لأنك لم
تَمُتْ يوم ارتَطمْتَ بنجمة ... و كَتَبْتَ
أولى الأغنيات بحبرها....
مقهىً، وأَنت مع الجريدة جالسٌ
في الركن منسيّاً ، فلا أَحد يُهين
مزاجَكَ الصافي'
ولا أَحَدٌ يُفكرُ باغتيالكْ
كم أنت منسيٌّ وحُرٌّ في خيالك!

هو ، لا غيره

هُوَ، لا غيره، مَنْ ترجَّل عن نجمةٍ
لم تُصبْهُ بأَيّ أَذى.
قال: أسطورتي لن تعيش طويلاً
ولا صورتي في مخيّلة الناس /
فلتَمْتَحِنِّي الحقيقةُ
قلت له: إن ظَهَرْتَ انكَسرْتَ، فلا تنكسرْ
قال لي حُزْنُهُ النَّبّوي: إلي أين أذهبُ؟
قلت إلى نجمةٍ غير مرئيّةٍ
أو إلى الكهف/
قال يحاصرني واقعٌ لا أُجيد قراءته
قلت دَوِّنْ إذنْ، ذكرياتِكَ عن نجمة بَعُدَتْ
وَغَدٍ يتلكّأُ، واسألْ خيالك: هل
كان يعلم أنَّ طريقَكَ هذا طويل؟
فقال: ولكنني لا أُجيد الكتابةَ يا صاحبي!
فسألت: كذبت علينا إذاً؟
فأجاب: علي الحُلْم أن يرشد الحالمين
كما الوَحْيُ /
ثم تنهد: خُذْ بيدي أيها المستحيل!
وغاب كما تتمنَّى الأساطيُر /

لم ينتصر ليموت، ولم ينكسر ليعيش

فخذ بيدينا معاً، أيها المستحيل !

لـم يـنـتـظر أحـد اً

لم ينتظر أَحداً،

ولم يشعر بنقصٍ في الوجودِ،

أمامه نَهْرٌ رماديٌّ كمعطفه،

ونُورُ الشمس يملأ قلبَهُ بالصَّحْوِ

والأشجارُ عاليةٌ /

ولم يشعر بنقصٍ في المكانِ،

المقعدُ الخشبيٌّ، قهوتُهُ، وكأسُ الماءِ

والغرباءُ، والأشياءُ في المقهى

كما هِيَ،

والجرائدُ ذاتُها: أَخبارُ أمسِ، وعالمٌ

يطفو على القتلى كعادتِهِ /

ولم يَشْعُرْ بحاجتِهِ إلى أَملٍ ليؤنسهُ

كأنْ يخضوضرَ المجهول في الصحراءِ

أو يشتاقَ ذئبٌ ما إلى جيتارةٍ،

لم ينتظر شيئاً، ولا حتى مفاجأةً،

فلن يَقْوَى على التكرار... أعرفُ

آخر المشوار مُنْذُ الخطوة الأولى -

يقول لنفسه - لم أَبتعِدْ عن عالمٍ،

لم أقتربْ من عالمٍ

لم ينتظر أَحداً.. ولم يشعر بنقصٍ

في مشاعره. فما زال الخريفُ مضيفَهُ الملكيَّ،

يُغْريه بموسيقى تعيد إليه عصر النهضة

الذهبي ... والشعرَ المُقَفى بالكواكب والمدى

لم ينتظر أَحداً أمام النهر /

في اللا إنتظار أُصاهر الدوريَّ

في اللا إنتظار أكون نهراً - قال -

لا أَقسو على نفسي، ولا

أَقسو على أحدٍ،

وأنجو من سؤال فادحٍ:

ماذا تريد

ماذا تريد؟

بُرْتُقَالّيةً، تدخلُ الشمس في البحرِ /
والبرتقالةُ قنديلُ ماءٍ على شَجَرٍ باردٍ

برتقاليةً، تَلِدُ الشمسُ طفلَ الغروب الإلهيَّ /
والبرتقالةُ,إحدى وصيفاتها ،تتأمَّلُ مجهولها
برتقاليةً, تسكب الشمسُ سائلها في فمِ البحرِ
والبرتقالةُ خائفة من فمٍ جائعٍ

برتقاليةً، تدخل الشمسُ في دورة الأبديّةِ /
والبرتقالةُ تحظى بتمجيد قاتِلِها :
تلك فاكهةٌ مثل حَبَّة شمسٍ
تُقَشَّرُ باليد والفمِ، مَبْحُوحَةُ الطعمِ
ثرثارةُ العطر سكري بسائلها...
لونها لا شبيهَ له غيرها،
لونها صِفَةُ الشمس في نومها
لونها طعمها : حامضٌ سُكَّريٌّ،
غنيٌّ بعافية الضوء والفيتامين C..

وليس على الشعر من حَرَجٍ إنْ
تلعثم في سَرْدِهِ، وانتبهْ
إلى خَلَلٍ رائعٍ في الشَّبَهْ!

هنـــالـــك عُرْس

هنالك عُرْسٌ علي بُعْدِ بيتين منا ،
فلا تُغْلِقُوا البابَ... لا تحجبوا نزوةَ
الفَرَح الشاذِّ عنا. فإن ذبلت وردةٌ
لا يحسُّ الربيع بواجبه في البكاء
وإن صَمتَ العندليبُ المريضُ أَعارَ الكناريَّ
حصِّتَهُ في الغناء. وإن وقعت نجمةٌ
لا تُصَابُ السماء بسوء...
هنالك عُرْسٌ،
فلا تغلقوا الباب في وجه هذا الهواء
المضمَّخ بالزنجبيل وخوخ العروس التي
تَنْضجْ الآن [تبكي وتضحك كالماء.
لا جُرْحَ في الماء. لا أَثَرٌ لدمٍ
سال في الليل]
قيل: قويٌّ هو الحُبُّ كالموت!
قُلْتُ: ولكن شهوتنا للحياة
ولو خذلتنا البراهينُ، أَقوى من
الحبّ والموتِ/
فلننه طقس جنازتنا كي نشاركَ
جيراننا في الغناء
الحياة بديهيَّةٌ .. وحقيقيَّةٌ كالهباء!

فـر ا غ فـسيـح

فراغ فسيح. نحاس. عصافير حنطيَّةُ
اللون. صفصافَةٌ. كَسَلٌ. أُفُقٌ مُهْمَلٌ
كالحكايا الكبيرة. أرضٌ مجعَّدةُ الوجه.
صَيْفٌ كثير التثاؤب كالكلب في ظلِّ
زيتونةٍ يابسٍ. عَرَقٌ في الحجارة.
شمسٌ عمودية. لا حياةَ ولا موت
حول المكان. جفافٌ كرائحة الضوء في
القمح. لا ماءَ في البئر والقلب.
لا حُبَّ في عمل الحُبّ... كالواجب الوطنيّ
هو الحُبُّ. صحراءُ غير سياحيّةٍ، غير
مرئيَّةٍ خلف هذا الجفاف. جفافٌ
كحرية السجناء بتنظيف أعلامهم من
بُراز الطيور، جفافٌ كحقّ النساء
بطاعة أزواجهنَّ وهجر المضاجع. لا
عشب أَخضر، لا عشب أصفر. لا
لون في مَرَض اللون. كُلُّ الجهات

رماديّةٌ

لا انتظار إذاً
للبرابرة القادمين إلينا
غداة احتفالاتنا بالوطنْ !

ها هي الكلمات

ها هي الكلماتُ ترفرفُ في البال /
في البال أرضٌ سماويَّةُ الاسم تحملها الكلماتُ
ولا يحلم الميِّتون كثيراً ، وإن حلموا
لا يصدِّقُ أحلامَهُمْ أحَدٌ....
هاي هي الكلماتُ ترفرف في جسدي نحلةً
نحلةً ... لو كتبتُ على الأزرقِ الأزرقَ
اخضرّتِ الأغنياتُ وعادت إليَّ الحياةُ.
وبالكلمات وجدت الطريق إلى الاسم
أقصَرَ... لا يفرح الشعراء كثيراً ، وإن
فرحوا لن يصدِّقهم أَحَدٌ..
قلت: ما زلت حياً لأني أرى الكلمات
ترفرف في البال /

في البال أُغنيّةٌ تتأرجح بين الحضور
وبين الغياب، ولا تفتح الباب إلّا
لكي توصد الباب .. أغنيةٌ عن
حياة الضباب، ولكنها لا تُطيع سوى ما نسيتُ من الكلمات!

لـوصف زهـر الـلـوز

ولوصف زهر اللوز، لا موسوعةُ الأزهار
تسعفني، ولا القاموسُ يسعفني...
سيخطفني الكلام إلى أَحابيل البلاغةِ /
والبلاغَةُ تجرح المعنى وتمدح جُرْحَهُ،
كمذكّرٍ يُمْلي على الأُنثى مشاعرها /
فكيف يشعُّ زهر اللوز في لغتي أَنا
وأنا الصدى؟

وَهُوَ الشفيفُ كضحكة مائية نبتت
على الأغصان من خَفَر الندى...
وَهُوُ الخفيفُ كجملةٍ بيضاءَ موسيقيّةٍ...
وَهُوَ الضعيف كلمح خاطرةٍ
تُطِلُّ على أَصابعنا
ونكتبها سُدَى...
وهو الكثيف كبيت شِعْرٍ لا يُدَوَّنُ
بالحروف /
لوصف زهر اللوز تَلْزُمني زيارات إلى
اللاوعي تُرْشِدُني إلى أَسماء عاطفةٍ
مُعَلَّقةٍ على الأشجار. ما اُسُمهْ؟
ما اسم هذا الشيء في شعريَّة اللاشيء ؟

يلزمني اختراقُ الجاذبية والكلام ،
لكي أحِسَّ بخفة الكلمات حين تصير
طيفاً هامساً ، فأكونها وتكونني
شفّافَةً بيضاءَ /

لا وَطَنٌ ولا منفى هِيَ الكلماتُ،
بل وَلَعُ البياض بوصف زهر اللوز /
لا ثَلْجٌ ولا قُطْنٌ / فما هُوَ في
تعاليهِ على الأشياء والأسماء
لو نجح المؤلِّفُ في كتابة مقطعٍ
في وصف زهر اللوز، لانحسر الضبابُ
عن التلال، وقال شَعْبٌ كاملٌ:
هذا هُوَ /
هذا كلامُ نشيدنا الوطنّي!

فــي الــبـيـت أجـلـس

في البيت أَجلس، لا حزيناً لا سعيداً
لا أَنا، أَو لا أَحَدْ
صُحُفٌ مُبَعْثَرَةٌ. ووردُ المزهريَّةِ لا يذكّرني
بمن قطفته لي. فاليوم عطلتنا عن الذكرى،
وعُطْلَةُ كُلِّ شيء... إنه يوم الأحدْ
يوم نرتِّبُ فيه مطبخنا وغُرْفَةَ نومنا،
كُلٌّ على حِدَةٍ. ونسمع نشرةَ الأخبار
هادئةً، فلا حَرْبٌ تُشَنُّ على بَلَدْ
ألأمبراطورُ السعيدُ يداعبُ اليومَ الكلابَ،
ويشرب الشمبانيا في ملتقى نَهْدَين من
عاجٍ... ويَسْبَحُ في الزَّبَدْ

ألأمبراطور الوحيدُ اليوم في قيلولةٍ،
مثلي ومثلك، لا يُفَكِّر بالقيامة .. فَهْيَ
مُلْك يَمينِهِ، هِيَ الحقيقةُ والأَبدْ!

كَسَلٌ خفيفُ الوزن يطهو قهوتي
والهالُ يصهَلُ في الهواء وفي الجَسَدْ

وكأنني وحدي. أنا هو أو أنا الثاني
رآني واطمأَنَّ على نهاري وابتعدْ

يوم الأَحد

هو أوَّل الأيام في التوراة ، لكنَّ
الزمان يغيِّر العاداتِ: إذ يرتاح
ربُّ الحرب في يوم الأحدْ
في البيت أجلس، لا سعيداً لا حزيناً
بين بين. ولا أُبالي إن علمت بأنني
حقاً أنا ... أو لا أَحَدْ!

أحب الخريف وظل المعاني

أحبُّ الخريفَ وظلَّ المعاني، ويُعْجِبُني
في الخريف غموضٌ خفيفٌ شفيفُ المناديل،
كالشعر غِبَّ ولادته إذ "يُزغلِلُهُ"
وَهَجُ الليل أو عتمةُ الضوء. يحبو
ولا يجد الاسم للشيء /
يعجبني مَطَرٌ خَفِرٌ لا يُبَلِّل إلاَّ
البعيداتِ
[في مثل هذا الخريف تَقَاطَعَ موكبُ عُرْسٍ
لنا مع إحدى الجنازات، فاحتفل الحيُّ
بالمَيْتِ والمَيْتُ بالحيِّ]

يعجبني أن أرى ملكاً ينحني لاستعادة
لؤلؤة التاج من سَمَكٍ في البحيرة /
تُعْجِبنُي في الخريف مشاعيَّةُ اللون، لا
عَرْشَ للذَّهَبِ المُتَواضعِ في وَرَقِ الشجر
المُتَواضِعِ، مثل المساواة في ظمأ الحبِّ /
يعجبني أَنه هدنةٌ بين جَيْشَيْنِ ينتظران
المباراة ما بين شاعِرَتَيْنِ تحبّان فصل الخريف،
وتختلفان على وجه الاستعارةْ
ويُعجبني في الخريف التواطؤُ بين
الرُّؤَى والعبارةْ!

و أمَّا الربيع

وأَمَّا الربيعُ، فما يكتب الشعراءُ السكارى
إذا أَفلحوا في التقاط الزمان السريع
بصُنَّارة الكلمات... وعادوا إلى صحوهم سالمين.

قليلٌ من البرد في جَمْرَةِ الجُلَّنار
يُخفِّفُ من لسعة النار في الاستعارة
[لو كنتُ أَقربَ منكِ إليَّ
لقبَّلْتُ نفسي]

قليلٌ من اللون في زهرة اللوز يحمي
السماوات من حجَّة الَوثنَيِّ الأخيرة
[مهما اختلفنا سَندْرِكُ أَنَّ السعادةَ
ممكنةٌ مثل هَزَّةِ أرضٍ]

قليلٌ من الرقص في مهرجان الزواج الإباحيِّ
بين النباتات سوف ينشِّط دورتنا الدمويَّة
[لا تعرف البذرةُ الموتَ
مهما ابتعدنا]

ولا تخجلُ الأبديَّةُ من أَحَدٍ
حين تمنَحُ عانَتَها للجميع
هنا... في الربيع السريع

كنت أحبّ الشتاء

كُنْتُ في ما مضى أَنحني للشتاء احتراماً ،
وأصغي إلى جسدي. مَطَرٌ مطر كرسالة
حب تسيلُ إباحيَّةٌ من مُجُون السماء.
شتاءٌ. نداءٌ. صدى جائع لاحتضان النساء.
هواءٌ يُرَى من بعيد على فرس تحمل
الغيم... بيضاءَ بيضاءَ. كنت أُحبُّ
الشتاء ، وأَمشي إلى موعدي فرحاً
مرحاً في الفضاء المبلّل بالماء. كانت
فتاتي تنشِّفُ شعري القصير بشعر طويل
تَرَعْرَعَ في القمح والكستناء. ولا تكتفي
بالغناء : أنا والشتاء نحبُّكَ ، فابْقَ
إذاً مَعَنا ! وتدفئ صدري على
شادِنَيْ ظبيةٍ ساخنين. وكنت أُحبُّ
الشتاء ، وأسمعه قطرة قطرة.
مطر ، مطر كنداءٍ يُزَفَ إلى العاشق :
أُهطلْ على جسدي ! ... لم يكن في
الشتاء بكاء يدلُّ على آخر العمر.
كان البدايةَ ، كان الرجاءَ. فماذا
سأفعل ، والعمر يسقط كالشَّعْر ،
ماذا سأفعل هذا الشتاء ؟

كمـا لــو فــرحت

كما لو فَرِحتُ: رجعت. ضغطتُ على
جرس الباب أكثرَ من مرّةٍ, وانتظرتُ....
لعلّي تأخرتُ. لا أَحَدٌ يفتح الباب , لا
نأمةٌ في الممرِّ
تذكرتُ أَن مفاتيح بيتي في منزلي والمضيف.
نظرتُ إلى كل مُحْتَويات الفراغ ,فلم أَرَ
لي أَثَراً, ربما... ربما لم أكن ههنا. لم
أَجد شَبَهاً في المرايا. ففكّرْتُ: أَين
أنا, وصرخت لأوقظ نفسي من الهذيان،
فلم أَستطع ... وانكسرتُ كصوتٍ تَدَحرَجَ
فوق البلاط. وقلت : لمازا رجعت إذاً؟
واعتذرت لنفسي: نسيتُكَ فاخرجْ!
فلم أَستطع. ومشيت إلى غرفة النوم,
فاندفع الحلم نحوي وعانقني سائلاً:
هل تغيَّرتَ؟ قلت من دَهْسِ سيَّارةٍ
في الطريق إلى ساحة خالية!

فـرحـاً بـشـيء مـا

فرحاً بشيءٍ ما خفيٍّ , كُنْتُ أَحتضن
الصباح بقُوّة الإنشاد, أَمشي واثقاً
بخطايَ' أَمشي واثقاً برؤايَ. وَحْيٌ ما
يناديني: تعال ! كأنَّه إيماءةٌ سحريّةٌ,
وكأنه حُلْمٌ ترجَّل كي يدربني على أَسراره'
فأكون سيِّدَ نجمتي في الليل ... معتمداً
على لغتي. أَنا حُلْمي أنا. أنا أُمُّ أُمّي
في الرؤى, وأَبو أَبي, وابني أَنا.

فرحاً بشيءٍ ما خَفيٍّ' كان يحملني
على آلاته الوتريّةِ الإنشادُ. يَصْقُلُني
ويصقلني كماس أَميرة شرقية
ما لم يُغَنَّ الآن
في هذا الصباح
فلن يُغَنّى

أَعطنا ، يا حُبُّ, فَيْضَكَ كُلَّه لنخوض
حرب العاطفيّين الشريفةَ, فالمُناخُ ملائمٌ,
والشمس تشحذ في الصباح سلاحنا,
يا حُبّ ! لا هدفٌ لنا إلاّ الهزيمةَ في

حروبك... فانتصرْ أَنت انتصرْ, سَلِمَتْ
يداك! وَعُدْ إلينا خاسرين... وسالماً!

فرحاً بشيءٍ ما خفيٍّ, كنتُ أَمشي
حالماً بقصيدة زرقاء من سطرين، من
سطرين... عن فرح خفيف الوزن،
مرئيٍّ وسرّيّ معاً
مَنْ لا يحبُّ الآن,
في هذا الصباح،
فلن يُحبّ!

لا أعرف الشخص الغريب

لا أَعرف الشخصَ الغريبَ و لا مآثِرَهُ....
رأيتُ جِنازةً فمشيت خلف النعش،
مثل الآخرين مطأطئ الرأس احتراماً. لم
أَجد سَبَباً لأسأل: مَنْ هُو الشخصُ الغريبُ؟
وأين عاش, وكيف مات [فإن أسباب
الوفاة كثيرةٌ من بينها وجع الحياة]
سألتُ نفسي: هل يرانا أَم يرى
عَدَماً ويأسفُ للنهاية؟ كنت أَعلم أنه
لن يفتح النَّعْشَ المُغَطَّى بالبنفسج كي
يُودِّعَنا ويشكرنا ويهمسَ بالحقيقة
[ما الحقيقة؟ .[رُبِّما هُوَ مثلنا في هذه
الساعات يطوي ظلَّهُ. لكنَّهُ هُوَ وحده
الشخصُ الذي لم يَبْكِ في هذا الصباح،
ولم يَرَ الموت المحلِّقَ فوقنا كالصقر...
[فالأحياء هم أَبناءُ عَمِّ الموت ، والموتى
نيام هادئون وهادئون] ولم
أَجد سبباً لأسأل: من هو الشخص
الغريب وما اسمه؟] لا برق
يلمع في اسمه] والسائرون وراءه

عشرون شخصاً ما عداي[أنا سواي]
وتُهْتُ في قلبي على باب الكنيسة:
ربما هو كاتبٌ أو عاملٌ أو لاجئ
أو سارقٌ, أو قاتلٌ... لا فرق،
فالموتى سواسِيَةٌ أمام الموت ... لا يتكلمون
وربما لا يحملون...
وقد تكون جنازةُ الشخصِ الغريب جنازتي
لكنّ أَمراً ما إلهياً يُؤَجّلُها
لأسبابٍ عديدةْ
من بينها: خطأ كبير في القصيدةْ!

الـجمـيـلات هـن الـجمـيـلات

ألجميلات هُنَّ الجميلاتُ

[نَقْشُ الكمنجات في الخاصرةْ]

أَلجميلات هُنَّ الضعيفاتُ

[عرشٌ طفيفٌ بلا ذاكرةْ]

ألجميلات هُنَّ القويّاتُ

[يأسٌ يضيء ولا يحترقْ]

ألجميلات هُنَّ الأميرات

[رَبَّاتُ وحيٍ قَلِقْ]

ألجميلاتُ هُنَّ القريباتُ

[جاراتُ قوس قُزَحْ]

ألجميلات هُنَّ البعيداتُ

[مثل أغاني الفرحْ]

ألجميلات هُنَّ الفقيراتُ

[كالورد في ساحة المعركةْ]

ألجميلاتُ هُنَّ الوحيداتُ

[مثل الوصيفات في حضرة الملكةْ]

ألجميلات هُنَّ الطويلاتُ

[خالات نخل السماءْ]

ألجميلات هُنَّ القصيراتُ

[يُشرَبْنَ في كأس ماءْ]

ألجميلات هُنَّ الكبيراتُ

[مانجو مُقَشَّرَةٌ ونبيذٌ مُعَتَّقْ]

ألجميلات هُنَّ الصغيراتُ

[وَعْدُ غدٍ وبراعمُ زنبقْ]

ألجميلاتُ، كلُّ الجميلاتُ، أنتِ

إذا ما اجْتَمَعْنَ ليخْتَرْنَ لي أَنبلَ القاتلات !

كمقهى صغير هو الحبّ

كمقهى صغير على شارع الغرباء –
هو الحُبُّ... يفتح أَبوابه للجميع.
كمقهى يزيد وينقُصُ وَفْق المُناخ:
إِذا هَطَلَ المطُر ازداد رُوَّادُهُ،
وإذا اعتدل الجوُّ قَلُّوا وملُّوا..
أنا ههنا – يا غريبةُ – في الركن أجلس
] ما لون عينيكِ؟ ما أُسمك؟ كيف
أناديك حين تَمُرِّين بي, وأنا جالس
في انتظاركِ؟ [
مقهى صغيرٌ هو الحبُّ . أَطلب كأسَيْ
نبيذٍ وأَشرب نخبي ونخبك . أَحمل
قُبَّعتين وشمسيَّةً. إنها تمطر الآن.
تمطر أكثر من أَيِّ يوم ، ولا تدخلين.
أَقول لنفسي أَخيراً: لعلَّ التي كنت
أنتظرُ انتظَرَتْني.... أَو انتظرتْ رجلاً
آخرَ – انتظرتنا ولم تتعرف عليه / عليَّ,
وكانت تقول: أَنا ههنا في انتظارك.

] ما لون عينيكَ؟ أَيَّ نبيذٍ تحبُّ؟
وما اُسمُكَ ؟ كيف أناديكَ حين
تمرُّ أَمامي [
كمقهى صغيرٍ هو الحُبّ....

يـد تـنشر الـصحو

يَدٌ تَنْشُرُ الصَحْوْ أَبيضَ , تسهَرُ,

تنهى وتأمرُ، تنأى وتدنو، وتقسو

وتحنو . يَدٌ تكسر اللازورد بإيماءةٍ,

وترقُّصُ خيلاً على النَّهَوَنْد. يَدٌ تتعالى.

تثرثرُ حين يجفُّ الكلامُ. يَدٌ تكسب

البرق في قَدَح الشاي, تحلُبُ ثَدْيَ

السحابة, تستدرج الناي ((أَنتَ صدايَ)).

يَدٌ تتذكّرُ ما سوف يحدث عما قليل.

يَدٌ تتلألأ في أنجمٍ خمسةٍ... تحرم

الليلَ من حَقِّه في النعاس. يَدٌ تعصُرُ

المفردات فترشح ماءً. يَدٌ تتحدث عن

هجرة الطير منها إليها . يَدٌ ترفع

المعنوياتِ في الكلمات ، يَدٌ تأمر

الجيشَ بالنوم في الثكنات. يَدٌ تتحرَّشُ

بالموج في جسدي. يَدُها هَمْسَةٌ تلمَسُ

الأوجَ: خذني.... هنا الآن... خذني!

قال لها :ليتني كنت أصغر

قال لها : ليتني كُنْتُ أَصْغَرَ...
قالت لَهُ: سوف أكبر ليلاً كرائحة
الياسمينة في الصيفِ
ثم أَضافت: وأَنت ستصغر حين
تنام، فكُلُّ النيام صغارٌ، وأَمَّا أَنا
فسأسهر حتى الصباح ليسودَّ ما تحت
عينيَّ. خيطان من تَعَبٍ مُتْقَنٍ يكفيان
لأَبْدوَ أكبرَ. أَعصرُ ليمونةً فوق
بطني لأُخفيَ طعم الحليب ورائحة القُطْنِ.
أَفرك نهديَّ بالملح والزنجبيل فينفر نهدايَ
أكثر /
قال لها : ليس في القلب مُتَّسَعٌ
للحديقة يا بنت... لا وقت في جسدي
لغدٍ... فاكبري بهدوءٍ وبُطْءٍ
فقالت له: لا نصيحةَ في الحب. خذني
لأكبَرَ! خذي لتصغرَ
قال لها : عندما تكبرين غداً ستقولين:
يا ليتني كُنتُ أَصغرَ

قالت له: شهوتي مثل فاكهةٍ لا
تُؤَجَّلُ... لا وَقْتَ في جسدي لانتظار
غدي!

لا أنــام لأحـلـم

لا أَنامُ لأحلم   - قالت لَهُ
بل أَنام لأنساكَ. ما أطيب النوم وحدي
بلا صَخَبٍ في الحرير، أُبتعدْ لأراكَ
وحيداً هناك، تفكّر بي حين أنساكَ /
لا شيء يوجعني في غيابكَ
لا الليل يخمش صدري ولا شفتاكَ ...
أنام على جسدي كاملاً كاملا
لا شريك له،
لا يداك تشقّان ثوبي، ولا قدماكَ
تَدُقّانِ قلبي كبُنْدقَةٍ عندما تغلق الباب /
لا شيء ينقصني في غيابك:
نهدايَ لي. سُرَّتي. نَمَشي. شامتي،
ويدايَ وساقايَ لي. كُلُّ ما فيَّ لي
ولك الصُّوَرُ المشتهاةُ، فخذْها
لتؤنس منفاكَ، وأُرفع رؤاك كَنَخْبٍ
أخير. وقل إن أَردت: هَواكِ هلاك.

وأَمَّا أَنا، فسأُصغي إلى جسدي
بهدوء الطبيبة: لاشيء، لاشيء
يُوجِعُني في الغياب سوى عُزْلَةِ الكون!

نسيَتْ غيمةً في السرير

نسيَتْ غيمةً في السرير. على عَجَلٍ
وَدَّعتني وقالت: سأنساك. لكنها
نسيت غيمة في السرير. فغطّيتُها بالحريرِ
وقلتُ لها: لا تطيري ولا تتبعيها.
ستأتي إليكِ.
[وكانت عصافيرُ زرقاءُ، حمراءُ،
صفراءُ ترتشف الماء من غيمةٍ
تتباطأ حين تطل على كتفيها]
ستُدْرِكُ حين تعود إلى بيتها، دون
حاشيةٍ من عصافيرَ، أنَّ المناخ تغيّر
في ساحل الكتفين، وأن السحاب تبخر/
عندئذٍ تتذكَّرُ ما نسيتْ: غيمةً في
سريري، فترجع كي تستعيد تقاليدها
الملكية في غيمة ...
فشمَمْتُ بها وابتسمتُ.
وحين دخلتُ سريري لأَرقد في
الاستعارة بَلَّلني الماء

هـي / هـو

هِيَ: هل عرفتَ الحبَّ يوماً؟
هُوَ: عندما يأتي الشتاء يمسُّني
شَغَفٌ بشيء غائب، أُضفي عليه
الاسمَ ، أَيَّ اسمٍ ، وأَنسى...
هي: ما الذي تتساه؟ قُلْ!
هو: رَعْشَةُ الحُمَّى، وما أهذي به
تحت الشراشف حين أَشهق : دَثِّريني
دثِّريني!
هي: ليس حُباً ما تقول
هو: ليس حباً ما أَقول
هي: هل شعرتَ برغبة في أن تعيش
الموت في حضن امرأةْ؟
هو: كلما اكتمل الغيابُ حضرتُ...
وانكسر البعيدُ فعانق الموتُ الحياةَ
وعانَقَتْهُ... كعاشقين
هي : ثم ماذا؟
هو: ثم ماذا؟
هي: واتحَّدتَ بها فلم تعرف يديها
من يديك وأَنتما تتبخَّران كغيمةٍ زرقاءَ
لا تَتَبيَّنان أأنتما جسدان... أم طيفان
أَمْ؟

هو: مَنْ هي الأنثى – مجازُ الأرض

فينا؟ مَنْ هو الذَّكرُ – السماء؟

هي: هكذا ابتدأت أغاني الحبّ. أَنت إذن

عرفتَ الحب يوماً!

هو: كلما اكتمل الحضورُ ودُجِّن المجهول...

غبتُ

هي: إنه فصل الشتاء، ورُبَّما

أصبحتُ ماضيَكَ المفضَّل في الشتاء

هو: ربما.... فإلى اللقاء

هي: ربما... فإلى اللقاء!

هي لا تحبك أنت

هي لا تحبُّكَ أَنتَ

يعجبُها مجازُكَ

أَنتَ شاعرُها

وهذا كُلُّ ما في الأَمرِ/

يُعجبُها اندفاعُ النهر في الإيقاعِ

كن نهراً لتعجبها!

ويعجبُها جِماعُ البرق والأصوات

قافيةً....

تُسيلُ لُعَابَ نهديها

على حرفٍ

فكن أَلِفاً... لتعجبها!

ويعجبها ارتفاعُ الشيء

من شيء إلى ضوء

ومن جرْسٍ إلى حِسٍّ

فكن إحدى عواطفها .... لتعجبَها

ويعجبها صراعُ مسائها مع صدرها:

[عذَّبْتَني يا حُبُّ

يا نهراً يَصُبُّ مُجُونَهُ الوحشيَّ

خارج غرفتي...

يا حُبُّ! إن تُدْمِني شبقاً

قتلتك !

كُنْ ملاكاً ، لا ليعجبها مجازُك

بل لتقتلك انتقاماً من أُنوثتها

ومن شَرَكِ المجاز..لعلّها

صارت تحبُّكَ أَنتَ مُذْ أَدخلتها

في اللازورد ، وصرتَ أنتَ سواك

في أَعلى أعاليها هناك....

هناك صار الأمر ملتبساً

على الأبراج

بين الحوت والعذراء...

لم تأتِ. قُلْتُ: ولنْ...إذاً
سأعيد ترتيب المساء بما يليق بخيبتي
وغيابها:
أطفأتُ نار شموعها،
أشعلتُ نور الكهرباء ،
شربتُ كأس نبيذها وكسرتُهُ،
أَبدلتُ موسيقى الكمنجات السريعةِ
بالأغاني الفارسيّة.
قلت: لن تأتي. سأنضو رَبْطَةَ
العنق الأنيقة (هكذا أرتاح أكثر)
أرتدي بيجامة زرقاء. أمشي حافياً
لو شئتُ. أجلس بارتخاءٍ القُرْفُصاء
على أريكتها، فأنساها
وأنسى كل أشياء الغياب/
أعَدْتُ ما أعددتُ من أدوات حفلتنا
إلى أدراجها. وفتحتُ كُلّ نوافذي وستائري.
لا سرّ في جسدي أمام الليل إلاّ
ما انتظرتُ وما خسرتُ...
سخرتُ من هَوَسي بتنظيف الهواء لأجلها
(عطرته برذاذ ماء الورد والليمون)
لن تأتي... سأنقل نَبْتَةَ الأوركيدِ

من جهة اليمين إلى اليسار لكي أعاقبها
على نسيانها...
غَطّيتُ مرآة الجدار بمعطفٍ كي لا أَرى
إشعاع صورتها... فأندم/
قلتُ: أنسى ما اقتَبَسْتُ لها
من الغَزَل القديم، لأنها لا تستحقُّ
قصيدةً حتى ولو مسروقةً...
ونسيتُها، وأكلتُ وجبتي السّريعةَ واقفاً
وقرأتُ فصلاً من كتابٍ مدرسيّ
عن كواكبنا البعيدةْ
وكتبت، كي أنسى إساءتها، قصيدة
هذي القصيدةْ!

و أنـتِ مـعـي

وأنتِ معي ' لا أَقول : هنا الآن
نحن معاً. بل أَقول: أَنا ، أَنتِ،
والأَبديةُ نسبح في لا مكانْ

هواءٌ وماءٌ . نفكُّ الرموز. نُسَمِّي '
نُسَمَّى ' ولا نتكلّم إلاّ لنعلم كم
نَحْنُ نَحْنَ... وننسى الزمانْ

ولا أَتذكَّرُ في أَيَّ أرضٍ وُلدتِ،
ولا أَتذكر من أَيّ أَرض بُعثتُ.
هواءٌ وماء ' ونحن على نجمة طائرانْ

وأَنتِ معي يَعْرَقُ الصمتُ, يغرورقُ
الصَّحْوْ بالغيم، والماءُ يبكي الهواء'
على نفسه كلما أُتَّحد الجسدانْ

ولا حُبَّ في الحبِّ
لمنه شَبَقُ الروح للطيرانْ

الآن بعدك

أُلآن بَعْدَكِ... عند قافيةٍ مناسبةٍ
ومنفى ، تُصلح الأشجارُ وقفتها وتضحك.
إنه صيف الخريف ... كَعُطْلَةٍ في غير
موعدها، كثقبٍ في الزمان، وكانقطاعٍ
في نشيد

صيف الخريف تَلفُّتُ الأيام صَوْبَ حديقةٍ
خضراءَ لم تتضج فواكهُها ، وصَوْب حكايةٍ
لم تكتمل: ما زال فينا نَوْرسان يُحَلِّقان
من البعيد إلى البعيدِ

أَلشمسُ تضحَكُ في الشوارع ، والنساءُ
النازلاتُ من الأَسِرَّة ضاحكاتٍ ضاحكاتٍ
يغتسلن بشمسهنَّ الداخلية، عارياتٍ عارياتٍ.
إنه صيف الخريف يجيء من وقت إضافيٍّ
جديد.

صيف الخريف يشُدُّني ويشدُّكِ: أُنتظرا !
لعلَّ نهايةً أُخرى وأجملَ في انتظار كما أمام
محطة المترو. لعلَّ بدايةً دخلت إلى
المقهى ولم تخرج وراءكما . لعلَّ خطابَ

حبٌّ ما تأخَّرَ في البريد.

ألُآنَ بعدك... عند قافية ملائمة
ومنفى ... تُصلِحُ الأشجار وقفتها وتضحك.
أَشتهيك وأَشتهيك وأنت تغتسلينَ
عن بُعْدٍ بشمسك . إنه صيف الخريف

كعطلة في غير موعدها. سنعلم أَنه
فَصْلٌ يدافع عن ضرورته، وعن حُبّ
خرافيٍّ... سعيد

الشمسُ تضحكُ من حماقتنا وتضحكُ
لن أَعود ولن تعودي!

نهار الثلاثاء والجوُّ صافٍ

نهارَ الثُّلاثاء, والجوُّ صافٍ, أَسيرُ
علي شارعٍ جانبيّ مُغَطّى بسقف من
الكستناء... أسير خفيفاً كأني
تبخَّرتُ من جسدي, وكأني علي موعد
مع إحدى القصائد. أنظر في ساعتي
شارداً. أتصفَّحُ أوراق غيم بعيد
تدوِّن فيه السماءُ خواطرَ عليا, أُقلِّبُ
أحوال قلبي علي شجر الجوز: خالٍ
من الكهرباء ككوخ صغير علي شاطىء
البحر. أسْرَعَ, أبطأَ, أسرعَ أمشي.
أحدِّق في اللافتات علي الجانبين...
ولا أحفظ الكلمات. أدندن لحناً
بطيئاً كما يفعل العاطلون عن العمل:
((النهر كالمهر يجري إلى حتفه / البحرِ
والطيرُ تختطف الحَبَّ من كتِفِ النهر))
أَهجس، أَهمس في السرّ: عِشْ
غدك الآن! مهما حَييتَ فلن تبلغ
الغَدَ.... أرضَ للغد، واحلُمْ
ببطء , فمهما حلمت ستدرك أنَّ
الفراشة لم تحترق لتضيئك /

أَمشي خفيفاً خفيفاً. وأَنظر حولي
لعلّي أرى شَبَهاً بين أوصاف نفسي
وصفصاف هذا الفضاء فلا أَتبيّن
شيئاً يشير إليَّ
] إذا لم يُغَنَّ الكناريُّ
يا صاحبي لَكَ... فاعلمْ
بأنك سجان نفسك ، إن
لم يُغَنّ الكناريُّ [
لا أَرضَ ضيِّقةً كأصيص الورود
كأرضك أنتَ... ولا أرضَ واسعةً
كالكتاب كأرضك أنت.. ورؤياك
منفاك في عالم لا هُويَّة للظلّ
فيه ، ولا جاذبيّة /

تمشي كأنك غيرك /

لو أستطيع الحديث إلى أَحد في
الطريق لقُلْتُ: خصوصيِّتي هي ما
لا يدلُّ عليَّ، وما لا يُسَمِّى
من الموت حلماً ، ولا شيء أكثر /
لو أستطيع الحديث إلى امرأة
في الطريق لقلتُ: خصوصيتي لا

تثير انتباهاً : تكلُّسُ بعض الشرايين
في القدمين، ولا شيء أكثر، فامشي
الهوينى معي مثل مشي السحابة
"لا هي رَيْثٌ... ولا عجل" ...

لو أستطيع الحديث إلى شبح الموت
خلف سياج الأضاليا لقلتُ: وُلدنا
معاً توأمين، أَخي أنت يا قاتلي،
يا مهندس دربي على هذه الأرض...
أمي وأمِّك، فارمِ سلاحكَ /

لو أستطيع الحديث إلى الحُبِّ، بعد
الغداء، لقلت له: حين كنا
فَتيَّين كنا لُهَاثَ يدين على زَغَب
المفردات، وكُنْتَ قليل الصفات، كثيرَ
الحراك، وأوضحَ: فالوجه وَجْهُ
ملاكٍ يجيء من النوم، والجسم
كَبْشٌ بقُوَّة حُمَّى. وكنت تُسمَّى
كما أَنت "حباً" فيُغْمى علينا
ويُغمى على الليل /

أمشي خفيفاً، فأكبر عَشْرَ دقائقَ،
عشرين، ستِّين... أَمشي وتنقص

قيَّ الحياةُ على مهلها كسُعالٍ خفيف.
أفكِّر: ماذا لو أني تباطأتُ، ماذا
لو أني توقّفْتُ؟ هل أوقف الوقت؟
هل أربك الموت؟ أسخر من فكرتي،
ثم أسأل نفسي: إلى أين تمشين
أيتها المطمئنة مثل النعامة؟ أَمشي
كأن الحياة تعدِّل نقصانها بعد حين.
ولا أتلفت خلفي، فلن أستطيع
الرجوع إلى أي شيء، ولا أستطيع
التماهي

ولو أستطيع الحديث إلى الربِّ قلت:
إلهي إلهي! لماذا تخليتَ عني؟
ولستُ سوى ظلِّ ظلك في الأرض،
كيف تخلَّيْتَ عني، وأَوقعتني في
فخاخ السؤال: لماذا خلقت البعوض
إلهي إلهي؟
وأَمشي بلا موعدٍ، خالياً من
وعود غدي. أَتذكّرُ أني نسيتُ،
وأنسى كما أَتذكّرُ:

أنسى غراباً على غصن زيتونةٍ

أتذكّر بُقْعَةَ زيتٍ على الثوبِ

أنسى نداء الغزال إلى زَوْجِه
أتذكّرُ خط النمال على الرملِ

أنسى حنيني إلى نجمةٍ وقعتْ من يدي
أتذكّرُ فَرْوَ الثعالبِ

أنسى الطريق القديم إلى بيتنا
أتذكّرُ عاطفةً تشبه المندرينةَ

أنسى الكلامَ الذي قُلْتُهُ
أتذكّر ما لم أَقل بعد

أنسى روايات جدي وسيفاً على حائطٍ
أتذكّر خوفي من النومِ

أنسى شفاهَ الفتاة التي امتلأت عنباً
أتذكر رائحة الخسِّ بين الأصابعِ

أنسى البيوت التي دوَّنت سيرتي
أتذكر رَقْمَ الهُويَّةِ

أنسى حوادث كبرى وهزَّةَ أرض مدمِّرةً
أتذكّر تبغ أبي في الخزانة

أَنسى دروب الرحيل إلى عَدَمٍ ناقصٍ
أتذكر ضوء الكواكب في أطلس البدو

أنسى أزيز الرصاص على قرية أَقفرت
أتذكر صوت الجداجد في الحرش

أَنسى كما أتذكر، أو أتذكر أني نسيت

[ولكنني
أتذكر
هذا النهار،
نهار الثلاثاء
والجوُّ صافٍ]

وأَمشي على شارع لا يؤدي إلى
هدف . رُبَّما أرشدتني خُطَايَ إلى
مقعد شاغر في الحديقة، أو
أرشدتني إلى فكرة عن ضياع الحقيقة
بين الجماليّ والواقعي. سأجلس وحدي
كأني على موعد مع إحدى نساء
الخيال. تخيَّلتُ أني انتظرت طويلاً،
وأني ضجرت من الانتظار، وأني انفجرت:
لماذا تأخَّرتِ؟ تكذب: كان الزحامُ

شديداً على الجسر. فاهدأْ. سأهدأُ
حين تداعب شعري. سأَشعر أنَّ
الحديقة غرفتنا والظلالَ ستائرُ

[إن لم يُغَنِّ الكناريُّ
يا صاحبي لَكَ... فاعلم
بأنك أفرطتَ في النوم
إن لم يغنِّ الكناريُّ]

وتسأل: ماذا تقول؟
أقول لها : لم يغنّ الكناريُّ لي
هل تذكُرتِني يا غريبةُ؟ هل أُشبه
الشاعر الرعويَّ القديَم الذي توَّجَتْهُ
النجومُ مليكاً على الليل، ثم تنازل
عن عرشه حين أَرسلته راعياً
للغيوم؟ تقول: وهل يشبه اليومُ أَمسِ،
كأنك أَنتَ...

[هناك، على المقعد الخشبي المقابلِ
بنتٌ يُفتِّتُها الانتظار
وتبكي،
وتشرب كأس عصير..

تُلمّع بلّور قلبي الصغير
وتحمل عني عواطف هذا النهار]

وأسألها: كيف جئتِ؟
تقول: أتيتُ مصادفةً. كنت أمشي
على شارع لا يؤدي إلى هدفٍ.
قلت: أمشي كأني على موعد...
ربما أرشدتني خُطَايَ إلى مقعد شاغر
في الحديقة، أو أرشدتني إلى فكرة
عن ضياع الحقيقة بين الخياليِّ والواقعيّ
وهل أنت تذكرني يا غريب؟
وهل أُشبه امرأةً الأمس، تلك الصغيرةَ،
ذات الضفيرةِ، والأغنيات القصيرةِ
عن حبنا بعد نوم طويل
أقول: كأنَّكِ أنتِ..

[هناك فتىً يدخل الآن
باب الحديقة،
يحمل خمساً وعشرين زنبقةً
للفتاة التي انتظرته
ويحمل عني فُتُوَّةَ هذا النهار]

صغير هو القلب... قلبي

كبير هو الحب... حُبيّ
يسافر في الريح، يهبطُ
يفرطُ رُمَّانةً، ثم يسقطُ
في تيه عينين لوزيتين
ويصعد من فجر غمَّازتين
وينسى طريق الرجوع إلى بيته واسمه

صغير هو القلب... قلبي
كبير هو الحب /..

هل كان الذي كُنْتُهُ – هُو؟
أم كان ذاك الذي لم أكنه –أَنا؟

تقول: لماذا تحكُّ الغيومُ أَعالي الشجرْ؟
أقول: لتلتصق الساقُ بالساق
تحت رذاذ المطرْ
تقول: لماذا تحملق بي قطَّة خائفةْ؟
أقول: لكي توقفني العاصفةْ

تقول: لماذا يحنُّ الغريب إلى أَمسِهِ
أَقول: ليعتمد الشعر فيه على نفِسهِ

تقول: لماذا تصير السماءُ رماديَّة اللون

عند العشيةْ؟
أقول: لأنك لم تسكبي الماء في المزهريّة

تقول: لماذا تبالغ في السخريةْ؟
أقول: لكي تأكل الأغنيةْ
قليلاً من الخبز ما بين حين وحين

تقول: لماذا نحبّ، فنمشي على طُرُقٍ خاليةْ؟
أقول: لنقهر الموت كثيرا بموت أَقلّ
وننجو من الهاويةْ
تقول: لماذا حلمتُ بأني رأيت سُنُونُوَّةً في يدي؟
أقول: لأنك في حاجةٍ لأَحدْ

تقول: لماذا تذكّرني بغد لا أراه
معك؟
أقول: لأنك إحدى صفات الأبدْ

تقول: ستمضي إلى نَفَقِ الليل وحدك
بعدي
أقول: سأمضي إلى نفق الليل بعدك
وحدي

.. وأَمشي ثقيلاً ثقيلاً، كأني على موعد

مع إحدى الخسارات. أَمشي وبي شاعر

يستعدّ لراحته الأبديّةِ في ليل لندن.

يا صاحبي في الطريق إلى الشام! لم نبلغ

الشام بعد ، تمهّل تمهّل، ولا تجعل

الياسمينة ثكلى، ولا تمتحنّي، بمرثيَّة:

كيف أحمل عبء القصيدة

عنك وعني؟

قصيدةُ من لا يُحبُّونَ وَصْفَ الضباب

قصيدتُهُ

معطفُ الغيم فوق الكنيسة

معطفُهُ

سرّ قلبين يلتجئان إلى بَردى

سرّهُ

نخلة السومرية ، أمِّ الأناشيد

نخلتُهُ

ومفاتيحُ قرطبةٍ في جنوب الضباب

مفاتيحُهُ

لايُذَيِّل أشعاره باُسمه

فالفتاة الصغيرة تعرفُهُ

إن أحسَّتْ بوخز الدبابيس

والملح في دمها.

هو، مثلي، يطارده قلبُهُ
وأنا، مثله، لا أُذيّل باسمي الوصيَّة
فالريح تعرف عنوان أهلي الجديد
على سفح هاوية في جنوب البعيد
وداعاً، صديقي، وداعاً وسلّم على الشام /

لَستُ فتياً لأحمل نفسي
على الكلمات، ولست فتيّاً
لأكمل هذي القصيدةَ /

أَمشي مع الضاد في الليل —
تلك خصوصيتي اللغويةُ — أمشي
مع الليل في الضاد كهلاً يحثّ
حصاناً عجوزاً على الطيران إلى برج
إيفل. يا لغتي ساعديني على الاقتباس
لأحتضن الكون. في داخلي شُرْفَةٌ لا
يَمُرّ بها أَحَدٌ للتحيَّة. في خارجي عالم
لا يردُّ التحيُّة. يا لغتي! هل أكون
أنا ما تكونين؟ أم أنت — يا لغتي —
ما أكون؟ ويا لغتي دربيني على
الاندماج الزفافيّ بين حروف الهجاء
وأعضاء جسمي — أَكن سيّداً لا صدى.

دَثِّريني بصوفك يا لغتي، ساعديني
على الاختلاف لكي أبلغ الائتلاف. لِديني
أَلِدْك. أنا ابنك حيناً، وحيناً أبوك
وأمك. إن كنتِ كنتُ، وإن كُنْتُ
كنتِ. وسمّي الزمان الجديد بأسمائه
الأجنبّيةِ يا لغتي، واستضيفي الغريب
البعيد ونَثْرَ الحياة البسيطَ لينضج
شعري. فَمَنْ – إن نطقتُ بما ليس
شعراً – سيفهمني؟ من يكلّمني
عن حنينٍ خفيٍّ إلى زمن ضائع إن
نطقتُ بما ليس شعراً؟ ومن – إن
نطقت بما ليس شعراً – سيعرف
أرض الغريب؟

سجا الليل، واكتمل الليل، فاُسْتَيقَظَتْ
زهرةٌ للتنفس عند سياج الحديقة.

قلتُ: سأشهد أنّي َما زلت حياً،
ولو من بعيد. وأني حلمت بأن الذي
كان يحلم، مثلي، أنا لا سواي...
وكان نهاري، نهار الثلاثاء رحباً طويلاً،
وليلي وجيزاً كفصلٍ قصيرٍ أُضيف

إلى المسرحية بعد نزول الستارة. لكنني
لن أُسيء إلى أحد...
إن أضَفْتُ: وكان نهاراً جميلاً،
كقصةِ حُبٍّ حقيقيةٍ في قطار سريع

[إذا لم يغنِّ الكناريّ
يا صاحبي،
لا تَلُمء غير نفسك.
إن لم يُغَنِّ الكناريُّ
يا صاحبي لَكَ
غنِّ له أَنت ... غَنِّ له]

ضباب كثيف على الجسر

قال لي صاحبي، والضبابُ كثيفٌ
على الجسر:
هل يُعْرَفْ الشيءُ من ضدّهِ؟
قلت: في الفجر يتّضحُ الأمرُ
قال: وليس هنالك وقتٌ أَشدّ
التباساً من الفجر،
فاترك خيالك للنهر/
في زرقة الفجر يُعْدَمُ في
باحة السجن، أو قرب حرش الصنوبر
شابٌ تفاءل بالنصر/
في زرقة الفجر ترسم رائحةُ الخبز
خارطةً للحياة ربيعيَّةَ الصيف /
في زرقة الفجر يستيقظ الحالمون
خفافاً ويمشون في ماء أَحلامهم
مرحين
- إلى أَين يأخذنا الفجرُ . والفجر
جِسْرٌ إلى أَين يأخذنا؟
قال لي صاحبي : مكاناً
لأُدفَنَ فيه. أريد مكاناً لأَحيا،
وأَلعنَهُ إن أردتُ

فقلت له – والمكان يمرُّ كإيماءة
بيننا : ما المكان؟
فقال: عُثُورُ الحواسِّ على موطىء
للبديهة،
ثم تنهد:

يا شارعاً ضيقاً كان يحملني
في المساء الفسيح إلى بيتها
في ضواحي السكينةْ
أما زلت تحفظ قلبيَ
عن ظهر قلب،
وتنسى دخان المدينة؟

قلت له: لا تراهن على الواقعيّ
فلن تجد الشيء حياً كصورته في
انتظارك....
إنَّ الزمان يُدجِّن حتى الجبال
فتصبح أَعلى، وتصبح أوطأ مما عرفت.
إلى أَين يأخذنا الجسرُ؟
قال: وهل كان هذا الطريقُ
طويلاً إلى الجسرِ؟

قلت: وهل كان هذا الضبابُ
كثيفاً على دَرَج الفجرِ؟

كم سنةً كُنْتَ تشبهني؟
قال: كم سَنَةً كُنْتَ أَنتَ أَنا؟
قلتُ: لا أَتذكَّرُ
قال: ولا أتذكر أني تذكرت
غير الطريق

وغنَّى:
[على الجسر، في بلد آخرٍ
يعلن الساكسفونُ انتهاءَ الشتاء
على الجسر يعترف الغرباء
بأخطائهم ، عندما لا يشاركهم
أَحَدٌ في الغناء]

وقلت له: منذ كم سنة نَسْتَحِثُّ
الحمامة: طيري إلى سدرة المنتهى،
تحت شباكنا، يا حمامة طيري وطيري
فقال: كأني نسيت شعوري
وقال: وعما قليل نقلِّد أَصواتنا
حين كنا صغيرين . نلثغ بالسين واللام.

نغفو كزوجي يمام على حالها ، خلف
صورتها في مخيلتي . والسماءُ القديمةُ
صافية اللون والذهن ، إن لم
يَخُنّي الخيال ، تظلُّ على حالها
مثل صورتها في مخيّلتي، والهواء
الشهيُّ النقيّ البهيّ يظل على
حاله في انتظاري.. يظلُّ على حاله.

قلت: يا صاحبي ، أَفْرَغتني الطريقُ
الطويلة من جسدي. لا أحس بصلصاله.
لا أحسُّ بأحواله. كلما سرت طرت.
خطايَ رؤاي. وأَما((أنا)) ي، فقد
لَوَّحَتْ من بعيد :

((إذا كان دربُكَ هذا
طويلاً
فلي عَمَلٌ في الأساطير))

أيدٍ إلهيَّةٌ دَرَّبيتنا على حفر أسمائنا
في فهارس صفصافة. لم نكن واضحين
ولا غامضين . ولكنَّ أسلوبنا في
عبور الشوارع من زمنٍ نحو آخرَ
كان يثير التساؤل: مَنْ هؤلاءِ

الذين إذا شاهدوا نخلةً وقفوا
صامتين وخرّوا على ظلّها ساجدين؟
ومن هؤلاء الذين إذا ضحكوا أزعجوا
الآخرين؟

على الجسر ، في بلد آخر ، قال لي
يُعْرَفُ الغرباءُ من النَّظَر المتقطِّع في الماء،
أو يُعْرَفُون من الانطواء وتأتأة المشي.
فابنُ البلاد يسير إلى هدفٍ واضحٍ
مستقيمَ الخطى . والغريب يدور على
نفسه حائراً

قال لي: كُلُّ جسرٍ لقاء ... على
الجسر أدخل في خارجي، وأسلم
قلبي إلى نَحْلَةٍ أو سُنُونُوَّةٍ
قلت: ليس تماماً. على الجسر أمشي
إلى داخلي ، وأروِّض نفسي على
الانتباه إلى أمرها . كُلُّ جسرٍ فصام ،
فلا أنت كما كنت قبل قليل،
ولا الكائنات هي الذكريات

أنا اثنان في واحد
أم أنا

واحدٌ يتشظى إلى اثنين
يا جسْرُ يا جسرُ
أيّ الشَّتِيتَيْنِ منا أَنا؟

مشينا على الجسر عشرين عاما
مشينا على الجسر عشرين مترا
ذهاباً إياباً،
وقلت: ولم يبقَ إلاّ القليل
وقال : ولم يبقَ إلاّ القليل
وقلنا معاً، وعلى حدة، حالمين:

- سأمشي خفيفاً، خُطَايَ على الريحِ
قوسٌ تدغدغ أرضَ الكمان
سأسمعُ نبض دمي في الحصى
وعُرُوق المكان

- سأسندُ رأسي إل جذع خَرُّوبة،
هي أُمِّي ، ولو أنْكَرَتْني
سأغفو قليلاً، ويحملني طائران صغيران
أعلى وأعلى .... إلى نجمةٍ شرّ دَتْني

- سأُوقظُ روحي على وَجَعٍ سابق
قادم كالرسالة ، من شرفة الذاكرةْ

سأهتف: ما زلتُ حيّاً ، للأنيَ
أَشعر بالسهم يخترق الخاصرةْ

-سأنظر نحو اليمينُ إلى جهة الياسمين
هناك تعلّمْتُ أُولى أغاني الجسدْ
سأنظر نحو اليسار إلى جهة البحر
حيث تعلّمتُ صَيْدَ الزَّبَدْ

-سأكذب مثل المراهق : هذا الحليب
على بنطلوني ثُمَاَلةُ حُلْمٍ تحرَّش بي.. وانتهى
سأنكر أني أُقلّدُ قيلولة الشاعر
الجاهليِّ الطويلةَ بين عيون المها

- سأشرب من حَنَفيَّة ماء الحديقة حفنةَ
ماء. وأَعطش كالماء شوقاً إلى نفسِهِ
سأسأل أوّل عابر درب: أَشاهدتَ
شخصاً على هيئة الطيفُ مثلى ، يُفتِّش
عن أَمسِه؟

-سأحمل بيتي على كتفيَّ... وأَمشي
كما تفعل السلحفاة البطيئةْ

سأصطاد نسراً بمكنسة، ثم أسأل:
أَين الخطيئة؟
- سأبحث في الميثولوجيا وفي الأر كيولوجيا
وفي كل جيم عن اسمي القديم
ستتحاز إحدى إلهات كَنْعَانَ لي، ثُمَّ
تحلف بالبرق: هذا هو ابني اليتيم
- سأُثني على امرأةٍ أنجبتْ طفلةً

في الأنابيب. لكنها لا تمتُّ إليها بأيِّ شَيَهْ
سأبكي على رجل مات حين انتَبهْ

- سآخذ سطر المَعَرّيّ ثم أُعدِّلُه:
جَسَدي خرقَةٌ من تراب ، فيا خائطَ
الكون خِطْني!
سأكتب: يا خالقَ الموت ، دعني
قليلاً.... وشأني !

- سأوقظ موتايَ: نحن سواسيةٌ أيها
النائمون, أما زلتُم مثلنا تحملون
بيوم القيامةْ؟
سأجمع ما بعثرته الرياحُ من الغَزَل

القُرْ طُبيَّ، وأكملُ طَوْقَ الحمامةْ

-سأختار من ذكرياتي الحميماتِ
وَصْفَ الملائم: رائحة الشرشف المتجعّد
بعد الجِماع كرائحة العشب بعد المطرْ
سأشهد كيف سيخضرُّ وجه الحجرْ

- سيلسعُني وَرْدُ آذارَ, حيث وُلدتُ
للأوّل مَرّةْ
ستحمل بي زهرةُ الجُلّنار, وأُولَدُ منها
لآخر مَرَّةْ!

- سأَنأى عن الأمس ' حين أُعيد
له إرثه : الذاكرةْ
سأدنو من الغد حين أطارد قُبَّرةً

ماكرةْ
-سأعرف أَني تأخَّرْتُ عن موعدي

وسأعرف أنَّ غدي
مَرَّ, مَرَّ السحابة ' منذ قليل'
ولم ينتظرني

سأعلم أن السماء ستمطر بعد قليل

عليَّ

وأَنّي

أَسير على الجسر /

هل نطأ الآن أرض الحكاية؟ قد

لا تكون كما نتخيّلُ ((لا هي سَمْنٌ

و لا عَسَلٌ)) والسماء رماديَّةُ اللون.

والفجر ما زال أزرقَ ملتبساً. ما

هو الزمن الآن ؟ جسرٌ يطول

ويقصُرُ.. فجر يطول ويمكر. ما

الزمن الآن؟/

تغفو البلادُ القديمةُ خلف قلاع

سياحيّةٍ . والزمان يهاجر في نجمة

أحرقت فارساً عاطفياً. فيا أيها

النائمون على إبر الذكريات ! أَلا

تشعرون بصوت الزلازل في حافر الظبي؟

قلت له: هل أَصابتك حُمَّى؟

فتابع كابوسه: أَيها النائمون!ألا

تسمعون هسيس القيامة في حبة

الرمل؟

قلت له : هل تكلمني؟ أم تكلِّم

نفسك؟

قال: وصلتُ إلى آخر الحلم...

شاهدتُ نفسي عجوزاً هناك،

وشاهدتُ قلبي يطارد كلبي هناك

وينبحُ.. شاهدتُ غرفةَ نومي

تُقَهْقِهُ: هل أنتَ حيّ؟ تعال

لأحمل عنك الهواء وعكازك الخشبيَّ

المرصَّع بالصدف المغربيِّ !! فكيف

أُعيد البداية، يا صاحبي ، من أَنا؟

من أنا دون حُلْم ورفقة أُنثى؟

فقلت : نزور فتات الحياة , الحياة

كما هي، ولنتدرَّبْ على حُبِّ أشياء

كانت لنا، وعلى حُبِّ أشياء ليست

لنا... ولنا إن نظرتا إليها معاً من

علٍ كسقوط الثلوج على جَبَلٍ

قد تكون الجبال على حالها

والحقول على حالها

والحياة بديهية ومشاعاً،

فهل ندخل الآن أرض الحكاية يا

صاحبي؟

قال لي : لا أُريد مكاناً لأُدفن فيه
أريد مكاناً لأحيا ’وألعنه لو أردت...

وحملق في الجسر: هذا هو الباب.
باب الحقيقة. لا نستطيع الدخول ولا
نستطيع الخروج
ولا يُعْرَفُ الشيء من ضدِّهِ
ألممرات مُغْلَقَةٌ
والسماءُ رماديَّةُ الوجه ضَيِّقَةٌ
ويدُ الفجر ترفع سروال جنديّةٍ
عالياً عالياً...

وبقينا على الجسر عشرين عاماً
أكلنا الطعام المعلّب عشرين عاماً
لبسنا ثياب الفصول’
استمعنا إلى الأغنيات الجديدة,

جَيِّدةِ الصنع’
من ثكنات الجنود

تزوَّج أولادنا بأميرات منفى
وغيَّرن أسماءهم’
وتركنا مصائرنا لهواة الخسائر

في السينما

وقرأنا على الرمل آثارنا

لم نكن غامضين ولا واضحين

كصورةِ فجرٍ كثيرِ التثاؤُبِ /

قلت : أما زال يجرحك الجرح ، يا

صاحبي؟

قال لي: لا أُحسُّ بشيْ

فقد حوَّلت فكرتي جسدي دفتراً للبراهين،

لا شيء يثبت أَني أنا

غَيْرُ موتٍ صريحٍ على الجسر،

أَرنو إلى وردة في البعيد

فيشتعل الجمر

أرنو إلى مسقط الرأس ، خلف البعيد

فيتسع القبرُ /

قلت : تمهل و لا تَمُتِ الآن . إنَّ الحياةَ

على الجسر ممكنةٌ . والمجاز فسيح المدى

ههنا بَرْزَخٌ بين دنيا و آخرةٍ

بين منفى وأرضٍ مجاورةٍ...

قال لي ، والصقور تحلق من فوقنا :

خُذ اسمي رفيقاً وحدِّثْهُ عني

وعش أنت حتى يعود بك الجسر

حياً غدا

لا تقل : إنه مات , أو عاش

قرب الحياة سدى!

قل: أطلَّ على نفسه من علٍ

ورأى نفسه ترتدي شجراً , واكتفى

بالتحيَّةِ: /

إن كان هذا الطريق طويلاً

فلي عَمَلٌ في الأساطير /

كنت وحيداً على الجسر ' في ذلك

اليوم ، بعد اعتكاف المسيح على

جبل في ضواحي أريحا ... وقبل القيامة.

أمشي و لا أستطيع الدخول ولا أستطيع

الخروج ... أدور كزهرة عبَاد شمسٍ

وفي الليل يوقظني صوت حارسة الليل

حين تغنّي لصاحبها :

لا تَعِدْني بشيء

ولا تُهدِني

وردةً من أريحا!

كوشم يد في معلقة الشاعر الجاهليّ

أَنا هُوَ ، يمشي أَمامي وأَتبعُهُ
لا أَقول له: ههنا ، ههنا
كان شيء بسيط لنا :
حَجَرٌ, أَخضَرٌ، شَجَرٌ. شارعٌ
قَمَرٌ يافعٌ. واقعٌ لم يعد واقعاً.
هو يمشي أمامي
وأمشي على ظلّه تابعاً ..
كلما أسرع ارتفَعَ الظلُّ فوق التلال
وغطّى صنَوْبرةً في الجنوب
وصفصافةً في الشمال،
ألم نفترق؟ قلتُ، قال: بلى.
لك مني رجوعُ الخيال إلى الواقعيّ
ولي منك تُفّاحة الجاذبيَّةِ
قلت: إلى أَين تأخذني؟
قال: صوب البداية ، حيث ولِدْتَ
هنا ، أنت وأُسمك /

لو كان لي أَن أُعيد البداية لاخترتُ
لاسمي حروفاً أَقلَّ

حروفاً أخفَّ على أُذُن الأجنبيّة/

آذار شهر العواصف والشبق العاطفيّ.
يطلُّ الربيع كخاطرةٍ في مسامرة اثنين
بين شتاء طويل وصيف طويل. ولا
أتذكّر إلاّ المجاز، فما كدتُ أُولَدُ
حتى انتبهتُ إلى شَبَهٍ واضح بين
عُرْفِ الحصان وبين ضفائر أُمّي
- دع الاستعارة، واُمشِ الهوينى
على زغب الأرض - قال، فإن الغروب
يعيد الغريب إلى بئره، مثل أُغنية
لا تُغَنَّى، وإن الغروب يُهيِّجُ فينا
حنيناً إلى شغف غامض
- ربما .... ربما. كل شيء يُؤوِّلُ عند
الغروب . وقد توقظ الذكريات نداء
شبيهاً بإيماءة الموت عند الغروب،
وإيقاع أُغنية لا تغنّى إلى أَحد

(على شجر السرو
شرق العواطف،
غيمٌ مُذَهَّبْ
وفي القلب سمراء كالكستناء

وشفافة الظل كالماء تُشْرَبْ

تعال لنلعب

تعالي لنذهب

إلى أيّ كوكبْ)

أَنا هو، يمشي عليَّ، وأَسأله:

هل تذكرتَ شيئاً هنا؟

خَفِّف الوطءَ عند التذكُّر،

فالأرض حبلى بنا.

قال: إني رأيتُ هنا قمراً ساطعاً

ناصع الحزن كالبرتقالة في الليل،

يرشدنا في البراري إلى طرق التيه...

لولاه، لم تلتقِ الأمهاتُ بأطفالهنَّ

ولولاه، لم يقرأ السائرون على

الليل أسماءهم فجأة : " لاجئين"

ضيوفاً على الريح/

كان جناحي صغيراً على الريح عامئذٍ...

كُنْتُ أحسب إنَّ المكان يُعَرَّفُ

بالأُمَّهات ورائحة المريميَّة. لا أَحَدٌ

قال لي إن هذا المكان يُسَمَّى بلاداً

وإن وراء البلاد حدوداً وأن وراء

الحدود مكاناً يُسمَّى شتاتاً ومنفى

لنا ، لم أَكن بَعْدُ في حاجةٍ للهويّة
لكنهم... هؤلاء الذين يجيئوننا فوق
دبابة ينقلون المكان على الشاحنات
إلى جهة خاطفةْ

المكان هو العاطفةْ

- تلك آثارنا ، مثل وَشْمِ يدٍ في
معلقة الشاعر الجاهليّ، تمر بنا
ونمرُّ بها - قال من كنتُهُ يوم لم
أعرف المفرداتِ لأعرف أسماء أشجارنا...
وأُسمِّي الطيورَ التي تتجمَّع فيَّ بأسمائها
لم أكن أحفظ الكلمات لأحمي المكان
من الانتقال إلى اسم غريب يُسيِّجه
الأكاليبتوس. واللافتات تقول لنا :
لم تكونوا هنا.

تهدأ العاصفة
والمكان هو العاطفة

- تلك آثارنا - قال من كنته..
ههنا يلتقي زمنان ويفترقان، فمن
أنت حضرة " الآن"؟

قلتُ: أنا أنت لولا دخان المصانعِ
قال: ومن أنت في حضرة الأمس؟
قلتُ: أنا نحن لولا تطفُّلُ فَعْلِ
المضارعِ
قال: ومن أنت في حضرة الغد؟
قلتُ: قصيدة حب ستكتبها حين
تختار، أنت بنفسك أسطورة الحبِّ/

(حنطيَّةٌ كأغاني الحصاد القديمة
سمراءُ من لسعة الليل
بيضاءُ من فرط ما ضحك الماءُ
حين اقتربتِ من النبع...
عيناك لوزيّتان
وجرحان من عَسَلٍ شفتاك
وساقاك يرجان من مرمر
ويداك عل كتفي طائران
ولي منك روح ترفرف
حول المكان)

- دع الاستعارة، وامشِ معي. هل
ترى أثراً للفراشة في الضوء؟
قُلْتُ: أراك هناك أراك تمرُّ

كخاطرةٍ من خواطر أسلافنا
قال لي: هكذا تستعيد الفراشةُ
أشغالها الشاعريَّةَ: أُغنيةً لا
يُدَوِّنُها الفلكيون إلاّ دليلاً على
صحة الأبديَّة/

أَمشي الهوينى على نفسي ويتبعني
ظلِّي وأَتبعه، لا شيء يرجعني
لا شيء يرجعُهُ
كأنني واحدٌ مني يودِّعني
مستعجلاً غَدَهُ: لا تنتظر أحداً
لا تنتظرني، ولكن لا أُودِّعُهُ

كأنَّهُ الشعرُ: فوق التل تخدعني
سحابةٌ غزلت حولي هُويتها
وأَورثتني مداراً لا أضيِّعُهُ

للمكان روائحه،
للغروب تباريحه،
للغزالة صيّادها،
للسلاحف درع الدفاع عن النفس،
للنمل مملكةٌ،

للطيور مواعيدُ،
للخيل أسماؤها،
للسنابل عيدٌ،
وأمَّا النشيد، نشيد الختام السعيد
فليس له شاعرٌ/

في الهزيع الأخير من العمر نُصْغي
إلى أيّ صوت بدون اكتراث،
ويوقظنا وَجَعٌ في المفاصل من نومنا،
أو بَعُوضٌ يطن كأستاذ فلسفةٍ...
في الهزيع الأخير، نُحسُّ بآلام
ساقين مقطوعتين، كأن الشعور
تأخر. لم ننتبه حين كنا صغاراً
إلى جرحنا الداخليِّ، فقد كان
كالرسم بالزيت ناراً تؤجِّجُ أَلوان
أعلامنا، وتهيِّج ثور أناشيدنا.
في الهزيع الأخير من العمر لا
يبزغ الفجر إلاَّ لأنَّ ملائكةً طيّبين
يُؤَدُّون واجبهم صاغرين...

أنا هو، حوذيُّ نفسي
ولا خيل تصهل في لغتي

قال: نمشي ولو في الهزيع الأخير
من العمر، نمشي ولو خذلتنا الدروب
نطير، كما يفعل المتصوف، في الكلمات..
نطير إلى أيِّ أَين!

على تلّة بارتفاع يدين سماويتين صعدنا.
مشينا على إبر الشوك والسنديان،
التحفنا بصوف النبات اليتيم، أتحدنا
بمعجم أسماءنا. هل تحس بوخز الحصى
وبمكر القطا؟ قال لي: لا أُحسّ
بشيء، كأن الشعور رفاهيَّةٌ. وكأنِّي
هنا صفة من صفات الغياب الكثيرة.
ليست حياتي معي... تركتني كما تترك
المرأةُ الرجل - الشَّبَحَ، انتظرتني
وملّت من الانتظار، ودلّت سواي
على كنزها الأنثويِّ/

إذا كان لا بُدَّ من قمرٍ
فليكن كاملاً كاملاً
لا كقرنٍ من الموز/

قلت: ستحتاج وقتاً لتعرف نفسك،
فاجلسْ على برزخ بين بين،

فلا كيف كيف، ولا أَين أَين
على صخرتين سماويتين انتظرنا غروب
الغزالة... عند الغروب يحسّ الغريب
بحاجته لعناق الغريب، وعند الغروب
يحسّ الغريبان أن هنالك، بينهما،
ثالثاً يتدخل في ما يقولان أو لا
يقولان...

قولا وداعاً لما كان
قولا وداعاً لما سيكون
وداعاً لقافية النون
في اسم المُثنّى
وفي بلد الأرجوان!

أقول له: مَنْ هو؟
يقول صدى من بعيد: هو الواقعيُّ
هنا. صوت أَقدارنا هُوَ. سائقُ
جرّافةٍ عدَّلتْ عفوية هذا المكان،
وقصت جدائل زيتوننا لتناسب قصّة
شعر الجنود، وتفتح شعْباً لبغل
نبي قديم. هو الواقعيُّ، مُروِّضُ
أُسطورة. ثالث الجالِسَيْن على صخرتين

سماويتين، ولكنه لا يرانا كما نحن:
شيخاً تأبط طفلاً، وطفلاً تورَّط
في حكمة الشيخ/

قلنا: سلام على الإنْسِ والجنّ
من حولنا
قال: لا أفهم الاستعارة
قلنا: لماذا تغلغلت في ما نقول
وفي ما نحس؟
فقال: طريقة ظلّكما في ارتداء الحصى
والقطا أَفزعتني
سألناه: ممَّ تخاف؟
فقال: من الظلّ... للظلّ رائحة الثوم
حيناً ورائحةُ الدم حيناً
سألناه: من أين جئتَ؟
فقال: من اللامكان، فكُلُّ مكانٍ
بعيدٍ عن الله أَو أَرضه هو منفى.
ومن أَنتما؟
فقلنا له: نحن أحفاد روح المكان.
وُلدنا هنا... وهنا سوف نحيا إذا
بقي الربُّ حيّاً. وكل مكانٍ بعيدٍ
عن الله أو أَرضه هو منفى

فقال: طريقة ظلِّكما في ارتداء المكان

تثير الشكوك

سألناه: فيم تشكّ؟

فقال: بظلٍّ ينازع ظلاً

فقلنا له: أَلأَنَّ المسافة ما بين أَمس

وحاضرنا لم تزل خَصْبَةً لثلاثيَّةِ الوقت؟

قال: قتلتكما أَمس

قلنا: عفا الموت عنا

فصاح: أَنا حارس الأبدية

قولا: وداعاً لما سيكون

وما كان

قولا وداعاً لرائحة الثوم

والدم في ظلّ هذا المكان

الشيء معنىً هنا، والشيء يصنعني

ذاتاً تعيد إلى المعنى ملامحه

فكيف أُولد من شيء... وأصنعُهُ

أَمتدُّ في الشجر العالي فيرفعني

إلى السماء، وأَعلو طائراً حَذِراً

لا شيء يخدعه، لا شيء يصرعُهُ

في كُلّ شيء أرى روحي ويوجعني

ما لا أُحس به، أو لا يحسّ
بروحي حين توجعُهُ

أَنا وأَنا لا نصدِّق هذا الطريق الترابيِّ
لكننا سائران على أَثَر النمل (إنَّ
القيافة خارطةُ الحَدْس) لا الشمس
غابت تماماً، ولا القمر البرتقاليُّ ضاءَ

أَنا وأَنا لا نصدِّق أَنَّ البداية
تنتظر العائدين إليها، كأمّ على
دَرَج البيت. لكننا سائران ولو
خذلتنا السماء
أَنا وأنا لا نصدِّق أن الحكاية
عادت بنا شاهدين على ما فعلنا:
نسيتكَ مثل قميصي المُبقّع بالتوت
حين ركضت الى غابة وندمت...
وأَمَّا انا فنسيتك حين احتفظت
بريشةِ عنقاءَ لي... وندمت

- ألا نتصالحُ؟ قلتُ
فقال: تريِّثْ. هناكَ على عبد مترين
مدرستي، فتعال نخلِّصْ حروف الهجاء
من العنكبوت، ونتركْ له أحرف العلّة

الباكيات!

تذكرتُها : حائطانِ قديمانِ من دون

سقف كحرفين من لغة شهوَّتها الرمالُ

وهزَّةُ ارض سدوميَّةٌ. بقراتٌ سمانٌ

تنام على الأبجدية. كَلْبٌ يُحَرِّك ذيل

الرضا والفكاهة. ليل صغيرٌ يرتِّبُ

أشياءه لنشاط الثعالب/

قال: الحياة تواصل روتينها بعدنا.

يا لها! يا لها من إباحيَّة لا تفكِّر إلاّ

بإشباع شهوتها

قلتُ: هل نتصالح كي نتقاسَمَ هذا

الغياب. فنحن هنا وحدنا في القصيدة؟

قال: تريَّثْ . هناك على حافة التلِّ،

من جهة الشرق، مَقْبَرَةُ الأهل. فلنمضِ

قبل هبوط الظلام على الميتين

سلام على النائمين

سلام على الحالمين

ببستان فردوسهم آمنين

سلام على الصاعدين خفافاً

على سُلَّم الله/

في حضرة الموت لا نتشبث
إلاّ بصحّة أسماءنا...

عَبَثٌ ماجنٌ. لم نجد حجراً واحداً
يحمل اسم الضحية، لا أسمي ولا
اسمك/
- مَنْ مات منا، سألت، أَنا أم
أنا؟
قال: لا أعرف الآن
قلت: ألا نتصالح؟
قال: تريّث!
فقلت: أتلك هي العودة المشتهاة؟
فقال: وملهاة إحدى إلهاتنا العابثات،
فهل أَعجبتك الزيارة؟
قلت: أتلك نهاية منفاك؟
قال: وتلك بداية منفاك
قلت: وما الفرق؟
قال: دَهَاءُ البلاغةِ
قلت: البلاغةُ ليست ضروريّة للخسارةِ
قال: بلى، فالبلاغةُ تقنع أرملةً
بالزواج من السائح الأجنبيِّ، وتحمي
ورود الحديثة من عَبَثِ الريحِ

قلت: أَلا نتصالَحُ؟

قال: أذا وقّع الحيُّ والميت، في

جسد واحد ، هدنةً

قلت: هذا إنا الميت والحيّ

قال: نسيتك ، من أنت؟

قلت: إنا نسخة عن " أنا" ك التي انتبهت لكلام

الفراشة لي: يا أَخي في الهشاشة...

قال: ولكنها احترقت

قلت: لا تحترق مثلها

والتفتُّ إليه ، فلم أَره، فصرخت

بكُلِّ قوايَ: أُنتظرني! وخذ كل شيء

سوى الاسم/

لم ينتظرني، وطار... وأَدركني الليل

فاستدرجت صرخني شبحاً عابراً

قلت: من أنت؟

قال: السلام عليك، فقلت: عليك السلام

فمن أنت؟

قال: أنا سائح أجنبي أحب أساطيركم

وأحب الزواج بأرملةٍ من بنات عناة!

طباق[إلى إدوارد سعيد]

نيويورك / نوفمبر / الشارعُ الخامسُ /
الشمسُ صَحْنٌ من المعدن المتطاير /
قُلْتُ لنفسي الغريبة في الظل:
هل هذه بابل أم سدوم؟
هناكَ على باب هاوية كهربائيَّةٍ
بعُلوِّ السماءِ التقيتُ بإدوارد
قبل ثلاثين عاماً،
وكان الزمان أَقَلَّ جموحاً من الآن
قال كلانا:
إذا كان ماضيك تجربةً
فاجعلِ الغَدَ معنى ورؤيا!
لنذهبْ،
لنذهبْ إلى غدنا واثقين
بصدق الخيالِ ومعجزة العشبِ /

لا أَتذكَّر أنَّا ذهبنا إلى السينما
في المساء. ولكنْ سمعْتُ هنوداً
قدامى ينادونني:

لا تَثِقْ بالحصان، ولا بالحداثِة /

لا , لا ضحيَّةَ تسأل جلاّدها :
هل أَنا أَنت؟ لو كان سيفيَ
أكبرَ من وردتي, هل ستسأل
إن كُنْتُ أَفعل مثلَكْ ؟

سؤالٌ كهذا يثير فُضُولَ الروائيِّ
في مكتبٍ من زجاج يُطلُّ على
زنبق في الحديقة ... حيث تكونُ
يَدُ الفرصيّة بيضاءَ مثل ضمير
الروائيّ, حين يُصَفِّي الحساب
مع النزعة البشرية : لا غَدَ
في الأمس ، فلنتقدَّمْ إذاً! /

قد يكون التقدُّمُ جسرَ الرجوع
إلى البربريَّة.../

نيويورك . إدوار يصحو على كسل
الفجر. يعزف لحناً لموتسارت . يركض
في ملعب التنس الجامعيّ. يفكّر في
هجرة الطير عبر الحدود وفوق الحواجز.
يقرأ ((نيويورك تايمز)) يكتب تعليقَهُ

المتوتّر . يلعن مستشرقاً يرشد الجنرال
إلى نقطة الضعف في قلب شرقيّة.
يستحمُّ. ويختار بدلَتهُ بأناقة ديكٍ.
ويشرب قهوته بالحليب . ويصرخ
بالفجر: هيّا، ولا تتلكّأ /

على الريح يمشي . وفي الريح
يعرف مَنْ هُوَ. لا سقف للريح.
لا بيت للريح بُوصلةٌ
لشمال الغريب.
يقول: أَنا من هناك . أَنا من هنا
ولستُ هناك، ولستُ هنا
لِي اسمانِ يلتقيان ويفترقان
ولي لُغتان, نسيت بأيِّهما
كنتُ أَحلُمُ،

لي لُغَةٌ إنجليزيَّةٌ للكتابة،
طيِّعةُ المفردات,
ولي لغةٌ من حوار السماء مع
القدس، فضيَّةُ النَّبْرِ، لكنها
لا تُطيعُ مخيِّلتي!

والهويَّةُ؟ قلتُ

فقال: دفاعٌ عن الذات ...

إنَّ الهويةَ بنتُ الولادة , لكنها

في النهاية إبداعُ صاحبها , لا

وراثة ماضٍ. أَنا المتعدِّد. في

داخلي خارجي المتجدِّدُ... لكنني

أَنتمي لسؤال الضحيَّة . لو لم

أكن من هناك لدرَّبْتُ قلبي

على أن يُربِّي هناك غزال الِكنايَةِ.

فاحملْ بلادك أَنَّى ذَهَبْتَ...

وكُنْ نرجسيّاً إذا لزم الأَمرُ /

- منفىً هو العالم الخارجيُّ

ومنفىً هو العالم الداخليُّ

من أَنت بينهما؟

لا أُعرِّفُ نفسي تماماً

لئلاّ أُضيِّعها. و أَنا ما أَنا

وأنا آخري في ثُنَائيّةٍ

تتناغم بين الكلام وبين الإشارةْ.

ولو كنت أكتب شعراً لقلت:

أنا اثنان في واحد
كجناحَيْ سُنُونُوّةٍ ،
إن تأخَّر فَصلُ الربيع

اكتفيتُ بحمل البشارةْ

يحبُّ بلاداً, ويرحل عنها
! هل المستحيل بعيد؟!
يحبُّ الرحيل إلى أيِّ شيء
ففي السفر الحر بين الثقافات
قد يجد الباحثون عن الجوهر البشريّ
مقاعدَ كافيةً للجميع .
هنا هامش يتقدَّم. أو مركز يتراجع
لا الشرقُ شرقٌ تماماً
ولا الغربُ غربٌ تماماً
لأن الهويَّةَ مفتوحةٌ للتعدُّد
لا قلعةً أو خنادقَ/

كان المجازُ ينام على ضفّة النهر،
لولا التَلَوُّثُ،
لا حْتَضَنَ الضفَّةَ الثانيةْ
-هل كتبتَ الروايةَ؟
حاولتُ....حاولت أن أستعيد بها

صورتي في مرايا النساء البعيدات،

لكنهن توغّلْنَ في ليلهنَّ الحصين

وقلن : لنا عالم مستقلٌّ عن النصّ

لن يكتب الرجلُ المرأةَ اللغزَ والحُلْمَ

لن تكتب المرأةَ الرجل الرمز والنجمَ

لا حُبَّ يشبه حباً

ولا ليل يشبه ليلاً

دعونا نُعدِّدْ صفات الرجال ونضحكْ!

- وماذا فعلتَ؟

ضحكت على عبثي

ورميتُ الروايةَ في سلة المهملات!

/ المُفَكِّرُ يكبَحُ سَرْدَ الروائيّ

والفيلسوف يُشَرِّحُ وَرْدَ المُغَنّي /

يحبُّ بلاداً ويرحل عنها :

أنا ما أكون وما سأكون

سأصنع نفسي بنفسي

وأختار منفايَ

منفايَ خلفيّةُ المشهد الملحميّ

أُدافع عن حاجة الشعراء

إلى الغد والذكريات معاً

وأدافع عن شَجَرٍ ترتديه الطيورُ

بلاداً ومنفى

وعن قمر لم يزل صالحاً لقصيدة حُبّ

أُدافع عن فكرة كسرتها هشاشةُ أصحابها

وأدافع عن بلد خَطَفَتْهُ الأساطيرُ /

- هل تسطيع الرجوعَ إلى أي شيء؟

أمامي يجرُّ ورائي ويُسرع...

لا وقت في ساعتي لأخُطَّ سطوراً

على الرمل. لكنني أستطيع زيارة أمسِ،

كما استمعوا في المساء

إلى الشاعر الرَّعَوِيِّ:

[فتاةٌ على النبع تملأ جَرَّتها

بحليب السحابْ

وتبكي وتضحك من نَحْلَةٍ

لسعت قلبها في مهبِّ الغيابْ

هل الحُبُّ ما يوجع الماءَ

أَم مَرَضٌ في الضبابْ..؟

إلى آخر الأُغنية]

- إذنْ قد يصيبك داءُ الحنين؟

حنينٌ إلى الغد ... أبعد أَعلى

وأَبعد. حُلْمي يقود خُطاي . ورؤيايَ
تُجلسُ حُلْمي على ركبتيّ كقطٍّ أَليف.
هو الواقعيُّ الخياليُّ وابن الإدارة:

في وسعنا
أَن نُغيِّر
حتميَّة الهاويةْ!
- والحنينُ إلى أمس؟
عاطفةٌ لا تَخُصُّ المفكِّر إلاَّ
ليفهم تَوْقَ الغريب إلى أدوات الغياب
وأَمَّا أنا ، فحنيني صراعٌ على حاضرٍ
يُمْسِكُ الغَدَ من خِصْيَتيه
- ألم تتسلَّلْ إلى أمس ، حين ذهبتَ
إلى البيت بيتك ، في حارة الطالبيّة؟
هَيَّأتُ نفسي لأن أَتمدَّد في
تخت أُمي ، كما يفعل الطفل حين يخاف
أَباه. وحاولت أن أستعيد ولادة
نفسي، وأَن أَتتبَّع درب الحليب
على سطح بيتي القديم، وحاولتُ أن
أتحسَّس جلدَ الغياب ورائحةَ الصيف
من ياسمين الحديقة . لكن وحش الحقيقة

أَبعدني عن حنين تلفَّتَ كاللص خلفي

-وهل خفت؟ ماذا أخافك؟

لا أستطيع لقاء الخسارة وجهاً

لوجه . وقفت على الباب كالمتسوّل.

هل أطلب الإذن من غرباء ينامون فوق

سريري أنا ... بزيارة نفسي لخمس دقائق؟

هل أَنحني باحترام لُكان حلمي الطفوليِّ؟

هل يسألون : مَنِ الزائرُ الأجنبيُّ

الفضوليُّ؟ هل أستطيع الكلام عن

السلم والحرب بين الضحايا وبين ضحايا

الضحايا ، بلا جملة اعتراضيّةٍ ؟ هل

يقولون لي: لا مكان لحلمين في

مَخْدَع واحدٍ؟

لا أَنا ، أَو هُوَ

ولكنه قارئ يتساءل عمَّا

يقول لنا الشعرُ في زمن الكارثةْ؟

دمٌ,

ودمٌ،

ودمٌ

في بلادك،

في اسمي وفي اسمك في زهرة
اللوز، في قشرة الموز, في لبن
الطفل، في الضوء والظلّ, في
حبة القمح، في عُلبة الملح /
قنَّاصَةٌ بارعون يصيبون أَهدافهم
بامتياز
دماً,
ودماً,
ودماً...

هذه الأرض أَصغرُ من دم أبنائها
الواقفين على عتبات القيامة مثل
القرابين. هل هذه الأرض حقاً
مباركةٌ أَم مُعَمَّدَّةٌ
بدمٍ،
ودمٍ،
ودمٍ

لا تُجففُه الصلوات ولا الرمل.
لا عَدْلَ في صفحات الكتاب المُقَدَّس
يكفي لكي يفرح الشهداءُ بحريّة
المشي فوق الغمام. دم في النهار.

دم في الظلام . دم في الكلام.

يقول : القصيدةُ قد تستضيفُ الخسارة
خيطاً من الضوء يلمع في قلب جيتارة.
أومسيحاً على فرس مثخناً بالمجاز
الجميل . فليس الجماليّ إلاّ حضورَ
الحقيقيِّ في الشكل /

في عالم لا سماء له , تصبح الأرضُ
هاويةً . والقصيدة إحدى هبات العزاء
وإحدى صفات الرياح ' شماليةً أو جنوبيةً.
لا تَصِفْ ماترى الكاميرا من جروحك.
واصرخ لتسمع نفسك ' واصرخ لتعلم
أنك ما زلتَ حيّاً وحيّاً' وأن الحياة
على هذه الأرض ممكنةٌ. فاخترع أملاً
للكلام ' ابتكرْ أو سراباً
يطيل الرجاء'
وغنِّ فإنَّ الجماليَّ حريَّةٌ /
أقول:سنحيا ' ولو تركتنا الحياةُ
إلى شأننا . فلنكن سادة الكلمات
التي سوف تجعل قُرَّاءها خالدين -

على حدّ تعبير صاحبك الفذِّ ريتسوس /

وقال: إذا متُّ قبلك

أُوصيكَ بالمستحيلْ!

سألت: هل المستحيل بعيد؟

فقال: وإن متّ قبلك؟

قال: أُعزِّي جبال الجليلْ

واكتب:((ليس الجماليُّ إلاّ بلوغَ

الملائم)). والآن، لا تنس:

إن متُّ قبلك أوصيك بالمستحيلْ

عندما زرتُهُ في سَدُومَ الجديدةِ،

في عام ألفين واثنين، كان

يقاوم حَرْبَ سَدُومَ على أهل بابل

والسرطان معاً،

كان كالبطل الملحميِّ الأخير

يدافع عن حَقّ طروادةٍ

في اقتسام الرواية /

نسرٌ يودِّع قمَّتَهُ عالياً

عالياً،

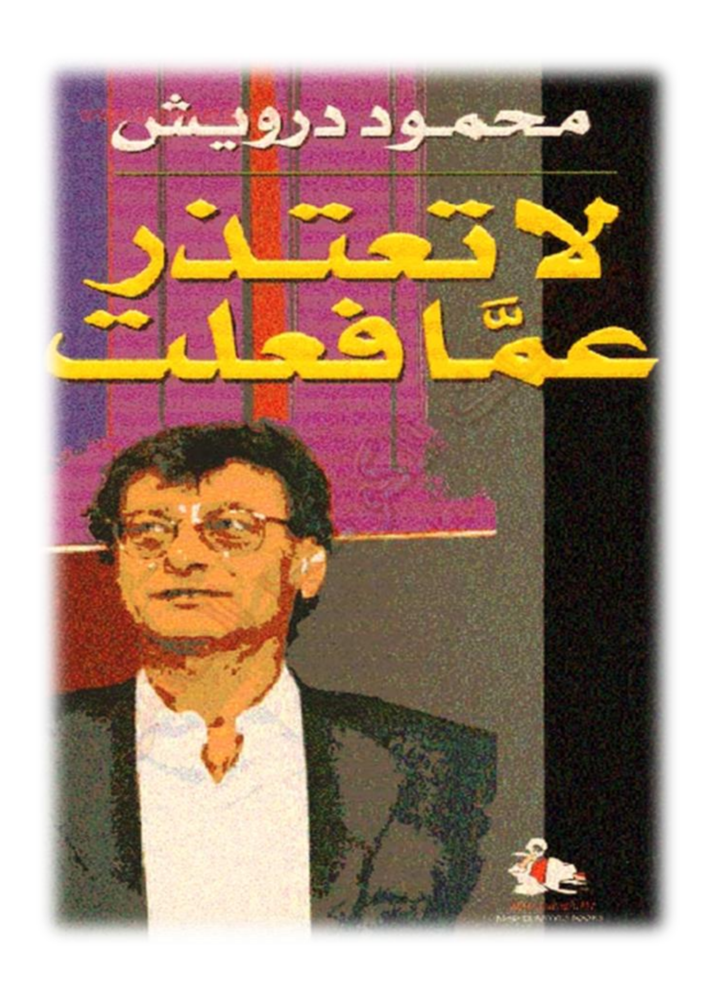
فإقامة فوق الأولمب

وفوق القِمَمْ

قد تثير السَّأمْ

وداعاً،
وداعاً لشعر الأَلمْ!

لا تعتذر عما فعلت



تـاريـخ الـنشر 2003
عدد الـقـصـائـد 51

يَـخْـتَـارُنـي الإيـقـاعُ

يَخْتَارُني الإيقاعُ , يَشْرَقُ بي

أنا رَجْعُ الكمان , ولستُ عازِفَهُ

أنا في حضرة الذكرى

صدى الأشياء تنطقُ بي

فأنطقُ....

كلُّما أصغيتُ للحجرِ استمعتُ إلى

هديل يَمَامَةٍ بيضاءَ

تشهَق بي:

أَخي! أنا أُخْتُكَ الصُّغْرى,

فأَذرف باسمها دَمْعَ الكلامِ

وكُلَّما أَبْصَرْتُ جذْعَ الزّنْزَلخْتِ

على الطريق إلى الغمامِ,

سمعتُ قلبَ الأُمِّ

يخفقُ بي :

أَنا امرأة مُطَلَّقَةٌ ,

فألعن باسمها زِيزَ الظلامِ

وكُلّما شاهَدْتُ مراُةً على قمرٍ

رأيتُ الحبّ شيطاناً

يُحَمْلقُ بي :

أنا ما زِلْتُ موجوداً

ولكن لن أَتعود كما تركتُكَ

لن تعود , ولن أَعودَ

فيكملُ الإيقاعُ دَوْرَتَهُ

ويَشرَقُ بي ....

لـي حكمة الـمحكوم بـالإعدام

لِيَ حِكْمَةُ المحكوم بالإعدامِ :
لا أشياءَ أملكُها لتملكني ,
كتبتُ وصيَّتي بدمي :
((ثِقُوا بالماء يا سُكَّانَ أُغنيتي!))
وَنمتُ مُضَرّجاً ومُتَوَّجاً بغدي...
حَلِمْتُ بأنَّ قلب الأرض أكبرُ
من خريطتها ,
وأَوضحُ من مراياها وَمشْنَقَتي .
وَهمْتُ بغيمةٍ بيضاء تأخذني
إلى أَعلى
كأنني هُدْهُدٌ , والريحُ أَجنحتي .
وعند الفجر , أَيقظني
نداء الحارس الليليِّ
من حُلْمي ومن لغتي :
ستحيا ميْتَةً أخرى ,
فَعَدِّلْ في وصيتِّكَ الأخيرةِ ,
قد تأجَّل موعدُ الإعدام ثانيةً
سألت : إلى متى؟
قال : انتظر لتموت أكثَرَ
قُلْتُ : لا أشياء أملكها لتملكني
كتبتُ وصيَّتي بدمي :
((ثِقُوا بالماء

يا سُكّان أغنيتي!))

سيـجـيء يـوم آخـر

سيجيء يَوْمٌ آخرٌ , يومٌ نسائيٌّ

شفيفُ الاستعارةِ , كاملُ التكوين ,
ماسيٌّ زفافيٌّ الزيارةِ مُشْمِسٌ'
سَلسٌ ' خَفيفُ الظلِّ. لا أحدٌ يُحِسُّ
برغبةٍ في الانتحار أَو الرحيل. فكُلّ
شيء, خارج الماضي, طبيعيٌّ حقيقيٌّ'
رديفُ صفاته الأولى. كأنَّ الوقتَ
يرقد في إجازته... ((أَطيلي وقت زينتك
الجميلَ. تشمَّسي في شمس نَهْدَيْكِ الحَرِيرِيَّين'
وانتظري البشارةَ ريثما تأتي. وفي ما
بعد نكبرُ. عندنا وقتٌ إضافيٌّ
لنكبر بعد هذا اليوم....))/
سوف يجيء يومٌ آخرٌ' يومٌ نسائيٌّ
غنائيٌّ الإشارة' لازورديٌّ التحيةِ
والعبارة. كُلُّ شيء أُنثويٌّ خارج
الماضي. يَسيلُ الماءُ من ضرع الحجارةِ.
لا غُبَارَ' ولا جَفَافَ' ولا خسارةَ
والحمامُ ينامُ بعد الظهر في دبّابة
مهجورةٍ إن لم يجد عُشّاً صغيراً
في سرير العاشِقَيْن...

وأنـا ' وإن كـنت الأخيـر

وأنا , وإن كُنْتُ الأَخيرَ ,

وَجَدْتُ ما يكفي من الكلماتِ...

كُلُّ قصيدةٍ رَسْمٌ

سأرسم للسنونو الآن خارطةَ الربيعِ

وللمُشَاة على الرصيف الزيزفونَ

وللنساءِ اللازوردْ....

وأَنا , سيحمِلُني الطريقُ

وسوف أَحملُهُ على كتفي

إلى أَنْ يستعيدَ الشيءُ صورتَهُ ,

كما هِيَ ,

واسمَهُ الأَصليَّ في ما بعد /

كُلُّ قصيدة أُمٌّ

تفتِّشُ للسحابة عن أَخيها

قرب بئر الماءِ :

((يا وَلَدي! سأُعطيك البديلَ

فإنني حُبْلى...))/

وكُلُّ قصيدة حُلْمٌ:

((حَلِمْتُ بأنَّ لي حلماً))

سيحملني وأحملُهُ

إلى أن أكتب السَّطْرَ الأخيرَ

على رخام القبرِ:

((نِمْتُ... لكي أَطير))
.... وسوف أَحمل للمسيح حذاءَهُ الشتويَّ
كي يمشيَ كَكُلِّ الناس ,
من أَعلى الجبال.... إِلى البحيرةْ

فــي بــيــت أمّــي

في بيت أُمِّي صُورَتي ترنو إليّ
ولا تكفُّ عن السؤال:
أَأَنتَ يا ضَيْفي ، أَنا ؟
هل كنتَ في العشرينَ من عُمْري ،
بلا نظّارةٍ طبيّةٍ ،
وبلا حقائبَ؟
كان ثُقْبٌ في جدار السور يكفي
كي تعلِّمك النجومُ هوايةَ التحديقِ
في الأبديِّ...
[ما الأبديُّ؟ قُلْتُ مخاطباً نفسي]
ويا ضيفي.... أأنت أنا كما كنا؟
فَمَنْ منّا تنصَّلَ من ملامحِهِ؟
أَتذكُرُ حافرَ الفَرَسِ الحرونِ على جبينكَ
أم مَسَحْتَ الجُرْحَ بالمكياج كي تبدو
وسيمَ الشكل في الكاميرا؟
أأنت أنا؟ أتذكُرُ قلبَكَ المثقوبَ
بالناي القديم وريشة العنقاءِ؟
أَم غيَّرْتَ قَلْبَكَ عندما غيَّرتَ دَرْبَكَ؟

قلت : يا هذا, أنا هُوَ أنت
لكني قفزتُ عن الجدار لكي أرى
ماذا سيحدث لو رآني الغيبُ أَقطِفُ

من حدائقِهِ المُعَلَّقةِ البنفسجَ باحترامٍ...
رُبَّما أَلقى السلام , وقال لي:
عُدْ سالماً....
وقفزت عن هذا الجدار لكي أرى
ما لا تُرى
وأَقيسَ عُمْقَ الهاويةْ

لا تـعـتـذر عمّـا فـعـلـت

لا تعتذرْ عمَّا فَعَلْتَ – أَقول في

سرّي. أقول لآخَري الشخصيِّ:

ها هِيَ ذكرياتُكَ كلُّها مرئيّةٌ:

ضَجَرُ الظهيرة في نُعَاس القطِّ/

عُرْفُ الديكِ/

عطرُ المريميَّةِ/

قهوةُ الأمِّ /

الحصيرةُ والوسائدُ/

بابُ غُرفَتِكَ الحديديُّ/

الذبابةُ حول سقراطَ/

السحابةُ فوق أفلاطونَ/

ديوانُ الحماسةِ/

صورةُ الأبِ/

مُعْجَمُ البلدانِ/

شيكسبير/

الأشقّاءُ الثلاثةُ,والشقيقاتُ الثلاثُ,

وأَصدقاؤك في الطفولة ' والفضوليُّون:

((هل هذا هُوَ؟)) اختلف الشهودُ :

لعلَّه, و كأنه. فسألتُ)) مَنْ هُوَ؟))

لم يُجيبوني. هَمَسْتُ لآخري: ((أَهو

الذي قد كان أنتَ... أنا؟))فغضَّ

الطرف. والتفتوا إلى أُمِّي لتشهد

أَنني هُوَ... فاستعدَّتْ للغناء على

طريقتها: أنا الأمُّ التي ولدتْهُ'

لكنَّ الرياحَ هِيَ التي ربَّتْهُ.

قلتُ لآخري: لا تعتذر إلاّ لأمِّكْ!

فــي مــثـل هـذا الــيـوم

في مثل هذا اليوم , في الطَّرَف الخفيِّ
من الكنيسةِ, في بهاءٍ كامل التأنيث,
في السنة الكبيسة , في التقاء الأخضر
الأبديّ بالكُحْليّ في هذا الصباح , وفي
التقاء الشكل بالمضمون , والحسيّ بالصُّوفيّ ,
تحت عريشةٍ فَضْفَاضةٍ في ظل دوريٍّ
يوترٍّ صورةَ المعنى, وفي هذا المكان
العاطفيِّ/
سألتقي بنهايتي وبدايتي
وأَقول: ويحكما! خذاني وأُتركا
قلبَ الحقيقة طازجاً لبنات آوى الجائعاتِ
أَقول: لَسْتُ مواطناً
أو لاجئاً
وأُريد شيئاً واحداً, لا غير,
شيئاً واحداً,
موتاً بسيطاً هادئاً
في مثل هذا اليوم,
في الطرف الخفيِّ من الزَّنَابقِ,
قد يُعَوِّضُني كثيراً أو قليلا

عن حياةٍ كنت أُحْصيها

دقائقَ

أو رحيلا

وأُريد موتاً في الحديقةِ

ليس أكثَرَ أو أَقَلّ!

أنـزلْ ' هنـا ' والآن

أَنزلْ' هنا ' والآن' عن كَتِفَيْكَ قَبْرَكَ
وأعطِ عُمْرَكَ فُرْصَةً أخرى لترميم الحكاية
ليس كُلُّ الحُبِّ موتاً
ليستِ الأرضُ اغتراباً مزمناً,
فلربما جاءت مناسبةٌ, فتتسى
لَسْعَةَ العَسَل القديم , كأنْ تحبَّ
وأَنتَ لا تدري فتاةً لا تحبّكَ
أو تحبُّكَ' دون أن تدري لماذا
لا تحبُّكَ أو تحبُّكَ/
أو تحسَّ وأنت مُسْتَبِدٌ إلى دَرَج
بأنك كنتَ غيرك في الثنائيات/
فاخرج من((أنا))كَ إلى سواكَ
ومن رُؤَاكَ إلى خُطَاكَ
ومُدَّ جسرَكَ هُوَ المكيدةُ'
والبَعُوضُ على السياج يَحُكُّ ظَهْرَكَ،
قد تذكِّركُ البَعُوضةُ بالحياةِ!
فجرِّبِ الآن الحياةَ لكي تُدَرِّبكَ الحياةُ
على الحياةِ'
وخفِّف الذكرى عن الأُنثى
وأَنْزِلْ

ها هنا

والآن

عن كتفيكَ... قَبْرَكْ!

إن عُدْتَ وَحْدَكَ، قُلْ لنفسك:
غيَّر المنفى ملامحه....
ألم يفجعْ أَبو تمَّام قَبْلَكَ
حين قابل نفسَهُ:
((لا أَنتِ أَنتِ
ولا الديارُ هِيَ الديارُ))...

ستحمل الأشياء عنك شعورَكَ الوطنيَّ:
تنبتُ زهرةٌ بريّةٌ في ركنك المهجورِ/
ينقُرُ طائرُ الدوريّ حَرْفَ((الحاء))،
في اسمكَ,
في لحاء التِّينَةِ المكسورِ /
تلسَعُ نَحْلَةٌ يَدَكَ التي امتدَّتْ
إلى زَغَبِ الإِوزَّةِ خلف هذا السورِ/

أَمَّا أَنت ،
فالمرآةُ قد خَذَلَتْكَ ،
أنْتَ...ولَسْتَ أنتَ، تقولُ:
((أَين تركت وجهي؟))
ثم تبحثُ عن شعورك، خارج الأشياءِ،
بين سعادةٍ تبكي وإحْبَاطٍ يُقَهْقِهُ...
هل وجدت الآن نفسك؟

قل لنفسك:عُدْت وحدي ناقصاً

قَمَرَيْنِ،

لكنَّ الديارَ هي الديار!

لم أَعتَذِرْ للبئر حين مَرَرْتُ بالبئرِ،
استَعَرْتُ من الصَّنَوْبَرة العتيقةِ غيمةً
وعَصَرْتُها كالبرتقالةِ، وانتظرتُ غزالة
بيضاءَ أسطوريَّةً. وأَمَرْتُ قلبي بالتريّث:
كُنْ حياديّاً كأنَّكَ لَسْتَ مني! ها هنا
وقف الرُّعاةُ الطيِّبون على الهواء وطوَّروا
الناياتِ، ثم استدرجوا حَجَلَ الجبال إلى
الفخاخ. وها هنا أَسْرَجْتُ للطيران نحو
كواكبي فَرَساً، وطرتُ. وها هنا قالت
لي العرَّافةُ: احذرْ شارع الإسفلت
والعرباتِ وامشِ على زفيرك. ها هنا
أرخيتُ ظليِّ وانتظرتُ، اُخْتَرْتُ أَصغرَ
صخرةٍ وَسَهِرْتُ . كَسَّرْتُ الخرافة وانكسرتُ.
ودُرْتُ حول البئر حتى طِرْتُ من نفسي
إلى ما ليس منها . صاح بي صوتٌ
عميقٌ: ليس هذا القبرُ قَبركَ، فاعتذرت.
قرأت آيات من الذكر الحكيم، وقُلْتُ
للمجهول في أَرض السلام، ويَوْمَ تصعَدُ
من ظلام البئر حيّاً!

لا راية في الريح

لا رايةٌ في الريح تخفقُ/
لا حصانٌ سابحٌ في الريحِ
لا طَبْلٌ يُبَشِّرُ بارتفاع الموجِ
أو بهبوطِه،
لا شيءَ يحدثُ في التراجيديَّات هذا اليومَ/
أسْدِلَتِ الستارَةُ/
غادَرَ الشعراءُ والمتفرِّجونَ،
فلا أَرزٌّ/
لا مظاهرةٌ/
ولا أغصانُ زيتون تحُيِّي الهابطينَ
من المراكب مُتْعَبينَ من الرُّعافِ
وخفَّة الفصل الأخير/
كأَنَّهُمْ يأتون من قَدَرٍ إلى قَدَرٍ/
مصائرُهُمْ مُدَوَّنةٌ وراء النصِّ،
إغريقيَّةٌ في شكل طُرْواديَّةٍ،
بيضاءَ، أو سوداءَ/
لا انكسروا ولا انتصروا
ولم يتساءلوا: ماذا سيحدُثُ في صباح غدٍ
وماذا بعد هذا الانتظار الهوميريِّ؟/
كأنه حُلْمٌ جميلٌ يُنْصف الأسرى
ويُسْعِفُهُمْ على الليل المحليِّ الطويل،
كأنهم قالوا:

((نُداوي جرحنا بالملحِ

((نحيا قرب ذكرانا

((نجرِّبُ موتنا العاديَّ

((ننتظر القيامةَ ههنا، في دارها

في الفصل ما بعد الأخير...))

سَقَطَ الحصانُ عن القصيدةِ

سَقَطَ الحصانُ عن القصيدةِ
والجليليّاتُ كُنَّ مُبَلَّلاتٍ
بالفَراشِ وبالندى،
يَرْقُصْنَ فوق الأقحوانْ

الغائبان: أنا وأنتِ
أَنا وأنتِ الغائبانْ

زوجا يمام أَبيضانْ
يَتَسامران على غُصون السنديانْ
لا حُبَّ، لكني أُحبُّ قصائدَ
الحبِّ القديمةَ, تحرسُ
القَمَرَ المريضَ من الدخانْ

كرٌّ وفرٌّ، كالكَمَنْجَةِ في الرباعيّاتِ
أَنْأَى عن زماني حين أَدنو
من تضاريس المكانْ...
لم يَبْقَ في اللغة الحديثِة هامشٌ
للاحتفاء بما نحبُّ
فكُلُّ ما سيكونُ... كانْ

سقط الحصان مُضَرَّجاً

بقصيدتي

وأنا سقطتُ مُضَرَّجاً

بدَم الحصانْ...

لبلادنا ,

وَهِيَ القريبةُ من كلام اللّهِ,

سَقْفٌ من سحابْ لبلادنا,

وهي البعيدةُ عن صفاتِ الاسمِ

خارطةٌ الغيابْ

لبلادنا,

وهي الصغيرة مثل حبّة سُمْسُمٍ

أُفُقٌ سماويٌّ... و هاويةٌ خفيَّةْ

لبلادنا,

وهي الفقيرةُ مثل أَجنحة القَطاَ,

كُتُبٌ مُقَدَّسَةٌ... وجرحٌ في الهويّةْ

لبلادنا,

وهي المطوَّقَةُ الممزَّقةُ التلال

كمائنُ الماضي الجديد

لبلادنا, وهي السَّبِيّةْ

حُريَّةُ الموت اشتياقاً واحتراقا

وبلادُنا في ليها الدمويِّ

جَوْهَرَةٌ تشعُّ على البعيد على البعيد

تُضيء خارجَها,

وأمَّا نحن, داخلها,

فنزدادُ اختناقا!

ولـنـا بـلاد

ولنا بلادٌ لا حُدُودَ لها, كفكرتنا عن

المجهول, ضيّقةٌ وواسِعَةٌ. بلادٌ...
حين نمشي في خريطتها تضيقُ بنا,
وتأخذنا إلى نَفَقٍ رماديّ, فنصرخ
في متاهتها: وما زلنا نحبُّك . حُبُّنا
مَرَضٌ وراثيٌّ.   بلادٌ......حين
تتبذُنا إلى المجهول .... تكبرُ. يكبرُ
الصفصافُ والأوصافُ. يكبرُ عُشْبُها
وجبالُها الزرقاء . تَتّسعُ البحيرةُ في
شمال الروح. ترتفعُ السنابلُ في جنوب
الروح . تلمعُ حبّةُ الليمون قنديلاً
على ليل المُهاجِرِ. تستطعُ الجغرافيا
كُتُباً مُقَدَّسَةً. وسلسلةُ التلال
تصير معراجاً, إلى الأَعلى... إلى الأعلى
((لو أنّيَ طائرٌ لحرقتُ أَجنحتي))يقول
لنفسه المنفيُّ. رائحة الخريف تصيرُ
صورةَ ما أحبُّ... تسرَّبَ المطرُ
الخفيفُ إلى جفاف القلب, فانفتح الخيالُ
على مصادِرِهِ, وصار هو المكانَ, هو
الحقيقيَّ الوحيدَ. وكُلُّ شيء في
البعيد يعود ريفيّاً بدائيّاً, كأنَّ الأرضَ
ما زالت تكوِّن نفسها للقاء آدم ' نازلاً
للطابق الأرضيِّ من فردوسه . فأقول:

تلك بلادنا حُبْلى بنا ... فمتى وُلدْنا؟
هل تزوَّج آدمُ اُمرأتين؟ أَم أَنَّا
سَنُولَدُ مرةً أخرى
لكي ننسى الخطيئةْ؟

لا شيء إلاَّ الضوء

لا شيءَ إلاَّ الضوء,
لم أوقفْ حصاني
إلاَّ لأقطف وردةً حمراءَ من
بُسْتَان كَنْعَانَيَّةٍ أَغْوَتْ حصاني
وتحصَّنَتْ فيِ الضوء:
((لا تدخُلْ ولا تخرجْ))...
فلم أَدخلْ, ولم أَخرجْ
وقالت: هل تراني؟
فهمستُ: ينقصني, لأعرف, فارقٌ
بين المسافر والطريق, وفارقٌ
بين المغنِّي و الأغاني...
جلَسَتْ أَريحا, مثل حرف
من حروف الأبجدية , في أُسمها
وَكَبوْتُ في أُسمي
عند مُفْتَرَقِ المعاني....
أَنا ما أكونُ غداً
ولم أُوقفْ حصاني
إلاَّ لأقطِفَ وردةً حمراءَ من
بستان كَنْعَانيةٍ أَغوتْ حصاني
ومضيتُ أبحث عن مكاني
أَعلى وأَبْعَدَ,
ثم أَعلى ثم أَبعَدَ,

من زماني....

نزَف الحبيبُ شقائقَ النُّعْمانِ,

أَرضُ الأرجوان تلألأتْ بجروحِهِ,

أُولى أَغانيها : دَمُ الحُبُّ الذي سفكته آلهةٌ,

وآخرُها دَمٌ....

يا شعبَ كَنْعَانَ احتفلْ

بربيع أَرضك , واشتعلْ

كزهورها, يا شعب كنعان المُجَرَّدَ من

سلاحك, واكتملْ!

من حُسْن حَظِّكَ أنَّكَ أُخترتَ الزراعةَ مِهْنَةً

من سوء حظك أنَّكَ اخترتَ البساتينَ

القريبةَ من حدود الله,

حيث السيفُ يكتب سِيرَةَ الصَّلْصَالِ...

فلتَكُنِ السنابلُ جَيْشَكَ الأبديَّ,

وليكنِ الخلودُ كلابَ صيدٍ

في حقول القمح,

ولتكن الأيائِلُ حُرَّةً

كقصيدةٍ رعويةٍ....

نَزَفَ الحبيبُ شقائقَ النعمان,

فاصفرَّتْ صخورُ السَّفْحِ من

وَجَع المخاض الصعبِ,

واحمرَّتْ,

وسال الماءُ أَحمرَ

في عروق ربيعنا....
أُولى أغانينا دَمُ الحُبِّ الذي
سفكته آلهةٌ،
وآخرُها دَمٌ سَفَكَتْهُ آلهةُ الحديد..

فـي الـقـدس

في القدس، أَعني داخلَ السُّور القديمِ،
أَسيرُ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ بلا ذكرى
تُصوِّبُني. فإن الأنبياءَ هناك يقتسمون
تاريخَ المقدَّس... يصعدون إلى السماء
ويرجعون أَقلَّ إحباطاً وحزناً، فالمحبَّةُ
والسلام مُقَدَّسَان وقادمان إلى المدينة.
كنت أَمشي فوق مُنْحَدَرٍ وأَهْجِسُ: كيف
يختلف الرُّواةُ على كلام الضوء حَجَرٍ؟
أَمِنْ حَجَرٍ شحيحِ الضوء تندلعُ الحروبُ؟
أسير في نومي. أَحملق في منامي.لا
أرى أحداً ورائي. لا أرى أَحداً أمامي.
كُلُّ هذا الضوءِ لي . أَمشي. أخفُّ.أطيرُ
ثم أَصير غيري في التَّجَلِّي.تنبُتُ
الكلماتُ كالأعشاب من فم أشعيا
النَّبَويِّ))إنْ لم تُؤْمنوا لن تَأْمَنُوا)).
أَمشي كأنِّي واحدٌ غيْري . وجُرْحي وَرْدَةٌ
بيضاءُ إنجيليَّةٌ .ويدايَ مثل حمامتَيْنِ
على الصليب تُحلِّقان وتحملان الأرضَ.
لا أمشي، أَطيرُ، أَصيرُ غَيْري في
التجلِّي. لا مكانَ و لا زمانَ . فمن أَنا؟
أَنا لا أنا في حضرة المعراج. لكنِّي

أُفكِّرُ: وَحْدَهُ كان النبيّ محمّدٌ
يتكلّمُ العربيَّةَ الفُصْحَى. ((وماذا بعد؟))
ماذا بعد؟ صاحت فجأة جنديّةٌ:
هُوَ أَنتَ ثانيةً؟ أَلم أَقتلْكَ؟
قلت: قَتَلْتني... ونسيتُ مثلك أن أَموت.

بـغـيـابـهـا كـكَـوَّنْـت صـورتـهـا

بغيابها, كَوَّنْتُ صُورَتَها : مِنَ الأَرضيِّ
يبتدئ السماويُّ الخفيُّ. أَنا هُنا أَزِنُ
المدى بمعلَّقات الجاهليِّين... الغياب هُوَ
الدليلُ هُوَ الدليلُ. لكُلِّ قافِيَةٍ أُقمتْ
خيمةٌ. ولكُلِّ شيء في مهبِّ الريح
قافيةٌ. يُعَلِّمني الغيابُ دروسه: ((لولا
السرابُ لَماَ صَمَدْتَ...))وفي الفراغ
فَكَكْتُ حرفاً من حروف الأبجديّات القديمة,
واتَّكَأْتُ على الغياب . فَمَنْ أنا بعد
الزيارةِ؟ طائرٌ أم عابرٌ بين الرموز
وباعةِ الذكرى؟ كأني قِطْعَةٌ أَثريَّةٌ,
وكأنني شَبَحٌ تسلَّلَ من يَبُوس' وقلْتُ لي:
فلنذهبنَّ إلى تلالٍ سَبْعَةٍ. فوضعْتُ
أَقْنِعَتي على حَجَرٍ، وسرتُ كما يسير
النائمون يقودُني حُلْمي. ومن قَمَرٍ إلى
قمر قَفَزْتُ هناك ما يكفي من اللاوعيُ
من معراجه ((خذني إلى سنواتِنا
الأولى)) - تقول صديقتي الأولى. ((دَعِي
الشُبَّاكَ مفتوحاً ليدخل طائرُ الدوريّ
حُلْمَكِ))... ثم أَصحو, لا مدينةَ في
المدينةِ لا ((هُنا)) إلاّ ((هناك)). و لا

هناك سوى هنا. لولا السرابُ
لَما مَشَيْتُ إلى تلالٍ سَبْعَةٍ....
لولا السراب!

الأربعاء ، الجمعة ، السبت

أُلسَّبْتُ/أُلأساطيرُ' أُلبلادُ' تشابَهَتْ....
لو كان لي قلبان لم أَندم على
حبٍّ' فإنْ أَخطَأتُ قُلْتُ: أَسأتَ
يا قلبي الجريحَ الاختيارَ!.. وقادني
القلبُ الصحيحُ إلى الينابيع/

أُلخميسُ
السَّوْسَنُ/
الاثنين/

أسماءُ المكان تشابَهَتْ. أرْهَقْتُ أُغنيتي
بوصف الظلّ. والمعنى يَرَى قَلْبَ
الظلام ولا يُرَى. قال الكلامُ كلامَهُ,
فبكتْ إلهاتٌ كثيراتٌ على أدوارهنَّ/
أَلحكمةُ/
الأَحَدُ/
الغَدُ/
الطُرُقُ' الثلاثاءُ' السماءُ' تشابهت...
لو كان لي دربان لاخترتُ البديلَ
الثالث. انكشَفَ الطريقُ الأَوَّلُ,
انكشَفَ الطريقُ الآخَرُ,

زيـتـونـتـا ن

زيتونتانِ عتيقتانِ على شمال الشرقِ،
في الأولى اختبأتُ لأخدَعَ الراوي
وفي الأخرى خَبَأْتُ شقائق النعمانْ

إن شئتُ أن أَنسى... تَذَكَّرْتُ
أُمتلأتُ بحاضري، واخترتُ يومَ
ولادتي ....لأرتِّب النسيانْ
تَتَشَعّبُ الذكرى. هُنَا قَمَرٌ يُعدُّ
وليمةً لغيابه. وهناك بئرٌ في
جنوبيِّ الحديقة زفَّتِ امرأةً إلى شيطانْ
كُلُّ الملائكة الذين أُحبُّهُمْ
أخذوا الربيعَ من المكان, صباح
أمسِ، وأورثوني قمَّة البُرْكانْ

أَنا آدمُ الثاني. تَعَلَّمْتُ القراءةَ
والكتابةَ من دروس خطيئتي,
وغدي سيبدأ من هنا, والآنْ

إن شئتُ أن أَنسى... تذكّرتُ
انتَقيْتُ بدايةً، وَوُلِدْتُ كيف أردتُ
لا بطلاً.... ولا قُرْبانْ

تَتَشَعَّبُ الذكرى وتلعَبُ. ها هنا
زيتونتان عتيقتان على شمال الشرقِ
في الأولى وَجَدْتُ بُذورَ أُغنيتي
وفي الأخرى وَجَدْتُ رسالةً
من قائد الرومانْ:

يا إِخوَةَ الزيتونِ
أطلُبُ منكمُ الغفران,
أطلب منكمُ الغفران...

لم يسألوا : ماذا وراء الموت؟ كانوا
يَحفظُون خريطةَ الفردوس أكثرَ من
كتاب الأرض, يُشْغِلُهُمْ سؤال آخر:
ماذا سنفعل قبل هذا الموت؟ قرب
حياتنا نحيا, ولا نحيا. كأنَّ حياتنا
حِصَصٌ من الصحراء مُخْتَلفٌ عليها بين
آلهة العِقار, ونحن جيرانُ الغبار الغابرونَ .
حياتنا عبءٌ على ليل المُؤرّخ: ((كُلّما
أخفيتُهم طلعوا عليَّ من الغياب))...
حياتنا عبء على الرسام: ((أَرسُمُهُمْ,
فأصبح واحداً منهم, ويحجبني الضباب)).
حياتنا عبء على الجنرال: ((كيف يسيل
من شَبَحٍ دم؟)) وحياتنا
هي أن نكون كما نريد . نريد أَن
نحيا قليلاً , لا لشيء... بل لِنَحْتَرِمَ
القيامَةَ بعد هذا الموت. واقتبسوا,
بلا قَصْدٍ كلامَ الفيلسوف:((اُلموت
لا يعني لنا شيئاً. نكونُ فلا يكونُ.
اُلموت لا يعني لنا شيئاً. يكونُ فلا
نكونُ))
ورتّبوا أَحلامُهُمْ
بطريقةٍ أخرى . وناموا واقفين !

قـتـلـى ومـجـهـولـون

قتلى, ومجهولون. لا نِسْيانَ يجمعُهُمْ

ولا ذكرى تفرِّقهُمْ... ومنسيّون في
عُشْبِ الشتاءِ الطريق العامِّ بين
حكايتين طويلتين عن البُطُولةِ والعذابِ.
((أَنا الضحيَّةُ)). ((لا . أَنا وحدي
الضحية)). لم يقولوا للمؤلّف: ((لا
ضحيَّةَ تقتل الأخرى. هنالك في
الحكاية قاتلٌ وضحيَّةٌ)). كانوا صغاراً
يقطفون الثلج عن سَرْوِ المسيح،
ويلعبون مع الملائكة الصغار، فإنَّهُمْ
أَبناءُ جيلٍ واحدٍ.... يتسرَبُون من
المدارس هاربينَ من الرياضيَّات والشعرِ
الحماسيّ القديم، ويلعبون مَعَ الجنود،
على الحواجز، لُعْبَةَ الموت البريئةَ.
لم يقولوا للجنود: دعوا البنادقَ
وافتحوا الطرقاتِ كي تجدَ الفراشةُ
أُمَّها قرب الصباح، وكي نطير مع
الفراشة خارج الأحلام، فالأحلامُ
ضيِّقَةٌ على أَبوابنا. كانوا صغاراً
يلعبون، ويصنعون حكايةً للوردة
الحمراء تحت الثلج، خَلْفَ حكايَتيْنِ
طويلَتيْنِ عن البطولة و العذاب، و يهربون
مَعَ الملائكة الصغار إلى سماء صافيةْ

السروة انكسرت

لسروة شجن الشجرة وليس

الشجرة, ولا ظل لها لأنها ظل الشجرة))
بسام حجار

أَلسروةُ أُنكَسَرَتْ كمئذنةٍ٬ ونامت في
الطريق على تَقَشُّف ظلِّها٬ خضراءَ٬ داكنةً,
كما هِيَ. لم يُصَبْ أَحدٌ بسوء . مَرّت
العَرَباتُ مُسْرِعَةً على أغصانها. هَبَّ الغبارُ
على الزجاج.../ أَلسروةُ انكسرتْ٬ ولكنَّ
الحمامةَ لم تغيِّر عُشَّها العَلَنيَّ في دارٍ
مُجَاورةٍ. وحلّق طائران مهاجران على
كَفَاف مكانها٬ وتبادلا بعضَ الرموز.
وقالت امرأةٌ لجارتها : تُرَى ٬ شاهَدْتِ عاصفةً؟
فقالت:لا٬ ولا جرَّافةً.../ والسروةُ
انكسرتْ. وقال العابرون على الحُطام:
لعلَّها سَئِمَتْ من الإهمال٬ أَو هَرِمَتْ
من الأيام٬ فَهْيَ طويلةٌ كزرافةٍ٬ وقليلةُ
المعنى كمكنسةٍ الغبار٬ ولا تُظَلِّلُ عاشِقَيْن.
وقال طفلٌ: كنتُ أَرسمها بلا خطأ٬
فإنَّ قوامَها سَهْلٌ. وقالت طفلةٌ : إن
السماءَ اليوم لأن السروة انكسرت.
وقال فتىً: ولكنَّ السماءَ اليوم كاملةٌ
لأن السروة انكسرتْ. وقُلْتُ أَنا

لنفسي: لا غُموضَ ولا وُضُوحَ،
السروة انكسرتْ، وهذا كُلُّ ما في
الأمرِ: إنَّ السروة انكسرتْ!

رجل وخشف في الحديقة

[إلى سليمان النجاب]

رَجُلٌ وخِشْفٌ في الحديقة يلعبان معاً....
أَقولُ لصاحبي: مِنْ أين جاءَ أُبْنُ الغزالِ؟
يقولُ: جاء من السماء . لعلَّهُ ((يَحْيَى))
رُزِقْتُ به ليُؤْنِسَ وحشتي. لا أُمَّ
تُرْضعُهُ فكُنْتُ الأمَّ, أسقيهِ حليبَ
الشاة ممزوجاً بملعَقَةٍ منَ العَسَلِ
المُعَطَّر. ثم أحملُهُ كغيمَةِ عاشقٍ في
غابة البلّوطِ...
قُلْتُ لصاحبي: هل صار يألَفُ بيتَكَ
المأهولَ بالأصوات والأدوات؟
قالَ: وصار يرقُدُ في سريري حين يمرضُ....
ثُمَّ قال: وصِرْتُ أَمرَضُ حين يمرض.
صِرْتُ أهذي: ((أَيُّها الطفلُ اليتيمُ!
أنا أبوك وأُمُّكَ' انهضْ كي تعلّمني
السكينةَ))/
بعد شهرٍ زُرْتُهُ في بيته الريفيّ.
كان كلامُهُ يبكي. لأول مرّةٍ يبكي سُلَيْمانُ
القويُّ' يقول لي متهدِّج الصوت : ((أُبنُ
الغزال' ابنُ الغزالة مات بين يديَّ.
لم يألف حياةَ البيت . لكنْ لم يَمُتْ

مثلى ومثلكَ...))

لم أَقل شيئاً لصاحبيَ الحزينِ. ولم
يودِّعني , كعادته' بأبياتٍ من الشعر
القديم. مشى إلى قبر الغزال الأبيض.
أُحتَضَنَ الترابَ و أَجهش : ((أُنهضْ
كي ينام أبوك, يا أُبني, في سريرك.
ها هنا أَجدُ السكينةَ))/

نام في قبر الغزال' وصار لي
ماضٍ صغيرٌ في المكانْ:
رَجُلٌ وخِشْفٌ في الحديقة يرقدانْ!

هذا هو النسيان

هذا هُوَ النسيانُ حولَكَ: يافطاتٌ
تُوقظُ الماضيَ تحثُّ على التذكُّر. تكبح
الزَّمَنَ السريعَ على إشارات المرور
وتُغْلقُ الساحاتِ/

تمثالٌ رُخَاميٌّ هو النسيانُ. تمثالٌ
يُحَمْلقُ فيكَ: مثلي لتشبِهَني.
وَضَعْ ورداً على قدميَّ/

أُغنيةٌ مُكَرَّرَةٌ هو النسيانُ. أُغنيةٌ
تطاردُ ربّةَ احتفاءً بالمناسبة
السعيدةِ في السرير وغرفة الڤيديو،
وفي صالونها الخاوي ومطبخها/

وأَنصابٌ هو النسيانُ. أَنصابٌ على
الطرقات تأخذ هيئة الشَّجَر البُرُونزيِّ
المرصّعِ بالمدائح والصقورِ/

ومتحفٌ خالٍ من الغد باردٌ
يروي الفصولَ المنتقاةَ من البدايةْ
هذا هو النسيانُ: أَن تتذكَّرَ الماضي
ولا تتذكَّرَ في الحكايةْ

تُنسى، كأنَّكَ لم تَكُنْ

تُنْسَى كمصرعِ طائرٍ

ككنيسةٍ مهجورةٍ تُنْسَى،

كحبٍّ عابرٍ

وكوردةٍ في الليل .... تُنْسَى

أَنا للطريق...هناك من سَبَقَتْ خُطَاهُ خُطَايَ

مَنْ أَمْلَى رُؤاهُ على رُؤَايَ. هُنَاكَ مَنْ

نَثَرَ الكلام على سجيَّتِه ليدخل في الحكاية

أَو يضيءَ لمن سيأتي بعدَهُ

أَثراً غنائياً...وحدسا

تُنْسَى, كأنك لم تكن

شخصاً, ولا نصّاً... وتُنْسَى

أَمشي على هَدْيِ البصيرة، رُبّما

أُعطي الحكايةَ سيرةً شخصيَّةً. فالمفرداتُ

تسُوسُني وأسُوسُها. أنا شكلها

وهي التجلِّي الحُرُّ. لكنْ قيل ما سأقول.

يسبقني غدٌ ماضٍ. أَنا مَلِكُ الصدى.

لا عَرْشَ لي إلاَّ الهوامش. و الطريقُ

هو الطريقةُ. رُبَّما نَسِيَ الأوائلُ وَصْفَ

شيء ما ، أُحرِّكُ فيه ذاكرةً وحسّا

تُنسَى ، كأنَّكَ لم تكن

خبراً ، ولا أَثراً... وتُنْسى

أَنا للطريق... هناك مَنْ تمشي خُطَاهُ

على خُطَايَ، وَمَنْ سيتبعني إلى رؤيايَ.

مَنْ سيقول شعراً في مديح حدائقِ المنفى ،

أمامَ البيت ، حراً من عبادَةِ أمسِ ،

حراً من كناياتي ومن لغتي، فأشهد

أَنني حيٌّ

وحُرٌّ

حين أُنْسَى!

أمــا أنـــا , فــأقــول لاسمــي

أمَّا أَنا ٬ فأقولُ لاسْمي: دَعْكَ منِّي
وابتعدْ عنِّي٬ فإني ضقتُ منذ نطقتُ
واُتَّسَعَتْ صفاتُك! خذ صفاتِكَ وامتحنْ
غيري... حملتُك حين كنا قادرَينْ على
عبور النهر مُتَّحدين ((أَنت أنا)) ولم
أَخْتَرْكَ يا ظلِّي السلوقيَّ الوفيَّ٬ اُختارك
الآباء كي يتفاءلوا بالبحث عن معنى.
ولم يتساءلوا عمَّا سيحدُثُ للمُسَمَّى عندما
يقسو عليه الاسمُ٬ أَيُمْلي عليه
كلامَهُ فيصير تابعَهُ... فأين أَنا؟
وأَين حكايتي الصُّغْرَى وأوجاعي الصغيرةُ؟
تجلس امرأةٌ مَعَ اُسْمي دون أَن
تصغي لصوت أُخُوَّةِ الحيوان
والإنسان في جَسَدي ٬ وتروي لي
حكاية حبها, فأقول: إن أَعطيتني يَدَكِ
الصغيرةَ صرِتُ مثلَ حديقة.. فتقول:
لَسْتَ هُوَ الذي أَعنيه لكني أُريد
نصيحةً شعريّةً. ويحملقُ الطلاب في
اسمي غير مكترثين بي٬ وأنا أَمرّ
كأنني شخص فضوليٌّ . وينظر قارئ

في اسمي ، فيبدي رأيه فيه: أُحبُّ
مسيحَهُ الحافي، وأما شِعْرُهُ الذاتيُّ في
وَصْفِ الضباب، فلا !... ويسألني:
لماذا كنت ترمقني بطَرْفٍ ساخرٍ . فأقول:
كنت أحاور اُسمي: هل أَنا صِفَةٌ؟
فيسألني: وما شأني أنا؟/
أمَّا أَنا، فأقول لاسمي: أَعْطِني
ما ضاع من حُرِّيَّتي!

الـحـلـم , مـا هـو؟

ألحُلْمُ' ما هُوَ؟

ما هُوَ اللاشيءُ هذا

عابرُ الزمنِ,

اُلبهيُّ كنجمةٍ في أوَّل الحبِّ,

اُلشَّهيُّ كصورةِ امرأةٍ

تدلِّكُ نهدها بالشَّمْسِ؟/

ما هُوَ' لا أكاد أراه حتى

يختفي في الأمسِ/

لا هُوَ واقعٌ لأعيش وطأته وخفَّتَهُ

ولا هُوَ عكسُهُ لأطير حُرّاً

في فضاء الحَدسِ/

ما هُوَ, ما هُوَ اللاشيءُ' هذا الهَشُّ

هذا اللانهائيُّ' الضعيفُ' الباطنيُّ

الزائرُ' المتطايرُ, المتناثرُ'

المتجدِّدُ المتعدِّدُ اللاَّ شكلِ؟

ما هُوَ؟ لا يُجَسُّ ولا يُمَسّ/

ولا يَمُدُّ يداً إلى المُتَلهِّفين الحائرينَ

فما هُوَ السريُّ هذا'

الحائرُ' الحَذِرُ' المحيِّرُ

حين أَنتظرُ الزيارةَ مطمئنَّ النفسِ/

يكسرني ويخرجُ مثل لؤلؤةٍ

تُدَحْرِجُ ضوءها,

ويقول لي: لا تنتظرني

إِن أردتَ زيارتي

لا تنتظرني!

الآن إذ تـصحو , تـذكّـر

الآنَ إذ تصحوَ تَذَكَّرْ رَقْصَةَ البَجَعِ
الأخيرةَ. هل رَقَصْتَ مَعَ الملائكةِ الصغارِ
وأَنت تحلُمُ؟ هل أَضاءتك الفراشةُ عندما
احترقَتْ بضوء الوردة الأبديِّ؟ هل
ظهرتْ لك العنقاءُ واضحةً... وهل نادتك
باسمك؟ هل رأيتَ الفجرَ يطلع من
أَصابع مَنْ تُحبُّ؟ وهل لَمَسْتَ الحُلْم
باليدَ أم تَرَكْتَ الحُلْمَ يحلُمُ وحْدَهُ,
حين انتبهتَ إلى غيابكَ يَغْتَةً؟
ما هكذا يُخْلي المنامَ الحالمونَ
فإنهم يتوهجون,
ويكلمون حياتهم في الحُلْمِ...
قل لي: كيف كنت تعيش حُلْمَك
في مكانٍ ما , أَقلْ لك مَنْ تكونْ

والآنَ إذ تصحوَ تذكَّرْ:
هل أسأْتَ إلى منامك؟
إن أسأتَ إذاً تذكّرْ
رقصةَ البجع الأخيرةْ!

الـظلّ

الظلُّ، لا ذَكَرٌ ولا أُنثى

رماديٌّ، ولو أَشْعَلْتُ فيه النارَ...

يتبعُني، ويكبرُ ثُمَّ يصغرُ

كُنت أَمشي. كان يمشي

كنت أَجلسُ. كان يجلسُ

كنت أركضُ. كان يركضُ

قلتُ: أخدعُهُ وأخلعُ معطفي الكُحْليَّ

قلَّدني، وألقي عنده معطفَهُ الرماديَّ...

استدَرْتُ إلى الطريق الجانبيّةِ

فاستدار إلى الطريق الجانبيّةِ.

قلتُ: أخدعُهُ وأخرجُ من غروب مدينتي

فرأيتُهُ يمشي أمامي

في غروب مدينةٍ أخرى...

فقلت: أعود مُتّكئاً على عُكّازتينِ

فعاد متكئاً على عكازتينِ

فقلتُ: أحمله على كتفيَّ،

فاستَعْصَى...

فقلتُ: إذنْ، سأتبعُهُ لأخدَعَهُ

سأتبعُ ببغاء الشكل سُخْرِيَةً

أقلِّد ما يُقلِّدني

لكي يَقَعَ الشبيهُ على الشبيه

فلا أراهُ، ولا يراني

لاشـيء يـعـجـبـنـي

((لا شيءَ يُعْجبُني))

يقول مسافرٌ في الباصِ – لا الراديو

ولا صُحُفُ الصباح , ولا القلاعُ على التلال.

أُريد أن أبكي/

يقول السائقُ: انتظرِ الوصولَ إلى المحطَّةِ,

وابْكِ وحدك ما استطعتَ/

تقول سيّدةٌ: أَنا أَيضاً. أنا لا

شيءَ يُعْجبُني. دَلَلْتُ أُبني على قبري,

فأعْجَبَهُ ونامَ, ولم يُوَدِّعْني/

يقول الجامعيُّ: ولا أَنا , لا شيءَ

يعجبني. دَرَسْتُ الأركيولوجيا دون أَن

أَجِدَ الهُوِيَّةَ في الحجارة. هل أنا

حقاً أَنا؟/

ويقول جنديٌّ: أَنا أَيضاً. أَنا لا

شيءَ يُعْجبُني . أُحاصِرُ دائماً شَبَحاً

يُحاصِرُني/

يقولُ السائقُ العصبيُّ: ها نحن

اقتربنا من محطتنا الأخيرة, فاستعدوا

للنزول.../

فيصرخون: نريدُ ما بَعْدَ المحطَّةِ,

فانطلق!

أمَّا أنا فأقولُ: أنْزِلْني هنا . أنا

مثلهم لا شيء يعجبني ' ولكني تعبتُ
من السِّفَرْ.

هو هادئٌ، وأنا كذلك

هُوَ هادِئٌ، وأنا كذلكَ
يَحْتَسي شاياً بليمونٍ،
وأَشربُ قهوةً،
هذا هُوَ الشيءُ المغايرُ بَيْنَنَا.
هُوَ يرتدي، مثلي، قميصاً واسعاً ومُخططاً
وأنا أطالعُ، مثلَهُ، صُحُفَ المساءْ.
هو لا يراني حين أنظرُ خِلْسَةً،
أنا لا أراه حين ينظرُ خلسةً،
هو هادئٌ، وأنا كذلِكَ.
يسألُ الجرسونَ شيئاً،
أسألُ الجرسونَ شيئاً...
قطَّةٌ سوداءُ تعبُرُ بَيْنَنَا،
فأجسّ فروةَ ليلها
ويجسُّ فَرْوَةَ ليلها...
أنا لا أقول لَهُ: السماءُ اليومَ صافيةٌ
وأكثرُ زرقةً.
هو لا يقول لي: السماءُ اليومَ صافيةٌ.
هو المرئيُّ والرائي
أنا المرئيُّ والرائي.
أحرِّكُ رِجْليَ اليُسْرى
يحرك رجلَهُ اليُمْنَى.

أدندنُ لحن أغنيةٍ،
يدندن لحنَ أُغنية مُشَابهةٍ.
أفكِّرُ: هل هو المرآةُ أبصر فيه نفسي؟
ثم أَنظر نحو عينيه،
ولكن لا أراهُ...
فأتركُ المقهى على عَجَلٍ.
أفكّر: رُبَّما هو قاتلٌ، أو رُبّما
هو عابرٌ قد ظنَّ أني قاتلٌ
هو خائِفٌ، وأنا كذلكْ!

وصف الـغـيـوم

((لوصف الغيوم، عليَّ أن أسرع كثيراً
فبعد هنيهة لن تكون ما هي عليه, ستصير أخرى))
شيمبورسكا

وَصْفُ الغيوم مَهَارَةٌ لم أُوتَها...
أَمشي على جَبَلٍ وأنظُرُ من عَلٍ
نحو الغيوم،وقد تدلّتْ من مَدَار اللازَوَرْدِ
خفيفةً وشفيفةً ,
كالقطن تحلجه الرياحُ،
كفكرةٍ بيضاءَ عن معنى الوجود.
لعلَّ آلهةً تنقّحُ قصَّةَ التكوينِ
((لا شكلٌ نهائيٌّ لهذا الكون...
لا تاريخَ للأشكالِ....))
أَنظُرُ من عَلٍ، وأرى انبثاقَ الشكلِ
من عَبَثِيَّة اللاّشكلِ :
ريشُ الطير يَنْبُتُ في قُرون الأيَّل البيضاءِ،
وَجْهُ الكائن البشريّ يطلع من
جناح الطائر المائيِّ...
ترسمُنا الغيومُ على وَتيرتها
وتختلط الوجوه مع الرؤى

لم يكتمل شيء ولا أَحد ، فبعد هنيهة
ستصيرُ صورتُكَ الجديدةُ صُورَةَ النَّمِرِ
الجريحِ بصولجان الريحِ...
رسَّامون مجهولون ما زالوا أمامك
يلعبون، ويرسمون المُطْلَقَ الأبديَّ،
أبيضَ، كالغيوم على جدار الكونِ...
والشعراءُ يبنون المنازلَ بالغيومِ
ويذهبون...
لكُلِّ حسّ صورةٌ،
ولكُلِّ وقتٍ غيمةٌ،
لكن أَعمارَ الغيوم قصيرةٌ في الريح،
كالأبد المؤقت في القصائِد،
لا يزول ولا يدوم...

من حُسْن حظّي أَنني أَمشي على جَبَلٍ
وأَنظر من علٍ
نحو الغيوم....

هي جُمَلَةٌ اسمية ، لا فِعْلَ

فيها أو لها : للبحر رائحةُ الأَسِرَّةِ

بعد فِعْلِ الحُبِّ... عطرٌ مالحٌ أَو

حامضٌ . هِيَ جملة اسمية : فرحي

جريحٌ كالغروب على شبابيك الغريبة .

زهرتي خضراءُ كالعنقاء . قلبي فائضٌ

عن حاجتي , متردِّدٌ ما بين بابَيْنَ :

اُلدخولُ هو الفُكَاهَةُ , والخروج هُوَ

المَتَاهَةُ .أَين ظلِّي – مرشدي وسط

الزحام على الطريق إلى القيامة؟ ليتني

حَجَرٌ قديمٌ داكنُ اللونيْن في سور المدينة ,

كستنائيٌّ وأَسودُ , طاعِنٌ في اللاشعور

تجاه زوَّاري وتأويل الظلال . وليت

للفعل المُضَارِع موطئاً للسير خلفي

أو أمامي , حافي القدمين . أين

طريقيَ الثاني إلى دَرَج المدى؟ أَين

السُّدَى؟ أَين الطريقُ إلي الطريق؟

وأين نَحْنُ, السائرين علي خُطَى الفعل

المضارع, أين نحن؟ كلامُنا خَبَرٌ

ومُبْتَدأٌ أمام البحر, والزَّبدُ المراوغُ

في الكلام هو النقاطُ علي الحروف,

فليت للفعل المضارع موطئاً فوق

الرصيف ...

قُل ما تشاءَ. ضَعِ النقاطَ على الحروفِ.
ضَعِ الحروفَ مع الحروف لتُولَدَ الكلماتُ،
غامضةً وواضحةً، ويبتدئَ الكلامُ.
ضَعِ الكلامَ على المجاز. ضَعِ المجازَ على
الخيال . ضَعِ الخيالَ على تَلفُّته البعيد.
ضَعِ البعيدَ على البعيد.... سَيُولَدُ الإيقاعُ
عند تَشَابُكِ الصُّوَرِ الغريبةِ من لقاء
الواقعيِّ مع الخياليِّ المُشَاكسِ/
هل كَتَبْتَ قصيدةً؟
كلا!
لعلَّ هناك ملحاً زائداً أَو ناقصاً
في المفردات . لعلَّ حادِثةً أخلَّتْ بالتوازن
في مُعَادَلَةِ الظلال. لعلَّ نسراً
مات في أَعلى الجبال.لعلَّ أَرضَ
الرمز خفَّتْ في الكناية فاستباحتها
الرياحُ . لعلَّها ثَقُلَتْ على ريش الخيال.
لعلَّ قلبَكَ لم يفكِّرْ جيّداً، فالقصيدة،
زوجةُ الغد وأُبنةُ الماضي، تخيِّم في
مكانٍ غامضٍ بين الكتابة والكلامِ/
فهل كَتَبْت قصيدةً؟
كلا!
إذنْ، ماذا كتبتَ؟

كتبتُ درساً جامعيّاً،
واعتزلْتُ الشعر منذ عرفتُ
كيمياءَ القصيدة..... واعتزلتْ!

لا تكتبِ التاريخَ شعراً، فالسلاحُ هُوَ
المؤرِّخ لا يُصَابُ برعشة
الحُمَّى إذا سَمَّى ضحاياه ولا يُصْغي
إلى سرديّة الجيتار. والتاريخ يوميّاتُ
أَسلِحَةٍ مُدَوَّنةٌ على أَجسادنا. ((إنَّ
الذكيَّ العبقريَّ هو القويُّ)). وليس
للتاريخ عاطفةٌ لِنَشْعُرَ بالحنين إلى
بدايتنا، ولا قَصْدٌ لنعرف ما الأمام
وما الوراء... ولا استراحاتٌ على
سِكك الحديد لندفن الموتى، وننظُرَ
صَوْبَ ما فَعَلَ الزمانُ بنا هناك، وما
فَعَلْنا بالزمان. كأَنَّنا منهُ وخارجَهُ.
فلا هو منطقيٌّ أَو بديهيٌّ لنكسرَ
ما تَبَقَّى من خرافتنا عن الزمن السعيد،
ولا خرافيٌّ لنرضى بالإقامة عند أبواب
القيامةِ. إنَّهُ فينا وخارجنا ... وتكرارٌ
جُنُونيٌّ من المِقْلاع حتى الصاعق النَّوَويِّ.
يصنعُنا ونصنعه بلا هَدَفٍ ... هل
التاريخ لم يُولَدْ كما شئنا، لأن
الكائنَ البشريَّ لم يُوجَدْ؟
فلاسِفَةٌ وفنَّانونَ مَرُّوا من هناك....

ودوّن الشعراءُ يوميّاتِ أزهارِ البنفسج
ثم مروا من هناك .... وصدَّق الفقراءُ
أَخباراً عن الفردوس وانتظروا هناك....
وجاء آلهةٌ لإنقاذ الطبيعةِ من أُلُوهيَّتِنا
ومَرُّوا من هناك. وليس للتاريخ
وَقْتٌ للتأمُّل, ليس للتاريخ مرآةٌ
وَوَجْهٌ سافرٌ. هو واقعٌ لا واقعيٌّ
أَو خيالٌ لا خياليٌّ, فلا تكتبه.
لا تكتبه , لا تكتبه شعراً!

مـا ذ ا سيـبقـى؟

ماذا سَيَبْقَى من هِبات الغيمة البيضاءِ؟

- زَهْرَةُ بَيْسَانْ

ماذا سيبقى من رَذَاذ الموجة الزرقاءِ؟

- إيقاعُ الزمانْ

ماذا سيبقى من نزيف الفكرة الخضراءِ؟

- ماءٌ في عُرُوق السنديانْ

ماذا سيبقى من دُمُوع الحُبِّ؟

- وَشْمٌ ناعمٌ في الأرجوانْ

ماذا سيبقى من غُبار البحث عن معنى؟

- طريقُ العنفوانْ

ماذا سيبقى من طريقِ الرحلة الكبرى

إلى الجهولِ؟

-أُغنيةُ المُسَافر للحصانْ

ماذا سيبقى من سراب الحُلْمِ؟

- آثارُ السماء على الكَمَانْ

ماذا سيبقى من لقاء الشيء باللاشيء؟

- إحساسُ الأُلوهة بالأمانْ

ماذا سيبقى من كلام الشاعر العربيِّ؟

- هاويةٌ... وخَيْطٌ من دخانْ

ماذا سيبقى من كلامِكَ أنْتَ؟

- نسيانٌ ضروريٌّ لذاكرة المكانْ!

لا أعرف اسمك

- لا أعرفُ اسمَكِ

> سمني ما شئتَ

- لستِ غزالةً

> كلا. ولا فرساً

- ولستِ حمامة المنفى

> ولا حُوريّةً

- من أنتِ؟ ما اسمكِ؟

> سَمِّني، لأكونَ ما سَمِّيتَنَي

- لا أستطيع، لأنّني ريحٌ

وأنتِ غريبةٌ مثلي، وللأسماء أرضٌ ما

> إذنْ، أَنا «لا أحَدْ»

> لا أعرف أُسمكَ، ما أُسمُكَ؟

- أُختاري من الأسماء أَقْرَبَها

إلى النسيان. سَمِّيني أكُنْ في

أهل هذا الليل ما سَمَّيْتني!

> لا استطيع لأنني امرأةٌ مسافرةٌ

على ريح. وأنت مسافر مثلي،

وللأسماء عائلة وبيت واضح

- فإذن، أنا «لا شيءَ»...

قالت «لا أحد»:

سأعبئ اسمك شَهْوَةً. جَسَدي

يلمُّك من جهاتكَ كُلِّها. جَسَدي
يضُمُّك من جهاتي كُلِّها ، لتكون شيئاً ما
ونمضي باحِثَيْنِ عن الحياة...
فقال «لا شيء»: الحياةُ جميلةٌ
مَعَكِ... اُلحي

هي في المساء

هي ﭬ المساء وحيدةٌ،

وأَنا وحيدٌ مثلها...

بيني وبين شموعها ﭬ المطعم الشتويِّ

طاولتان فارغتان (لا شيءٌ يعكرُ صَمْتَنَا)

هي لا تراني، إذ أراها

حين تقطفُ وردةً من صدرها

وأنا كذلك لا أراها ، إذ تراني

حين أرشف من نبيذي قُبْلَةً...

هي لا تُفَتِّتُ خبزها

وأنا كذلك لا أريقُ الماءَ

فوق الشَّرْشَف الورقيِّ

(لا شيءٌ يكدِّر صَفْوَنا)

هي وَحْدها ، وأَنا أمامَ جَمَالها

وحدي. لماذا لا تُوحِّدُنا الهَشَاشَةُ؟

قلت ﭬ نفسي -

لماذا لا أذوقُ نبيذَها؟

هي لا تراني، إذ أراها

حين ترفَعُ ساقَها عن ساقِها...

وأنا كذلك لا أراها ، إذ تراني

حين أخلَعُ معطفي...

لا شيء يزعجها معي

لا شيء يزعجني، فنحن الآن

منسجمان في النسيان...

كان عشاؤنا، كل على حِدَةٍ، شهيّاً

كان صَوْتُ الليل أزْرقَ

لم أكن وحدي، ولا هي وحدها

كنا معاً نصغي إلى البلّوْرِ

(لا شيءٌ يُكَسِّر ليلنا)

هي لا تقولُ:

الحبُّ يُولَدُ كائناً حيّا

ويُمْسِي فِكْرَةً.

وأنا كذلك لا أقول:

الحب أَمسى فكرةً

لكنه يبدو كذلك.

لـو كـنـتُ غـيـري

لو كُنْتُ غيري في الطريق ، لما التفتُّ

إلى الوراء، لَقُلتُ ما قال المسافرُ

للمسافرة الغريبة: يا غريبةُ! أَيقظي

الجيتارَ أكْثَرَ! أَرجئي غَدَنا ليمتدَّ الطريقُ

بنا، ويتَّسعَ الفضاءُ لنا ، فننجو من

حكايتنا معاً: أَنتِ أَنتِ... وكم أنا

غيري أمامك ها هنا!

لو كُنْتُ غيري لانتميتُ إلى الطريق،

فلن أعود ولن تعودي. أيقظي الجيتار

كي نتحسَّسَ المجهولَ والجهةَ التي تُغْوي

المسافرَ باختبار الجاذبيّة . ما أنا إلاّ

خُطَايَ، وأنت بوصلتي وهاويتي معاً.

لو كُنْتُ غيري في الطريق، لكُنْتُ

أَخفيتُ العواصفَ في الحقيبة ، كي

تكون قصيدتي مائيّةً، شَفَّافَةً، بيضاءَ

تجريديَّةً، وخفيفةً... أَقوى من الذكرى،

وأَضْعَفَ من حُبَيْبَات الندى، وَلَقُلْتُ:

إنَّ هُوِيَتي هذا المدى!

لو كُنْتُ غيري في الطريق، لَقُلتُ

للجيتار: دَرِّبْني على وَتَرٍ إضافيٍّ!

فإنَّ البيتَ أَبعدُ، والطريقَ إليه أَجملُ -

هكذا ستقول أُغنيتي الجديدةُ - كلما

طال الطريق تجدَّد المعنى، وصرتُ أُثنين
في هذا الطريق: أَنا... وغيري!

شكراً لتونس

شكراً لتونس. أَرْجَعَتْني سالماً من
حبها ، فبكيتُ بين نسائها في المسرح
البلديِّ حين تملَّصَ المعنى من الكلمات.
كُنْتُ أودِّعُ الصيفَ الأخيرَ كما يودِّعُ
شاعرٌ أُغنيةً غَزَلِيَّةً: ماذا سأكتبُ
بعدها لحبيبةٍ أُخرى .... إذا أَحببتُ؟
في لُغَتي دُوارُ البحر في لغتي رحيلٌ
غامضٌ من صُورَ لا قرطاجَ تكبحُهُ، ولا
ريحُ البرابرة الجنوبيِّين. جئت على
وتيرة نَوْرَسٍ، ونَصَبْتُ خيمتي الجديدةَ
فوق مُنْحَدَرٍ سماويٍّ.سأكتبُ ها هنا فصلاً
جديداً في مديح البحر:أُسْطوريَّةٌ
لغتي وقلبي مَوْجةٌ زرقاءُ تخدشُ
صخرةً:((لا تُعْطني، يا بحرُ ، ما
لا أَستحقُّ من النشيد. ولا تكن
يا, بحرُ أكثرَ أو أَقلَّ من النشيد!))..
تطيرُ بيْ لُغتي إلى مجهولنا الأَبديِّ
خلف الحاضر المكسور من جِهَتَيْنِ: إنْ
تنظرْ وراءك تُوقظْ سَدُومُ المكان على
خطيئَتِه... وإن تنظرْ أمامَكَ توقظِ
التاريخَ, فاحذرْ لَدْغَةَ الجهتين ... واتبَعْني.
أقول لها سأمكثُ عند تونس بين

مَنْزِلَتَيْنِ لا بيتي هنا بيتي، ولا
منفايَ كالمنفى.وها أَنذا أُودِّعُها،
فيخرجني هواءُ البحر.. مِسْكُ الليل يجرحني،
وعِقْدُ الياسمين على كلام الناس يجرحني،
ويجرحني التأمُّلُ في الطريق اللولبيِّ إلى ضواحي الأندلسْ.

لـي مقعد في الـمسرح الـمهجور

لِيَ مِقْعدٌ في المسرح المهجور في
بيروتَ. قد أَنسى، وقد أَتذكّرُ
الفصلَ الأخيرَ بلا حنينٍ... لا لشيءٍ
بل لأنَّ المسرحيَّةَ لم تكن مكتوبةً
بمهارةٍ.....
فوضى
كيوميّات حرب اليائسين، وسيرةٌ ذاتيّةٌ
لغرائز المتفرجين . مُمَثِّلُون يُمَزِّقون نُصُوصَهُمْ
ويفتِّشون عن المؤلف بيننا، نحن الشهودَ
الجالسين على مقاعدنا.
أقول لجاريَ الفنّانِ: لا تُشْهر سلاحك،
وانتظرْ، إلاّ إذا كُنْتَ المُؤَلِّفَ!
- لا
ويسألني: وهل أنت المؤلِّفُ؟
- لا
ونجلس خائِفَيْن. أَقول: كُنْ بَطَلاً
حيادياً لتنجو من مصير واضحٍ
فيقول: لا بَطَلٌ يموت مُبَجّلاً في المشهد
الثاني. سأنتظر البقيّةَ . ربما أَجريتُ
تعديلاً على أحد الفصول . وربما أَصلحتُ
ما صَنَعَ الحديدُ بإخوتي

فأقول: أَنتَ إذاً؟
يردُّ: أنا وأنتَ مؤلفان مُقَنَّعان وشاهدان مُقَنَّعان.
أقول: ما شأني؟ أَنا متفرِّجٌ
فيقول: لا متفرِّجٌ في باب هاويةٍ... ولا أَحدٌ حياديّ هنا. وعليك أن تختار دوركَ في النهايةْ
فأقول: تنقصني البداية ، ما البداية؟

فــي الــشــام

في الشام 'أَعرفُ مَنْ أنا وسط الزحام.

يَدُلّني قَمَرٌ تَلألأَ في يد اُمرأةٍ... عليَّ.
يدلّني حَجَرٌ تَوَضَّأ في دموع الياسمينة
ثم نام. يدلُّني بَرَدَى الفقيرُ كغيمةٍ
مكسورةٍ. ويَدُلّني شِعْرٌ فُروسيّ عليَّ:
هناك عند نهاية النفق الطويل مُحَاصَرٌ
مثلي سَيُوقِدُ شمعةً، من جرحه، لتراهُ
ينفضُ عن عباءَتِهِ الظلامَ. تدلّني رَيْحانةٌ
أرختْ جدائلها على الموتى ودفّأت الرخام.
"هنا يكون الموتُ حباً نائماً" ويدُلُّني
الشعراءُ، عُذْرِيِّين كانوا أم إباحيِّينَ،
صوفيِّين كانوا أم زَنَادِقَةً،
عليَّ: إذا
اُخْتَلَفْتَ عرفتَ نفسكَ، فاختلفْ تجدِ

الكلامَ على زهور اللوز شفّافاً، ويُقْرِئُكَ

السماويُّ السلامَ. أَنا أَنا في الشام،

لا شَبَهي ولا شَبَحي. أَنا وغدي يداً

بيدٍ تُرَفْرِفُ في جناحَيْ طائرٍ. في الشام

أمشي نائماً ، وأنام في حِضْن الغزالةِ

ماشياً. لا فرق بين نهارها والليل
إلاّ بعضُ أشغال الحمامِ. هناك أرضُ
الحُلْمِ عاليةٌ ، ولكنَّ السماءَ تسيرُ عاريةً
وتَسكُنُ بين أَهل الشام...

فــي مـصر

في مصرَ، لا تتشابَهُ الساعاتُ...
كُلُّ دقيقةٍ ذكرى تجدِّدُها طيورُ النيل.
كُنْتُ هناك. كان الكائنُ البشريُّ يبتكرُ
الإله/ الشمسَ. لا أحَدٌ يُسَمِّي نفسَهُ
أَحداً. ((أنا أبنُ النيل – هذا الاسم
يكفيني)) . ومنذ اللحظة الأولى تُسَمِّي
نفسك ((ابن النيل)) كي تتجنَّب العَدَم
الثقيل. هناك أحياءٌ وموتى يقطفون
معاً غيومَ القُطْنِ من أرض الصعيد ،
ويزرعون القمحَ في الدلتا . وبين الحيِّ
والمَيْتِ الذي فيه تناوُبُ حارسين على
الدفع عن النخيل . وكُلُّ شيء عاطفيٌّ
فيك ، إذ تمشي على أطراف روحكَ في
دهاليز الزمان ، كأنَّ أُمَّكَ مِصْرَ
قد وَلَدَتْكَ زَهْرَة لُوتسٍ، قبل الولادةِ،
هل عرفت الآن نفسَكَ؟ مصرُ تجلسُ
خلسةً مَعَ نفسها : ((لا شيء يشبهني))
وترفو معطفَ الأبديَّة المثقوب من
إحدى جهات الريح . كُنْتُ هناك . كان
الكائنُ البشريُّ يكتب حكمة الموت / الحياة.
وكُلُّ شيء عاطفيٌّ ، مُقْمِرٌ... إلاّ القصيدةَ

في التفاتتها إلى غدها تُفَكّر بالخلود،
ولا تقول سوى هشاشتها أمام النيل...

أتـذكّر الـسَّيّـاب

أتذكّرُ السيّاب، يصرخُ في الخليج سُدَىً:
عِراقُ، عراقُ، ليس سوى العراق..))
ولا يردُّ سوى الصدى.

أَتذكّرُ السَّيَّابَ، في هذا الفضاء السُّومريِّ
تغلّبتْ أُنثى على عُقْم السديمِ،
وأَوْرَثَتْنا الأرض والمنفى معاً
أَتذكّرُ السيَّابَ...إن الشِّعْرَ يُولَدُ في العراقِ،
فكُنْ عراقيّاً لتصبح شاعراً يا صاحبي!
أتذكّرُ السيّاب... لم يَجِدِ الحياةَ كما
تخيّل بين دجلةَ والفراتِ، فلم يفكّر
مثلَ جلجامشْ بأعشاب الخلودِ،
ولم يُفكّر بالقيامة بعدها...
أَتذكّرُ السيّاب, يأخذُ عن حمورابي
الشرائعَ كي يُغَطّي سَوْءَةً,
ويسير نحو ضريحه متصوّفاً.
أتذكّر السيّابَ، حين أُصابُ بالحمّى
وأهذى: إخوتي كانوا يعدّون العَشَاءَ
لجيش هولاكو، ولا خَدَمٌ سواهُمْ... إخوتي!
أتذكّرُ السيّابَ... لم نَحْلُم بما لا
يستحق النَّحل من قُوتٍ. ولم نحلم

بأكثرَ من يدين صغيرتين تصافحان غيابنا..
أَتذكّرُ السيّاب... حدّادون موتَى ينهضون
من القبور ويصنعون قيودنا.

أتذكّرُ السيَّاب... إنَّ الشعرَ تجربَةٌ ومنفى،
توأمان ونحن لم نحلُمْ بأكثر من
حياة كالحياةِ، وأن نموت على طريقتنا:
((عِراقُ
((عراقُ
((ليس سوى العراقْ...))

طريـق الـسـاحل

طريقٌ يُؤدِّي إلى مصرَ والشام

[قلبي يرنُّ من الجِهَتَيْن]

طريقُ المسافر مِنْ... وإلى نفسهِ

[جَسَدي ريشةٌ والمدى طائرٌ]

طريقُ الصواب... طريقُ الخطأْ

[لعلِّي أَخطأتُ، لكنها التجربة]

طريق الصعود إلى شُرُفات السماء

[وأَعلى وأعلى، وأَبعدْ]

طريقُ النزول إلى أوَّل الأرضِ

[إنَّ السماء رماديّةٌ]

طريق التأمُّل في الحبِّ

[فالحب قد يجعلُ الذئبَ نادلَ مقهى]

طريقُ السنونو ورائحةُ البرتقال على البحرِ

[إنَّ الحنينَ هُوَ الرائحةْ]

طريقُ التَّوَابلِ والملحِ والقمحِ

[والحربِ أَيضاً]

طريقُ السلام المُتَوَّجِ بالقُدْسِ

[بعد انتهاء الحروب صليبيَّةِ الأقنعة]

طريقُ التجارة والأبجديَّة، والحالمينَ

[بتأليف سيرةِ تِرْغَلَّةٍ]

طريق غُزاةٍ يريدون ترميمَ تاريخهم

[بغدٍ مُودَع في البنوك]

طريقُ التَّحَرُّشِ بالميثولوجيا

[فقد تَسْتَجيبُ إلى التكنولوجيا]

طريقُ التخلِّي' قليلاً' عن الإيديولوجيا

[لمصلَحَةِ العَوْلَمَةْ]

طريق الصراع على أيِّ شيءٍ

[ولو كان جِنْسَ الملاك]

طريقُ الوفاق على كُلِّ شيء

[ولو كان أُنثى الحجر]

طريقُ الإخاء المُخَاتِلِ

[بين الغزالِ وصيّادِهِ]

طريقٌ يدلُّ على السيئ أو عكسه

[لفرط التَّشَابُه بين الكِنَايَةِ والاستعارة]

طريقُ الخيول التي صَرَعَتْها المسافات

[والطائرات...]

طريقُ البريد القديم المُسَجّل

[كُلُّ الرسائل مُودَعَةٌ في خزائن قيصر]

طريقٌ يطول ويقصُرُ

[وَفْقَ مزاج أبي الطيِّب المُتَنَبِّي]

طريقُ الإلهاتِ مُنْحَنياتِ الظُّهُور

[كرايات جيشٍ تَقَهْقَرْ]

طريقُ فتاةٍ تُظَلِّلُ عانَتها بالفراشةِ

[فاللازَوَرْدُ يُجَرِّدُها من ملابسها]

طريقُ الذين يُحيِّرُهُمْ وَصْفُ زهرةِ لوزٍ

[لأنَّ الكثافةَ شَفَّافةٌ]

طريقٌ طويلٌ بلا أَنبياء

[فقد آثروا الطُّرُقَ الوَعِرة]

طريقٌ يؤدِّي إلى طَلَل البيتِ

[تحت حديقة مُسْتَوْطَنَة]

طريقٌ يَسُدّ عليَّ الطريق

فيصرخُ بي شَبَحي:

إنْ

أردتَ

الوصولَ

إلى

نفسك الجامحةْ

فلا

تَسْلُكِ

الطُّرْقَ الواضحةْ!

لا كما يفعل السائح الأجنبي

مَشَيْتُ على ما تَبقَّى من القلبِ,
صَوْبَ الشمال....
ثلاثُ كنائسَ مهجورةٌ,
سنديانٌ على الجانبَيْنِ,
قُرىً كنقاطٍ على أَحْرُفٍ مُحِيَتْ,
وفتاةٌ على العشب تقرأ ما
يُشْبِهُ الشِّعَرَ: لو كُنْتُ أَكبرَ,
لو كُنْتُ أَكبرَ, لاسْتَسْلَمَ الذئبُ لي!

....لم أَكُنْ عاطفياً, ولا ((دون جوان))
فلم أَتمدَّد على العشب, لكنني
قُلتُ في السرِّ: لو كنتُ أَصغرَ
لو كنتُ أَصغرَ عشرين عاماً
لَشاركْتُها الماءَ والسندويشات,
وعلَّمتُها كيف تَلْمِسُ قوس قُزَحْ

مَشَيْتُ, كما يفعل السائح الأَجنبيُّ...
معي كاميرا, ودليلي كتابٌ صغيرٌ
يضمُّ قصائدَ في وَصْفِ هذا المكانِ
لأكثرَ من شاعرٍ أَجنبيٍّ,
أُحسُّ بأني الفوارقُ بين القوافي لقُلْتُ:

أَنا آخري

...كنت أَتبعُ وصف المكان . هنا
شَجَرٌ زائدٌ ٌ وهنا قمرٌ ناقِصٌ
وكما في القصائد : ينبتُ عشبٌ
على حَجَرٍ يتوجّعُ. لا هُوَ حُلْمٌ
ولا هُوَ رمزٌ يدلُّ على طائرٍ وطنيٍّ
ولكنه غيمةٌ أينعَتْ....
خطوة, خطوتان ٌ ثلاثٌ... وَجَدْتُ الربيعَ
قصيراً على المِشْمِشيَّات. ما كِدْتُ أَرنو
إلى زَهْرة اللوز حتى تناثَرْتُ مابينَ
غمَّازَتَيْنِ. مَشَيْتُ لأتبعَ ما تَرَكَتْه الطيورُ
الصغيرةُ من نَمَشٍ في القصائد /

ثُمَّ تساءلْت : كيف يصير المكانُ
اُنعكاساً لصورتِهِ في الأساطيرِ ٌ
أَو صِفَةً من صفات الكلامِ؟
وهل صورةُ الشيء أَقوى
من الشيءِ؟
لولا مخيَّلتي قال لي آخري:
أنتَ لَسْتَ هنا!

لم أكن واقعيّاً. ولكنني لا

أُصدِّقُ تاريخَ ((إلياذة)) العسكريَّ

هُوَ الشِّعْرُ أسطورةٌ خَلَقَتْ واقعاً...

وتساءَلْتُ: لو كانتِ الكاميرا والصحافةُ

شاهدةً فوق أسوار طروادةَ الآسيويةِ

هل كان ((هوميرُ))يكتبُ غيرَ الأوديسةِ؟/

...أُمْسِكُ هذا الهواء الشهيَّ

هواءَ الجليل بكلتا يديَّ

وأمْضَغُهُ مثلما يمضَغُ الماعزُ الجبليُّ

أَعالي الشُّجَيْراتِ

أَمشي أُعرِّف نفسي إلى نفسها:

أنتِ يا نفسُ إحدى صفات المكان

ثلاثُ كنائسَ مهجورةٌ

مآذنُ مكسورةٌ

سنديانٌ على الجانبينِ

قُرىً كنقاط على أَحْرُفٍ مُحِيَتْ

وفتاةٌ على العشب تسأل طيفاً:

لماذا كبرتَ ولم تنتظرني

يقول لها: لم أَكنْ حاضراً

عندما ضاق ثوبُ الحرير بتُفّاحَتَيْنِ.

فغنِّي كما كنتِ قبل قليل تُغَنِّين:

لو كُنْتُ أكبرَ, لو كنتُ أكبرَ..../

أَمَّا أَنا، فسأدخُلُ في شجر التوتِ
حيث تُحوِّلُني دُودَةُ القزِّ خَيْطَ حريرٍ،
فأدخلُ في إبرة اُمراةٍ من
نساء الأساطير،
ثم أطير كشالٍ مع الريح...

في ذكرى أمل دنقل

واقفاً مَعَهُ تحت نافذةٍ،
أتأمَّلُ وَشْمَ الظلال على
ضفَّة الأَبديَّةِ ، قُلتُ له:
قد تغيَّرتَ يا صاحبي .... وَانْفَطَرْتَ
فها هِيَ درّاجةُ الموت تدنو
ولكنها لا تحرِّكُ صرختك الخاطفةْ

قال لي: عِشْتُ قرب حياتي
كما هِيَ،
لا شيءَ يُثْبِتُ أَنِّيَ حيٌّ
ولا شيءَ يثبتُ أَنيَ مَيْتٌ
ولم أَتدخّل بما تفعلُ الطيرُ بي
وبما يحمِلُ الليل مِنْ
مَرَضِ العاطفةْ

أَلغيابُ يرفّ كزوجَيْ حمامٍ على النيل...
يُنْبِئُنا باختلاف الخُطَى حول فعل المُضارعِ....
كُنّا معاً، وعلى حِدَةٍ ، نَسْتَحِثُّ غداً
غامضاً. لا نريدُ من الشيء إلاّ
شفافيَّةَ الشيء: حدِّقْ تَرَ الوردَ

أسوَدَ في الضوء . وأُحلُمْ تَرَ الضوءَ
في العتمة الوارفةْ...

ألجنوبيُّ يحفظ درب الصعاليك عن
ظهر قلبٍ . ويُشْهُهُم في سليقتهم
وارتجالِ المدى. لا ((هناك))له،
لا ((هنا))، لا عناوينَ للفوضويّ
ولا مِشْجَبٌ للكلام. يقول : النظامُ
اُحتكامُ الصدى للصدى. وأَنا صوتُ
نفسي المشاع: أَنا هُوَ أنتَ ونحنُ أَنا.
وينامُ على دَرَج الفجر: هذا هو
البيتُ، بيتٌ من الشعر، بيتُ الجنوبيِّ.
لكنَّهُ صارمٌ في نظام قصيدته . صانعٌ
بارعٌ يُنقِذُ الوَزْنَ من صَخَب العاصفةْ

ألغيابُ على حاله . قَمَرٌ عابرٌ فوق
خُوفُو يُذهِّبُ سَقْفَ النخيل . وسائحةٌ
تملأ الكاميرا بالغياب، وتسأل: ما
الساعةُ الآن؟ قال لها: الساعةُ
الآن عَشْرُ دقائقَ ما بعد سبعةِ
آلاف عامٍ من الأبجديَّة . ثم تنهّد:
مِصْرُ الشهيّةُ، مِصْرُ البهيَّةُ مشغولةٌ

بالخلود. وأَمَّا أَنا...فمريضٌ بها، لا
أفكِّرُ إلا ّبصحّتها ، وبِكسْرَة خبزِ
غدي الناشفةْ

شاعرٌ، شاعرٌ من سُلاَلَة أَهل
الخسارة, وأُبنٌ وفيٌّ لريف المساكين.
قرآنُهُ عربيٌّ، ومزمورُهُ عربيٌّ، وقُرْبَانُهُ
عربيٌّ. وفي قلبه زَمَنانِ غريبان،
يبتعدان ويقتربان: غدٌ لا يكفُّ
عن الاعتذارِ: ((نَسيتُكَ، لا تنتظرني))
وأَمس يجرُّ مراكبَ فرعونَ نحو الشمال:
((انتظرتُكَ , لكنْ تأَخرتَ)). قُلْتُ لَهُ:
أَين كُنْتَ إذاً؟ قال لي: كُنْتُ
أَبحث عن حاضري في جَنَاحَيْ سُنُونُوّةٍ
خائفةْ...

أَلجنوبيُّ يحملُ تاريخَهُ بيَدَيْهِ، كحفنة قمحٍ،
ويمشي على نفسه واثقاً من يسوع
السنابل . إنَّ الحياةَ بديهيَّةٌ... فلماذا
نفسِّرها بالأساطير ؟ إنَّ الحياة حقيقيّةٌ
والصفاتِ هِيَ الزائفةْ
قال لي في الطريق إلى ليله:

كلَّما قُلْتُ: كلاّ. تجلّى لِيَ اللّهُ
حريَّةٌ... وبلغتُ الرضا الباطنيَّ عن
النفس. قلتُ: وهل يُصْلِحُ الشعرُ
ما أفسد الدهرُ فينا وجنكيزخان
وأحفادُهُ العائدون إلى النهرِ؟
قال: على قَدْر حُلْمكَ تَتَسع الأرضُ.
والأرضُ أمّ المخيّلة النازفةْ

قال في آخر الليل : خذني إلى البيتِ,
بيتِ المجاز الأخيرِ...
فإني غريبٌ هنا يا غريبُ,
ولا شيءَ يُفْرِحُني قرب بيتِ الحبيب
ولا شيءَ يجرحني في ((طريق الحبيب)) البعيدةِ
قلت: وماذا عن الروحِ؟
قال: ستَجْلسُ قُرْبَ حياتي
فلا شيءَ يُثْبِتُ أنّيَ ميتٌ
ولا شي يثبتُ أنّيَ حيٌّ
ستحيا, كما هِيَ
حائرة آسفةْ...

كحادثة غامضة

في دار بابلو نيرودا ، على شاطئ
الباسفيك، تذكّرْتُ يانيس ريتسوس.
كانت أَثينا ترحِّبُ بالقادمين من البحر،
في مَسْرحٍ دائريٍّ مُضاءٍ بصرخة ريتسوس:
((آهِ فلسطينُ،
يا اُسْمَ الترابِ،
ويا اُسْمَ السماءِ،
سَتَنْتَصِرين...))
وعانَقَني، ثُمَّ قَدَّمني شاهراً شارةَ النصرِ:
((هذا أَخي)).
فَشَعَرْتُ بأنني انتصرتُ، وأَني انكسرتُ
كقطعة ماسٍ، فلم يَبْقَ منِّي سوى الضوءِ/
في مطعم دافئٍ ، نتبادلُ بَعْضَ الحنين
إلى بَلَدَيْنا القديمين، والذكرياتِ عن
الغد: كانت أَثينا القديمةُ أَجملَ.
أَما يَبُوسُ، فلن تتحمَّل أكثر . فالجنرال
اُستعار قناعَ النبيّ ليبكي ويسرِق
دمعَ الضحايا :((عزيزي العَدُوَّ!
قَتَلْتُكَ من دون قصدٍ، عدوِّي العزيزَ،
لأنَّكَ أزعجتَ دبَّابتي))/

قال ريتسوس: لكنَّ اسبارطةَ انكسرَتْ
في مهبِّ الخيال الأثينيِّ . إنَّ الحقيقةَ
والحق صنوان ينتصران معاً. يا أَخي
في القصيدة! للشعر جسْرٌ على
أمسِ والغد . قد يلتقي باعةُ السَّمَكِ
المُتْعَبون مع الخارجين من الميثولوجيا.
وقد يشربون النبيذ معاً.

قلتُ: ما الشعْرُ؟... ما الشِعْرُ في
آخر الأمر؟
قال: هو الحَدَثُ الغامضُ، الشعرُ
يا صاحبي هو ذاك الحنينُ الذي لا
يُفسَّرُ ، إذ يجعلُ الشيءَ طيفاً، وإذْ
يجعلُ الطَّيْفَ شيئاً. ولكنه قد يُفَسِرُ
حاجَتَنا لاقتسامِ الجمال العُمُوميِّ.../

لا بحر في بيته في أَثينا القديمةِ،
حيث الإلهاتُ كنّ يُدِرْنَ شؤون الحياة
مع البَشَر الطيِّبين . وحيث إلكترا الفتاةُ
تناجي إلكترا العجوزَ وتسألها : هل
أَنا أنت حقّاً؟
ولا لَيْلَ في الضيِّق المُتَقَشِّفِ

فوق سطوح تطلُّ على الغابة المعدنيَّةِ.
لَوْحَاتُهُ كالقصائد مائيَّةٌ، وعلى أرض
صالونه كُتُبٌ رُصِفَتْ كالحصى المُنْتَقَى.
قال لي: عندما يحزُنُ الشعرُ أَرسمُ
فوق الحجارةِ بَعْضَ الفخاخ لصَيْدِ القَطَا.
قُلْتُ: من أَين يأتي إلى صوتك
البحرُ، والبحر منشغلٌ عنك يا صاحبي؟
قال: من جهة الذكريات ، وإن
كنت ((لا أتذكر أَنِيَ كُنْتُ صغيراً))
وُلدت ولي أخَوانِ عَدُوّانِ:
سجني ودائي.
- وأَين وَجَدْتَ الطُّفُولَةَ؟
- في داخلي العاطفيّ. أَنا الطفلُ
والشيخُ.طفلي يُعَلِّمُ شيخي المجازَ.
وشيخي يُعلِّمُ طفلي التأمُّل في خارجي.
خارجي داخلي
كُلَّما ضاق سجني تَوزَّعْتُ في الكُلِّ،
واتَّسَعَتْ لغتي مثل لُؤْلُؤةٍ كُلَّما عَسْعَسَ
الليل ضاءتْ/

وقلت: تعلَّمتُ منك الكثير. تعلَّمت
كيف أدرِّبُ نفسي على الانشغال بحبٍّ

الحياة، وكيف أُجدِّفُ في الأبيض
المتوسِّط بحثاً عن الدرب والبيت أو
عن ثُنَائيَّة الدربِ والبيتِ/

لم يَكْتَرِثْ للتحيَّة. قدَّم لي قهوةً.
ثم قال: سيرجعُ أوديسُكُمْ سالماً،
سوف يَرْجِعُ.../

في دار پابلو نيرودا، على شاطئ
الپاسفيك، تذكَّرْتُ يانيس ريتسوس
في بيته. كان في ذلك الوقت يدخُلُ
إحدى أساطيرِهِ، ويقول لإحدى الإلهاتِ:
إنْ كان لا بُدَّ من رحلةٍ، فلتَكُنْ
رحلَةً أبديّةْ!

لــيس لــلكــر د ي   ا لا   ا لــريــح

يَتَذكّرُ الكرديُّ حين أزورُهُ ، غَدَهُ ..
فيُبعدُهُ بُمكْنسة الغبارِ : إليك عنّي !
فالجبالُ هِيَ الجبالُ. ويشربُ الڤودكا
لكي يبقى الخيالَ على الحياد : أَنا
المسافرُ في مجازي، و الكراكيُّ الشقيَّةُ
إخوتي الحَمْقىَ. وينفُضُ عن هُويَّتِهِ
الظلالَ: هُوِيَّتي لُغتي. أنا.. و أنا.
أنا لغتي. أنا المنفيّ في لغتي.
وقلبي جمرةُ الكُرْديِّ فوق جبالِهِ الزرقاء ../
نيقُوسْيا هوامِشُ في قصيدته,
ككُلّ مدينةٍ أخرى. على درّاجةٍ
حمل الجهاتِ، وقال: أسْكُنُ أَينما
وَقَعَتْ بيَ الجهةُ الأخيرةُ. هكذا
اختارَ الفراغَ ونام. لم يَحْلُمْ
بشيء مُنْذ حَلَّ الجِنُّ في كلماتِهِ،
(كلماتُهُ عضلاتُهُ. عضلاتُهُ لكلماتُهُ)
فالحالمون يُقَدِّسون الأمسَ، أَوْ
يَرْشُون بوَّاب الغد الذهبيِّ..
لا غَدَ لي ولا أمسِ. الهُنَيْهَةُ

ساحتي البيضاء../

منزله نظيف مثلُ عَيْن الديكِ ..

منسيٌّ كخيمة سيّد القوم الذين

تبعثروا كالريش. سَجَّادٌ من الصوف

المجعَّد. مُعْجَمٌ مُتآكل. كُتُبٌ مُجَلَّدةٌ

على عَجَل. مخدّاتٌ مطرَّزَةٌ بإبرة

خادم المقهى. سكاكينٌ مُجَلَّخةٌ لذبح

الطيرِ و الخنزير. فيديو للإباحيات.

باقاتٌ من الشوك المُعَادِلِ للبلاغةِ.

شُرْفَةً مفتوحةٌ للاستعارة. ها هنا

يَتَبادَلُ الأتراكُ والإغريقُ أدوارَ

الشتائم. تلك تَسْلِيَتي وتَسْلِيَةُ

الجنود الساهرين على حدود فُكاهةٍ

سوداء../

ليس مسافراً هذا المسافرُ، كيفما اتَّفَقَ..

الشمالُ هو الجنوبُ، الشرقُ غَرْبٌ

في السراب. ولا حقائبَ للرياح،

ولا وظيفة للغبار. كأنه يُخفي

الحنينَ إلى سواهُ، فلا يُغنِّي .. لا

يُغَنيٍّ حين يدخُلُ ظلُّه شَجَرَ الأكاسْيا،

أو يبلِّلُ شَعرَهُ مَطَرٌ خفيفٌ..

بل يُناجي الذئبَ، يسألهُ النزالَ :
تعال يا أُبن الكلب نَقْرَعْ طَبْلَ
هذا الليل حتى نوقظ الموتى. فإنَّ
الكُرْدَ يقتربون من نار الحقيقة،
ثم يحترقون مثل فراشة الشُّعَراء/
يعرفُ ما يريد من المعاني. كلُّها
عَبَثٌ. وللكلمات حيلَتُها لصيد نقيضها،
عبثاً. يفضّ بكارةَ الكلمات ثم يعيدها
بكراً إلى قاموسه. ويَسُوسُ خَيْلَ
الأبجدية كالخراف إلى مكيدته، ويحلقُ
عانَةَ اُللُغةِ : انتقمتُ من الغياب.
فَعلْتُ ما فعل الضبابُ بإخوتي.
وشَوَيْتُ قلبي كالطريدة.لن أكون
كما أريد. ولن أحبَّ الأرض أكثر
أو أقلَّ من القصيدة. ليس
للكرديِّ إلاّ الريح تسكنُهُ ويسكنُها.
وتُدْمِنُه ُويُدْمنُها، لينجوَ من
صفات الأرض والأشياء ../
كان يخاطب المجهول: يا أُبني الحُرّ !
يا كبش المتاه السرمديّ. إذا رأيتَ
أباك مشنوقاً فلا تُنْزِلْهُ عن حبل
السماء، ولا تُكَفِّنْهُ بقطن نشيدك

الرَّعَوِيَّ. لا تدفنه يا أُبني، فالرياحُ
وصيَّةُ الكرديِّ للكردي في منفاهُ،
يا أُبني .. و النسورُ كثيرةٌ حولي
وحولك في الأناضول الفسيح.
جنازتي سريَّةٌ رمزيّةٌ، فَخُذِ الهباءَ
إلى مصائره، وجُرَّا سماءك الأولى
إلى قاموسك السحريِّ. واحذرْ
لَدْغَةَ الأمل الجريح، فإنه وحشٌ

خُرّافيٌّ. وأنت الآن .. أنت الآن
حُرّ، يا أُبن نفسِكَ، أنت حُرٌّ
من أبيك ولعنة الأسماء../
باللغة انتصَرْتَ على الهُوَيَّةِ
قُلْتُ للكرديِّ، باللغة انتقمتَ
من الغيابِ
فقال : لن أَمضي إلى الصحراءِ
قُلْتُ ولا أَنا..
ونظرتُ نحو الريح/
- عِمْتَ مساء
- عمت مساءا

سريـر الـغريـبة



تاريخ النشر	1999
عدد القصائد	29

كان ينقصنا حاضر

لِنَذْهَبَ كما نَحْنُ:
سيِّدةً حُرَّةً
وصديقاً وفيّاً،
لنذهبْ معاً في طريقَيْنِ مُخْتَلِفَيْن
لنذهَبْ كما نحنُ مُتَّحِدَيْن
ومُنْفَصِلَيْن،
ولا شيءَ يُوجِعُنا
لا طلاقُ الحمام ولا البردُ بين اليَدَيْن
ولا الريح حول الكنيسة تُوجِعُنا....
لم يكن كافياً ما تفتَّح من شَجَر اللوز
فابتسمي يُزْهِرِ أكثرَ
بين فراشات غمازَتَيْن

وعمَّا قليلٍ لنا حاضرٌ آخَرٌ
إن نَظَرْتِ وراءك لن تبصري
غيرَ منفى وراءك:
غُرْفَةُ نومِكِ،
صفصافةُ الساحِة،
النهرُ خلف مباني الزجاج،
ومقهى مواعيدنا... كُلها، كُلّها

تَسْتَعِدُّ لتصبح منفىً إذاً
فلنكن طيّبين!

لِنَذْهَبْ كما نَحْنُ:
إنسانةً حُرّةً
وصديقاً وفيّاً لناياتها ,
لم يكن عُمْرُنا كافياً لنشيخ معاً
ونسيرَ إلى السينما متعبين
ونَشْهَدَ خاتمةَ الحرب بين أَثينا وجاراتها
ونرى حفلة السلم مابين روما وقرطاج
عمَّا قليل.
فعمَّا قليلٍ ستنتقل الطَيْرُ من زَمَنٍ نحو آخرَ,
هل كان هذا الطريقُ هباءً
على شَكْل معنى, وسار بنا
سَفَراً عابراً بين أسطورتين
فلا بُدَّ منه, ولا بُدَّ منا
غريباً يرى نَفَسَهُ في مرايا غريبته؟
((لا, ليس هذا طريقي إلى جَسَدي
((لا حُلول ثقافيَّةً لهُمُومٍ وُجوديَّةٍ
((أَينما كنتَ كانت سمائي
حَقِيقيَّةً

((مَنْ أَنا لأُعيد لَكَ الشَمْس والقَمَرَ السابقين

فلنكن طيّبين...

لنذهبْ٬ كما نحن:
عاشقةً حُرَّةً
وشاعِرَها.
لم يكن كافياً ما تساقط من
ثلج كانون أَوَّلَ٬ فابتسمي
يندف الثلج قطناً على صلوات المسيحيِّ,
عمَّا قليل نعود إلى غَدِنا٬ خَلْفَنا٬
حَيْثُ كُنَّا هناك صغيرين في أوَّل الحب٬
نلعب قصة روميو وجولييت
كي نتعلَّم مُعْجَمَ شكسبير....
طار الفَرَاشُ مِنَ النَوْمِ
مثل سرابِ سلامٍ سريع
يُكَلِّلُنا نجمتين
ويَقتلُنا في الصراع على الاسم
مابين نافذتين
لنذهب , إذاً
ولنكن طيِّبين
لِنَذْهَبْ٬ كما نَحْنُ:

إنسانةً حُرَّة
وصديقاً وفيّاً ,
لنذهَبْ كما نحن . جئنا
مَعَ الريح من بابلٍ
ونسيرُ إلى بابلٍ...
لم يَكُنْ سَفَرِي كافياً
ليصير الصنَوْبَرُ في أَثَري
لفظةً لمديح المكان الجنوبيِّ
نحن هنا طَيِّبونَ. شَماليَّةٌ
ريحُنا , والأغاني جَنُوبيَةٌ
هل أَنا أَنتِ أُخرى
وأَنت أَنا آخر؟
((ليس هذا طريقي إلى أرض حُريَّتي
ليس هذا طريقي إلى جَسَدي
وأَنا, لن أكون ((أنا))مَرَّتين
وقد حلّ أَمسِ مَحَلَّ غدي
وانقَسَمْتُ إلى اُمرأتين
فلا أَنا شرقيَّةٌ
ولا أنا غربيَّةٌ ,
ولا أَنا زيتونةٌ ظَلَّلَتْ آيَتَيْن
لِنَذْهَبْ , إذاً
((لا حلولَ جماعيَّةَ لهواجسَ شخصيَّةٍ

لم يكن كافياً أَن نكون معاً
لنكون معاً...
كان ينقُصنُا حاضرٌ لنرى
أين نحن . لنذْهَبَ كما نحنُ
إنسانةً حُرَّةً
وصديقاً قديماً
لنذهبْ معاً في طريقين مختلفين
لنذهب معاً
ولنكن طيّبين...

إذا كُنْتِ آخرَ ما قالَه اللّهُ لي ٬ فليكُنْ
نزولُك نُونَ الـ ((أَنا)) في المُثَنّى . وطوبى لنا
وقد نَوَّر اللوزُ بَعْدَ خُطَى العابرين٬ هنا
على ضفتيك٬ ورفَّ عليك القطا واليمامُ
بقَرْنِ الغزال طَعَنْتِ السماء٬ فسال الكلامُ
ندى في عروق الطبيعة . ما أُسمُ القصيدةْ
أَمام ثُنَائيَّة الخَلْقِ والحق ٬ بين السماء البعيدة
وأَرْزِ سريركِ٬ حينٌ دَمٌ لدمٍ٬ ويئنُّ الرخام؟

ستحتاج أسطورةٌ للتشمُّس حولك . هذا الزحامُ
إلهات مِصْرَ وسُومَرَ تحت النخيل يُغيِّرن أَثوابهنَّ
وأَسماءَ أَيامهن, ويُكْملن رحلاتهنَّ إلى آخر القافية...

وتحتاج أنشودتي للتنفُّسِ: لا الشعرُ شعرٌ
ولا النثرُ نثرٌ. حلمت بأنَّكِ آخر ما قالَهُ
لِيَ اللّهُ حين رأيتكما في المنام ٬ فكان الكلامُ....

سماء منخفضة

هُنَالِكَ حُبٌّ يسيرُ على قَدَمَيْهِ الحَرِيرِيَّتَيْن
سعيداً بغُرْبَتِهِ في الشوارع،
حُبٌّ فقيرٌ يُبَلِّلُهُ مَطَرٌ عابرٌ
فيفيض على العابرين:
((هداياي أكبرُ منّي
كُلُوا حِنْطَتي
واُشربوا خَمْرَتي
فسمائي على كتفيَّ وأرضي لَكُمْ...
هَل شَمَمْتِ دَمَ الياسمينِ المَشَاعَ
وفكَّرْتِ بي
وانتظرتِ معي طائراً أَخضرَ الذَيْلِ
لا اُسْمَ لَهُ؟

هُنَالِكَ حُبٌّ فقيرٌ يُحدِّقُ في النهرِ
مُسْتَسْلِماً للتداعي: إلى أَين تَرْكُضُ
يا فَرَسَ الماءِ؟
عما قليل سيمتصُّكَ البحرُ
فامش الهوينى إلى مَوْتكَ الاختياريِّ
يا فَرَسَ الماء!
هل كنتِ لي ضَفَّتَيْنْ
وكان المكانُ كما ينبغي أن يكون

خفيفاً خفيفاً على ذكرياتِكِ؟

أَيَّ الأغاني تُحِبِّينَ
أيَّ الأغاني؟أَتلك التي
تتحدَّثُ عن عَطَشِ الحُبِّ٬
أَمْ عن زمانٍ مضى؟

هنالك حُبّ فقير ٬ ومن طَرَفٍ واحدٍ
هادئ هادئ لا يُكَسِّرُ
بِلَّوْرَ أَيَّامِكَ المُنْتَقَاةِ
ولا يُوقدُ النارَ في قَمَرٍ باردٍ
في سريرِك,
لا تشعرينَ به حينَ تبكينَ من هاجسٍ ,
رُبَّما بدلاً منه ,
لا تعرفين بماذا تُحِسِّين حين تَضُمِّينَ
نفسَكِ بين ذراعيكِ!
أَيَّ الليالي تريدين , أيَّ الليالي
وما لوْنُ تِلْكَ العيونِ التي تحلُمينَ
بها عندما تحلمين؟
هُنَالِكَ حُبٌّ فقيرٌ , ومن طرفين
يُقَلِّلُ من عَدَد اليائسين
ويرفَعُ عَرْشَ الحمَام على الجانبين .

عليكِ’ إذاً , أَن تَقُودي بنفسِكِ
هذا الربيعَ السريعَ إلى مَنْ تُبّينَ
أَيَّ زمانٍ تريدين , أَيَّ زمان
لأصبحَ شاعِرَهُ , هكذا هكذا : كُلّما
مَضَتِ أُمرأةٌ في المساء إلى سرِّها
وَجَدَتْ شاعراً سائراً في هواجسها.
كُلّما غاص في نفسه شاعرٌ
وَجَدَ امرأةً تتعرَّى أَمام قصيدتِهِ...
أَيَّ منفىً تريدينَ؟
هل تذهبين معي , أَمْ تسيرين وَحْدَكِ
في اُسْمك منفىً
بِلأْلاَئِهِ؟

هُنَالِكَ حُبٌّ يَمُرُّ بنا ,
دون أَن نَنْتَبِهْ ,
فلا هُوَ يَدْري ولا نحن نَدْري
لماذا تُشرِّدُنا وردةٌ في جدارٍ قديم
وتبكي فتاةٌ على مَوْقف الباص ,
تَقْضِمُ تُفَّاحَةً ثم تبكي وتضحَكُ:
((لا شيءَ’ لا شيءَ أكثر
من نَحْلَةٍ عَبَرَتْ في دمي...

هُنالِكَ حُبّ فقيرٌ , يُطيلُ
التأمُّلَ في العابرين , ويختارُ
أَصغَرَهُمْ قمراً : في حاجةٍ
لسماءٍ أَقلَّ ارتفاعاً ,
فكن صاحبي تَتَّسعْ
لأَنانيَّةِ اُثنين لا يعرفان
لمن يُهْدِيانِ زُهُورَهُما ...
ربَّما كان يَقْصِدُني ' رُبَّما
كان يقصدُنا دون أَن نَنْتَبِهْ

هُنَالِكَ حُبّ....

نـمشي عـلـى الـجسر

تُصابين مثلي , برحلةِ طَيْرٍ
ويحدُثُ ذلك بعد الظهيرةِ ,
حيث تقولين : خُذْني , إلى النهر
يا أَجنبيُّ , إلى النهر خذني
فإن طريقي على ضَفَّتَيْكَ طويلُ

ونُصغي إلى ما يَقُولُ المُشَاةُ
على الجسر:
((لي عَمَلٌ آخرٌ غيرُ هذا ,
((ولي مقعدٌ في السفينة
((لي حصَّةٌ في الحياة
((وأَمَّا أَنا ,
فعليَّ اللحاقُ بمترو الضواحي
((تأخَّرْتُ موعد الساكسفون ,
وَلَيْلي قليلُ
ونصغي إلى ما بنا من حنينٍ خفيّ
إلى شارعٍ غامض: لي حياتي هناك
حياتي التي صنعَتْها القوافلُ وانصرَفَتْ
وهنا لي حياتي على قَدْر خبري
وأَسئلتي عن مصير يُعَذِّبُه حاضرٌ

عابرٌ , وغَدٌ فوضويٌ جَميلُ
صدىً للصدى , أَيُّنا قال هذا الكلام , أَنا
أَمِ الأَجنبيَّةُ ؟ لا أَحد يستطيعُ
الرجوع إلى أَحد . تصنع الأَبديَّةُ
أَشغالها اليدويَّة من عمرنا وتُعَمِّرُ...
فليكُن الحُبُّ ضرباً من الغَيْبِ , وليكُنِ
الغيبُ ضرباً من الحُبّ . إني عجبتُ
لمن يعرفُ الحبَّ كيف يُحِبُّ ! فقد
يتعَبُ الحُب فينا من الانتظار ويمرَضُ ,
لكنَّهُ لا يَقُولُ

لدى غدنا ماسيكفي من الوقت , يكفي
لنمشي على الجسر عَشْرَ دقائقَ أُخرى ,
فقد نتغيَّرُ عما قليلٍ وننسى ملامح
ثالثِنا / الموتِ , ننسى الطريقَ إلى البيت
قرب السماء التي خذلتنا كثيراً ,
خذيني إلى النهر , يا أَجنبيَّةُ
قد نتغيَّر عمًّا قليل . وقد يحدثُ
المستحيلُ

كما في الكتابة يأتي الضروريُّ
في حينه قمراً أُنثوياً لملء فراغ

القصيدة . لا تتركينى تماماً , ولا
تأخذيني تماماً. ضعي في المكان الصحيح
الزمانَ الصحيح . فأنتِ السبيلُ وأَنتِ الدليلُ

بلاد حقيقيَّةٌ , لا مجاز , ذراعاك
حولي ... هنالك قرب الكتاب المُقَدَّس
أَو ههنا أَيُّنا قال : قد تحفَظُ
اللغةُ الأَرضَ مما يُلِمُّ بها من
غيابٍ إذا انتصر الشعرُ ؟ مَنْ
قال منا : سأنس , وأَغفر للقلب
أكثر من خطأ واحد , كلما طال
هذا الرحيلُ...

لــيــلُــكِ مـن لــيــلــكِ

يجلسُ الليلُ حيث تكونين. ليلُك من
لَيْلَكِ.بين حين وآخر تُفلْتُ إيماءةٌ
من أَشعَّة غمَّازتَيْك فتكسر كأسَ النبيذ
وتُشْعل ضوء النجوم . وليلُك ظِلُّكِ -
قطعةُ أرضٍ خرافيَّةٍ للمساواة ما بين
أَحلامنا. ما أَنا بالمسافر أَو بالمُقيم على
لَيْلكِ الليلكيِّ , أَنا هُوَ مَنْ كان يوماً
أَنا , كُلَّما عَسْعَسَ الليلُ فيك حَدَسْتُ
بمَنْزلَةِ القلب ما بين مَنْزلَتَيْن : فلا
النفسُ ترضى , ولا الروحُ ترضى . وفي
جَسَدَيْنا سماءٌ تُعانق أَرضاً. وكُلُّك
ليلُكِ... لَيْلٌ يشعُّ كحبر الكواكب.لَيْلٌ
على ذمَّة الليل , يزحف في جسدي
خَدَراً على لُغَتي , كُلَّما اتَّضَحَ أزدَدْتُ
خوفاً من الغد في قبضة اليد. ليلٌ
يُحدَّقُ في نفسه آمناً مطمئناً إلى لا
نهاياته'لا تحفُّ به غيرُ مرآته
وأَغاني الرُعاة القُدَامى لصيف أَباطرةٍ
يمرضون من الحبِّ . ليل ترعرع في شِعْرِهِ
الجاهليِّ على نزوات امرئ القيس والآخرين ,

ووسَّع للحالمين طريقَ الحليب إلى قمرٍ
جائعٍ في أَقاصي الكلامْ ....

سوناتا

لعلَّكِ حين تُديرينِ ظِلَّكِ للنهر لا تطلبين
مِنَ النهر غيرَ الغُموض . هُناكَ خريفٌ قليلْ
يَرُشُّ على ذَكَرِ الأَيِّلِ الماءَ من غيمةٍ شاردةْ
هُناكَ على ما تَركْتِ لنا من فُتَاتِ الرحيلْ

غموضُك دَرْبُ الحليب. غبارُ كواكبَ لا أُسم لها
وَلَيْلٌ غُمُوضُكِ في لُؤْلُؤ لا يُضيءُ سوى الماء ,
أَمَّا الكلامُ فمن شأنه أَن يضيء بمفردةٍ واحدةْ
((أُحبُّكِ))لَيْلَ المهاجر بين مُعَلَّقَتَيْن وَصَفَّيْ نخيلْ

أَنا مَنْ رأى غَدَهُ إِذْ رآكِ. أَنا مَنْ رأى
أَناجيلَ يكتبها الوثنيُّ الأَخيرُ على سفح جلعادَ
قبل البلادِ القديمةِ أَو بعدها . وأنا الغيمةُ العائدةْ
إلى تِينَةٍ تحملُ أُسمي , كما يحمل السيف وَجْهَ القتيلْ

لعلَّكِ , حين تُديرين ظلَّك لي , تمنحين المجاز
وقائعَ معنىً لما سوف يحدث عمَّا قليلْ

وقوع الغريب على نفسه في الغريب

واحدٌ نحن في اثنين /

لا اسمَ لنا ، يا غريبةُ , عند وُقُوع

الغريب على نفسه في الغريب . لَنَا من

حديقتنا من أرض ليلك , ولتُبْطِني

وما تشائين . جئنا على عَجَلٍ من غروب

مكانين في زمن واحد , وبحثنا معاً

عن عناويننا : فاذهبي خَلْف ظلِّك ,

شَرْقَ نشيد الأَناشيد , راعيةً للقطا ,

تجدي نجمةً سَكَنَتْ موتها , فاصعدي جَبَلاً

مُهْمَلاً تجدي أَمسِ يُكْمِلُ دورتَهُ في غدي

تجدي أَين نكون معاً ,

واحدٌ نحن في اُثنين /

فاذهب إلى البحر , غَرْبَ كتابك ,

واغطُسْ خفيفاً خفيفاً كأنَّك تحمل

نَفْسَكَ عند الولادة في موجتين ,

تجدْ غابةً من حشائش مائيةٍ خفيفاً

خفيفاً كأنك لا شيء في أَيِّ سيء ,

تجدنا معاً ...

واحدٌ نحن في اُثنين /

فاذهب إلى البحر , غَرْبَ كتابك ,

واغطُسْ خفيفاً كأنَّك تحمل

نَفْسَكَ عند الولادة في موجتين ,

تجدْ غابةً من حشائش مائيةٍ وسماءً
من الماء كأنك لا شيء في أَيِّ شيء ,
تجدنا معاً ....
واحدٌ نحن في أُثنين /
ينقُصنُا أَن نرى كيف كنا هنا , يا
غريبةُ ظلّين ينفتحانِ وينغلقانِ على ما
تشكّل من شكلنا يختفي ثم يظهَرُ
في جَسَدٍ يختفي في التباس الثنائية
الأَبدية . ينقُصنُا أَن نعودَ إلى أُثنين
كي نتعانق أكثر. لا اسم لنا يا غريبة
عند وقوع الغريب على نفسه في الغريب !

غيمة من سدوم

بَعْدَ لَيْلِكِ , ليلِ الشتاء الأَخير

خَلاَ شارعُ البحر من حَرَسِ الليل ,
لا ظلَّ يتبعُني بعدما جَفَّ لَيْلُكِ
في شمس أُغنيتي . مَنْ يقول لي
الآن : دعك من الأَمس واحْلُمْ بكامل
لا وعيك الحُرّ؟
حُرّيتي تجلس الآن قربي , وعلى
ركبتيَّ كقطٍ أليف . تُحدِّق بي وبما
قد تركتِ من الأمس لي: شالكِ
الليلكيَّ , شرائطَ فيديو عن الرقص بين الذئاب , وعقداً من
الياسمين على طُحْلُب القلب....

ماذا ستضع حُرِّيتي , بعد ليلك ,
ليل الشتاء الأَخير؟
((مَضَتْ غَيْمَةٌ من سَدُومَ إلى بابلٍ ,
من مئات السنين , ولكن شاعرها ((بول
تسيلان)) أُنتحر , اليومَ , في نهر باريس .
لن تأخذيني إلى النهر ثانية . لن يسائلني
حارسٌ : ما أُسمُكَ اليوم؟ لن نَلْعَنَ
الحربَ. نَلْعَنَ السلْمَ . لن نتسلَّقَ سُورَ
الحديقة بحثاً عن الليل ما بين صفصافتين
ونافذتين , ولن تسأليني : متى يفتح
الِلْمُ أَبوابَ قلعتنا للحمام ؟

بعد ليلك , ليل الشتاء الأخير

أقام الجنودُ معسكرهم في مكان بعيد

وحطّ على شرفتي قمر أَبيض

وجلست وحُرّيتي صامتين نُحَدِّقُ في لينا

مَنْ أَنا ؟ مَنْ أنا بعد لَيْلِكِ

ليلِ الشتاءِ الأَخير؟

شادنا ظبية توأمان

مساءاً , على نَمَش الضوء ما بين
نهديك , يقتربُ الأُمسُ والغدُ مَنَّي .
وُجِدْتُ كما ينبغي للقصيدة أَن تُوَجَدَ....
أُلليلُ يُولَدُ تحت لِحَافِك , والظلُّ
مُرْتَبِكٌ هنا وهنالك بين ضفافك
والكلماتِ التي أَرْجَعَتْنا إلى نَبْرِها :
((وضعتُ يميني على شَعْرها
وشِمالي على شادِنَيْ ظَبْيَةٍ توأمين
وَسِرْنا إلى لَيْلنا الخاصِّ...))
هل أَنتِ حقاً هنا ؟ أَم أَنا
عاشقٌ يتفقَّدُ أَحوالَ ماضِيهِ ؟
نامي على نفسك المطمئنَّةِ بين
زُهُور الملاءات . نامي يداً فوق صدري
وأُخرى على ما سيَنْبُتُ من زَغَبٍ لِفراخ
اليمامات. نامي كما ينبغي للحديقة من
حولنا أَن تنام... امتلأنا بأَمسٍ ,
امتلأنا بوسواس جيتارةٍ لا سرير لها.
يا لها... مِنْ فَتَاةٍ خُلاَسيَّةٍ تبعت ظلَّها .
يا لها ... من هياجٍ يُمزِّقُ ما يتناثر من
وَرَقِ الورد حول السياج . فنامي
على نَفَسي نَفَساً ثانياً قبل أَن يفتح
الأَمسُ نافذتي كلُّها . ليس لي طائرٌ

وطنيٌّ ولا شَجَرٌ وطنيٌّ ولا زَهْرَةٌ
في حديقة منفاك . لكنني – ونبيذي
يُسافِرُ – أُقاسِمُكِ الغَدَ والأَمس .
لولاك لولا الرذاذُ الذي يتلألأ في نَمَش
الضوء ما بين نهديك , لانحرفتْ لُغتي
عن أُنوثتها. كم أَنا والقصيدة أُمُّك,

وأُبناك , نغفو على شَدِنَيْ ظَبْيَةٍ
تَوْأَمَيْن !

أُحبُّ من الليل أَوَّلَهُ , عندما تأتيان معا
يداً بيد , ورويداً رويداً تَضُمَّانِني مَقْطَعاً مقطعا
تطيران بي , فوق . يا صاحبيَّ أَقيما ولا تُسْرِعا
وناما على جانبيَّ كمثل جناحيْ سُنُونُوَّة مُتْعَبَهْ

حريرُ كما ساخِنٌ. وعلى الناي أَن يتأنَّى قليلا
ويصقُلَ سُوناتَةً , عندما تقعان عليَّ غموضاً جميلا
كمعنى أُهْبَةِ العُرْيِ , لا يستطيعُ الو صولا
ولا الانتظار الطويلَ أَمامَ الكلام , فيختارني عَتَبهْ
أُحبُّ من الشعر عَفْوِيَّةَ النثر والصورةَ الخافيةْ
بلا قَمَرٍ للبلاغةِ : حين تسرين حافيةً تترُكُ القافية
جِماعَ الكلام , وينكسِرُ الوَزْنْ في ذروة التجربةْ
قليل من الليل قريك يكفي لأخرج من بابلي
إلى جوهري – آخري . لا حديقةَ لي داخلي
وكُلُّكِ أَنتِ. وما فاض منك ((أَنا)) الحُرَّةُ الطيِّبةْ

خذي فرسي ..... واذبحيها

أَنتِ لا هَوَسي بالفتوحات , عُرْسي
تَرَكْتُ لنفسي و أقرانها من شياطين نفسِكِ
حُرِيَّةَ الامتثال لما تطلبين ,
خُذي فَرسي
واُذبحيها ,
لأَمشي مثلَ المُحَارِبِ بَعْدَ الهزيمةِ
من غيْرِ حُلم وحسٍّ ...
سلاماً ما تُريدين من تَعبٍ
للأَمير الأسير ومن ذهبٍ لاحتفال
الوصيفات بالصيف . أَلْفَ سلام عَلَيْكِ
جميعك حافلةً بالمُريدين من كُلِّ جنٍّ وإنسٍ ,
سلاماً نفسك : دَبُّوسُ شَعْرِكِ يكسر
سيفي وتُرْسي
وزرٌّ قميصك يحمل في ضَوْئه
لفظةَ السرِّ للطير من كُلِّ جنسٍ ,
خُذي نَفَسِي أَخْذَ جيتارَةٍ تستجيبُ
لما تطلبين من الريح . أَندلسي كُلُّها
في يديك , فلا تَدَعي وَتَراً واحداً
للدفاع عن النفس في أَرْض أَندَلُسِي
سوف أُدرك , في زمن آخر ,
سوف أدرك أَني انتصرتُ بيأسي
وأَني وجدت حياتي , هنالك

خارجها , قرب أَمي

خذي فَرسي

وأُذبحيها , لأَحمل نفسيَ حيّاً ومَيْتاً ,

بنفسي...

أرض الغريبة/أرض السكينة

فيَّ , مثلكِ , أَرضٌ على حافَّةِ الأرضِ
مأهُولَةٌ بكِ أَو بغيابكِ . لا أَعرفُ
الأُغنيات التي تْجهَشين بها , وأَنا سائرٌ
في ضبابكِ . فلتَكُنِ الأَرضُ ما
تومئين إليه .... وما تفعلينَهْ

جنوبيَّةٌ ,
لا تكفُّ عن الدَوَران على نفسها
وعليك . لها موعدانِ قصيرانِ حول
السماء: شتاءٌ وصَيْفٌ. وأَمَّا الربيعُ
وأَطوارُهُ , فَهْوَ شَأْنُكِ وَحْدَكِ .
قُومي إلى أَيَّةِ اُمرأةٍ فيك تنتشرِ
المرغريتا على كُلّ نافِذَةٍ المدينهْ

مثل صَيْفِ الأمير الصغير . وأَمَّا
الخريفُ وتأويلُهُ ذَهَباً مُتْعَباً , فهو
شأني أَنا حين أُطْعِمُ طَيْرَ الكنائسِ
خُبْزي . وأَنسى وأَنتِ تسرين بين
التماثيل حريَّةَ الحَجرَ المرمرِيّ . وأَتْبَعُ
رائحة المندرينهْ
مسافرةٌ ,
حول صُورَتها في مراياكِ : ((لا

أُمَّ لي يا اُبْنَتي فَلِدِيني هنا))
هكذا تَضَعُ الأرضَ سرّها ,
وتُزوِّجُ أُنثى إلى ذَكَر . فخذيني
إليها إليك إليَّ . هُنَاكَ هُنا . داخلي
خارجي . وخُذيني لتَسْكُنَ نفسي
إليكِ , وأَسْكُنَ أَرضَ السكينهْ

سَمَاوِيَّةٌ ,
لَيْس لِي ما أَقولُ عن الأرض فيكِ
سوى ما تقولُ الغريبُ : سَمَاويَّةٌ....
رُبَّما يخطئ الغُرَباءُ بلفظِ حُروفٍ آراميَّةٍ.
رُبَّما يَصنْعُون إلهَتَهُمْ من مَوَادَّ
بدائيَّةٍ وَجدوها على ضفَّة النهر ,
لكنهُم يُتْقِنُون الغناءَ : سماويَّةٌ
هذهِ الأرضُ مِثْلُ سَحَابٍ خَفيفٍ

تَبَخَّرَ من ياسمينهْ
مجازيَّةٌ ,
كالقصيدةِ قبل الكتابةِ : ((لا أَبَ
لي يا بُنَيَّ فَلِدْني)) تقولُ لِي الأرضُ
حين أَمرُّ خفيفاً على الأرض , في
لَيْل بِلَّوْرِكِ التلالىء بين الفراشات .

لا دَمَ فوق المحاريثِ . عُذْرِيَّةٌ تتجدَّدُ
لا أُسمَ لما ينبغي أن تكون عليه
الحياةُ سوى ما صَنَعْتِ بروحي وما تصنعينه...

حليب إنانا

لَكِ التَوْأمانِ : لَكِ النثرُ والشعرُ يَتَّحدان , وأَنتِ
تطيرين من زَمَنٍ نحو آخَرَ , سالمةً كاملةْ
على هَوْدَجٍ من كواكب قَتْلاَكِ – حُرَّاسِكِ الطّيبين
وَهُمْ يحملون سماواتِكِ السَبْعَ قافلةً قافلةْ .
رُعاةُ خُيُولِكِ بين نخيلِ يَدَيْكِ ونَهْرَيْكِ يقتربون
مِنَ الماء ((أُولى الإلهات أكثرُهُنَّ أُمتلاءاً
بنا)) خالِقٌ عاشِقٌ يَتَأَمَّلُ أَفعالَه , فيُجَنُّ
بها ويَحِنُّ إليها : أَأَفعالُ ثانيةً ما فَعَلْتُ ؟
وكُتّابُ بَرْقِكِ يحترقون بحِبْر السماء , وأَحفادُهُمْ
يَنْشُرون السنونو على مَوْكب السُومريّة....
صاعدةً كانتِ السومريّة , أَمْ نازلة
لَكِ , أَنتِ المَديدَة في البَهْوِ
ذاتِ القميص المُشَجَّر , والبنطلونِ
الرماديِّ , لا لمجازك , أوقظُ
برِّيَتي , وأَقولُ لنفسي : سيطلع
من عَتْمتي قَمَرُ...

دَعِي الماءَ ينزلْ من الأفُق السومريّ
علينا , كما في الأَساطير . إنْ كانَ
قلبي صحيحاً كهذا الزجاج المحيطِ بنا
فامْلَئِيه بغيمكِ حتى يَعُودَ إلى أَهله غائماً حالماً كصلاة الفقيرِ . وإنْ كانَ
قلبي جريحاً فلا تَطْعَنيه بقَرْنِ الغزال .

فلم تَبْقَ حول الفُرَات زهورٌ طبيعيَّةٌ
لحُلُول دمي في الشقائق بعد الحروب.
ولم تَبْقَ في معبدي جَرَّةٌ لنبيذ الإلهاتِ
في سُومَرَ الأبديَّة , في سُومَرَ الزائلةْ

لَكِ , أَنت الرشيقة في البَهْوِ
ذاتِ اليَدَيْنِ الحَرِيرِيَّتَيْنِ
وحاضرة اللَهْوِ ,
لا لرموزك ,
أُوقظُ بريَّتي' وأَقول:
سأستلُّ هذي الغزالَةَ من سِرْبِها
وأَطعن نفسي... بها!

لا أُريد لأُغنيَّة أَن تكون سريرك ,
فليَصْقُلِ الثورُ, ثور العراقِ
المُجَنَّحُ قَرْنَيْهِ بالدهْر والهيْكَل المُتَصَدِّعِ
في فضّة الفجرِ . وليَحْمِلِ الموتُ آلَتَهُ
المعدنيَّةَ في جَوْقة المنشدين القُدامى
لشمس نَبُوخَذ نَصَّر . أَما أَنا , المتحدِّر
من غير هذ الزمان , فلا بُدَّ لي
من حِصَانٍ يُلائم هذا الزفاف . وإنْ كانَ
لا بُدَّ من قَمَرٍ فَليكُنْ عالياً... عالياً

ومن صُنْعِ بَغْداد , لا عربيّاً ولا فارسياً
ولا تدَّعِيهِ الإلهاتُ من حولنا . وليَكُنْ خالياً
من الذكريات وَخَمْرِ المُلُوك القدامى ,
لِنُكْمِلَ هذا الزفافَ المُقَدَّسَ' نكملُهُ يا أُبْنَةَ
القمر الأبديَّ هنا في المكان الذي نَزَّلَتْهُ
يداكِ على طَرَفِ الأرض من شُرْفَة الجنَّة الآفلة !..
الجريدةَ في البَهْو ,
أَنتِ المُصَابة بالأنفلونزا
أَقولُ : خُذي حَبَّتيْ ((أسبرين))
ليهدأ فيكِ حليبُ إِنانا ,
ونعرفَ ما الزَمَنُ الآن
في مُلْتَقَى الرافِدَيْن!

سو نــا تــا

ببُطءٍ أُمسِّدُ نومَكِ. يا أُسمَ الذي أَنا فيهِ
من الحلُم نامي . سيلتحِفُ الليلُ أَشجارَهُ , وسيغفو
على أَرضه سيّداً لغيابٍ قليل. ونامي لأَطفو
على نُقَط الضوء تَرشَحُ من قَمَرٍ أَحتويه...
يُخيِّمُ شَعْرُكِ فوق رُخَامك بَدْواً ينامون سَهْواً
ولا يحلمون . يُضيئُك زَوْجا يَمَامِك من كَتِفَيْكِ
إلى أُقحوان منامك . نامي عليك وفيك . عليك
سلامُ السماوات والأرض تفتحُ أَبهاءها لَكِ بَهْواً فبهوا

يُغَلِّفُك النوم بي . لا ملائكةٌ يحملون السرير
ولا شَبَحٌ يُوقِظ الياسمينة. يا أُسميْ المؤنَّثَ , نامي

كما تحلمين تكونين , يا صَيْفَ أرضٍ شماليَّةٍ
يُخَدِّرُ غاباته الألفَ في سَطْوَةِ النوم. نامي
ولا توقظي جَسَداً يشتهي جَسَداً في منامي

لا أقـل , ولا أكـثـر

أَنا اُمرأةٌ. لا أَقلَّ ولا أَكثرَ

أَعيشُ حياتي كما هِيَ

خَيْطاً فَخَيْطاً

وأَغزِلُ صُوفي لألبسَهُ , لا

لأُكملَ قصَّةَ ((هُوميرَ)) أَو شمسَهُ

وأَرى ما أَرى

كما هُوَ , في شكْلِهِ

بيد أَنِّي أُحدِّقُ ما بين حينٍ

وآخرَ في ظلِّهِ

لأَحِسَّ بنبض الخسارةِ'

فاكتُبْ غداً

على وَرَقِ الأمس: لا صوْتَ

إلاّ الصدى.

أُحبُّ الغموضَ الضروريَّ في

كلمات المسافر ليلاً إلى ما اُختفى

من الطير فوق سُفُوح الكلام

وفوق سُطُوح القُرى

أَنا امرأة , لا أَقلَّ ولا أَكثرَ

تُطَيِّرُني زَهْرَةُ اللوز ,

في شهر آذار , من شرفتي

حنيناً إلى ما يقول البعيدُ :

((أُلمسيني لأُوردَ خيليَ ماء الينابيع))
أَبكي بلا سَبَبٍ واضح , وأُحبُّكَ
أَنت كما أَنت , لا سَنَداً
أَو سُدَى
ويطلع من كتفيَّ نهارٌ عليك
ويهبط , حين أَضمُّكَ , ليلٌ إليك
ولستُ بهذا ولا ذاك
لا' لستُ شمساً و لا قمراً
أَنا امرأةٌ , لا أَقلَّ ولا أكثرَ

فكُنْ أَنتَ قَيْس الحنين ,
إذا شئتَ . أَمَّا أَنا
فيُعجِبُني أَن أُحَبَّ كما أَنا
لا صُورَةً
مُلَوَّنَةً في الجريدة , أو فكرةً
مُلَحّنةً في القصيدة بين الأَيائلِ....
أَسْمَعُ صرخة ليلى البعيدة
من غرفة النوم: لا تتركني
سجينةَ قافيةٍ في القبائلِ
لا تتركيني لهم خبرا...
أَنا أُمرأةٌ , لا أَقلَّ ولا أكثرَ
أَنا مَن أَنا , مثلما

أَنت مَنْ أَنت : تسكُنُ فيَّ

وأَسكُنُ فيك إليك ولَكْ

أُحبّ الوضوح الضروريَّ في لغزنا المشترك

أَنا لَكَ حين أَفيضُ عن الليل

لكنني لَسْتُ أَرضاً

ولا سَفَراً

أَنا اُمرأةٌ . لا أَقَلَّ ولا أكثرَ

دَوْرَةُ القَمَر الأنثويّ

فتمرضُ جيتارتي

وَتَراً

وَتَراً

أنا اُمرأةٌ ،

لا أَقلَّ

ولا أكثرَ!

أغنية زفاف

وانتقلتُ إليكَ , كما انتقل الفلكيّونَ
من كوكبٍ نحو آخرَ. روحي تُطلُّ
على جسدي من أَصابعك العَشْر.
خُذْني إليك , اُنطلق باليمامة حتى
أَقاصي الهديل على جانبيك: المدى
والصدى. وَدَعِ الخَيْلَ تركُضْ ورائي
سدى . فأنا لا أَرى صورتي , بَعْدُ ,
في مائها... لا أَرى أَحدا
لا أَرى أَحداً , لا أَراكَ . فماذا
صنعتَ بحريتي؟ مَنْ أَنا خلف
سوِرِ المدينةِ ؟ أُمٌّ تعجنُ شَعْري
الطويلَ بحنّائها الأَبديّ , ولا أُخْتَ
تضفِرُهُ . مَنْ أَنا خارج السور بين
حقولٍ حياديَّةٍ وسماء رماديّةٍ . فلتكن
أَنتَ أُمِّيَ في بَلَد الغُرَبَاء . وخذني
برفق إلى مَنْ أَكونُ غدا

مَنْ أكونُ غداً؟ هل سأُولَدُ من
ضلعِكَ اُمرأةً لا هُمُومَ لها غيرُ زينةِ
دُنْيَاكَ. أمْ سوف أَبكي هناك على
حَجَرٍ كان يُرْشِدُ غيمي إلى ماء بئرك ؟

خذني إلى آخر
الأرض قبل طلوع الصباح على قَمَرٍ كان
يبكي دماً في السرير, وخُذْني برفق
كما تأخُذُ النجمةُ الحالمين إليها سُدىً
وسُدى

وسدىً, أَتطلّعُ خلف جبال مُؤَاب ,
فلا ريح تُرْجعُ ثوب العروس . أُحبُّكَ
لكنَّ قلبي يرنّ برجع الصدى ويحنُّ
إلى سَوْسَنٍ آخر . هل هنالك حُزْنٌ أَشدُّ
التباساً على النفس من فَرَ البنت
في عُرْسها ؟ وأُحبك مهما تذكرتُ
أَمسِ , ومهما تذكرتُ أَني نسيتُ
الصدى في الصدى
أَلصدى في الصدى , وانتقلتُ إليكَ
كما انتقلَ من كائنٍ نحو آخر
كنا غريبين في بلدين بعيدين قبل قليل ,
فماذا أكون غداةَ غد عندما أُصبحُ
اثنين ؟ ماذا صَنَعْتَ بحُريَّتي ؟ كلما
ازداد خوفيَ منك اندفعتُ إليك ,
ولا فضل لي يا حبيبي الغريب سوى
وَلَعي , فلتكن ثعلباً طيِّباً في كرومي ,

وحدِّق بخُضْرة عينيك في وجعي . لن

أعود إلى اُسمي وبرِّيتي , أَبداً

أَبداً

أَبدا .

تـدبـيـر مـنـزلـي

-1-

كم أَنا

في الصباح ذهبتُ إلى سوق يوم

الخميس اشتريتُ حوائجنا المنزليّة ,

واخترتُ أُوركيدَةً وبعثتُ الرسائل

بلّلني مَطَرٌ فامتلأتُ برائحة البرتقالة.

هل قُلْتَ ليْ مَرَّةً إنني نَخْلَةٌ حاملٌ ,

أَم تخيَّلْتُ ذلك ؟ إن لم تجدني

أَرفُّ عليك , فلا تَخْشَ ضَعْفَ الهواءِ ,

وَنَمْ يا حبيبيَ نَوْمَ الهنا...

-2-

كم أَنا؟

في الظهيرة , لَمَّعْتُ كُلَّ مراياي . أَعددتُ

نفسي لعيدٍ سعيدٍ ونهداي , فَرْخا

يمامٍ لياليك يمتلئان بشهوة أَمس

أَرى في عُروق الرخام حليبَ الكلام

الإباحي يجري ويصرخ بالشُعَراء

أُكتبوني ' كما قال ريتسوس . أَين

اختفيت وأَخفيت منفايَ عن رغبتي؟

لا أرى صُورتي في المرايا , ولا صُورَةَ

أُمرأةٍ من نساء أَثينا تُدِيرُ تَدَابِيرَها

العاطفيَّةَ مثلي هُنا.

.3

كم أَنا ؟

في المساء ذهبتُ إلى السينما

مع إحدى الصديقات . كان لهُنُودُ

القدامى يطيرون في ، زمن الحرب والسلم

كالشُّهُب الأَثريَّة ، مثلي ومثلك .

حدَّقْتُ في طائرٍ فرأيتُ جناحَيْكَ

يرتديان جناحيّ في شجر الأكاليبتوس .

ها نحن ننجو نجاة الغبار من

النهر . مَنْ كان فينا الضحيّةَ فليْحلُم

الآن أكثرَ من غيره بيننا.

.4

كم أَنا؟

بعد مُنْتَصفِ الليل ، أَشْرَقَتِ

الشمسُ في دمنا

كم أنا أَنْتَ ، يا صاحبي

كم أَنا ! مَنْ أَنا !

سو نـــا تـــا

أَمسُّكِ مَسَّ الكمان الوحيد ضواحي المكان البعيد
على مَهلٍ يطلب النهرُ حصَّته من رذاذ المطرْ
ويدنو , رويداً رويداً, غَدٌ عابرٌ في القصيد
فأحمل أَرضَ البعيد وتحملني في طريق السفرْ

على فَرَسٍ من خصالك تنسجُ روحي
سماء طبيعيَّة من ظلالك , شرنقةْ
أَنا أُبن فعالك في الأرض٬ وأُبنُ جروحي
وقد أَشعلَتْ وحدها جُلَّنارَ بساتينك المغلقة
من الياسمين يسيل دمُ الليل أَبيضَ . عطرُكِ
ضعفي وسرُّكِ , يتبعني مثل لدغة أَفعى . وشَعْرُكِ
خيمةُ ريح خريفيَّة اللون . أَمشي أَنا والكلامْ
إلى آخر الكلمات التي قالها بدويٌّ لزوجي حمام
أَجسُّكِ جَسَّ الكمان حريرَ الزمان البعيدْ
وينبت حولي وحولك عُشْبُ مكانٍ قديمٍ - جديدْ

طـائـران غـريـبـان فـي ريـشـنـا

سمائي رماديَّةٌ . حُكَّ ظهري . وفُكَّ
على مَهَلٍ ' يا غريبُ , جدائلَ شعري . وقُلْ
لِيَ فيْ مَ تُفَكِّرُ. قُلْ لِي ما مَرَّ
فيْ بال يُوسُفَ. قل لِي بعضَ الكلام
البسيطِ ... الكلام الذي تشتهي اُمرأةٌ
أَن يُقَالُ لها دائماً . لا أُريدُ العبارةَ
كاملةً . أَكتفي بالإشارة تنثُرُني فيْ مَهَبِّ
الفراشاتِ بين الينابيع والشمس . قُل لِي
إِنِّي ضروريَّةٌ لَكَ كالنوم , لا لامتلاء
الطبيعة بالماء حولي وحولك . وأبسُطْ
عليَّ جناحاً من الأزرق اللانهائيِّ...
إنَّ سمائي رماديَّةٌ
ورماديَّةٌ مثل لَوْحِ الكتابة, قبل
الكتابة. فأُكْتُبْ عليها بحبر دمي أَيَّ
شيء يُغيِّرُها : لفظةً... لفظتين بلا
هَدَفٍ مُسْرِفٍ فيْ المجاز . وقُلْ إنَّنا
طائرانِ غريبانِ فيْ أَرضِ مِصْرَ وفيْ
الشام.
قل إننا طائران غريبان فيْ
ريشنا . واكتُبِ اُسميَ واُسمَكَ تحت
العبارة. ما الساعة الآن؟ ما لَوْنُ
وجهي ووجهك فوق المرايا الجديدةِ ؟

ما عُدْت أَملكُ شيئاً ليُشْبِهَني . هل
أَحبَّتك سيِّدةُ الماء أكثرَ؟ هل راوَدَتْك
على صخرة البحر عن نفسِكَ , أُعْتَرِفِ
الآن أَنَّكَ مَدَّدْتَ تِيهَكَ عشرين عاماً
لتبقى أَسيرَ يديها. وقُلْ لِي فِي مَ
تُفَكِّرُ حين تصيرُ السماءُ رماديَّة اللون...
إنَّ سمائي رماديَّةٌ
صرتُ أُشْبه ما ليس يشبهني .
هل تريدُ الرجوع إلى ليل منفاك
فِي شَعْر حُوريّةٍ؟ أَم تريد الرجوع
إلى تين بيتك. لا عَسَلٌ جارحٌ للغريب
هنا أَو هناك . فما الساعَةُ الآن؟
ما أُسمُ المكان الذي نحن فيه ؟ وما
الفرق بين سمائي وأَرضك. قل لِيَ
ما قال آدَمُ فِي سَرِّه . هل تَحَرَّرَ
حين تَذَكَّرَ . قل أَيّ شيء يُغَيِّر لون
السماء الرماديَّ . قل لِيَ بعضَ الكلام
البسيط , الكلام الذي تشتهي أُمرأةٌ
أَنَّ يُقال لها بين حينٍ وآخرَ . قُلْ
إنَّ فِي وسع شخصين , مثلى ومثلك ,
أَن يحملا كل هذا التشابه بين الضباب
وبين السراب , وأَن يَرْجِعَا سالمين . سمائي

رماديَّةٌ , فبماذا تفكّرُ حين تكونُ السماءُ
رماديَّةً ؟

لـم أنـتظر أحد اً

سأعرفُ مهما ذَهَبْتَ مَعَ الريح , كيفَ
أُعيدُكَ. أَعرفُ من أَين يأتي بعيدُكَ .
فذهَب كما تذهب الذكرياتُ إلى بئرها
الأَبديَّةِ , لن تَجِدَ السومريَّةَ حاملةً جَرَّة
للصدى في انتظارِكَ
أَمَّا أَنا , فسأعرف كيف أُعيدُكَ
فاذهبْ تقودُكَ ناياتُ أَهل البحار القدامى
وقافلةُ الملح في سَيْرِها اللانهائيِّ. واذهبْ
نشيدُكَ يُفْلِتُ منِّي ومنك ومن زَمَني ,
باحثاً عن حصان جديدٍ يُرَقِّصُ إِيقاعَهُ
الحُرَّ. لن تجد المستحيلَ , كما كان يَوْمَ
وَجَدْتُكَ , يوم وَلَدْتُكَ من شهوتي
جالساً في انتظارِك,
أَمَّا أَنا , فسأعرف كيف أُعيدُكَ ,
وأُذهب مع النهر من قَدَرٍ نحو
آخر , فالريحُ جاهزة لاقتلاعك من
قمري , والكلامُ الأخيرُ على شجري جاهزٌ
للسقوط على ساحة الترو كاديرو . تَلَفَّتْ
وراءك كي تجد الحُلْمَ واذهب
إلى أَيِّ شَرْقٍ وغربٍ يزيدُك منفىً ,
ويُبْعدُني خطوةً عن سريري وإحدى
سماوات نفسي الحزينةِ . إنَّ النهاية

أُختُ البداية , فاذهب تَجِدْ ما تركتَ
هنا , في انتظارك
لم أَنتظِرْكَ , ولم أَنتظر أَحداً.
كان لا بُدَّ لي أَن أُمشِّطَ شعري
على مَهَلٍ أُسْوَةً بالنساء الوحيدات
في ليلهنَّ , وأَن أَتدبَّرَ أَمري وأكسِرَ
فوق الرخام زجاجةَ ماء الكولونيا ٬ وأَمنعَ
نفسي من الانتباه إلى نفسها في
الشتاء , كأني أَقولُ لها : دَفِّئيني
أُدفِّئْكِ يا أمرأتي , وأُعْتَني بيديك ,
فنا هو شأنُهما بنزول السماء إلى
الأرض أَو رحْلةِ الأرض نحو السماء ,
أُعتني بيديك لكي تَحْمِلاَك ((يَدَاكِ
هُما سَيِّداكِ)) كما قال إيلور.. فاذهب
أُريدُكَ أو أريدُك.
لمَ أنتظِرْكَ٬ ولم أنتظر أَحداً.
كان لا بُدَّ لي أَن أَصبَّ النبيذَ
بكأسين مكسورتين٬ وأَمنعَ نفسي من
الانتباه إلى نفسها في انتظارك!

جفـــا ف

هذه سَنَةٌ صَعْبَةٌ

لم يَعِدْنا الخريف بشيءٍ

ولم ننتظرْ رُسُلاً

والجفافُ كما هُوَ: أَرضٌ مُعَذَّبَةٌ

وسماءٌ مُذَهَّبَةٌ،

فليكُنْ جَسَدي مَعْبَدي

... وَعَلَيْكَ الوُصُولُ إلى خبز روحي

لتعرف نفسَكَ . لا حدَّ لي

إن أَردتُ

أُوَسِّعُ حقلي بسنبلَةٍ

وأُوسِّعُ هذا الفضاء بترغلة ,

فليكن جَسَدي بَلَدي

والجفاف يُحَدِّقُ في النهر,

أَو يتطلَّعُ نحو النخيلِ

ويخطئ بئري العميقة ,

لا حَدَّ لي بكَ ...

إنَّ السماءَ حقيقيَّةٌ في الخريف

تخيَّلْ , ولو مَرَّةً , أَنَّكَ اُمرأةٌ

لترى ما أَرى .

جسدي سيِّدي

جَفَّتِ الفكرة ازدهَرَتْ جوقةُ
المنشدين المريدين : ماء , وماء
فما حاجتي للنُبُوءةِ ؟ إنَّ الملائكةَ
الطيِّبين ضيوفٌ على غيمة الحلمين .
وما حاجتي لكتابِكَ ما دام ما بكَ.. بي؟
جَسَدي يَتَفتَّحُ فيْ جَسَدي

والجفافُ يودِّعُ فيْ سَبْعَ السنين العجاف
فلا من هُدْنَةٍ في المدينة ,
لا بُدَّ من ماعز يَقْضِمُ العُشْبَ
من كُتُب البابليين أو غيرهم ,
كي تصير السماءُ حقيقيةً...
فأضئ عَتَمتي ودمي بنبيذكَ
وأسْكُنْ معي , جسدي!

سو نــا تــا

صُنَوْبَرَةٌ في يمينك. صَفْصَافَةٌ في شمالك . هذا
هُوَ الصيفِ : إحدى غزالاتك المائةِ استسلمت للندى
ونامت على كَتِفِي , قُرْبَ إحدى جهاتك ', ماذا
لو انتبَهَ الذئبُ , واحترقتْ غابةٌ في المدى

نعاسُك أَقوى من الخوف . بريَّةٌ من جمالكِ
تغفو , ويصحو ليحرس أَشجارَها قمرٌ من ظلالك
ما اُسمُ المكان الذي وَشمَتْهُ خُطَاك على الأرض
أَرضاً سماويَّة لسلام العَصَافير, قرب الصدى؟

وأَقوى من السيف نومُك بين ذراعيك مُنْسَابَتَيْن
كنهرينِ في جنَّة الحالمينَ بما تصنعينَ على الجانبين
بنفسِكِ محمولةً على ضفَّة النهر : ما لم يُؤَنَثْ ... سُدَى
قليلٌ من الضعف في الاستعارة يكفي غدا
لينضج توتُ السياج , وينكسِرَ تحت الندى

رزق الطيور

رُزقتُ مع الخبز حُبَّكْ
ولا شأن لي بمصيريَ ,
ما دام قُرْبَكْ
فخُذْهُ أَيِّ معنى تريدُ
معي , أو أَو وحيداً
ولا بَيْتَ أَقرَبَ ممَّا أُحِسُّ به
ههنا في الربيع السريع
على شجر الآخرين...
رُزِقْتُكَ أُماً , أَباً , صاحباً
وأَخاً للطريق , ولا تحمل الطَيْرُ
أكثرَ من وُسْعها : ريشَها والحنين
وحبَّةَ قمحٍ ضروريَّةً للغناء , فكن
في سمائي كما
أَنا في سمائك , أَو بعض ذلك ,
كُنْ يا غريب المُوَشَّح لي . مثلما
أَنا لَكَ : مائي لمائك , ملحي
لملحك , وأُسمي على اُسمكَ تعويذةٌ
قد تُقَرِّبنا من تلال سَمَرقَنْدَ
في عصرها الذهبيِّ . فلا بُدَّ مني
ولا بُدَّ منك , ولا بُدَّ من آخرين
لنسمع أَبواق إخوتنا السابقين

وهم يمتطون ظهور الخيول , من الجانبين
ولا يرجعون . فكن يا غريبُ سلامَ
الغريبةِ في هُدْنَةِ المُتْعَبين
وكن حُلْمَ يقظتها , كُلَّما
أَلمَّ بها قَمَرٌ عائدٌ من أَريحا , كما
تعود الإلهاتُ بعد الحروب إلى الحالمين
فكُلٌّ هُنَاكَ هنا. وأَنا
لا أُحبّ الرجوع إلى نجمتي
بعدما كبرت حكمتي , هاتِ
هات البعيد إلى خيمتي سُلّماً
لنصعد أَعلى كغُصْنَيْ بَتُولا على
حائط الآخرين [ونحن نصير غداً آخرين]
فلا بَيْتَ أَقرَبَ مما أُحسُّ به ههنا
وأَنا حاملٌ بالربيع السريع
رَزقت مع الخبز حُبَّكْ
ولا شأن لي بمصيرِيَ
ما دام قُرْبَكْ
ويا ليتني لم أُحبَّك
يا ليتني لم أُحبَّكْ

رُبَّما , لأَن الشتاء تأَخَّر

- 1-

أَقلُّمن الليل تحت المَطَرْ

حنينُ خُمَاسِيَّةٍ

إلى أَمسها المُنْتَظَر ,

وأكثرُ ممَّا تقولُ يَدٌ لِيَدٍ

على عَجَلٍ في مَهَبِّ السَفَرْ

- 2-

شِماليَّةٌ هذهِ الريحُ

فليكتبِ العاطفيّون , أَهْلُ الكلامِ الجريح ,

رسائلَ أُخرى إلى ما وراءَ الطبيعةِ

أَمَّا أَنا

فَسَأَرْمي بنفسيْ إلى الريح.../

- 3-

لا لَيْلَ عِنْدَكِ , إذ تَدْلِفينَ

إلى الليل وَحْدَكِ . أَنتِ هُنا

تَكْسِرينَ بنظرتِكِ الوَقْتَ. أَنتِ

هنا في مكانك بعدي وبعدك

ولا أَنْتِ تنتظرين , و لا أَحَدٌ يَنْتَظِرْ

- 4-

لَعَلَّ خياليَ أَوضحُ من واقعي

والرياحُ شماليَّةٌ . لن أُحبَّكِ أكثَرَ
إن لم تكوني معي
هنا، الآن ما بين أَيْقُونَتَيْنِ
وجيتارةٍ فتَحَتْ جُرْحَها للقَمَرْ

- 5-

أَنا والمسيحُ على حالنا :
يَمُوتُ ويحيا , وفي نَفْسِهِ مريمُ
وأَحيا وأَحْلُمْ ثانيةً أَنني أَحلُمُ
ولكنَّ حُلْمى سريعٌ كبرقيَّةٍ
تُذَكِّرُني بالأُخُوَّةِ بين السماوات والأرض..../

- 6-

مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ,
يصيرُ الحصى لُغَةً أَو صدى
والعواصف في مُتَنَاوَلِ كُلِّ يَدٍ .
ربما كان هذا الحنينُ طريقَتَنا في البقاء
ورائحة العُشْب المَطَرْ

- 7-

بلا غايةٍ , وَضَعَتْنَا السماءُ
على الأرض إِلْفَيْن مؤتلفين وبأَسمين مُخْتَلِفَيْنِ ,

فلا أُسميَ كان يُزَيِّنُ خاتَمَكِ الذهبيِّ
ولا أُسْمُكِ كان يَرِنُّ
كقافيةٍ في كتاب الأَساطير..../
أَمثالُنا لا يموتون حُبّاً ,
ولو مَرَّةً , في الغناء الحديث الخفيف
ولا يقفون , وحيدين , فوق الرصيف
لأنَّ القطاراتِ أكثرُ من عَدَد المُفْرَدَات
وفي وُسْعنا دائماً أَن نُعيدَ النظَرْ

- 9-

وأَمثالُنا لا يعودون إلاَّ
لِيَسْتَحْسِنُوا وَقع أَقدامهم
على أَرض أَحلامهم ,
أَو ليعتذروا للطفولة عن حِكْمَةٍ
بلغوها على حافة البئر..../

- 10-

بي مثلُ ما بِكِ من وَحَم الليلِ
يصرُخُ شَخْصٌ: ((أَنا أُمرأتي
في المنام . وتصرخ أُنثى : ((أنا رَجُلي))
أَيُّنا أَنتَ . أَنتِ؟ نَضيقُ

نَضيقُ، ويتَّسعُ المُنْحَدَرْ.../

- 11-

أَضُمُّكِ، حتى أَعود إلى عَدَمي
زائراً زائلاً. لا حياةَ ولا
موتَ في ما أُحِسُّ بِهِ
طائراً عابراً ما وراء الطبيعةِ
حين أَضُمُّكِ..../

- 12-

ماذا سنفعلُ بالحُبِّ؟ قُلْتِ
ونحن ندسُّ ملابسنا في الحقائبِ
نأخذُهُ مَعَنا، أَمْ نُعَلِّقُهُ في الخزانةِ؟
قلتُ : ليَذْهَبْ إلى حيثُ شاءَ
فقد شبَّ عن طَوْقنا ، وانتشرْ

- 13-

هَشَاشَتُنا لُؤْلُؤُ الخاسرين
وأَمثالنا لا يزورون حاضِرَهُمْ أَبداً
لا يريدون أَن يبلغوا بلداً
في الطريق إلى الريح، حيث وُلدنا

على دفعتين : أَنا وجمالُك.../

- 14-

قرْبَ حياتي نَبَتٌّ كإحدى
حدائقِ قَيْصَرَ. كَمْ تَرَكَ الأَقوياءُ
لنا شجراً. كَمْ كنتِ
معنى وصورتَه في أعالي الشَجَرْ

- 15-

أَضمُّكِ , بيضاءَ سمراءَ و حتى التلاشي
أُبَعْثُرِ لَيْلَكِ. ثمَّ أُلُمُّكِ كلُّكِ...
لا شيءَ فيك يزيدُ وينقُصُ عن
جَسَدي. أَنت أُمُّك وابنتُها
تُولَدِين كما تطلبين من الله.../

- 16-

ماذا سنصنع بالأمس ؟ قُلتِ
ونحن نُهيل الضباب على غدنا
والفُنُونُ الحديثةُ ترمي البعيدَ إلى
سلَّة المهملات . سيتبعُنا الأمْسُ
قلتُ , كما يتبع النَهَوَنْدُ الوَتَرْ

- 17-

على الجسر, قُرْب حياتكِ , عشتُ
كما عاش عازفُ جيتارةٍ قرب نجمته.
غنِّ لي مائةً من أَناشيد حُبِّكَ تَدْخُلْ
حياتي ! ففنِّى عن الحبِّ تسعاً
وتسعين أُغنيِّةً وانتحرْ

- 18-

يمرُّ الزمانُ بنا , أَو نمرُّ به
كضيوفٍ على حنطة اللّه
في حاضرٍ سابقٍ , حاضر لاحق ,
هكذا هكذا نحن في حاجة للخرافة
كي نتحمَّلَ عبءَ المسافة ما بَيْن بابين .../

- 19-

منفىً سخيٌّ على حافَّةِ الأرض
لَوْ لم تكوني هُنَاكَ لَمَا
أَنشأَ الغُرَباءُ القلاعَ وشاعَ التصوُّفُ ,
لو لم تكوني هنا لاكتَفَيْتُ بما
يصنعُ النهرُ بي .... وبوجه الحَجَرْ

- 20-

ويكفي, لأَعرفَ نفسيْ البعيدةَ, أَن

تُرْجِعِي لِيَ بَرْقَ القصيدةِ حين انقسمتُ

إلى اُثنين في جَسَدِكْ

أَنا لَكِ مِثْلُ يَدِكْ

فما حاجتي لغدي

بعد هذا السفر؟

من أنا, دون منفى؟

غريبٌ على ضفة النهر , كالنهر ... يَرْبِطُني

باسمك الماءُ . لا شيءَ يُرْجعُني من بعيدي

إلى نخلتي : لا السلامُ ولا الحربُ . لا

شيء يُدْخِلُني في كتاب الأَناجيلِ . لا

شيء... لا شيء يُومِضُ من ساحل الجَزْر

والمدّ ما بين دجْلَةَ والنيل . لا

شيء يُنْزِلُني من مراكب فرعون. لا

شيء يَحْملني أو يُحَمِّلني فكرةً : لا الحنينُ

ولا الوَعْدُ . ماذا سأفعل ؟ ماذا

سأفعل من دون منفى , وليلٍ طويلٍ

يُحَدِّقُ في الماء؟

يربطُني

بأُسمكِ

الماءُ.........

لا شيء يأخذني من فراشات حُلْمي

إلى واقعي: لا الترابُ ولا النارُ . ماذا

سأفعل من دون وَرْدِ سَمَرْقَنْدَ ؟ ماذا

سأفعل في ساحةٍ تصقُلُ المُنْشدين بأحجارها

القمرِّية؟ صِرْنا خَفِيفَيْنِ مثلَ منازلنا

في الرياح البعيدةِ . صرنا صَدِيقَيْنِ للكائنات

الغريبةِ بين الغيوم .... وصرنا طَلِيقَيْنِ من

جاذبيَّة أَرْضِ الهُوِيَّةِ . ماذا سنفعل ... ماذا

سنفعل من دون منفى , وليلٍ طويلٍ
يُحَدِّقُ في الماء؟

يربطني
بأُسمك
الماءُ...
لم يبقَ سواكِ , ولم يبق منك
سوايَ غريباً يُمَسِّدُ فَخْذَ غريبتِه : يا
غريبةُ! ماذا سنصنع في ما تبقّى لنا
من هُدُوءٍ ... وقَيْلُولَةٍ بين أسطورتين؟
ولا شيء يحمِلُنا : لا الطريقُ ولا البيتُ.
هل كان هذا الطريق كما هُوَ منذ البداية ,
أَم أَنَّ أَحلامنا وَجَدَتْ فرساً من خيول
المَغُول على التلِّ فأُسْتَبْدَلَتْنا ؟
وماذا سنفعلُ؟
ماذا
سنفعلُ
من
دون
منفى؟

أنــا , وجميلُ بُـثَـيْـنـة

كَبِرْنا ، أَنا وجميلُ بُثَيْنَةَ ، كُلٌّ
على حِدَةٍ، في زمانين مُخْتَلِفَينْ....
هُوَ الوقْتُ يفعل ما تفعل الشمسُ
والريحُ: يَصْقُلُنا ثم يقتلُنا حينما
يحمل العقلُ عاطفةَ القلبِ ، أَو
عندما يبلُغُ القلبُ حكمتَهُ

يا جميلُ ! أَتكبَرُ مِثْلَكَ ، مثلي ،
بثينةُ ؟
تكبَرُ ، يا صاحبي ، خارجَ القلب
في نَظَر الآخرين . وفي داخلي تستحمُّ
الغزالةُ في نبعا المتدفّق من ذاتها

هِيَ ، أَم تلك صُورَتُها ؟

إنها هِيَ يا صاحبي . دَمُها ، لحمُها ،
وأُسمُها . لا زمان لها . رُبّما استَوْقَفَتْني
غداً في الطريق إلى أَمسها

هل أَحبَّتْكَ ؟ أَم أَعْجَبَتْها استعارتُها
في أَغانيك ، لؤلؤةً كلّما حدَّقتْ في
لياليكَ واُغرورقتْ... أَشرقَتْ قمراً قلبُهُ

حَجَر يا جميل؟

هو الحُبُّ , يا صاحبي , موتُنا المُنْتَقَى
عابرٌ يَتَزَوَّجُ من عابرٍ مُطْلقاً....
لا نهايةَ لي , لا بدايةَ لي . لا
بُثَيْنَةُ لي وأَنا لبثينةَ هذا
هو الحبُّ , يا صاحبي . ليتني كُنْتُ
أَصغرَ منِّي بعشرين باباً لكان
الهواءُ خفيفاً عليَّ وصورتُها الجانبيَّةُ
في الليل أَوضحَ من شامةٍ فوق
سُرَّتها....

هل هَمَمْتَ بها , يا جميل , على عكس
ما قال عنك الرُواةُ , وهَمَّتْ بكَ ؟

تزوَّجتُها. وهَزَزْنا السماءَ فسالَتْ
حليباً على خُبْزِنا. كُلَّما فَتَّحَتْ
جَسَدي زهرةً زهرةً , وأَراق غدي
خمرَة قطرةً قطرةً في أَباريقها

هل خُلِقْتَ لها , يا جميل ,
وتبقى لها ؟

أُمِرْتُ وعُلِّمْتُ . لا شأنَ لي
بوجودي المُراقِ كماءٍ على جلدها
العِنَبيّ . ولا شأنَ لي بالخلود
الذي سوف يتبعُنا ككلاب الرعاة
فما أَنا إلاَّ كما خَلَقَتْني بُثَينَةُ

هل تشرَحُ الحُبَّ لي , يا جميلُ ,
لأَحفظَهُ فكرةً فكرةً ؟
أَعْرَفُ الناس بالحُبِّ أكثرُهُمْ حَيْرَةً ,
فاحترِقْ , لا لتعرف نفسك , لكن
لتُشْعِلَ لَيْلَ بُثَيْنَةَ....

أَعلى من الليل , طار جميل
وكسَّر عُكّازتَيْه. ومال على أُذُني
هامساً : إن رأيت بثينةَ في اُمرأةٍ
غيرها ' فاجعل الموت , يا صاحبي ,
صاحباً. وتلألأ هنالك , في اُسم
بثينة , كالنون في القافيةْ !

قـنـا ع ... لـمـجـنـون لـيـلـى

وجدتُ قناعاً , فأعجَبَني أَنْ
أكون أَنا آخَري . كنتُ دُونَ
الثلاثين , أَحْسَبُ أَنَّ حدودَ
الوجود هِيَ الكلماتُ . وكنتُ
مريضاً بليلى كأيِّ فتىً شَعَّ
في دَمِهِ الملحُ . إنْ لم تكُنْ هِيَ
موجودةً جسداً فلها صُورَةُ الروح
في كُلِّ شيء . تُقَرِّبني من
مدار الكواكب. تُبْعِدُني عن حياتي
على الأرض . لا هِيَ مَوْتٌ ولا
هي ليْلى. ((أَنا هُوَ أنتِ ,
فلا بُدَّ من عَدَمٍ أَزرقٍ للعناق
النهائيِّ)). عَالجني النهرُ حين
قذفتُ بنفسي إلى النهر مُنْتَحِراً ,
ثم أَرجعني رَجُلٌ عابر , فسألتُ :
لماذا تُعيد إليَّ الهواء وتجعلُ
موتَي أَطولَ ؟ قال: لتعرف
نفسك أَفضَلَ... مَنْ أَنتَ ؟
قلتُ : أَنا قَيْسُ ليلى , وأنتَ ؟
فقال : أَنا زوجُها

ومَشَيْنا معاً في أَزقَّةِ غرناطةٍ ,
نَتَذَكّرُ أَيَّامَنا في الخليج .... بلا أَلم
نتذكّر أَيَّامنا في الخليج البعيد .
أَنا قَيْسُ ليلى
غريبٌ عن اُسمي وعن زمني
لا أَهزُّ الغيابَ كجذع النخيل
لأَدفع عني الخسارةَ , أَو استعيدَ
الهواء على أَرض نَجْدٍ. ولكنني ,
والبعيد على حالِهِ وعلى كاهلي ,
صوتُ ليلى إلى قلبها
فلتكن للغزالة بريَّةٌ
غيرُ دربي إلى غَيْبها
هل أُضيِّقُ صحراءها أم أَوسِّعُ لَيْلِي
لتجمعنا نجمتان على دروبها ؟
لا أَرى في طريقي إلى حُبِّها
غيرَ القوافل في ليلها , ويُضيءُ
طريقَ الحريرِ بجرحي القديم
لعلَّ التجارةَ في حاجةٍ هِيَ أَيضاً
لما أَنا فيه . أَنا من أولئك ,
ممَّنْ يموتون حين عن معلَّقة الجاهليِّ
ولا شيءَ أَبعدُ من لُغَتي عن أمير
دِمَشْقَ . أَنا أَوَّلُ الخاسرين . أنا

آخرُ الحالمين وعَبْدُ البعيد. أَنا
كائنٌ لم يكن . و أَنا فكرةٌ للقصيدةِ
ليس لها بَلَدٌ أَو جَسَدْ
وليس لها والدٌ أَو وَلَدْ.

أَنا قيس ليلى , أنا
وأَنا ... لا أَحَدْ!

درس من كـامـا سوطرا

بكأس الشراب المرصَّع باللازوردِ
أُنتظرها ,
على بركة الماء حول المساء وزَهْر الكُولُونيا
أُنتظرها ,
بصبر الحصان المُعَدّ لمُنْحَدرات الجبالِ
أُنتظرها ,
بذَوْقِ الأمير الرفيع البديع
أُنتظرها ,

بسبعِ وسائدَ مَحْشُوَّةٍ بالسحابِ الخفيفِ
أُنتظرها
بنار البَخُور النسائيِّ ملءَ المكانِ
برائحة الصَنْدَلِ الذَكَريَّةِ حول ظُهُور الخيولِ
أُنتظرها ,
ولا تتعجَّلْ , فإن أقبلَتْ بعد موعدها
فانتظرها,
وإن أقبلتْ قبل موعدها
فانتظرها ,
ولا تُجْفِل الطيرَ فوق جدائلها
وانتظرها ,

لتجلس مرتاحةً كالحديقة في أَوْج زِينَتها

وانتظرها ,

لكي تتنفَّسَ هذا الهواء الغريبَ على قلبها

وانتظرها ,

لترفع عن ساقها ثَوْبَها غيمةً غيمةً

وانتظرها ,

وخُذْها إلى شرفة لترى قمراً غارقاً في الحليبِ

انتظرها ,

وقدِّمْ لها الماءَ , قبل النبيذِ , ولا

تتطلَّعْ إلى تَوأَمَيْ حَجَلٍ نائمين على صدرها

وانتظرها ،

ومُسَّ على مَهَل يَدَها عندما

تَضَعُ الكأسَ فوق الرخامِ

كأنَّكَ تحملُ عنها الندى

وانتظرها ,

تحدَّثْ إليها كما يتحدَّثُ نايٌ

إلى وَتَرٍ خائفٍ في الكمانِ

كأنكما شاهدانِ على ما يُعِدُّ غَدٌ لكما

وانتظرها

ولَمِّع لها لَيْلَها خاتماً خاتماً

وانتظرها

إلى أَن يقولَ لَكَ الليلُ :
لم يَبْقَ غير كُما في الوجودِ
فخُذْها . بِرِفْقٍ إلى موتك المُشْتَهى
وانتظرها !...

طوقُ الحمامة الدمشقيّ

أ.

في دِمَشْقَ ,

تطيرُ الحماماتُ

خَلْفَ سياجِ الحريرِ

اُثْنَتَيْنِ....

اُثْنَتَيْنِ....

ب.

في دِمَشْقَ ,

أَرى لُغَتي كُلَّها

على حبَّة القَمْحِ مكتوبةً

بإبرة أُنثى ,

يُنَقِّحُها حَجَلُ الرافِدَيْن

ت.

في دِمَشْقَ ,

تُطَرَّزُ أَسماءُ خَيْلِ العَرَبْ ,

مِنَ الجاهليَّةِ

حتى القيامةِ ,

أَو بَعْدها ,

....بخُيُوطِ الذَهَبْ

ث.

فِي دِمَشْقَ:
تسيرُ السماءُ
على الطُرُقات القديمةِ
حافيةً , حافيةْ
فما حاجةُ الشُعَراءِ
إلى الوَحْيِ
والوَزْنِ
والقافِيَةْ ؟

ج.
فِي دِمَشْقَ ,
ينامُ الغريبُ
على ظلّه واقفاً
مثل مِئْذَنَةٍ فِي سرير الأَبد
لا يَحنُّ إلى بَلدٍ
أَو أَحَدْ...

ح.
فِي دِمَشْقَ ,
يُواصل فِعْلُ المُضَارِع
أَشغالَهُ الأُمويَّةَ:
نمشي إلى غَدِنا واثِقِينَ
من الشمس فِي أَمسنا.

نحن والأَبديَّةُ ,
سُكّانُ هذا البَلَدْ !

خ.
في دِمَشْقَ ,
تَدُورُ الحوارات
بين الكَمَنْجَةِ والعُود
حَوْلَ سؤال الوجودِ
وحول النهاياتِ :
مَنْ قَتَلَتْ عاشقاً مارقاً
فَلَهَا سِدْرَةُ المنتهى !

د.
في دِمَشْقَ ,
يُقَطِّعُ يوسُفُ ,
بالنايَ ,
أَضْلُعَهُ
لا لشيءٍ ,
سوى أَنَّهُ
لم يَجِدْ قلبَهُ مَعَهُ
ذ.
في دِمَشْقَ ,

يَعُودُ الكلامُ إلى أَصلِهِ ,
أُلماءِ:
لا الشِعْرُ شِعْرٌ
ولا النَثْرُ نَثْرٌ
وأَنتِ تقولين : لن أَدَعَكْ
فخُذْني إليك
وخُذْني مَعَكْ !

ر.
في دِمَشْقَ ,
ينامُ غزالٌ
إلى جانب اُمرأةٍ
في سرير الندى
فتخلَعُ فُسْتَانَها
وتُغَطِّي بِهِ بَرَدَى !
ز.
في دِمَشْقَ ,
تُنَقِّرُ عُصْفُورَةٌ
ما تركتُ من القمحِ
فوق يدي
وتتركُ لي حَبَّةً
لتُريني غداً

غَدِي!

س.

في دِمَشْقَ ,

تداعِبُني الياسمينةُ :

لا تَبْتَعِدْ

واُمشِ في أَثَري

فتَغارُ الحديقةُ :

لا تقتربْ

من دَمِ الليل في قَمَري

ش.

في دِمَشْقَ ,

أُسامِرُ حُلْمي الخفيفَ

على زَهْرة اللوزِ يضحَكُ :

كُنْ واقعياً

لأُزهرَ ثانيةً

حول ماءِ اُسمها

وكُنْ واقعيّاً

لأعبر في حُلْمها !

ص.

في دِمَشْقَ ,

أُعرِّفُ نفسي

على نفسها :

هنا ، تحت عَيْنَيْن لوزِيَّتَيْن

نطيرُ معاً تَوْأَمَيْن

ونرجئ ماضِينَا المشتركْ

ض.

في دِمَشْقَ ،

يرقُّ الكلامُ

فأسمع صَوْتَ دمٍ

في عُرُوق الرخام :

اُخْتَطِفْني مِنَ اُبني

تقولُ السجينةُ لي

أَو تحجَّرْ معي !

ط.

في دِمَشْقَ :

أَعدُّ ضُلُوعي

وأُرْجِعُ قلبي إلى خَبَبِهْ

لعلِّ التي أَدْخَلَتْني

إلى ظِلِّها

قَتَلَتْني،

ولم أَنْتَبِهْ...

ظ.

فِي دِمَشْقَ ,

تُعيدُ الغريبةُ هَوْدَجَها

إلى القافِلَةْ :

لن أَعودَ إلى خيمتي

لن أُعلِّقَ جيتارتي ,

بَعْدَ هذا المساءِ ,

على تينة العائلةْ...

ع.

فِي دِمَشْقَ ,

تَشِفُّ القصائدُ

لا هِيَ حِسِّيَّةٌ

ولا هِيَ ذهْنيَّةٌ

إنَّها ما يقولُ الصدى

للصدى...

غ.

فِي دِمَشْقَ ,

تجفُّ السحابةُ عصراً ,

فتحفُرُ بئراً

لصيف المحبِّينَ فِي سَفْح قاسيُون ,

والنايُ يُكْملُ عاداته
في الحنين إلى ما هُوَ الآن فيه ,
ويبكي سدى

ف.
في دِمَشْقَ ,
أُدوِّنُ في دفْتَرِ اُمرأةٍ :
كُلُّ ما فيكِ
من نَرْجسٍ
يَشْتَهيكِ
ولا سُورَ حَوْلَكِ, يحميكِ
مِنْ ليل فِتْنَتِكِ الزائدةْ
ق.
في دِمَشْقَ,
أَرى كيف ينقُصُ ليلُ دِمَشْقَ
رويداً رويداً
وكيف تزيدُ إلهاتُنا
واحدةْ!

ك.
في دِمَشْقَ ,
يغني المسافر في سرِّه :

لا أَعودُ من الشام

حياً

ولا ميتاً

بل سحاباً

يخفِّفُ عبءَ الفراشة

عن روحِيَ الشاردةْ

لـمـاذا تـركت الـحصان



تاريخ النشر	1995
عدد القصائد	33

أ ر ي شَ بَ حي قـ ا د مـ اً مـ ن بـ عـ يـ د . . .

أري شَبَحي قادماً من بعيد ...

أُطِلُّ, كَشُرْفة بَيْتٍ, على ما أُريدْ
أُطِلُّ على أَصدقائي وهم يحملون بريدَ
المساء: نبيذاً وخبزاً,
وبعض الرواياتِ والأسطواناتْ ...

أُطلُّ على نَوْرَسٍ, وعلى شحنات جُنُودْ
تُغَيِّرُ أَشجارَ هذا المكانْ.
أُطلّ على كَلْبِ جاري المُهَاجرِ
مِنْ كَنَدا,منذ عامٍ ونصف...

أُطلُّ على اسم " أَبي الطَيِّب المُتَنبِّي ",
المسافر من طبريًّا إلي مصر
فوق حصان النشيدْ

أطل علي الوردة الفارسية تصعد
فوق سياج الحديد

أُطلُّ على الوَرْدَةِ الفارسيَّةِ تصعَدُ
فوق سياج الحديدْ

أُطلُّ، كشُرْفَةَ بَيْتٍ ، على ما أُريدْ

أُطلُّ على شَجَرٍ يحرُسُ الليل من نَفْسِهِ
ويحرس نَوْمَ الذين يُحبُّونني مَيِّتاً ...

أُطلُّ علي الريح تبحَثُ عن وَطَن الريحِ
في نفسها ...
أُطِلُّ على امرأةٍ تَتَشَمَّسُ في نفسها ...

أُطلُّ على موكب الأنبياء القُدامى
وهم يَصعَدُون حُفَاةً إلى أُورشليم
وأَسْأَلُ: هَلْ من نَبيٍّ جديدٍ
لهذا الزمان الجديدْ؟
أُطلُّ، كشرفة بيت، على ما أُريدْ

أُطلُّ علي صورتي وَهْيَ تهرب من نفسها
إلي السُلَّم الحجريّ، وتحمل منديل أُمّي
وتخفق في الريح: ماذا سيحدث لو عُدْتُ
طفلاً؟ وعدتُ إليكِ ... وعدتِ إليَّ

أُطلُّ علي جذع زيتونةٍ خبَّأتْ زكريّا

أُطلُّ علي المفردات التي انقَرَضَتْ في "سلسان العربْ"
أطل علي الفُرْس والرومِ, والسومريّين,
واللاجئينَ الجُدُدْ...

أُطلُّ على عِقْد إحدى فقيراتِ طاغورَ
تطحنُهُ عَرَبَاتُ الأَمير الوسيمْ...

أُطلُّ على هُدْهُدٍ مُجْهَدٍ من عتاب الملكْ

أُطلُّ على ما وراء الطبيعة:

ماذا سيحدث ... ماذا سيحدث بعد الرماد؟

أُطلُّ على جَسَدي خائفاً من بعيدْ...

أُطلُّ, كَشُرْفَةِ بيتٍ, على ما أُريدْ

أُطلُّ على لُغَتي بَعْدَ يَوْمَيْن. يكفي غيابٌ

قليلٌ ليفتَحَ أَسْخِيلْيُوسُ البابَ للسِلْمِ,
يكفي
خطابٌ قصير ليُشعل أَنطونيو الحربَ,

تكفي

يَدُ امرأةٍ في يدي

كي أُعانق حُريتَّي

وأَن يبدأ المدُّ والجَزْرُ في جَسَدي من جديدْ

أُطلُّ, كشرفة بَيْتٍ, على ما أُريدْ

أُطلُّ على شَبَحي

قادماً

من

بعيد...

أيقونات من بلور المكان - في يدي غيمة

أيقونات من بلور المكان - في يدي غيمة

أَسْرَجُوا الخَيْلَ,
لا يعرفون لماذا,
ولكنَّهُمْ أسْرَجُوا الخيلَ في السهلِ

... كان المكانُ مُعَدّاً لِمَوْلِدِهِ: تلَّةً
من رياحين أَجدادِهِ تَتَلَفَّتُ شرقاً وغرباً.وزيتونةً
قُرْبَ زيتونةٍ في المَصَاحف تُعْلي سُطُوحَ اللُغَةْ...
ودخاناً من اللازَوَرْدِ يُؤَثِّثُ هذا النهارَ لمسْأَلةٍ
لا تخصُّ سوى اللّه. آذارُ طفلٌ
الشهور المُدَلَّلُ. آذارُ يندفُ قطناً على شَجَر
اللّوْز. آذارُ يُولِمُ خُبّيزةً لِفناء الكنيسةِ.
آذارُ أرضٌ لِلَيْلِ السنُونو, ولامرأةٍ
تَسْتَعدُّ لصرخَتها في البراري... وتمتدُّ في
شَجَر السنديانْ.

يُولَدُ الآنَ طفلٌ,
وصرختُهُ,

في شقوق المكانْ

إفتَرقْنا على دَرَج البيت. كانوا يقولونَ:
في صرختي حَذَرٌ لا يُلائِمُ طَيْشَ النباتاتِ،
في صرختي مَطَرٌ، هل أَسَأتُ إلي إخوتي
عندما قلتُ إني رأيتُ ملائكةً يلعبون مع الذئب
في باحة الدار؟ لا أَتذكّرُ
أَسماءَهُمْ. ولا أَتذكّرُ أيضاً طريقَتَهُمْ في
الكلام... وفي خفّة الطيرانْ

أَصدقائي يرفَون ليلاً، ولا يتركونْ
خَلْفَهُمْ أَثَراً. هل أقولُ لأمِّي الحقيقةَ:
لِيْ إخوةٌ آخرونْ
إخوةٌ يَضَعُونَ على شرفتي قمراً
إخوةٌ ينسجون بإبرتهم معطفَ الأُقحوانْ

أَسْرَجُوا الخيلَ،
لا يعرفون لماذا،
ولكنهم أَسرجوا الخيل في آخر الليلِ

... سَبْعُ سنابِلَ تكفي لمائدةِ الصَيْفِ.
سَبْعُ سَنَابِلَ بين يديَّ. وفي كل سُنْبُلَةٍ
يُنْبِتُ الحقلُ حقلاً من القمح. كانَ

أَبي يَسْحَبُ الماءَ من بئرِهِ ويقولُ
لَهُ: لا تجفَّ. ويأخذني من يَدِيْ
لأَرى كيف أكبُرُ كالفَرْفَحِينَةِ...
أَمشي على حافَّة البئر: لِيْ قَمَرانْ
واحدٌ في الأعالي
آخرُ في الماء يسبَحُ ... لِيْ قمرانْ
واثقَيَن, كأسلافهِمْ, من صَوَابِ

الشرائع... سَكُّوا حديدَ السيوفِ
محاريثَ. لن يُصْلِحَ السيفُ ما
أَفْسَدَ الصَيْفُ – قالوا. وصَلُّوا
طويلاً. وغنّوا مدائحهُمْ للطبيعةِ...
لكنهم أَسرجوا الخيل,
كي يَرْقُصُوا رَقْصَةَ الخيلِ,
في فضَّة الليل...

تَجْرحُني غيمةٌ في يدي: لا
أُريدُ من الأرض أكثَرَ مِنْ
هذه الأرضِ: رائحةِ الهالِ والقَشِّ
بين أَبي والحصانْ.
في يدي غَيْمَةٌ جَرَحَتْني. ولكنني
لا أُريدُ من الشمس أكثر

من حبة البرتقال وأكثر من
ذهب سال من كلمات الأذان

أسرجوا الخيل،
لا يعرفون لماذا،
ولكنهم أسرجوا الخيل
في آخر الليل، وانتظروا
شبحاً طالعاً من شقوق المكان...

قُـرويُّـون، مـنْ غَـيْـر سُـوء..

قُرويُّون، منْ غَيْر سُوء..

لم أكن بعد أعرف عادات أمي، ولا أهلها
عندما جاءت الشاحنات من البحر. لكنني
كنت أعرف رائحة التبغ حول عباءة جدي
ورائحة القهوة الأبدية، منذ ولدت
كما يولد الحيوان الأليف هنا
دفعةً واحدة!

نحن أيضا لنا صرخة في الهبوط إلي حافة
الأرض. لكننا لا نخزن أصواتنا
في الجرار العتيقة. لا نشنق الوعل
فوق الجدار، ولا ندعي ملكوت الغبار،
وأحلامنا لا تطل عل عنب الآخرين،
ولا تكسر القاعدة!

لم يكن بعد لاسمي ريش فأقفز أبعد
بعد الظهيرة. كانت حرارة إبريل مثل
ربابات زوارنا العابرين تطيرنا كالحمامات.

لي جرس أول: جاذبلية أنثي تراوغني
لأشم الحليب علي ركبتيها, فأهرب
من لسعة المائدة!

نحن أيضا لنا سرنا عندما تقع الشمس
عن شجر الحور: تخطفنا رغبة في البكاء
علي أحد مات من أجل لا شيء مات,
وتجرفنا صبوة لزيارة بابل أو جامع
في دمشق, وتذرفنا دمعة من هديل
اليمامات في سيرة الوجع الخالدة!

قرويون, من غير سوء, ولا ندم
في الكلام. وأسماؤنا مثل أيامنا تتشابه,
أسماؤنا لا تدل علينا تماماً. ونندس
بين حديث الضيوف. لنا ما نقول عن
الأرض للأجنبية حين تطرز منديلها ريشة
ريشة من فضاء عصافيرنا العائدة!

لم تكن للمكان مسامير أقوي من الزنزلخت
عندما جاءت الشاحنات من البحر. كنا
نهيئ وجبة أبقارنا في حظائرها, ونرتب
أيامنا في خزائن من شغلنا اليدوي

ونخطب ود الحصان, ونومئُ

للنجمة الشاردة.

نحن أَيضاً صعدنا إلى الشاحنات. يُسَامِرُنا

لَمَعانُ الزُمُرُّدِ في لَيْلِ زَيْتُونِنا ، ونُباحُ

كلابٍ على قَمَرٍ عابرٍ فوق بُرْجِ الكنيسةِ ،

لكننا لم نكن خائفين. لأن طفولتنا لم

تجئْ معنا. واكتفينا بأغنيَّة : سوف نرجع

عمَّا قليل إلى بيتنا... عندما تُفْرِغُ الشاحناتُ

حُمُولَتَها الزائدةْ !

لَـيْلَـة الـبُـوم

ههُنا حاضرٌ لا يلامسُهُ الأمسُ ...
حين وَصَلْنا
إلى آخرِ الشَجَرات انتبهنا إلى أَننا
لم نَعُدْ قادرينَ على الانتباهِ. وحين
التفَتْنَا إلى الشاحنات رأينا الغيابَ
يُكَدِّسُ أَشياء المُنْتَقَاةَ ، وينصبُ
خيمَتَهُ الأبديَّةَ من حولنا ...

ههُنا حاضرٌ لا يلامسُهُ الأمسُ،
ينسَلُّ من شَجَر التوت خيطُ الحرير
حروفاً على دفتر الليل. لا شيء
غيرَ الفَراش يُضيء جَسَارتَنَا في
النُزولِ إلى حُفْرَة الكلمات الغريبةِ:
هل كان هذا الشقيُّ أَبي؟
ربما أَتدبَّرُ أَمْرِي هنا. ربما
أَلِدُ الآن نفسيْ بنفسي،
وأَختارُ لاسمي حروفاً عموديَّةً...

ههُنا حاضرٌ
جالسٌ في خلاء الأواني يُحَدِّقُ
في أَثَر العابرين على قَضَب النهر،
يصقُلُ ناياتِهم بالهواء... لعلَّ الكلام
يشفُّ فنبصر فيه النوافذَ مفتوحةً،
ولعلَّ الزمان يحثُّ الخطى معنا
حاملاً غَدَنَا في حقائبِهِ...

ههُنا حاضرٌ
لا زمانَ لَهُ،
لم يَجِدْ أَحَدٌ، ههُنا، أَحداً يتذكَّرُ
كيف خرجنا من الباب، ريحاً، وفي
أيِّ وقتٍ وَقَعْنا عن الأمس فانكسَرَ
الأمسُ فوق البلاط شظايا يُرَكِّبها
الآخرون مرايا لِصُورَتِهِمْ بعدنا...

ههُنا حاضرٌ
لا مكانَ له،
رُبَّما أتدبَّر أَمري، وأَصرخ في
ليلة البُوم: هل كان ذاك الشقيُّ
أَبي، كي يُحَمِّلني عبءَ تاريخِهِ؟
ربما أَتغيَّرُ في اسمي، وأَختارُ

ألفاظَ أُمِّي وعاداتها مثلما ينبغي
أن تكون: كَأَنْ تستطيع مُدَاعَبَتي
كُلَّما مسَّ ملحٌ دمي، وكأن تستطيع
معالجتي كلما عَضَّني بلبلٌ في فمي!

ههُنا حاضرٌ
عابرٌ،
ههُنا علَّقَ الغُرَباءُ بنادِقَهُمْ فَوْقَ
أَغصان زَيْتُونَةٍ، وأَعدُّوا عشاءً
سريعاً من العِلَبِ المعدنيَّة، وانطلقوا
مسرعين إلى الشاحنات...

أبد الصبار

إلى أَين تأْخُذُني يا أَبي؟
إلى جِهَةِ الريحِ يا وَلَدي...

... وَهُما يَخْرُجانِ مِنَ السَهْل، حَيْثُ
أَقام جنودُ بونابرتَ تلاًّ لِرَصْدِ
الظلال على سور عَكّا القديم –
يقولُ أَبٌ لابنِهِ: لا تَخَفْ. لا
تَخَفْ من أَزيز الرصاص! إلتصِقْ
بالتراب لتنجو! سننجو ونعلو على
جَبَلٍ في الشمال، ونرجعُ حين
يعود الجنودُ إلى أهلهم في البعيد

- ومن يسكُنُ البَيْتَ من بعدنا
يا أَبي؟
- سيبقى على حاله مثلما كان
يا ولدي!
تَحَسَّسَ مفتاحَهُ مثلما يتحسَّسُ
أَعضاءه ، واطمأنَّ . وقال لَهُ
وهما يعبران سياجاً من الشوكِ:
يا ابني تذكَّرْ! هنا طَلَبَ الانجليزُ
أَباك على شَوْك صُبَّارة ليلتين،

ولم يعترف أَبداً. سوف تكبر يا
ابني، وتروي لمن يَرِثُون بنادِقَهُمْ
سيرةَ الدم فوق الحديد...

- لماذا تركتَ الحصان وحيداً؟
- لكي يُؤْنسَ البيتَ، يا ولدي،
- فالبيوتُ تموتُ إذ غاب سُكَّانُها...

تفتحُ الأبديَّةُ أَبوابها، من بعيد،
لسيَّارة الليل. تعوي ذئابُ
البراري على قَمَرٍ خائفٍ. ويقولُ
أَبٌ لابنه: كُنْ قوياً كجدِّك!
وأَصعَدْ معي تلَّة السنديان الأخيرةَ
يا ابني، تذكَّرْ: هنا وقع الانكشاريُّ
عن بَغْلَةِ الحرب، فاصمُدْ معي
لنعودْ

- متى يا أَبي؟
- غداً. ربما بعد يومين يا ابني!

وكان غَدٌ طائشٌ يمضغ الريح
خلفهما في ليالي الشتاء الطويلةْ.
وكان جنودُ يُهُوشُعَ بن نونٍ يبنون

قَلْعَتَهُمْ من حجارة بيتهما. وهما
يلهثان على درب "قانا": هنا
مرَّ سيِّدُنا ذاتَ يومٍ. هنا
جَعَلَ الماءَ خمراً. وقال كلاماً
كثيراً عن الحبّ، يا ابني تذكّر
غداً. وتذكّرْ قلاعاً صليبيَّةً
قَضَمَتْها حشائش نيسان بعد
رحيل الجنود...

كم مَـرَّة يـنـتـهـي أمـرُنــا . . .

كم مَرَّة ينتهي أمرُنا...

يتأمَّلُ أَيَّامَهُ في دخان السجائر،
ينظُرُ في ساعة الجَيْب:
لو أَستطيع لأبطأتُ دَقَّاتها
كي أُؤخِّر نُضْجَ الشعير!...
ويخرج من ذاته مرهقاً نزقاً:
جاء وقتُ الحصادْ
أَلسنابلُ مثقلةٌ، والمناجلُ مهملةٌ، والبلادْ
تَبْعُدُ الآنَ عن بابها النبويِّ.
يُحَدِّثُني صَيْفُ لبنانَ عن عِنَبي في الجنوب
يُحَدِّثُني صَيْفُ لبنانَ عمَّا وراء الطبيعةِ
لكن دربي إلى اللّه يبدأ
من نَجْمَةٍ في الجنوب...

- هل تُكَلِّمُني يا أَبي؟
- عقدوا هُدْنَةً في جزيرة رودوس ،
يا بني!
- وما شأننا نحن، ما شأننا يا أبي؟
- وانتهى الأمرُ ...

- كم مرّةً ينتهي أَمرُنا يا أَبي؟
- إِنتهى الأمر. قاموا بواجبهم:
حاربوا ببنادقَ مكسورةٍ طائرات العدوّ.
وقمنا بواجبنا ، وابتعدنا عن الزَنْزَلَخْتِ
لئلاّ نُحرِّكَ قُبَّعَةَ القائد العسكريّ.
وبعنا خواتم زوجاتنا ليصيدوا العصافير
يا ولدي!

- هل سنبقى ، إِذاً ، ههنا يا أبي
تحت صفصافة الريح
بين السموات ةالبحر؟

- يا ولدي! كُلُّ شيء هنا
سوف يُشْبِهُ شيئاً هناك
سنُشْبِهُ أَنفُسَنا في الليالي
ستحرقنا نجمة الشَبَه السرمديَّةُ
يا ولدي!

- يا أَبي ، خفِّف القولَ عَنِّي!
- تركتُ النوافذَ مفتوحةً
لهديل الحمامْ
تركتُ على حافَّة البئر وجهي

تركتُ الكلامْ

على حَبْلهِ فوق حبل الخزانةِ

يحكى ، تركتُ الظلامْ

على ليله يتدثَّرُ صُوفَ انتظاري

تركت الغمامْ

على شجر التين ينشر سِرْوالَهُ

وتركتُ المنامْ

يُجدِّدُ في ذاتِهِ ذاتَهُ

وتركتُ السلام

وحيداً ، هناك على الأرض...

- هل كُنْتَ تحلُمُ في يَقْظتي يا أَبي؟

- قُمْ . سنَرْجِعُ يا ولدي!

الى آخري ... والى آخره

- هل تَعِبْتَ من المشي
يا وَلَدي ، هل تعبتْ؟
- نَعَمْ ، يا أَبي
طال ليلُكَ في الدربِ ،
والقلبُ سال على أَرض لَيْلِكَ
- ما زِلْتَ في خفَّة القطِّ
فاصْعَدْ إلى كتفيَّ ،
سنقطع عمَّا قليلْ
غابة البُطْم والسنديان الأخيرةَ
هذا شمالُ الجليلْ
ولبنانُ من خلفنا ،
والسماءُ لنا كُلُّها من دمشقَ
إلى سور عكا الجميلْ
- ثم ماذا ؟
- نعود إلى البيت
هل تعرف الدرب يا ابني
- نعم ، يا أَبي:
شرقَ خرّوبَةِ الشارع العامِّ
دربٌ صغيرٌ يَضيقُ بِصُبَّارِهِ

في البداية ، ثم يسير إلى البئرِ
أَوْسَعَ أَوْسَعَ ، ثم يُطِلُّ
على كَرْمِ عَمِّي "جميلْ"
بائعِ التبغ والحلَوِيَّات،
ثم يضيعُ على بَيْدَرٍ قبل
أَن يستقيمَ ويَجلِس في البيت،
في شكل بَبْغَاءَ ،
- هل تعرف البيتَ ، يا ولدي
- مثلما أَعرف الدرب أَعرفُهُ:
ياسمينٌ يُطوِّقُ بوَّابةً من حديد
ودعساتُ ضوءٍ على الدرج الحجريِّ
وعبَّادُ شمسٍ يُحَدِّقُ في ما وراء المكان
ونحلٌ أليفٌ يُعِدُّ الفطور لجدِّي
على طبق الخيزران ،
وفي باحة البيت بئرٌ وصفصافةٌ وحصانْ
وخلف السياج غدٌ يتصفَّحُ أَوراقنا...

- يا أَبي ، هل تَعِبْت
أَرى عرقاً في عيونكَ؟
- يا ابني تعبُ ... أَتحمِلُني؟
- مثلما كنتَ تحملني يا أَبي،
وسأحمل هذا الحنين

إلى

أَوَّلي وإلى أوَّلِهْ

وسأقطع هذا الطريق إلى

آخري ... وإلى آخِرِهْ!

فَرَسٌ على وَتَرَيْنِ ترقُصُ – هكذا
تُصْغي أَصابِعُهُ إلى دَمِهِ ، وتنتشرُ القُرى
كشقائقِ النعمانِ في الإيقاعِ . لا
لَيْلٌ هناك ولا نهارٌ . مَسَّنا
طربٌ سَمَاويٌ ، وهَرْوَلَتِ الجهاتُ إلى
الهيولي
هَلِّلويا ،
هَلِّلويا ،
كُلُّ شيء سوف يبدأ من جديدِ

هُوَ صاحِبُ العُود القديمِ ، وجارُنا
في غابة البَلُّوط . يحمل وقتَهُ مُتَخَفياً
في زِيِّ مَجْنونٍ يُغَنِّي . كانتِ الحربُ انتهتْ
ورمادُ قريتنا اختفى بسحابةٍ سوداءَ لم
يُولَدْ عليها طائرُ الفينيقِ بَعْدُ ، كما
تَوَقَّعْنا ، ولم تَنْشَفْ دماءُ الليل في
قُمْصانِ موتانا . ولم تطلع نباتاتٌ ، كما
يَتَوَقَّعُ النسيانُ ، في خُوَذ الجنودِ
هَلِّلويا

هَلّلويا ،

كلٌّ شيءٍ سوف يبدأ من جديدِ

كَبَقِيَّةِ الصحراء ، يَنْحَسِرُ الفضاءُ عن الزمانِ

مسافةً تكفي لتتفجرَ القصيدةُ . كان إسماعيلُ

يهبط بيننا ، ليلاً ، ويُنشدُ: يا غريبُ ،

أَنا الغريبُ ، وأَنت منِّي يا غريبُ! فترحَلُ

الصحراءُ في الكلمات . والكلماتُ تُهْمِلُ قُوَّةَ

الأشياءِ عُدْ يا عُودُ ... بالمفقودِ ، واذبحْني

عَلَيْهِ ، من البعيد إلى البعيدِ

هَلّلويا

هللويا ،

كُلّ شيء سوف يبدأ من جديدِ

يتحرَّكُ المعنى بنا ... فنطيرُ من سَفْحٍ إلى

سَفحٍ رُخَاميّ . ونركُضُ بين هاوِيَتَيْنِ زَرْقاوينِ.

لا أَحلامُنا تصحو ، ولا حَرَسُ المكانِ

يغادرون فضاءَ إسماعيلَ . لا أَرضٌ هناكَ

ولا سماءٌ. مَسَّنا طربٌ جَمَاعيٌّ أَمامَ

البَرْزَخِ المصنوعِ مِنْ وتَرَيْن . إسماعيلُ ... غَنِّ

لنا ، ليصبح كُلُّ شيءٍ مُمْكِناً قُرْبَ الوجودِ

هَلّلويا

هَلِّلويا ،

كُلُّ شيءٍ سوف يبدأ من جديدِ

فِي عُودِ إسماعيلَ يرتفعُ الزَفَافُ السُومَرِيُّ

إلى أَقاصي السَيْفِ. لا عَدَمٌ هناك

ولا وجودٌ . مَسَّنا شَبَقٌ إلى التَكْوين:

من وَتَرٍ يسيلُ الماءُ. من وَتَريْنِ يندلعُ

اللهيبُ. ومن ثَلاثَتِهِمْ تَشعُّ المرأة / الكون /

التجلِّي . غَنِّ إسماعيلُ للمَغْنَي يُحَلِّقْ طائرٌ

عند الغروب على أَثينا بين تاريخين...

غَنِّ جنازةً فِي يوم عِيدِ!

هَلِّلويا

هَلِّلويا ،

كُلُّ شيء سوف يبدأ من جديدِ

تَحْتَ القصيدةِ: تعبُرُ الخيلُ الغريبةُ. تعبُرُ

العرباتُ فوق كواهل الأَسرى. ويعبُرُ تحتها

النسيانُ والهكسوسُ. يعبرُ سادةُ الوقتِ،

الفلاسفةُ، امرؤُ القيسِ الحزينُ على غَدٍ

مُلْقىً على أَبوابِ قيصَرَ. يعبرون جميعُهُمْ تحت

القصيدةِ. يعبُرُ الماضي المُعَاصِرُ مثل تَيْمُورْلَنْكَ

يعبُرُ تحتها. والأنبياءُ هناك أيضاً يعبرون

ويُنْصِتون لصوتِ إسماعيلَ يُنْشِدُ: يا غريبُ،

أَنا الغريبُ، وأنت نثلي يا غريبَ الدار،

عُدْ ... يا عُودُ بالمفقودِ ، واذبَحْني عَلَيْكَ

من الوريد إلى الوريدِ

هَلِّلويا

هَلِّلويا،

كُلُّ شيءٍ سوف يبدأ من جديدِ

نُزْهةُالغُرَباء

أَعرفُ البَيْتَ من خُصْلَة المَرْيَميَّةِ. أُولى
النوافذ تَتجحُ نحو الفراشاتِ... زرقاءَ...
حمراءَ. أَعرف خطَّ السحاب وفي أيِّ
بئرٍ سَيَنْتَظِرُ القُرَوِيَّاتِ في الصيف. أَعرفُ
ماذا تقولُ الحمامةُ حين تبيضُ على فُوهَّةِ
البندقيَّةِ. أَعرفُ مَنْ يفتح البابَ للياسمينةِ
وهي تفتِّح أَحلامنا لضيوف المساءْ...

لم تَصِلْ بعد مَرْكَبَةُ الغرباءْ

لم يَصِلْ أَحَدٌ . فَاترُكِيني هناك كما
تتركين التحيَّةَ في مدخل البيت. ليْ أَو
لغيري ، ولا تحفلين بمن سوف يسمعها
أَوَّلاً. واتركيني هناك كلاماً لنفسيَ:
هل كنتُ وحدي "وحيداً كما الروحُ في
جَسَدٍ"؟ عندما قلتِ يوماً: أُحبُّكُما ،
أَنتَ والماء. فالتمعَ الماءُ في كُلِّ شيء،
كجيتارةٍ تركت نفسها للبكاءْ!

لم تصلْ بعد جيتارة الغُرَباءْ

فلنكُنْ طيّبين! خُذيني إلى البحر عند
الغروب، لأسمع ماذا يقولُ لكِ البحرُ
حين يعودُ إلى نفسه هادئاً هادئاً.
لن أُغيِّر ما بي. سأندسُّ في مَوْجَةٍ
وأَقولُ: خُذيني إلى البحر ثانيةً. هكذا
يفعلُ الخائفون بأَنفسهِمْ: يذهبون إلى
البحرِ حين تعذِّبهم نجمةٌ أَحْرَقَتْ نفسها في السماءْ

لم تصل بعد أغنيةُ الغرباءْ

أَعرف البيت من خَفَقان المناديلِ. أُولى
الحمامات تبكي على كتفيَّ. وتحت سماءِ
الأناجيلِ يركضُ طفلٌ بلا سَبَبٍ. يركُضُ
الماءُ، والسروُ يركضُ، والريحُ تركُضُ في
الريحِ، والأرضُ تركُضُ في نفسها. قلتُ:
لا تُسرعي في الخروج من البيت... لا
شيءَ يمنَعُ هذا المكانَ من الانتظار قليلاً
هنا، ريثما ترتديت قميصَ النهار، وتنتعلين
حذاء الهواءْ

لم تصل بعد أُسطورةُ الغرباءْ...

لم يَصلْ أَحَدٌ. فاتركيني هناك كما

تتركين الخُرافَةَ في أَيٍّ شخصٍ يراكِ، فيبكي
ويركض في نفسه خائفاً من سعادتِهِ:
كم أُحبُّكِ، كم أَنتِ أَنتِ! ومِنْ رُوحِهِ
خائفاً: لا أَنا الآن إلاّ هِيَ الآن فيَّ.
ولا هِي إلاّ أنا في هشاشتها. كم أَخافُ
على حُلُمي أَن يرى حُلُماً غيرَها في
نهايةِ هذا الغناءْ...

لم يصل أَحَدٌ
ربما أَخطأَ الغرباءُ الطريقَ
إلى نُزْهَةِ الغرباء!

حِبرُ الغراب

حِبرُالغراب

لَكَ خَلْوةٌ فِي وَحْشة الخرّوب ، يا
جَرَسَ الغُروب الداكنَ الأصواتِ! ماذا
يطلبون الآن منكَ؟ بَحثتَ فِي
بُستانِ آدمَ ، كي يواري قاتلٌ ضَجِرَ أَخاهُ،
وانغلقتَ على سوادِكَ
عندما انفَتَحَ القتيلُ على مَدَاهُ،
وانصرَفْتَ إلى شُؤونكَ مثلما انصرفَ الغيابُ
إلى مشاغله الكثيرة. فلتَكُنْ
يَقِظاً. قيامتُنا ستُرْجَأُ يا غرابُ!

لا لَيْلَ يكفينا لنحلُمَ مَرَّتَين. هناكَ بابُ
واحدٌ لسمائنا. من أَين تأتينا النهايةُ؟
نحن أَحفادَ البدايةِ . لا نَرَى
غَيْرَ البداية ، فاتّحدْ بمهبِّ لَيْلِكَ كاهناً
يَعِظُ الفراغَ بما يُخَلِّفُهُ الفراغُ الآدَمِيُّ
من الصدى الأبديِّ حولكَ...
أَنْتَ مُتَّهَمٌ بما فينا. وهذا أَوَّلُ
الدَمِ من سُلاَلَتِنا أمامَكَ، فابتعدْ
عن دار قابيلَ الجديدةِ
مثلما ابتعَدَ السرابُ
عن حِبْر رِيشكَ يا غرابُ

لِيَ خلْوَةٌ في ليل صوتكَ... لي غيابُ
راكضٌ بين الظلال يشدُّني
فأشدُّ قَرْنَ الثور. كان الغَيْبُ يدفعني وأَدفعُهُ
ويرفعُني وأَرفعُهُ إلى الشَبَح المُعَلّقِ مثل
باذنجانةٍ نَضَجَتْ . أأَنت إذاً؟ فماذا
يطلبون الآن منّا بعدما سرقوا كلامي من
كلامك، ثم ناموا في منامي واقفينَ
على الرماح. ولم أَكُنْ شَبَحاً لكي يمشوا
خُطَايَ على خُطايَ. فكُنْ أَخي الثاني،
أَنا هابيلُ ، يُرْجِعُني الترابُ
إليكَ خَرُّوباً لتجلسَ فوق غُصْني يا غرابُ

أَنا أَنتَ في الكلمات. يجمعنا كتابُ
واحدٌ. لِيْ ما عَلَيْكَ من الرماد ، ولم
نَكُنْ في الظلِّ إلاّ شاهِدَيْنِ ضحيَّتَيْنِ
قصيدتينِ
قصيرتينِ
عن الطبيعة ، ريثما يُنْهي وليمَتُه الخرابُ

ويضيئك القرآنُ:
(فَبَعَثَ اللّهُ غراباً يبحث في الأرض لِيُرِيَهُ كيف يواري سوءة أخيه، قال: يا ويلتي أَعجزت أن أكون مثل هذا الغراب)

ويضيئك القرآنُ،

فابحثْ عن قيامتنا ، وحلِّقْ يا غُرَابُ!

سنونو التتار

على قَدْرِ خَيْلي تكونُ السماءُ. حَلُمْتُ

بما سوف يحدُثُ بعد الظهيرة. كان التتارُ

يسيرون تحتي وتحت السماء، ولا يحلمون
بشيء وراء الخيام التي نصبوها. ولا يعرفون
مصائرَ ماعِزِنا في مهبِّ الشتاء القريب.
على قدر خَيْلي ويكون المساء وكان التتارُ
يَدُسُّون أَسماءَهُمْ في سقوف القرى كالسنونو،
وكانوا ينامون بين سنابلنا آمنين،
ولا يحلمون بما سوف يحدث بعد الظهيرة، حين
تعودُ السماءُ، رُوَيْداً رُوَيْداً،
إلى أهلها في المساءْ

لنا حُلُمٌ واحدٌ: أَن يمرَّ الهواءْ
صديقاً، وينشُرَ رائحةَ القهوةِ العربيّةِ
فوق التلال المحيطة بالصيف والغرباءْ...

أَنا حُلُمي. كلَّما ضاقت الأرضُ وَسَّعْتُها
بجناح سُنُونُوَّةٍ واتسعْتُ. أَنا حُلُمي...
في الزحام امتلأتُ بمرآة نفسي وأَسئلتي
عن كواكبَ تمشي على قَدَمَيْ مَنْ أُحبُّ...
وفي عزلتي طُرُقٌ للحجيج إلى أُورشليم —
الكلام المُنَتَّف كالريش فوق الحجارة،
كَمْ مِنْ نَبِيّ تريد المدينةُ كي تحفظ اسم
أَبيها وتندم: "من غير حربٍ سَقَطْتُ"؟

وكم من سماءٍ تُبَدِّل، في كل شَعْبٍ،
ليعجبَها شالُها القرمزيُّ؟ فيا حُلُمي...
لا تُحدِّقْ بنا هكذا!
لا تَكُنْ آخِرَ الشُهَدَاء!

أَخافُ على حُلُمي من وضوح الفراشةْ
ومن بُقَعِ التوت فوق صهيل الحصان
أَخافُ عَلَيْهِ من الأب والابن والعابرينْ
على ساحل الأبيض المتوسِّط بحثاً عن الآلهة
وعن ذَهَب السابقين،
أَخاف على حُلُمي من يديَّ
ومن نجمةٍ واقفة
على كتفي في انتظار الغناء

لنا نحن أَهْلَ الليالي القديمة ، عاداتُنا
في الصعودِ إلى قَمَر القافيةْ
نُصَدِّقُ أحلامَنا ونكذِّبُ أيَّامَنا ،
فأيَّامُنا لم تكن كلُّها معنا منذ جاء التتارُ،
وها هم يُعِدُّون أَنفسهم للرحيلِ
وينسون أَيَّامَنا خَلْفَهُمْ ، وسنهبط عما قليل
إلى عمرنا في الحقول . ونصنع أَعلامنا
من شراشِفَ بيضاءَ . إن كانَ لابُدَّ

من علَمٍ، فليكُنْ هكذا عارياً
من رُمُوزٍ تُجَعِّدُهُ... ولنكُنْ هادئين
لئلاّ نُطَيِّر أحلامَنا خلف قافلة الغرباء

لنا حُلُم واحد : أَن نَجِدْ
حُلُماً كان يحملنا
مثلما تحملُ النجمةُ الميتين!

مَرّ القطار

مَرَّ القطارُ سريعاً ،
كُنْتُ أنتظرُ
على الرصيف قطاراً مَرَّ،
وانصرَفَ المُسافرونَ إلى
أَيَّامِهِمْ ... وأَنا
ما زلتُ أَنتظرُ

تبكي الكمنجاتُ عن بُعْدٍ،
فتحملني
سحابةٌ من نواحيها
وتنكسرُ

كان الحنينُ إلى أشياء غامضةٍ
يَنْأَى ويَدْنُو،
فلا النسيانُ يُقْصِيني،
ولا التذكُّرُ يدنيني
من امرأة
إن مَسَّها قمرٌ
صاحَتْ: أَنا القَمَرُ

مَرَّ القطارُ سريعاً ،
لم يكن زَمَني
على الرصيف معي،

فالسَاعةُ اختلفتْ

من الساعةُ الآن؟

ما اليومُ الذي حَدَثتْ

فيه القطيعةُ بين الأمس والغدِ

لَمَّا هاجر الغَجَرُ؟

هنا وُلدتُ ولم أُولَدْ

سيُكْمِلُ ميلادي الحَروُنَ إذاً

هذا القطارُ

ويمشي حولِيَ الشَجَرُ

هنا وُجدتُ ولم أُوجَدْ

سأعثُرُ في هذا القطارِ

على نفسي التي امتلأتْ

بضفّتينِ لنهرٍ مات بينهما

كما يموتُ الفتى

"ليت الفتى حَجَرُ ..."

مَرَّ القطارُ سريعاً

مَرَّ بي، وأَنا

مثل المحطّة، لا أَدري

أُودِّعُ أَم أستقبلُ الناسَ:

أَهلاً، فوق أرصفتي

مقهى،

مكاتبُ،

وردٌ

هاتفٌ،

صُحُفٌ

وسندويشاتٌ،

وموسيقى،

وقافيةٌ

لشاعرٍ آخرٍ يأتي وينتظرُ

مَرَّ القطار سريعاً

مَرَّ بي ، وأَنا

ما زلتُ أَنتظرُ

أَختارُ يوماً غائماً لأَمُرَّ بالبئر القديمةِ.
رُبّما امتلأتْ سماءً. رُبَّما فاضَتْ عن المعنى وَعَنْ
أُمْثُولةِ الراعي. سأشربُ حفنةً من مائها.
وأَقولُ للموتى حواليْها: سلاماً، أَيُّها البَاقونَ
حول البئر في ماء الفراشةِ! أَرفَعُ الطَيُّونَ
عن حَجَرٍ: سلاماً أيها الحَجَرُ الصغيرُ! لعلَّنا
كُنَّا جناحَيْ طائر ما زال يوجعُنا. سلاماً
أَيها القَمَرُ المُحلِّقُ حَوْلَ صُورَتِهِ التي لن يلتقي
أَبداً بها! وأَقول للسَرْوِ: انتَبِهْ ممَّا يقولُ
لَكَ الغبارُ. لعلَّنا كنا هنا وَتَرَيْ كمانٍ
في وليمة حارساتِ اللازَوَرْدِ. لعلَّنا كُنَّا
ذراعَيْ عاشقٍ...
قد كنتُ أَمشي حَذْوَ نفسيْ: كُنْ قويّاً
يا قريني، وارفعِ الماضي كقرنَيْ ماعزٍ
بيديكَ، واجلسْ قرب بئرك. رُبَّما التفتتْ
إليكَ أَيائلُ الوادي ... ولاح الصوتُ –
صوتُك صورةً حجريَّةً للحاضر المكسورِ...
لم أُكْملْ زيارتي القصيرةَ بَعْدُ للنسيانِ...
لم آخُذْ مَعي أَدواتِ قلبي كُلَّها:
جَرَسي على ريح الصنوبرِ

سُلّمي قرب السماءِ
كواكبي حول السطوحِ
وبُحَّتي من لَسْعة الملح القديم...
وَقُلْتُ للذكرى: سَلاماً يا كلامَ الجَدّة العَفَوِيَّ
يأخُذُنا إلى أَيَّامنا البيضاءِ تحت نُعَاسنا...
واسْمِيْ يرنُّ كليرة الذَهَبِ القديمةِ عِنْدَ
باب البئرِ. أَسْمَعُ وَحْشَةَ الأَسلاف بين
الميم والواو السحيقة مثل وادٍ غير ذي
رزعٍ. وأُخفي تعبي الوديَّ. أَعرفُ أَنني
سأعود حيّاً. بعد ساعاتٍ، من البئر التي
لم أَلْقَ فيها يوسُفاً أَو خَوْفَ إخوتِهِ
مِنَ الأصداء. كُنْ حَذِراً! هنا وضعتْكَ
أُمُّكَ قرب باب البئر، وانصرَفَتْ إلى تَعْويذةٍ...
فاصنعْ بنفسكَ ما تشاءُ. صَنَعْتُ وحدي ما
أَشاءُ: كبرتُ ليلاً في الحكاية بين أَضلاعِ
المُثَلَّثِ: مصرَ، سوريّا، وبابلَ. ههنا
وحدي كبرتُ بلا إلهاتٍ الزراعة. [كُنَّ
يَغْسِلْنَ الحصى في غابة الزيتون. كُنَّ مُبلَّلاتٍ
بالندى]... ورأيتُ أَنِّي قد سقطتُ
عليَّ من سَفَر القوافلِ، قرب أَفعى. لم
أَجِدْ أَحداً لأُكْمِلَهُ سوى شَبَحي. رَمَتْني

الأرضُ خارجَ أَرضها ، واسمي يَرِنُّ على خُطَايَ
كَحذْوةِ الفَرَسِ: اقتربْ ... لأَعود من هذا
الفراغِ إليكَ يا جلجامشُ الأبديُّ في اسْمِكَ!..
كُنْ أَخي! واذْهَبْ معي لنصيحَ بالبئر
القديمة... ربما امتلأتْ كأنثى بالسماء،
وربُّما فاضت عن المعنى وعمَّا سوف
يحدُثُ في انتظارِ ولادتي من بئريَ الأُولى!
سنشرب حفنةً من مائها ،
سنقول للموتى حواليها : سلاماً
أَيها الأحياءُ في ماء الفَرَاشِ،
وأَيُّها الموتى، سلاماً!

كـالـنـون فـي سـورة الـرحمن

كالنون في سورة الرحمن

في غابة الزيتون، شَرْقَ
الينابيع انطوى جَدِّي على ظلِّهِ
المهجور. لم يَنْبُتْ على ظلِّهِ
عُشْبٌ خرافيٌّ،
ولا غيمةُ اللَيْلَكِ
سالَتْ داخل المشهدْ

الأرضُ مثل الثوب منسوجةٌ
بإبرة السُمَّاق في حُلْمِهِ
المكسور ... جدّي هَبَّ من نومِهِ
كي يجمَعَ الأعشابَ من كرمِهِ
المطمور تحت الشارع الأَسودْ ...

علَّمني القرآنَ في دوحة الريحانِ
شَرْقَ البئر،
من آدمٍ جئنا ومن حوَّاءَ
في جنة النسيانِ.
يا جدِّي! أَنا آخر الأحياء
في الصحراء، فلنصعدْ!

البحرُ والصحراءُ حول اسمِهِ

العاري من الحُرَّاسِ
لم يعرفا جدّي ولا أَبناءَهُ
الواقفين الآن حول "النون"
في سورة "الرحمن"،
اللهم ... فلتشهَدْ!

أَمَّا هُوَ المولود من نفسِهِ
الموءودُ، قرب النار،
في نفسه،
فليَمْنَحِ العنقاءَ من سرِّهِ
المحروق ما تحتاجُهُ بعده
كي تُشْعِلَ الأضواءَ في المَعْبَدْ

في غابة الزيتون، شَرْقَ الينابيعِ
انطوى جدِّي على ظلِّه
المهجور. لم تُشْرق على ظلِّه
شمسٌ. ولم يهبط على ظلِّه
ظلٌ،
وجدِّي دائماً، أَبعدْ...

تعاليم حُوريَّة

فَكّرتُ يوماً بالرحيل، فحطَّ حَسُّونٌ على
يدها ونام. وكان يكفي أَن أُداعِبَ غُصْنَ
دالِيَةٍ على عَجَلٍ... لِتُدْركَ أَنَّ كأسَ نبيديَ

امتلأتْ. ويكفي أَن أنامَ مُبَكـِّراً لتَرَى
منامِيَ واضحاً، فتطيلُ لَيْلَتَها لتحرسَهُ...
ويكفي أَن تجيء رسالةٌ منّى لتعرف أَنَّ
عنواني تغيَّر، فوق قارِعَةِ السجون، وأَنَّ
أَيَّامي تُحوِّم حَوْلَها... وحيالها

أُمِّي تَعُدُّ أَصابعي العشرينَ عن بُعْدٍ.
تُمَشِّطُني بخُصْلَةِ شعرها الذَهَبيّ. تبحثُ
في ثيابي الداخليّةِ عن نساءٍ أَجنبيَّاتٍ،
وَتَرْفُو جَوْرَبِي المقطوعَ. لم أَكبرْ على يَدِها
كما شئنا: أَنا وَهِيَ، إفترقنا عند مُنْحَدرِ
الرُخام... ولوَّحت سُحُبٌ لنا، ولماعزٍ
يَرِثُ المَكَانَ. وأَنْشَأَ المنفي لنا لغتين:
دراجةً...ليفهمَها الحمامُ ويحفظَ الذكرى
وفُصْحى... كي أُفسِّرَ للظلال ظِلالَهَا!

ما زلتُ حيّاً في خِضَمِّكِ. لم تَقُولي ما
تقولُ الأُمُّ للوَلَدِ المريضِ. مَرِضْتُ من قَمَرِ
النحاس على خيام البَدْوِ. هل تتذكرين
طريق هجرتنا إلى لبنانَ، حَيْثُ نسيتِني
ونسيتِ كيسَ الخُبْزِ [كان الخبزُ قمحيّاً].
ولم أَصرخْ لئلاَّ أُوقظَ الحُرَّاسَ. حَطَّتْني

على كَتِفَيْكِ رائحةُ الندى. يا ظَبْيَةً فَقَدَتْ
هُنَاكَ كِنَاسَها وغزالها...

لا وَقْتَ حَوْلَكِ للكلام العاطِفيِّ.
عَجَنْتِ بالحَبَقِ الظهيرةَ كلَّها. وَخَبَزْت للسُمَّاقِ
عُرْفَ الديك. أَعْرِفُ ما يُخَرِّبُ قلبَكِ المَثْقُوبَ
بالطاووس، مُنْذُ طُرِدْتِ ثانيةً من الفردوس.
عالَمُنا تَغَيَّر كُلُّهُ، فتغيَّرتْ أَصواتُنا. حتّى
التحيَّةُ بيننا وَقَعَتْ كزرٍّ الثَّوْبِ فوق الرمل،
لم تُسْمِعْ صدىً. قولي: صباح الخير!
قولي أيَّ شيء لي لتمنَحَني الحياةُ دَلالَها.

هي أُختُ هاجَرَ. أُختُها من أُمِّها. تبكي
مع النايات مَوْتي لم يموتوا. لا مقابر حول
خيمتها لتعرف كيف تَنْفَتِحُ السماءُ، ولا
ترى الصحراءَ خلف أَصابعي لترى حديقَتَها
على وَجْه السراب، فيركُضُ الزَمَنُ القديمُ
بها إلى عَبَثٍ ضروريٍّ: أَبوها طار مثلَ
الشَرْكَسيِّ على حصان العُرْس. أَمَّا أُمُّها
فلقد أَعدَّتْ، دون أن تبكي، لِزَوْجَة زَوْجها
حنَّاءَها، وتفحَّصَتْ خلخالها...

لا نلتقي إلاّ وداعاً عند مُفْتَرَقِ الحديث.

تقول لي مثلاً: تزوّجْ أَيَّةَ امرأة مِنَ
الغُرَباء, أَجمل من بنات الحيِّ. لكنْ, لا
تُصَدِّقْ أَيَّةَ امرأة سوايَ. ولا تُصَدِّقْ
ذكرياتِكَ دائماً. لا تَحْتَرِقْ لتضيء أُمَّكَ,
تلك مِهْنَتُها الجميلةُ. لا تحنَّ إلى مواعيد
الندى. كُنْ واقعيّاً كالسماء. ولا تحنّ
إلى عباءة جدِّكَ السوداءِ، أَو رَشَوَاتِ
جدّتكَ الكثيرةِ، وانطلِقْ كالمُهْرِ في الدنيا.
وكُنْ مَنْ أَنت حيث تكون. واحملْ
عبءَ قلبكَ وَحْدَهُ... وارجع إذا
اتَّسَعَتْ بلادُكَ للبلاد وغيَّرتْ أَحوالَها...

أُمِّي تضيء نُجُومَ كَنْعَانَ الأخيرةَ,
حول مرآتي,
وتَرْمي, في قصيدتِيَ الأَخيرةِ, شَالَها!

أمشاط عاجية

مِنَ القَلْعَةِ انحدرَ الغيمُ أَزرقَ

نحو الأَزقّةِ...

شالُ الحرير يطيرُ

وسربُ الحمام يطيرُ

وفي بِرْكةِ الماء تمشي السماءُ قليلاً

على وجهها وتطيرُ

ورُوحي تطيرُ, كعاملة النَحْلِ, بين الأَزقّةِ

والبحرُ يأكُلُ من خبزها, خبزِ عَكّا

ويفرُكُ خاتَمَها مُنْذُ خَمْسَةِ آلافِ عامٍ

ويرمي على خدِّها خَدَّهُ...

في طقوس الزفاف الطويل الطويلْ

تقولُ القصيدةُ:

فلننتظرْ

ريثما تسقط النافذةْ

فوق "أَلْبُومِ" هذا الدليل السياحيّ

أَدخُلُ من إِبْطها الحجريِّ، كما

يدخُلُ الموجُ في الأبديّةِ. أَعبُرُ

بين العصور كأنّيَ أَعبُرُ بين الغُرَفْ

أَرى في محتوياتِ الزمانِ الأليفة:

مرآةَ بِنْتٍ لكنعانَ,

أَمشاطَ شَعْرٍ من العاجِ,

صَحْنَ الحَسَاءِ الأَشوريَّ،
سَيْفَ المُدافع عن نَوْمِ سَيِّده الفارسيِّ،
وقفزَ الصقور المفاجِئَ من عَلَمٍ نحو آخرَ
فوق صواري الأَساطيل...

لو كان لي حاضرٌ آخرٌ
لامتلكتُ مفاتيحَ أَمسي
ولو كان أَمسي معي
لامتلكتُ غدي كُلَّهُ...

غامضٌ سَفَري في الزقاقِ الطويلِ
المؤدي إلى قَمَرٍ غامضٍ فوق سُوقِ
النحاس. هنا نخلةٌ تحمل البرجَ عنِّي،
وهاجَسُ أُغنيَّةٍ تتقُلُ الأدواتِ البسيطةَ
حولي، لصُنْعِ تْرَاجِيدْيا مُكَرَّرةٍ، والخيالُ
هنا بائعٌ جائعٌ يتجوَّلُ فوق الغبار أَليفاً،
كأنِّيَ لا شأن لي بالذي سوف يحدُثُ
لي في احتفالات يوليوس قَيْصَرَ ... عمَّا قليل!
أَنا والحبيبةُ نشربُ
ماءَ المَسرَّةِ
من غيمةٍ واحدةْ
ونهبط في جَرَّةٍ واحدةْ!

رَسَوْتُ بمينائها، لا لشيءٍ سوى
أَنَّ أُمّي أضاعت مناديلها ههنا...
لا خرافةَ لي ههنا. لا أُقايضُ
آلهةً أو أُفاوضُ ألهةً. لا خرافةَ
لي ههنا كي أُعبِّىءَ ذاكرتي بالشعيرِ
وأسماءِ حُرَّاسها الواقفين على كتفيَّ
انتظاراً لفجر تُحُتْمُس. لا سيف لي،
لا خرافة لي هَهنا لأُطلِّق أُمِّي التي
حَمَّلتْني مناديلَها، غيمةً غيمةً، فوق
ميناء عكا القديمة... عند الرحيلْ!

ستحدث أشياءُ أُخرى،
سيكذبُ هنري على
قَلاوونَ، بعد قليلْ
سيرتفع الغيمُ أَحمرَ فوق صُفُوف النخيلْ...

أطوار أنات

أَطوار أَنات

الشِعْرُ سُلّمنا إلى قَمَرٍ تُعَلّقُهُ أَناتُ
على حَدِيقتها، كمرآةٍ لعُشّاقٍ بلا أَمَلٍ، وتمضي
في براري نفسها امرأتينِ لا تتصالحانِ:
هُنَالكَ امرأةٌ تُعيدُ الماءَ للينبوعِ،
وامرأةٌ تقودُ النارَ في الغاباتِ،
أَمَّا الخيلُ
فلترقُصْ طويلاً فوق هاوِيَتَيْنِ،
لا مَوْتٌ هناك ... ولا حياةُ.
وقصيدتي زَبَدُ اللُهاثِ وصرخَةُ الحيوانِ
عند صُعُودِهِ العالي
وعند هبوطه العاري: أَناتُ!
أَنا أُريدُكُما معاً، حُبّاً وحرباً، يا أَناتُ
فإلى جَهَنَّمَ بيْ... أُحبُّكِ يا أَناتُ!
وأَناتُ تقتُلُ نَفْسَها
في نَفْسها
ولنفسِها
وتُعيدُ تكوينَ المسافة كي تمرَّ الكائناتُ
أَمامَ صورتها البعيدةِ فوق أَرضِ الرافدينِ
وفوق سُوريّا. وتأمرُ الجهاتُ
بصَوْلجانِ اللازَوَرْدِ وخاتَمِ العذراءِ: لا

تتأخَّري في العالم السُفليِّ. عُودي من هناكَ
إلى الطبيعةِ والطبائع يا أَناتُ!
جَفَّتْ مياهُ البئر بَعْدَكِ. جَفَّتِ الأَغوارُ
والأَنهارُ جَفَّتْ بعد موتكِ. والدموع
تَبَخَّرَتْ من جَرَّة الفخّار, وانكسرَ الهواءُ
من الجفاف كَقِطْعَةِ الخشب. إنكسرنا كالسياجِ
على غيابكِ. جَفَّتِ الرغباتُ فينا. والصلاةُ
تكلَّسَتْ. لا شيءَ يحيا بعد موتكِ. والحياةُ
تَموتُ كالكلمات بين مُسَافِرَيْن إلى الجحيمِ,
فيا أَناتُ
لا تمكُثي في العالم السُفليِّ أَكثرَ! رُبَّما
هَبَطَتْ إلهاتٌ جديداتٌ علينا من غيابكِ
وامتَثلْنا للسرابِ. ورُبَّما وَجَدَ الرُعاةُ
الماكرونَ إلهةً, قرب الهباءِ وصدَّقَتْها الكاهناتُ
فلتَرْجعي, ولتُرْجعي أَرضَ الحقيقةِ والكنايةِ،
أَرضَ كَنْعانَ البدايةِ,
أَرضَ نَهْدَيْكِ المشاع,
وأَرض فَخْذَيْكِ المشاع, لكي تعودَ المعجزاتُ
إلى أَريحا,
عند باب المَعْبَدِ المهجورِ... لا
موتٌ هناك ولا حياةُ

فَوْضى على باب القيامة. لا غَدٌ

يأتي. ولا ماضٍ يجيء مُودِّعاً.

لا ذكرياتُ

تطيرُ من أَنحاءِ بابلَ فوق نخلتنا, ولا

حُلُمٌ يُسَامِرُنا لنسكنَ نجمةً,

هِيَ زِرُّ ثوبِكِ, يا أَناتُ

وأَناتُ تخلق نفسَها

من نفسِها

ولنفسِها

وتطيرُ خَلْفَ مراكب الإغريقِ,

في اسمٍ آخَرَ,

إمرأتينِ لن تتصالحا أَبداً...

وأَمَّا الخيلُ

فلترقُصْ طويلاً فوق هاويتين. لا

موتٌ هناك ولا حياةُ

لا أَنا أحيا هنالك, أَو أموتُ

ولا أَناتُ

ولا أَناتُ!

شعـريــة

غرفة للكلام مع النفس - تدابير شعرية

لم يكن للكواكب دور،
سوى أنها
علمتني القراءة:
لي لغة في السماء
وعلى الأرض لي لغة
من أنا؟ من أنا؟

لا أريد الجواب هنا
ربما وقعت نجمة فوق صورتها
ربما ارتفعت غابة الكستنا
بي نحو المجرة، ليلاً،
وقالت: ستبقى هنا!

ألقصيدة فوق، وفي وسعها
أن تعلمني ما تشاء
كأن أفتح النافذة
وأدير تدابيري المنزلية
بين الأساطير. في وسعها

أن تزوجني نفسها ... زمنا

وأبي تحت, يحمل زيتونة
عمرها ألف عام,
فلا هي شرقية
ولا هي غربية.
ربما يستريح من الفاتحين,
ويحنو علي قليلاً,
ويجمع لي سوسنا

ألقصيدة تبعد عني,
وتدخل ميناء بحارة يعشقون النبيذ
ولا يرجعون إلى امرأة مرتين،
ولا يحملون حنيناً إلى أي شيء
ولا شجنا!

لم أمت بعد حباً
ولكن أماً ترى نظرات ابنها
في القرنفل تخشى على المزهرية من جرحها,
ثم تبكي لتبعد حادثة
قبل أن تصل الحادثة
ثم تبكي لترجعني من طريق المصائد

حياً، لأحيا هنا

ألقصيدة ما بين بين, وفي وسعها
أن تضيء الليالي بنهدي فتاة,
وفي وسعها أن تضيء بتفاحةٍ جسدين،
وفي وسعها أن تعيد,
بصرخة غاردينيا, وطنا!

ألقصيدة بين يدي, وفي وسعها
أن تدير شؤون الأساطير,
بالعمل اليدوي, ولكنني
مذ وجدت القصيدة شردت نفسي
وساءلتها:
من أنا
من أنا؟

من روميات أبي فراس الحمداني

من روميات أبي فراس الحمداني

صدى راجع. شارع واسع في الصدى
خطى تتبادل صوت السعال, وتدنو
من الباب, شيئاً فشيئاً, وتنأى
عن الباب. ثمة أهل يزوروننا
غداً, في خميس الزيارات. ثمة ظل
لنا في الممر. وشمس لنا في سلال
الفواكه. ثمة أم تعاتب سجاننا:
لماذا أرقت على العشب قهوتنا يا
شقي؟ وثمة ملح يهب من البحر,
ثمة بحر يهب من الملح. زنزانتي
اتسعت سنتيمتراً لصوت الحمامة: طيري
إلى حلب, يا حمامة, طيري بروميتي
واحملي لابن عمي سلامي!
صدىً
للصدى. للصدى سلم معدني، شفافية, وندى
يعج بمن يصعدون إلى فجرهم... وبمن
ينزلون إلى قبرهم من ثقوب المدى...
خذوني إلى لغتي معكم! قلت:

ما ينفع الناس يمكث في كلمات القصيد

وأما الطبول فتطفو على جلدها زبدا

وزنزانتي اتسعت, في الصدى, شرفةً

كثوب الفتاة التي رافقتني سدى

إلى شرفات القطار, وقالت: أبي

لا يحبك. أمي تحبك. فاحذر سدوم غدا

ولا تنتظرني, صباح الخميس, أنا لا

أحب الكثافة حين تُخبئ في سجنها

حركات المعاني, وتتركني جسداً

يتذكر غاباته وحده ... للصدى عرفة

كزنزانتي هذه: غرفة للكلام مع النفس,

زنزانتي صورتي لم أجد حولها أحدا

يشاركني قهوتي في الصباح, ولا مقعدا

يشاركني عزلتي في المساء, ولا مشهدا

أشاركه حيرتي لبلوغ الهدى.

فلأكن ما تريد لي الخيل في الغزوات:

فإما أميراً

وإما أسيراً

وإما الردى!

وزنزانتي اتسعت شارعاً شارعين. وهذا الصدى

صدى, بارحاً سانحاً, سوف أخرج من حائطي

كما يخرج الشبح الحر من نفسه سيدا

وأمشي إلى حلبٍ. يا حمامة طيري

برومیتي، واحملي لابن عمي

سلام الندى!

من سماء إلى أختها يعبر الحالمون

من سماء إلى أختها يعبر الحالمون

.. وتركنا طفولتنا للفراشة, حين تركنا
على الدرجات قليلا من الزيت، لكننا
نسينا تحية نعناعنا حولنا ، ونسينا
السلام السريع علي غدنا بعدنا...
كان حبر الظهيرة أبيض، لولا
كتاب الفراشة من حولنا...

يا فراشة! يا أخت نفسك، كوني
كما شئت،قبل حنيني وبعد حنيني.
ولكن خذيني أخا لجناحك يبق جنوني
معي ساخنا! يا فراشة! يا أم
نفسك، لا تتركيني لما صمم الحرفيون
لي من صناديق... لا تتركيني!

من سماء إلى أختها يعبر الحالمون
حاملين مرايا من الماء حاشية للفراشة
في وسعنا أن نكون كما ينبغي أن نكون
من سماءٍ
إلى أختها

يعبر الحالمون

ألفراشة تنسج من إبرة الضوء
زينة ملهاتها
ألفراشة تولد من ذاتها
والفراشة ترقص في نار مأساتها

نصف عنقاء. ما مسها مسنا : شبه
داكن بين ضوء ونارٍ... وبين طريقين.
لا. ليس طيشاً ولا حكمةً حبنا
هكذا دائما ، هكذا... هكذا
من سماءٍ
إلى أختها
يعبر الحالمون ...

ألفراشة ماء يحن إلي الطيران. ويفلت
من عرق الفتيات، وينبت في غيمة
الذكريات. الفراشة ما لا تقول القصيدة،
من فرط خفتها تكسر الكلمات، كما
يكسر الحلم الحالمين...
وليكن ...
وليكن غدنا حاضراً معنا

وليكن حاضراً أمسنا معنا

وليكن يومنا حاضراً

في وليمة هذا النهار المعد

لعيد الفراشة ، كي يعبر الحالمون

من سماءٍ إلي أختها... سالمين

من سماءٍ إلى أختها يعبر الحالمون...

قال المسافر للمسافر : لن أعود كما ...

قال المسافر للمسافر : لن أعود كما ...

لا أعرف الصحراء،
لكني نبت على جوانبها كلاما...
قال الكلام كلامه، ومضيت
كامرأة مطلقةٍ مضيت كزوجها المكسور،
لم أحفظ سوى الإيقاع
أسمعه
وأتبعه
وأرفعه يماما
في الطريق إلى السماء،
سماء أغنيتي،
أنا ابن الساحل السوري،
أسكنه رحيلاً أو مقاما
بين أهل البحر،
لكن السراب يشدني شرقاً
إلى البدو القدامى،
أورد الخيل الجميلة ماءها،
وأجس نبض الأبجدية في الصدى،

وأعود نافذة على جهتين...

أنسى من أكون لكي أكون

جماعة في واحدٍ، ومعاصراً

لمدائح البحارة الغرباء تحت نوافذي،

ورسالة المتحاربين إلى ذويهم:

لن نعود كما ذهبنا

لن نعود ... ولو لماما!

لا أعرف الصحراء،

مهما زرت هاجسها،

وفى الصحراء قال الغيب لي:

أكتب!

فقلت: على السراب كتابة أخرى

فقال: أكتب ليخضر السراب

فقلت: ينقصني الغياب

وقلت: لم أتعلم الكلمات بعد

فقال لي: أكتب لتعرفها

وتعرف أين كنت، وأين أنت

وكيف جئت، ومن تكون غداً،

ضع اسمك في يدي واكتب

لتعرف من أنا، واذهب غماما

في المدى ...

فكتبت: من يكتب حكايته يرث

أرض الكلام، ويملك المعنى تماما!

لا أعرف الصحراء،

لكني أودعها: سلاما

للقبيلة شرق أغنيتي: سلاما

للسلالة في تعددها على سيفٍ: سلاما

لابن أمي تحت نخلته: سلاما

للمعلقة التي حفظت كواكبنا: سلاما

للشعوب تمر ذاكرة لذاكرتي: سلاما

للسلام علي بين قصيدتين:

قصيدة كتبت

وأخرى مات شاعرها غراما!

أأنا أنا؟

أأنا هنالك ... أنا هنا؟

في كل "أنت" أنا,

أنا أنت المخاطب, ليس منفى

أن أكونك. ليس منفى

أن تكون أناي أنت. وليس منفى

أن يكون البحر والصحراء

أغنية المسافر للمسافر:

لن أعود, كما ذهبت,

ولن أعود ... ولو لماما!

قـافـيـة مـن أجـل الـمـعـلـقـات

ما دلني أحد علي. أنا الدليل, أنا الدليل
إلى بين البحر والصحراء. من لغتي ولدت
على طريق الهند بين قبيلتين صغيرتين عليهما
قمر الديانات القديمة, والسلام المستحيل
وعليهما أن تحفظا فلك الجوار الفارسي
وهاجس الروم الكبير, ليهبط الزمن الثقيل
عن خيمة العربي أكثر. من أنا؟ هذا
سؤال الآخرين ولا جواب له. أنا لغتي أنا,
وأنا معلقة... معلقتان... عشر, هذه لغتي
أنا لغتي. أنا ما قالت الكلمات:
كن
جسدي, فكنت لنبرها جسداً. أنا ما
قلت للكلمات: كوني ملتقى جسدي مع
الأبدية الصحراء. كوني كي أكون كما أقول!
لا أرض فوق الأرض تحملني, فيحملني كلامي
طائراً متفرعاً مني, ويبني عش رحلته أمامي
في حطامي, في حطام العالم السحري من حولي,

على ريح وقفت. وطال بي ليلي الطويل

... هذه لغتي قلائد من نجوم حول أعناق

الأحبة: هاجروا

أخذوا المكان وهاجروا

أخذوا الزمان وهاجروا

أخذوا روائحهم عن الفخار

والكلأ الشحيح, وهاجروا

أخذوا الكلام وهاجر القلب القتيل

معهم. أيتسع الصدى, هذا الصدى,

هذا السراب الأبيض الصوتي لاسم تملأ

المجهول بحته, ويملأه الرحيل ألوهة؟

تضع السماء علي نافذة فأنظر: لا

أرى أحداً سواي...

وجدت نفسي عند خارجها

كما كانت معي, ورؤاي

لا تنأى عن الصحراء,

من ريحٍ ومن رمل خطاي

وعالمي جسدي وما ملكت يداي

أنا المسافر والسبيل

يطل آلهة على ويذهبون, ولا نطيل

حديثنا عما سيأتي. لا غد في

هذه الصحراء إلا ما رأينا أمس،

فلأرفع معلقتي لينكسر الزمان الدائري

ويولد الوقت الجميل!

ما أكثر الماضي يجيء غداً

تركت لنفسها نفسي التي امتلأت بحاضرها

وأفرغني الرحيل

من المعابد. للسماء شعوبها وحروبها

أما أنا ، فلي الغزالة زوجة, ولي النخيل

معلقات في كتاب الرمل. ماضٍ ما أرى

للمرء مملكة الغبار وتاجه. فلتنتصر

لغتي على الدهر العدو ، على شلالاتي ،

على, على أبي, وعلى زوال لا يزول

هذه لغتي ومعجزتي. عصا سحري.

حدائق بابلي ومسلتي, وهويتي الأولى,

ومعدني الصقيل

ومقدس العربي في الصحراء,

يعبد ما يسيل

من القوافي كالنجوم على عباءته,

ويعبد ما يقول

لا بد من نثر إذا,

لا بد من نثرٍ إلهي لينتصر الرسول...

الـدوري , كمـا هو

حيرة التقليد : هذا الغسق المهرق
يدعوني إلى خفته خلف زجاج
الضوء. لم أحلم كثيراً بك, يا
دوري. لم يحلم جناح بجناح...
وكلانا قلق

لك ما ليس لي: الزرقة أنثاك
ومأواك رجوع الريح للريح،
فحلق! مثلنا تعطش في الروح
للروح، وصفق للنهارات التي ينسجها
ريشك, واهجرني إذا شئت
فبيئتي, ككلامي, ضيق

يألف السقف, كضيف مرح, يألف
حوض الحبق الجالس, كالجدة, في
نافذة... يعرف أين الماء والخبز,
وأين الشرك المنصوب للفأر...
ويهتز جناحاه كشال امرأة تفلت منا,
ويطير الأزرق...

نزق مثلي هذا الاحتفال النزق
يخمش القلب ويرميه على القش،
أما من رعشةٍ تمكث في آنية
الفضة يوماً واحداً؟
وبريدي فارغ من أي ملهاة،
ستأتي، أيها الدوري، مهما
ضاقت الأرض وفاض الأفق

ما الذي يأخذه مني جناحاك؟
توتر، وتبخر كنهار طائش
لا بد من حبة قمح ليكون
الريش حراً. ما الذي تأخذه منك
مراياي؟ ولا بد لروحي من
سماء، ليراها المطلق

أنت حر. وأنا حر. كلانا يعشق
الغائب. فلتهبط لكي أصعد. ولتصعد
لكي أهبط. يا دوري! هبني جرس
الضوء، أهبك المنزل المأهول بالوقت.
كلانا يكمل الآخر،
ما بين سماءٍ وسماء،
عندما نفترق!

ليل يفيض من الجسد

ياسمين على ليل تموز، أغنية
لغريبين يلتقيان على شارع
لا يؤدي إلى هدفٍ ...
من أنا بعد عينين لوزيتين؟ يقول الغريب
من أنا بعد منفاك في؟ تقول الغريبة.
إذن, حسناً, فلنكن حذرين لئلا
نحرك ملح البحار القديمة في جسد يتذكر...
كانت تعيد له جسداً ساخناً,
ويعيد لها جسداً ساخناً.
هكذا يترك العاشقان الغريبان حبهما
فوضوياً, كما يتركان ثيابهما الداخلية
بين زهور الملاءات...
- إن كنت حقا حبيبي, فألف
نشيد أناشيد لي, واحفر اسمي
على جذع رمانةٍ في حدائق بابل...
- إن كنت حقاً تحبينني, فضعي
حلمي في يدي. وقولي له, لابن مريم,

كيف فعلت بنا ما فعلت بنفسك,
يا سيدي, هل لدينا من العدل ما سوف يكفي
ليجعلنا عادلين غداً؟
- كيف أشفى من الياسمين غداً؟
- كيف أشفى من الياسمين غداً؟
يعتمان معاً في ظلالٍ تشع على
سقف غرفته: لا تكن معتماً
بعد نهدي – قالت له ...
قال: نهداك ليل يضيء الضروري
نهداك ليل يقبلني, وامتلأنا أنا
والمكان بليل يفيض من الكأس...
تضحك من وصفه. ثم تضحك أكثر
حين نخبيء منحدر الليل في يدها...
- يا حبيبي, لو كان لي
أن أكون صبياً... لكنتك أنت
- ولو كان لي أن أكون فتاة
لكنتك أنت!...
وتبكي، كعادتها, عند عودتها
من سماءٍ نبيذية اللون: خذني
إلى بلد ليس لي طائر أزرق
فوق صفصافه يا غريب!

وتبكي، لتقطع غاباتها في الرحيل

الطويل إلى ذاتها: من أنا؟

من أنا بعد منفاك في جسدي؟

أه من, ومنك, ومن بلدي

- من أنا بعد عينين لوزيتين؟

أريني غدي!...

هكذا يترك العاشقان وداعهما

فوضوياً, كرائحة الياسمين على ليل تموز...

في كل تموز يحملني الياسمين إلى

شارع, لا يؤدي إلى هدف،

بيد أني أتابع أغنيتي:

يا سمين

على

ليل

تموز ......

للغجرية , سماء مدرية

تتركين الهواء مريضاً على شجر التوت,

أما أنا

فسأمشي إلى البحر كيف أتنفس

لماذا فعلت بنا ما فعلت ... لماذا

مللت الإقامة, يا غجرية,

في حارة السوسنة؟

طائش في السلالات. دقي بكعب حذائك

أيقونة الكون تهبط إليك الطيور. هناك

ملائكة... وسماء مدربة, فاصنعي ما

تشائين! دقي القلوب ككسارة الجوز

يبزغ دم الأحصنة!

لا بلاد لشعرك. لا بيت للريح. لا

سقف لي في ثريات صدرك. من ليلك

ضاحك حول ليلك أسلك درب

الشعيرات وحدي. كأنك من صنع

نفسك, يا غجرية,

ماذا صنعت بصلصالنا منذ تلك السنة؟

ترتدين المكان كما ترتدين سراويل نار

على عجل. لا وظيفة للأرض تحت يديك

سوى الالتفات إلى أدوات الرحيل: خلاخيل
للماء. جيتارة للهواء، وناي لتبعد
الهند أكثر. يا غجرية لا تتركينا كما
يترك الجيش آثاره المحزنة!

عندما, في نواحي السنونو, هبطت علينا
فتحنا على الأبدية أبوابنا صاغرين. خيامك
جيتارة للصعاليك. نعلو ونرقص حتى مغيب
الغروب والمدمي على قدميك. خيامك
جيتارة لخيول الغزاة القدامى تكر
لتصنع اسطورة الأمكنة

كلما حركت وتراً مسنا جنها. وانتقلنا
إلى زمن آخر. وكسرنا أباريقنا, واحداً
واحداً, لنصاحب إيقاعها. لم نكن طيبين
ولا سيئين, كما في الروايات. كانت
تسير أقدارنا بأصابعها العشر.
دندنة ... دندنة!

غيمة, حملتها اليمامات من نومنا
هل تعود غداً؟ لا. يقولون: لا
ترجع الغجرية. لا تعبر الغجرية في بلد

مرتين. فمن سيزف، إذا، خيل هذا
المكان إلى جنسها؟ من يلمع من
بعدها فضة الأمكنة؟

تمارين أولى على جيتارة

أسبانية

تمارين أولى على جيتارة أسبانية

جيتارتان

تتبادلان موشحاً

وتقطعان

بحرير يأسهما

رخام غيابنا

عن بابنا,

وترقصان السنديان

جيتارتان ...

أبدية زرقاء تحملنا,

وتسقط غيمتان

في البحر قربك,

ثم تصعد موجتان

فوق السلالم, تلحسان خطاك

فوق, وتضرمان

ملح الشواطئ في دمي

وتهاجران

إلى غيوم الأرجوان!

جيتارتان ...

الماء يبكي, والحصى, والزعفران

والريح تبكي:

"لم يعد غدنا لنا ..."

والظل يبكي خلف هستيريا حصانٍ

مسه وتر، وضاق به المدى

بين المدى والهاوية,

فاختار قوس العنفوان

جيتارتان ...

أغنية بيضاء للسمراء,

ينكسر الزمان

ليمر هودجها على جيشين:

مصري, وحشي

ويرتفع الدخان

دخان زينتها الملون

فوق أنقاض المكان...

جيتارتان ...

لا شيء يأخذ منك أندلس الزمان

ولا سمرقند الزمان

إلا خطى النهوند:

تلك غزالة سبقت جنازتها

وطارت في مهب الأقحوان

يا حب! يا مرضى المريض

كفى، كفى!

لا تنس قبرك مرة أخرى

على فرسي،

ستذبحنا هنا جيتارتين

جيتارتين ...

جيتارتين ...

أيـام الـحب الـسبـعة

الثلاثاء: عنقاء

يكفي مرورك بالألفاظ كي تجد

العنقاء صورتها فينا, وكي تلد

الروح التي ولدت من روحها جسدا...

لا بد من جسدٍ للروح تحرقه

بنفسها ولها, لا بد من جسد

لتظهر الروح ما أخفت من الأبد

فلنحترق، لا لشيءٍ، بل لنتحدا!

الأربعاء: نرجسة

خمس وعشرون أنثى عمرها. ولدت

كما تريد... وتمشي حول صورتها

كأنها غيرها في الماء: ينقصني

حب لأقفز فوق البرج... وابتعدت

عن ظلها ، ليمر البرق بينهما

كما يمر غريب في قصيدته...

الخميس: تكوين

وجدت نفسي في نفسي وخارجها

وأنت بينهما المرآة بينهما...

تزورك الأرض أحياناً لزينتها
وللصعود إلى ما سبب الحلما.
أما أنا ، فبوسعي أن أكون كما
تركتني أمس، قرب الماء، منقسما
إلى سماءٍ وأرضٍ. آه... أين هما؟

الجمعة: شتاء آخر
إذا ذهبت بعيداً، علقي حلمي
على الخزانة ذكرى منك، أو ذكرى
من. سيأتي شتاء آخر، وأرى
حمامتين على الكرسي، ثم أرى
ماذا صنعت بجوز الهند: من لغتي
سال الحليب على سجادة أخرى

إذا ذهبت، خذي فصل الشتاء، إذا!

السبت: زواج الحمام
أصغي إلى جسدي: للنحل ألهة
وللصهيل ربابات بلا عدد
أنا السحاب، وأنت الأرض، يسندها
على السياج أنين الرغبة الأبدي
أصغي إلى جسدي: للموت فاكهة
وللحياة حياة لا تجددها

إلا على جسد... يصغي إلى جسد

الأحد : مقام النهوند

يحبك، اقتربي كالغيمة... اقتربي

من الغريب على الشباك يجهش بي:

أحبها. انحدري كالنجمة... انحدري

على المسافر كي يبقى على سفر:

أحبك. انتشري كالعتمة... انتشري

في وردة العاشق الحمراء, وارتبكي

كالخيمة, ارتبكي, في عزلة الملك...

الاثنين: موشح

أمر باسمك، إذ أخلو إلى نفسي

كما يمر دمشقي بأندلس

هنا أضاء لك الليمون ملح دمي

وههنا، وقعت ريح عن الفرس

أمر باسمك, لا جيش يحاصرني

ولا بلاد. كأني آخر الحرس

أو شاعر يتمشى في هواجسه...

أغلقوا المشهد - شهادة من برتولت بريخت أمام محكمة عسكرية

أغلقوا المشهد - شهادة من برتولت بريخت أمام محكمة عسكرية

سيدي القاضي!

أنا لست بجندي،

فماذا تطلبون الآن مني؟

وأنا لا شأن لي في ما تقول المحكمة,

ذهبت الماضي إلى الماضي سريعاً...

دون أن يسمع مني كلمة.

مضت الحرب إلى المقهى لترتاح...

وطياروك عادوا سالمين

والسماء انكسرت في لغتي, يا سيدي

القاضي – وهذا شأني الشخصي –

لكن رعاياك يجرون سمائي خلفهم ... مبتهجين

ويطلون على قلبي, ويرمون قشور الموز

في البئر. ويمضون أمامي مسرعين

ويقولون: مساء الخير, أحياناً,

ويأتون إلى باحة بيتي... هادئين

وينامون على غيمة نومي ... آمنين

ويقولون كلامي نفسه,

بلاً مني،

لشباكي, وللصيف الذي يعرق عطر الياسمين

ويعيدون منامي نفسه,

بدلاً مني,

ويبكون بعيني مزامير الحنين

ويغنون, كما غنيت للزيتون والتين

وللجزئي والكلي في المعنى الدفين.

ويعيشون حياتي مثلما تعجبهم,

بلاً مني,

ويمشون على اسمي حذرين ....

وأنا, يا سيدي القاضي هنا

في قاعة الماضي, سجين

مضت الحرب. وضباطك عادوا سالمين

والكروم انتشرت في لغتي, يا سيدي

القاضي – وهذا شأني الشخصي – إن

ضاقت بي الزنزانة امتدت بي الأرض،

ولكن رعاياك يجسون كلامي غاضبين

ويصيحون بآخاب وإيزابيل: قوما, ورثا

بستان نابوت الثمين!

ويقولون: لنا الله

وأرض الله

لا للآخرين!

ما ال1ي تطلبه، يا سيدي القاضي،

من العابر بين العابرين؟

في بلاد يطلب الجلاد فيها

من ضحاياه مديح الأوسمة!

آن لي أن أصرخ الآن

وأن أسقط عن صوتي قناع الكلمة:

هذه زنزانة، يا سيدي، لا محكمة

وأنا الشاهد والقاضي. وأنت الهيئة المتهمة

فاترك المقعد، واذهب: أنت حر أنت حر،

أيها القاضي السجين

إن طياريك عادوا سالمين

والسماء انكسرت في لغتي الأولى –

وهذا شأني الشخصي – كي يرجع

موتانا إلينا – سالمين!

خلاف , غير لغوي , مع امرئ القيس

خلاف , غير لغوي , مع امرئ القيس

أغلقوا المشهد
تاركين لنا فسحة للرجوع إلى غيرنا
ناقصين. صعدنا على شاشة السينما
باسمين, كما ينبغي أن نكون على
شاشة السينما, وارتجلنا كلاما أعد
لنا سلفاً، آسفين على فرصة
الشهداء الأخيرة. ثم انحنينا نسلم
أسماءنا للمشاة على الجانبين. وعدنا
إلى غدنا ناقصين...

أغلقوا المشهد
انتصروا
عبروا أمسنا كله,
غفروا
للضحية أخطاءها عندما اعتذرت
عن كلام سيخطر في بالها,
غيروا جرس الوقت

وانتصروا...

عندما أوصلونا إلى الفصل قبل الأخير

التفتنا إلى الخلف: كان الدخان

يطل من الوقت أبيض فوق الحدائق

من بعدنا. والطواويس تنشر مروحة

اللون حول رسالة قيصر للتائبين

عن المفردات التي اهترأت. مثلاً:

وصف حريةٍ لم تجد خبزها. وصف

خبز بلا ملح حريةٍ. أو مديح حمام

يطير بعيداً عن السوق...

كانت رسالة قيصر شمبانيا للدخان

الذي يتصاعد من شرفة الوقت

أبيض ...

أغلقوا المشهد

انتصروا

صوروا ما يريدونه من سماواتنا

نجمةً .. نجمةً

صوروا ما يريدونه من نهاراتنا

غيمةً غيمةً,

غيروا جرس الوقت

وانتصروا ...

إلتفتنا إلى دورنا في الشريط الملون،
لكننا لم نجد نجمة للشمال ولا خيمة
للجنوب. ولم نتعرف على صوتنا أبداً.
لم يكن دمنا يتكلم في الميكروفونات في
ذلك اليوم, يوم اتكأنا على لغةٍ
بعثرت قلبها عندما غيرت دربها. لم
يقل أحد لامرئ القيس: ماذا صنعت
بنا وبنفسك؟, فاذهب على درب
قيصر' خلف دخان يطل من
الوقت أسود. واذهب على درب
قيصر, وحدك, وحدك, وحدك
واترك لنا, ههنا, لغتك!

متتاليات لزمن آخر

كان يوماً مسرعاً. أنصت للماء
الذي يأخذه الماضي ويمضي مسرعاً,
تحت,
أرى نفسي تتشق إلى اثنين:
أنا ،
واسمي ...

لكي أحلم لا يلزمني شيء: قليل
من سماءٍ لزياراتي سيكفي لأرى
الوقت خفيفاً وأليفاً
حول أبراج الحمام

وقليل من كلام الله للأشجار
يكفيني لكي أبني بالألفاظ
مأوى آمناً
للكراكي التي أخطأها الصياد ...

كم كان على ذاكرتي أن تحفظ
الأسماء. كم أخطأت في تهجية

الأفعال. لكن هذه النجمة من
صنع يدي فوق الرخام ...

كان يوماً مسرعاً. لم يعتذر
أحد من أحد فيه. ولم يسقط
على الشارع غيم الشجر العالي
ولم يلمع دم فوق الكلام

كل شيء هادئ في ملتقى البحرين
لا تاريخ للأيام منذ اليوم,
لا موتى ولا أحياء. لا هدنة,
لا حرب علينا أو سلام

وحياتي في مكان آخر. ليس مهماً
وصف مقهى وحوار بين شباكين
مهجورين. أو وصف خريف يمضغ
العلكة في هذا الزحام

... ولكي أحلم لا يلزمني بيت
كبير. فقليل من نعاس الذئب
في الغابة يكفي لأرى, فوق,
سماء لزياراتي...

حياتي في مكان آخر. ليس مهماً
أن تراها بنت جنكيزخان في سروالها
أو يراها قارئ تدخل في المعنى
كما يدخل حبر في الظلام

كان يوماً مشرعاً. والغد ماض
قادم من حفلة الشاي. غداً كنا!
وكان الأمبراطور لطيفاً معنا. كنا
غداً... نشهد تدشين الركام ...
كل شيء هادئ. ليس مهماً
وصف حدادين لم يصغوا إلى
التانجو, ولا موتى ينامون, كما
ناموا ولم يعتذروا للسيد التاريخ...

كي أحلم لا يلزمني ليل كهذا...
وقليل من سماءٍ لزياراتي، سيكفي
لأرى الوقت خفيفاً،
وأليفاً،
وأنام ...

عـنـدمـا يـبـتـعـد

عندما يبتعد

للعدو الذي يشرب الشاي في كوخنا

فرس في الدخان. وبنت لها

حاجبان كثيفان. عينان بنيتان. وشعر

طويل كليل الأغاني على الكتفين. وصورتها

لا تفارقه كلما جاءنا يطلب الشاي. لكنه

لا يحدثنا عن مشاغلها في المساء, وعن

فرس تركته الأغاني على قمة التل.../

... في كوخنا يستريح العدو من البندقية,

يتركها فوق كرسي جدي. ويأكل من خبزنا

مثلما يفعل الضيف. يغفو قليلاً على

مقعد الخيرزان. ويحنو على فرو

قطتنا. ويقول لنا دائماً:

لا تلوموا الضحية!

نسأله: من هي؟

فيقول: دم لا يجففه الليل.../

... تلمع أزرار سترته عندما يبتعد

عم مساء! وسلم على بئرنا

وعلى جهة التين. وامش الهويني على

ظلنا في حقول الشعير. وسلم على سرونا

في الأعالي. ولا تنس بوابة البيت مفتوحة

في الليالي. ولا تنس خوف

الحصان من الطائرات،

وسلم علينا ، هناك, إذا اتسع الوقت.../

هذا الكلام الذي كان في ودنا

أن نقول على الباب... يسمعه جيداً

جيداً, ويخبئه في السعال السريع

ويلقي به جانباً.

فلماذا يزور الضحية كل مساءٍ؟

ويحفظ أمثالنا مثلنا,

ويعيد أناشيدنا ذاتها,

عن مواعيدنا ذاتها في المكان المقدس؟

لولا المسدس

لااختلط الناي في الناي.../

لن تنتهي الحرب ما دامت الأرض

فينا تدور على نفسها!

فلنكن طيبين إذا. كان يسألنا

أن نكون هنا طيبين. ويقرأ شعراً

لطيار "بيتس": أنا لا أحب الذين

أدافع عنهم, كما أنني لا أعادي

الذين أحاربهم...

ثم يخرج من كوخنا الخشبي،

ويمشي ثمانين متراً إلى

بيتنا الحجري هناك على طرف السهل.../

سلم على بيتنا يا غريب.

فناجين

قهوتنا لا تزال على حالها. هل تشم

أصابعنا فوقها؟ هل تقول لبنتك ذات

الجديلة والحاجبين الكثيفين إن لها

صاحباً غائباً،

يتمنى زيارتها, لا لشيء...

ولكن ليدخل مرآتها ويرى سره:

كيف كانت تتابع من بعده عمره

بدلاً منه؟ سلم عليها

إذا اتسع الوقت.../

هذا الكلام الذي كان في ودنا

أن نقول له ، كان يسمعه جيداً

جيداً ،

ويخبئه في سعالٍ سريع

أزرار سترته عندما يبتعد...

أحد عشر كوكبا



تاريخ النشر	1992
عدد القصائد	16

أحد عَشَرِ كوكباً على آخِرِ المشهدِ الأندلسي

أحد عَشَرِ كوكباً على آخِرِ المشهدِ الأندلسي

في اُلْمساءِ الأخيرِ على هذه الأرضِ نَقْطَعُ أيَّامَنا
عن شُجَيْراتِنا , ونَعُدُّ اُلضلُوعَ الَّتي سَوْفَ نَحْمِلُها مَعَنا
وَالضلُّوع الَّتي سَوْفَ نَتْرُكُها, ههُنا ... في الْمساءِ الأَخيرْ
لا نُوَدِّع شَيْئاً , ولا نَجِدُ الْوقْتَ كَيْ نَنْتَهي...

كُلُّ شَيْءٍ يَظَلُّ على حالِهِ , فَالمَكانُ يُبَدِّلُ أَحْلامَنا وَيُبَدِّلُ زُوّارَه. فَجْأَةً لَمْ نَعُدْ قادِرين على السُّخْرِيَة
فالْمكان مُعَدُّ لِكَيْ يَسْتَضيفَ الْهَباءَ... هُنا فِي المساءِ الأخيرْ
نَتَمَلّى الْجبال المُحيطَةَ بِالْغَيْم : فتَحٌ ... وَفَتْحٌ مُضادّ
وَزَمانٌ قَديمٌ يُسَلِّمُ هذا الزّمانَ الْجَديدَ مَفاتيح أَبْوابِنا
فادْخلوا , أيُّها الْفاتِحونَ , مَنازِلَنا واشْرَبوا خَمْرَنا
مِنْ مُوشَّحِنا السَّهْلِ . فاللَّيْلُ نَحْنُ إذا انْتصَفَ اللَّيْلُ , لا
فَجْرَ يحَمْلُهُ فارسٌ قادمٌ مِنْ نَواحي الأذانِ الأَخيرْ
شايُنا أَخَضَر ساخِنٌ فاشْرَبوهُ , وَفُسْتُقنُا طازَجٌ فَكُلوه
والأسِرَّةُ هذا الْحِصارِ الطَّويلِ , ونَامُوا على ريشِ أَحْلامِنا

أَلْمُلاءات جاهزةٌ , والعُطورُ على الْباب جاهزةٌ , والمرايا كَثيرَة
فادْخُلوها لنَخْرُجَ مِنْها تَماماً , وَعَمّا قَليلٍ سَنَبْحثُ عَمّا
كانَ تاريخَنا حَوْل تاريخكُمْ في الْبلاد الْبَعيدَة
وَسَنَسْأَلُ أَنْفُسنا في النِّهاية : هَلْ كانتِ الأنْدَلُسْ
ههُنا أَمْ هناكَ؟ على الأرْضِ ... أم في الْقَصيدَة؟

في المساء الأخير على هذه الورقة

في المساء الأخير على هذه الورقة

كَيْفَ أكْتُبُ فَوَقْ السَّحاب وصَيَّة أهْلي؟
وَأهْلي يَتْرُكونَ الزَّمانَ كَما يَتْرُكونَ معاطِفَهُمْ في الْبُيوتِ،
وَأَهْلي كُلَّما شَيَّدوا قَلْعَةً هَدَموها
لِكيْ يَرْفعَوا فَوْقَها خَيْمَةً لِلْحَنين إلى أَوَّل النَّخْل،
أَهْلي يَخُونون أَهْلي في حُروب الدِّفاع عَن الْملْح،
لكنَّ غَرْناطةً من ذَهَبٍ
مِنْ حريرِ الكلامِ الْمُطرَّز بِاللَّوْزِ،
مِنْ فِضَّةِ الدَّمعِ في وَتَر الْعود
غَرْنَاطةٌ للصُّعودِ الْكبير إلى ذاتِها
ولَها أَنْ تكونَ كَما تَبتْغي أنْ تَكون
الْحَنينَ إلى أيِّ شَيْءٍ مَضى أَوْ سَيَمْضي
يَحُكُّ جناحُ سُنونوَّةٍ نهْدَ امْرأةٍ في السَّريرِ،
فَتَصْرُخُ غَرْناطَةٌ جسدي
ويُضَيِّعُ شَخْصٌ غَزالَتَهُ في الْبراري،
فَيَصْرُخُ غَرْناطةٌ بَلَدي وَأَنا مِنْ هُناكَ فَغَنّي لِتَبْني الْحَساسينُ مِنْ أَضْلُي دَرَجاً
لِلسَّماءِ الْقَريبَةِ غَنّي فُروسيَّةَ الصّاعِدينَ إلى حَتْفِهِمْ
قَمَراً قَمَراً في زُقاقِ الْعشيقَةِ غَنّي طُيورَ الْحَديقَة

حَجَراً حَجَراً كَمْ أُحبُّكِ أَنْتِ الَّتي قَطَّعْتِني
وَتَراً وَتَراً في الطَّريقَ إلى لَيْلِها الحارِّ . غنّي
لا صَباحَ لرِائحةِ البُنِّ بَعْدَكِ، غَنِّي رَحيلي
عَنْ هَديلِ الْيَمامِ على رُكْبَتَيْكِ وَعَنْ عُشِّ روحي
فِي حُروف اسْمِكِ السَّهْلِ، غَرْناطَةٌ للْغِناء فَغَنيّ !

كـيـف أكـتُـبُ فـوقَ الـسحـا ب ؟

كيف أكتُبُ فوقَ السحاب ؟

لِيَ خَلْفَ السَّماءِ سَماءُ لأَرْجعَ ..لكِنَّني لاَ أزالُ أُلَمِّعُ مَعْدِن هذا الْمَكان وأَحْيا ساعَةً تُبْصِرُ الْغَيبَ

أعْرِفُ أنَّ الزَّمانْ لا يُحالِفُني مَرَّتَيْن

وأعْرفُ أنّي سأَخْرُجُ مِنْ رايتَي طائِراً لا يَحُطُّ على شَجَرٍ

في الحَديقَةْ سَوْف أَخرُجُ من كل جِلْدي ومنْ لُغَتي سَوْف يَهْبطُ بَعْضُ الْكَلامِ عنِ الْحُبِّ

في شِعْرِ لوركا الَّذي سَوْفَ يَسْكُنُ غُرْفَةَ نَوْمي

وَيَرى ما رأَيْتُ منَ الْقَمر الْبَدَويِّ سَأَخْرُجُ مِنْ شَجَرِ اللَّوْزِ قُطْناً على زَبَد الْبحْرِ

مَرَّ الْغَريبْ حامِلاً سَبْعَمائَة عامٍ منْ الْخَيْل

مَرَّ الْغريبْ ههُنا كَيْ يَمُرَّ الغريب هناكَ

سأَخْرُجُ بَعْد قَليل من تَجاعيد وَقْتي غَريباً عن الشَّامِ والأندُلُسْ

هذهِ الأَرْضُ لَيْسَتْ سَمائي ولكنَّ هذا الْمَساءَ مَسائي، والْمفاتيح لي، والْمآذن لي،

والْمَصابيح لِي، وأَنا لي أيْضاً،

أنا آدَمُ الْجَنَّتَيْن فَقَدْتُهُما مَرَّتَينْ

فَاطْردوني على مَهَل

وَاقْتُلوني على عَجَلٍ

تَحْتَ زَيْتونَتي

مَعَ لوركا....

لــي خلف الـسمـا ء سمـا ء

لي خلف السماء سماء

لِيَ خَلْفَ السَّماءِ سَماءُ لأَرْجعَ ..لكِنَّني لاَ أزالُ أُلَمِّعُ مَعْدِن هذا الْمَكان وأَحْيا ساعَةً تُبْصِرُ الْغَيبَ
أعْرِفُ أنَّ الزَّمانْ لا يُحالِفُني مَرَّتَيْن
وأعْرفُ أنّي سأَخْرُجُ مِنْ رايتَي طائِراً لا يَحُطُّ على شَجَرٍ
في الحَديقَةْ سَوْف أَخرُجُ من كل جِلْدي ومنْ لُغَتي سَوْف يَهْبطُ بَعْضُ الْكَلامِ عنِ الْحُبِّ
في شِعْرِّ لوركا الَّذي سَوْفَ يَسْكُنُ غُرْفَةَ نَوْمي
وَيَرى ما رأَيْتُ منَ الْقَمر الْبَدَويِّ سأَخْرُجُ مِنْ شَجَرِ اللَّوْزِ قُطْناً على زَبَد الْبحْرِ
مَرَّ الْغَريبْ حامِلاً سَبْعَمائَة عامٍ منَ الْخَيْل
مَرَّ الْغريبْ ههُنا كَيْ يَمُرَّ الغريب هناكَ
سأَخْرُجُ بَعْد قَليل من تَجاعيد وَقْتي غَريباً عن الشَّامِ والأندُلُسْ
هذهِ الأرْضُ لَيْسَتْ سَمائي ولكنَّ هذا الْمَساءَ مَسائي، والْمفاتيح لي، والْمآذن لي، والْمَصابيح لِي،
وأَنا لي أيْضاً،
أنا آدَمُ الْجَنَّتَيْن فَقَدْتُهُما مَرَّتَينْ
فَاطْردوني على مَهَل
وَاقْتُلوني على عَجَلٍ
تَحْتَ زَيْتونَتي
مَعَ لوركا....

أنــا واحد من مـلـوكِ الـنـهـايـة

أنا واحد من ملوكِ النهاية

... وأَنا واحِدٌ مِنْ مُلوكِ النِّهاية ... أَقْفِزُ عَنْ

فَرَسي في الشِّتاء الأخيرِ, أنا زَفْرَةُ الْعَرَبِيِّ الأخيرَةْ

لا أُطِلُّ على الآسِ فَوْقَ سُطوحِ الْبُيوتِ , ولا

أَتَطلَّعُ حَوْلي لئَلاَ يراني هُنا أحَدٌ كانَ يَعْرِفُني

كانَ يَعْرِفُ أنّي صَقَلْتُ رُخامَ الْكلام لتَعْبُرَ امْرأَتي

بُقَعَ الضَّوءِ حافيَةً , لا أُطِلُّ على اللَّيْل كَيْ

لا أرى قَمَراً كان يُشْعِلُ أَسْرارَ غَرْناطةٍ كُلَّها

جَسَداً جَسَداً. لا أُطِلُّ على الظِّلِّ كَيْ لا أَرى

أَحَداً يَحْمِلُ اسْمي وَيَرْكُضُ خَلْفي : خُذِ اسْمَكَ عَنيّ

وَاعْطِني فِضَّةَ الْحَوْرِ. لا أتلَفَّتُ خَلْفي لِئَلاّ

أَتَذَكَّرَ أَنّي مَرَرْتُ على الأَرْضِ , لا أَرْضَ في

هذهِ الأَرْضِ مُنْذ تَكَسَّرَ حَوْلي الزَّمانُ شظايا شَظايا

لَمْ أَكُنْ عاشِقاً كَيْ أُصَدِّقَ أَنَّ الْمِياه مَرايا

مِثْلمَا قُلْتَ لِلأَصْدِقاءِ الْقُدامى , ولا حُبَّ يَشْفَعُ لي

مُذْ قَبِلْتُ ((مُعاهَدَةَ الصلح)) لَمْ يَبْقَ لي حاضِرٌ

كَيْ أَمُرَّ غداً قُرب أَمْسي. سَتَرفَعُ قَشْتالَةُ

تاجَها فَوْقَ مِئْذَنَة الله . أَسْمَعُ خَشْخَشَةً للْمَفاتيحِ في

بابِ تاريخنا الذَّهَبيَّ , وداعاً لِتاريخنا , هَلْ أَنا

مَنْ سَيُغْلِقُ باب السَّماءِ الأَخيرَ ؟ أَنا زَفْرةُ الْعربَيِّ الأَخيرَةْ

ذات يـوم , سـأجلس فـوق الـرصيف

ذاتَ يَوْمٍ سأجْلِسُ فوق الرَّصيف .. رَصيف الْغريبَة
لَمْ أكُنْ نَرْجساً , بَيْدَ أنّي أُدافِعُ عَنْ صُورَتي
في الْمَرايا . أَما كُنْتَ يَوْماً , هُنا , يا غَريبْ ؟
خَمْسُمائَةِ عامٍ مَضى وانْقَضى , والْقَطيعةُ لَمْ تكْتَملْ بَيْنَنا
ههُنا , والرَّسائِلُ لمْ تَنْقَطعْ بَيْنَنا , والْحروبْ
لَمْ تغُيِّرْ حدائِقَ غَرْناطَتي .ذات يَوْمٍ أُمُرُّ بأقْمارِها
وَأَحُكُّ بلَيْمونَةٍ رَغْبَتي .. عانِقيني لأُولَدَ ثانيَةً
مِنْ رَوائحِ شَمْسٍ وَنَهرٍ على كَتِفيْكِ , وَمِنْ قَدَمَيْنْ
تَخْمُشانِ الْمَساءَ فَيَبْكي حَليباً لِلَيْلِ الْقصيدةْ....
لَمْ أُكُنْ عابِراً في كَلامِ الْمُغَنيّينَ .. كُنْتُ كَلامَ
الْمُغَنيّين . صُلْحَ أَثينا وفارِسَ , شَرْقاً يُعانِقُ غَرْباً
في الْرَحيلِ إلى جَوْهرٍ واحِدٍ . عانِقيني لأُولَدَ ثانيَةً
مِنْ سُيوفٍ دمَشقِيَّةٍ في الدَّكاكينِ . لَمْ يَبْقَ منّي
غَيْرَ دِرْعي الْقَديمةِ , سَرْجِ حِصاني الْمُذَهَّب . لَمْ يَبْقَ مِنّي
غَيْرُ مَخْطوطةٍ لابْن رُشْدٍ , وَطَوْقِ الْحَمامةِ , والتَّرْجَمات ...
كُنْتُ أَجْلِسُ فَوْقَ الرَّصيفِ على ساحَةِ الأُقْحُوانَة
وأَعُدُّ الْحَماماتِ : واحِدةً , اثْنَتَيْن , ثَلاثينَ ..... والْفَتيَات اللَّواتي
تخاطَفْنَ ظِلَّ الشُّجَيْراتِ فَوْقَ الرُّخامِ , وَيَتْرُكْنَ لي
وَرَقَ الْعُمْرِ , أَصفَرَ . مَرَّ الْخَريفُ عليّ وَلَمْ أَنْتَبِهْ

مَرَّ كُلُّ الْخَرِيفِ , وتاريخُنا مَرَّ فَوْقَ الرَّصيفِ
وَلَمْ أَنتبهْ !

ــلحقيقـةِ وجهان والـثـلجُ أسود

للحقيقةِ وجهان والثلجُ أسود

لِلْحَقيقَة وَجْهان ... وَالثَّلْجُ أَسْود فوق مَدينَتنا
لَمْ نَعُدْ قادرين على الْيأْس أكْثرَ مما يَئسْنا ... والنِّهايةُ
تَمْشى إلى السّور واثقةً مِنْ خُطاها
فَوْقَ هذا الْبلاط الْمُبلِّل بالدَّمْعِ ... واثقةً مِنْ خُطاها
منْ سيُنْزلُ أَعْلامنا : نَحْنُ أم هُمْ ؟
وَمَنْ سوْف يتلوعليْنا " مُعاهَدَة الصلح " ..... يا ملك الإحْتضار ؟
كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لنا سلَفاً
منْ سينْزعُ أَسْماءنا عنْ هُويَّتنا : أَنْتَ أمْ هُمْ ؟ وَمَنْ سوْفَ يزْرعُ فينا خُطْبَةَ التّيهِ
" لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَفُكَّ الْحِصار فَلْنُسلِّمْ مفاتيحَ فِرْدَوْسِنا لوسولِ السَّلام ونَنْجو
للحقيقةِ وجْهانِ ...... كان الشِّعارُ الْمُقَدَّسُ سَيْفاً لَنا وَعَلَيْنا
فَماذا فَعَلْتَ بقَلْعَتنا قَبْلَ هذا النَّهار ؟

لَمْ تُقاتِلْ لأنَّك تَخْشى الشَّهادَةَ .... لكنَّ عَرْشَكَ نَعْشُكْ
فأَحْمِلِ النَّعْشَ كي تَحفَظَ الْعَرْشَ .... يا مَلك الإنْتِظار
إنَّ هذا السلام سَيتْرُكُنا حُفْنَةً منْ غُبار

مَنْ سيدْفنُ أَيامنا بَعْدنَا : أَنْت ..... أَمْ هُمْ ؟ وَمَنْ
سوْفَ يرْفَعُ راياتهمْ فَوْق أَسْوارِنا : أَنْتَ .... أَمْ فارسٌ يائسٌ ؟
من يُعلّقُ أجْراسهم فَوْقَ رحلَتنا

أَنْتَ ..... أَمْ حارسٌ بائسٌ ؟
كُلُّ شيء مُعَدٌّ لَنا سلفا
فَلماذا تُطيلُ النهايةَ ...... يا ملك الإحْتضارْ

مَـنْ أنـا ... بـعدَ لـيلِ الـغريـبة ؟

مَنْ أنا ... بعدَ ليلِ الغريبة ؟

من أنا بعد ليل الغريبةِ ؟ أنهضُ منْ حُلُمي
خائفاً من غُموض النَّهار على مَرْمَر الدّارِ، منْ
عتْمة الشَّمْس في الْوَرْدِ، مِنْ ماء نافورتي
خائفاً من حليب على شَفَة التّين ،منْ لُغَتي
خائِفاً ، من هواء يمشَّطُ صفصافةً خائفاً ، خائفا
منْ وُضوح الزمان الْكثيف، ومنْ حاضر لَمْ يَعُدْ

حاضراً ، خائفاً منْ مُروري على عالمٍ لَمْ يَعُدْ
عالمي أيُّها الْيأْس كُنْ رَحْمَةً أيُّها الْموْتُ كُنْ
نِعْمةً للْغَريبِ الذي يبصرُ الغيب أوضح من
واقع لم يعد واقعاً سَوْفَ أَسْقُطُ منْ نَجْمَةٍ
في السماءِ إلى خَيْمةً في الطَّريق إلى أَيْن ؟
أَيْنَ الطَّريقُ إلى أيِّ شَيْءٍ ؟ أرى الغيْبَ أَوْضَح منْ
شارع لم يَعُدْ شارعي مَنْ أَنا بَعْدَ ليل الْغَريبةْ ؟
كُنْتُ أَمْشي إلى الذّات في الآخرين ،وها أنذا
أَخْسرُ الذاتَ والآخرينَ حِصاني على ساحل الأطْلسيّ اختفي
وحصاني على ساحل الُمتَوسِّط يُغْمد رُمْحَ الصَّليبيِّ فيّ
مَنْ أنا بَعْدَ لَيْل الْغريبة ؟ لا أَسْتطيعُ الرُّجوعَ إلى
إِخْوَتي قُرْب نخْلَة بَيْتي القَديم ، ولا أَسْتطيعُ النُّزولَ إلى
قاع هاوِيتي أيها الغيْبُ ! لا قلب للحُبِّ لا

كُنْ لجيتارتي وتراً أيها الماء

كُنْ لجيتارتي وتراً أيها الماء

كُنْ لِجيتارَتي وَتَراً أَيُّها الْماءُ ، قَدْ وَصَلَ الْفاتِحون
وَمَضى الْفاتِحون الْقُدامى ..مِنَ الصَّعْبِ أَنْ أَتَذَكَّر وَجْهي
في الْمَرايا فَكُنْ أَنْتَ ذاكِرتي كَيْ أَرى ما فَقَدْت...
مَنْ أَنا بَعْدَ هذا الرَّحيلِ الْجَماعِيِّ ؟ لي صَخْرَةٌ
تَحْمِلُ اُسْمِيَ فَوْقَ هِضابٍ تُطلُّ على ما مَضى
وَاُنْقَضى..سَبْعُمائَةِ عامٍ تُشَيِّعُني خَلْفَ سُورِ المَدينَة...
عَبَثاً يَسْتَديرُ الزَّمانُ لأُنْقِذَ ماضِيَّ مِنْ الآخَرين...
كُنْ لِجيتارَتي وَتَراً أَيها الْماءُ ، قَدْ وَصَلَ الْفاتِحون
وَمَضى الْفاتِحونَ القُدامى جَنوباً شُعوباً تُرَمِّمُ أَيّامَها
في رُكامِ التَّحَوُّلِ : أَعْرفُ مَنْ كُنْتُ أَمْسِ ، فَماذا أَكُونْ
في غَدٍ تَحتَ رَاياتِ كولومبوسَ الأَطْلَسِيَّةِ ؟ كُنْ وَتَراً
كُنْ لِجيتارَتي وَتَراً أَيُّها الْماءُ لا مِصْرَ في مِصْرَ ، لا
فاسَ في فاسَ . وَالشّامُ تَنْأَى ولا صَقْرَ في
رايَةِ الأَهْلِ ، لا نَهْرَ شَرْقَ النَّخيلِ الْمُحاصَرْ
بِخُيولِ الْمَغولِ السَّريعَةِ في أَيِّ أَنْدَلُسٍ أَنْتَهي ؟ ههُنا
أَمْ هُناكَ ؟ سأَعْرِف أَنّي هلَكْتُ وأَنّي تَركْتُ هُنا

خَيْرَ ما فِيَّ : ماضِيَّ . لَمْ يَبْقَ لي غَيْرُ جيتارتي
كُنْ لجيتارَتي وَتَراً أَيُّها الْماءُ . قَدْ ذَهَبَ الْفاتِحون

وَأَتى الْفاتِحون...

فـي الـرحيل الـكبـير أحبـك أكـثـر

في الرحيل الكبير أحبك أكثر

فِي الرَّحيل الْكبير أُحبك أَكْثَرَ، عَمّا قَليلْ
تُقْفلين الْمدينة. لأقلب لي فِي يديْك، ولا
دَرْب يَحْمِلُني، فِي الرَّحيل الْكبير، أَحبك أَكْثرْ
لا حليب لرُمّان شُرْفَتنا بعد صَدْرِكِ. خفَّ النَّخيلْ
خَفَّ وَزْنُ التَّلال، وخَفّتْ شوارِعُنا فِي الأَصيلْ
خَفتَّ الأَرْضُ إِذْ وَدَّعَتْ أَرْضها. خَفَّت الْكلمات
والْحِكايات خفَّت على دَرَج اللَّيْلِ. لكنَّ قلْبي ثقيلْ
فاتْرُكيهِ هُنا حوْل بيْتك يعوى وَيَبْكي الزَّمان الْجميلْ
لَيْس لي وَطنٌ غَيْرُهُ، فِي الرَّحيل أُحبُّك أُكْثَرْ
أُفْرغُ الرّوح منْ آخِر الْكلمات : أُحبُّك أَكْثَر
فِي الرحيل تَقودُ الفراشات أَرْواحَنا ، فِي الرَّحيلْ
نتذكَّرُ زر الْقميص الَّذي ضاع منّا ، ونَنْسى
تاجَ أَيّامنا ، نتذكَّرُ رائحة الْعرق الْمشْمشيِّ، ونَنْسى
رقْصة الْخيْل فِي ليْل أَعْراسِنا ، فِي الرَّحيلْ
نتساوى مع الَّطيْرِ، نَرْحَمْ أَيّامنا ، نكْتفي بالْقَليلْ
أَكْتَفي منْك بالْخَنْجَر الذَّهبيِّ، يُرَقِّص قَلْبي الْقتيلْ

فاقْتُليني، على مَهَلٍ، كَيْ أُقول أُحبُّك أُكْثَرَ ممّا
قُلْتُ قبل الرحيل الْكبير. أُحبُّك . لاشَيْءَ يوجِعني

لا الْهواء، ولا الْماءُ.... ولا حَبَقٌ فِي صباحكِ، لا زنْبقٌ فِي مَسائك يوجعُني بَعْد هذا الرَّحيلْ....

لاأريد من الحُب غير البداية

لا أُريدُ منَ الْحُبِّ غَيْرَ الْبداية يَرْفو الحمامُ
فوْقَ ساحات غَرْناطَتي ثَوْب هذا النَّهار
في الْجرار كثيرٌ من الْخَمْر للْعيد من بَعْدنا
في الأَغاني نوافذُ تكْفي وتكفي ليَنْفجر الْجُلّنار

أتْرُكُ الْفُلَّ في الْمزهريَّة,أَتْرُكُ قلْبي الصَّغير
في خزانَة أُمي , أتْرُكُ حُلْمي في الْماء يَضْحَك
أَتْرُكُ الْفَجْرَ في عسل التّين ,أَتْرُكُ يَوْمي وأَمْسي
في الْمَمَرِّ إلى ساحَةِ الْبُرتُقالة حيْثُ يطيرُ الْحمامُ
هَلْ أَنا مَنْ نَزَلْتُ إلى قَدَمَيْك ليَعْلُوَ الْكلامُ
قمراً في حليب لَياليك أَبْيضَ..دُقّي الْهواء
كَيْ أَرى شارعَ النّاي أَزْرَقَ..دُقّي الْمساء
كَيْ أَرى كَيْفَ يَمْرُض بَيْني وبيْنك هذا الرُّخامُ

الشَّبابيكُ خاليةٌ مِنْ بَساتين شالِك في زمنٍ
آخر كُنْتُ أَعْرِفُ عنْك الْكثير, وأَقْطُفُ غاردينيا
مِنْ أَصابعِك الْعَشْر في زَمنٍ آخرٍ كان لي لُؤْلُؤٌ
حَوْلَ جيدِكِ, واسم على خاتمٍ شَعَّ منْهُ الظَّلامُ

لا أُريدُ من الْحُبِّ غير الْبدايَةِ, طار الْحمامُ
فَوْقَ سَقْفِ السَّماء الأخيرةِ, طار الْحمامُ وَطار

سَوْفَ يبْقى كثيرٌ من الخَمْرِ من بَعْدنا في الْجِرار
وقليلٌ مِنْ الأرْضِ يَكْفي لكيْ نَلْتَقي ، وَيَحُلَّ السَّلامُ

الـكَمَـنـجـا تُ

الكَمَنجاتُ

الكَمَنجاتُ تَبْكى مَعَ الْغَجَر الذَّاهبينَ إلى الأنْدَلُسْ
الكَمَنجاتُ تَبْكى على الْعَرب الْخارجين منَ الأنْدلُسْ
الكَمَنجاتُ تَبْكى على زَمَنٍ ضائعٍ لا يَعودْ
الكَمَنجاتُ تَبْكى على وَطَنٍ ضائعٍ قَدْ يَعودْ
الكَمَنجاتُ تُحْرقُ غَابات ذاكَ الظَّلام الْبعيد الْبعيدْ
الكَمَنجاتُ تدْمي الْمُدى وَتَشُمُّ دمى في الْوريدْ
الكَمَنجاتُ تَبْكى مَعَ الْغَجر الذَّاهبينَ إلى الأَنْدَلُسْ
الكَمَنجاتُ تَبْكى على الْعَرَب الْخارجين منَ الأَنْدلُسْ
الكَمَنجاتُ خَيْلٌ على وَتَرٍ من سرابٍ وماءٍ يَئِنُّ
الكَمَنجاتُ حَقْلٌ مِنَ اللَّيْلكِ الْمُتوحِّش يَنْأى وَيَدْنو
الكَمَنجاتُ وَحْشٌ يُعَذِّبُهُ ظُفْرُ إمرة مَسَّهُ وارتَعَدْ
الكَمَنجاتُ جَيْشٌ يُعَمِّرُ مَقْبَرَةً منْ رُخامٍ ومنْ نَهَوَنْدْ
الكَمَنجاتُ فَوْضى قُلوب تُجننُها الرِّيحُ في قَدَم الرَّاقصَةْ
الكَمَنجاتُ أسْرابُ طيْرٍ تفرُّ منَ الرَّايَة النَّاقصَةْ
الكَمَنجاتُ شَكْوى الْحَرير الْمُجَعَّد فى لَيْلَةِ الْعاشقَةْ
الكَمَنجاتُ صَوْتُ النبيذ الْبعيدِ على رغْبَةٍ سابِقَةْ
الكَمَنجاتُ تَتْبعُني ههُنا وهناكَ لتثأر مَنِّي

الكَمَنجاتُ تَبْحَثُ عنِّى لتقتلني أَيْنما وَجَدتْني
الكَمَنجاتُ تَبْكى على الْعربَ الْخارجينَ منَ الأَندلُسْ
الكَمَنجاتُ تبكى مع الغجر الذّاهبينَ إلى الأنْدلُسْ

خطبةَ " الـهـنـدي الأحـمـر " - مـاقـبـل

((هَلْ قُلْتُ مَوْتى لا مَوْتَ هناك هناك فقط تبديلُ عوالم))

سياتل زعيم دواميش

1

إذًا ، نحْنُ منْ نَحْنُ في المسيسبّي. لنا ما تَبَقّى لنا من الأمْسِ
لكنّ لَوْنَ السّماء تغيّر ، والْبحر شَرْقاً
تغيّر ، يا سيّد الْبيض! يا سيّد الخَيْل ، ماذا تُريدُ
من الذّاهبين إلى شجر اللّيْل؟
عاليةٌ روحُنا ، والمراعي مقدّسةٌ ، والنّجومْ
كلامٌ يضيء... إذا أنت حدّقت فيها قرأت حكايتنا كلّها
وُلدْنا هنا بيْن ماءٍ ونارٍ... ونولَدُ ثانيةً في الْغُيومْ
على حافّة السّاحل اللاّزَوَرديّ بَعْدَ الْقيامَةِ... عَمّا قليلْ

فلا تَقْتُلِ العُشْبَ أكثر ، للْعُشبِ روحٌ يُدافعُ فينا
عن الرّوحِ في الأرضِ
يا سيّد الخَيْل! علّم حصانك أنْ يعْتذرْ
لروح الطّبيعة عمّا صنعْتَ بأشْجارِنا
آه! يا أَخْتي الشّجرةْ

لَقدْ عذّبوكِ كما عَذّبُوني
فلا تَطْلبي الْمَغْفِرةْ
لحَطّابِ أمّي وأمّكْ.....

2

... لَنْ يَفْهَمَ السّيّدُ الأبْيضُ الْكلماتِ الْعتيقَة
هُنا ، فيْ النّفوس الطّليقةِ بيْن السّماء وبيْنَ الشّجر
فمِنْ حقّ كولومبوس الْحُرّ أن يَجدَ الهنْد فيْ أيّ بَحْر،
ومَنْ حقّه أن يُسمّي أَشْباحَنا فُلفُلاً أوْ هُنودا ،
وفيْ وُسْعهِ أَنْ يكسّر بوْصلةَ الْبحْر كي تَسْتقيم
وَأخطاءَ ريح الشّمال، ولكنّه لا يصدّق أنّ الْبشر

سواسيّةٌ كالْهواء وكالماء خارج ممْلكة الْخارطة!
وأنّهم يولدون كما تولدُ الناسُ فيْ برْشلونَة ، لكنّهم يعْبُدون
إله الطّبيعة فيْ كُلّ شيءٍ... ولا يَعْبدونَ الذّهبْ
وكولومبوسُ الحُرّ يَبْحثُ عَنْ لُغةٍ لم يجِدْها هُنا ،
وعَنْ ذَهبٍ فيْ جَماجِمِ أجدادنا الطّيّبين وكان لهُ
ما يُريدُ من الْحيّ والميْتِ فينا. إذاً
لماذا يُواصلُ حَرْب الإبادَة، من قَبْرِه، للنّهاية؟
ولَمْ يَبْق منّا سوى زينةٍ للْخراب، وريشٍ خَفيفٍ على
ثياب الْبحيْرات. سَبْعونَ مليون قلْبٍ فَقأْت... سيَكْفي
ويكْفي، لترْجع منْ مَوْتنا ملكًا فَوْق عَرْش الزمانِ الْجَديد

أما آنَ أَنْ نلتقي، يا غريبُ، غَريبيْين في زَمَنٍ واحدٍ؟
وفي بلدٍ واحدٍ، مَثْلَما يَلْتقي الْغرباءُ على هاويَة
لَنا ما لنا... وَلَنا ما لكم منْ سَماء
لكُمْ ما لكُمْ... ولكُمْ ما لنا من هواءٍ وماء
لَنا ما لنا منْ حصًى... ولكم ما لكم منْ حَديد
تَعال لنَقْتسم الضّوْء في قُوّة الظّلّ، خُذْ ما تُريد

منْ اللّيْل، واترُكْ لنا نَجْمتيْن لندْفنَ أَمْواتنا في الْفَلَكْ
وخُذْ ما تُريدُ من الْبَحْر، واتْرُكْ لنا مَوْجتَيْنِ لصَيْدِ السّمكْ
وخُذْ ذَهَب الأَرْض والشّمْس، واتْرُكْ لنا أَرْض أسْمائنا
وَعُدْ، يا غَريبُ، إلى الأَهْلِ... وابْحثْ عَن الْهِنْد

3

... أَسْماؤُنا شَجَرٌ مِنْ كَلام الإله، وطيرٌ تحلّق أَعْلى
من الْبُنْدُقيّة. لا تقْطعوا شجر الاسم يا أَيّها الْقادمون
من الْبحْرِ حَرْبًا، ولا تَنْفُثوا خَيْلكُمْ لَهبًا في السُّهول
لكُمْ ربّكُمْ ولَنَا رَبّنا، ولكُمْ دينُكُمْ ولنا دينُنا
فلا تَدْفنوا اللّه في كتبٍ وَعَدتْكُمْ بأرضٍ على أَرْضنا
كَما تَدّعونَ، ولا تَجْعَلوا رَبّكُمْ حاجِبًا في بلاط الْمِلِك!
خُذوا وَرْدَ أحْلامِنا كَيْ تروا ما نَرى منْ فَرَحْ!
وناموا على ظِلّ صفْصافنا كي تَطيروا يمامًا يَماما

كَما طارَ أَسْلافُنا الطيّبون وَعادوا سلامًا سَلاما

سَتَتَنْقُصُكُمْ، أيّها البيضُ، ذكْرى الرّحيلِ عن الأبْيضِ المُتَوسّط،
وستُنقُصكُمْ عُزْلَة الأبَديّة في غابةٍ لا تُطلّ على الْهاويَةْ
وتنْقُصُكُمْ حكْمَةُ الانْكسارات، تنْقُصُكُمْ نكْسَةٌ في الْحُروب
وتنْقُصُكُمْ صَخْرةٌ لا تُطيع تَدَفّق نَهْرِ الزّمان السّريع
سَتُنقُصُكُمْ ساعَةٌ للتّأمّلِ في أيّ شيءٍ، لتُنْضج فيكُمْ
سَماءً ضروريّةً للتّراب، سَتَتْقصُكُمْ ساعَةٌ للتّردّد ما بَيْنَ دَرْبٍ
ودَرْبٍ، سَيَنْقُصُكُمْ يوربيدوس يَوْمًا، وأَشْعارُ كنْعان والْبابليّينَ،
تُنقُصُكُمْ
أغاني سُلَيْمانَ عَنْ شولَميت، سَيَنْقُصُكُمْ سَوْسنٌ للْحنين
ستُنقُصُكُمْ، أيّها الْبيضُ، ذكرى تُروّضُ خَيْل الْجُنون
وَقَلْبٌ يحكّ الصّخور لتَصْقُلهُ في نِداء الكَمَنْجاتِ... ينْقُصُكُمْ
وتَنْقُصُكُمْ حَيْرةٌ للْمُسدّس: إنْ كانَ لا بُدّ من قَتْلنا
فَلاَ تَقْتُلوا الْكائنات الّتي صادَقَتْنا، ولا تَقْتُلوا أَمْسَنا
سَتُنقُصُكُمْ هُدْنَةٌ مَعَ أَشْباحِنا في ليإلى الشّتاء الْعقيمة

وشمسٌ أقلّ اشتعالاً، وبدرٌ أقلّ اكتمالاً، لتبدو الْجريمة
أقَلّ احْتفالاً على شاشَة السّينما، فَخُذوا وَقْتَكُمْ لِكَي تَقْتُلوا اللّه.../

4

... نَعْرفُ ماذا يُخبّي هذا الْغُموضُ الْبليغُ لنا

سَماءٌ تَدلّتْ على مِلْحِنا تُسلم الرّوح. صَفْصافَةٌ
تَسيرُ على قَدمِ الرّيحِ، وَحشٌ يُؤسّسُ مَملكةً في
ثُقوبِ الْفضاءِ الجَريحِ... وبَحرٌ يُمَلّح أَخْشابَ أَبْوابِنا ،
ولم تَكن الأرْضُ أَثْقَلَ قَبْلَ الخليقة ، لكنّ شيئًا
كهذا عَرَفْناه قَبْلَ الزّمانِ... ستَرْوي الّرّياحُ لنا
بدايَتَنا والنّهاية ، لكِنّنا نَنْزِفُ اليَوْمَ حاضِرنَا
ونَدْفنُ أيّامنا في رَماد الأساطيرِ، لَيْستْ أثينا لنا ،
ونَعْرفُ أيّامَكُمْ من دُخان الْمكان، وليْسَتْ أثينا لَكُمْ،
وَنَعْرفُ ما هيّأ الْمَعْدنُ - السّيّد اليوم من أَجْلنا
ومنْ أَجْل آلهةٍ لَمْ تدافِعْ عَن الْملْحِ في خُبْزِنا
وَنَعْرفُ أنّ الحقيقةَ أَقْوى من الْحَقّ، نَعْرِفُ أنّ الزّمانَ
تغيّر، منذ تغيّر نوعُ السّلاح. فمن سوْفَ يَرفَعُ أَصْواتنا
إلى مطرٍ يابسٍ في الْغُيُوم؟ وَمَن يَغْسلُ الضّوْءَ مِنْ بَعْدِنا
وَمَنْ سَوْف يَسْكُنُ مَعْبَدَنا بَعْدَنا؟ منْ سيحْفظُ عاداتِنا
من الصّخب الْمَعْدنيّ؟ (نُبَشّرُكُمْ بِالْحضارة) قال الْغريبُ، وَقال:
أنا سَيّدُ الْوقْتِ، جِئْتُ لِكَيْ أرثَ الأرْض منْكُمْ
فَمُرّوا أمامي، لأحْصيَكُمْ جُثّةً جُثّةً فَوْقَ سطح الْبحَيْرَة
(أبشّركُمْ بالْحضارة) قال، لتحيا الأناجيلُ، قال، فَمُرّوا
لِيَبْقى ليَ الرّبّ وَحْدي، فإنّ هُنودًا يَموتونَ خَيْرٌ
لسَيّدنا في الْعُلى منْ هُنودٍ يعيشونَ، والرّبّ أَبْيَض
وَأَبْيَضُ هذا النّهارُ: لَكُمْ عالمٌ ولنا عالَم

يقول الغريب كلامًا غريبًا ، ويحفر في الأرض بئرًا
ليدفن فيها السّماء. يقول الغريب كلامًا غريبًا
ويصْطادُ أَطْفالنا والْفَراش. بماذا وعَدْت حَديقَتَنا
يا غَريب؟
بورْدٍ من الزّنْكِ أَجْمَلَ مِنْ وَرْدنا؟ فلْيكُنْ ما تَشاء
وَلكِنْ، أتَعْلَمُ أنّ الْغزالة لا تأْكُلُ الْعُشبَ إنْ مَسّهُ دَمُنا؟

أتَعْلَم أنّ الجواميس إخْوتُنا والنّباتات إخوتنا يا غَريب؟
فلا تَحْفِر الأرْض أَكْثَرَ! لا تَجْرَح السُّلحْفاة الّتي
تنامُ على ظهْرِها الأرْضُ، جَدّتُنا الأرْضُ، أشجارُنا شعْرُها
وَزينتُنا زهْرُها. (هذه الأَرْض لا مَوْتَ فيها)، فَلا
تُغيّر هشاشة تكْوينها! لا تُكسّر مرايا بَساتينها
ولا تُجْفل الأَرْض، لا تُوجع الأرْضَ. أَنْهارُنا خَصْرُها
وأَحْفادُها نَحْنَ، أنْتمْ ونحن، فلا تقْتُلوها....
سَنَذَهب، عَمّا قليلٍ، خذوا دمنا واترُكوها
كما هي،
أجملَ ما كَتَب اللّه فوقَ المياه،
لهُ... ولنا
سنسمعُ أصواتَ أسلافنا في الرّياح، ونُصْغي
إلى نبْضهمْ في براعم أشجارنا. هذه الأرْض جدّتُنا
مُقدّسةٌ كلُّها، حَجَرًا حَجَرًا، هذه الأرض كوخٌ
لآلهةٍ سكنت معنا، نجمةً نجمةً، وأضاءت لنا

ليإلى الصّلاة... مشينا حفاةً لنلمس روح الحصى
وَسرْنا عُراةً لتُلْبسنا الرّوح، روحُ الهواء، نساءٍ

يُعدن إلينا هبات الطّبيعة - تاريخُنا كان تاريخها. كان للْوقْت
وَقتٌ لنولد فيها ونَرْجِع منها إليها: نُعيدُ إلى الأرض أرْواحَها
رُويدًا رُويدًا. وَنَحْفظَ ذكرى أحبّتنا في الْجِرار
مَعَ الْملْح والزّيْتِ، كنّا نُعَلّقُ أسْماءَهُمْ بُطُيور الجداوِل
وكنّا الأوائل، لا سقْف بيْن السّماء وزُرْقة أَبْوابنا
ولا خيل تأكُلُ أَعْشاب غزْلاننا في الْحُقول، ولا غُرباء
يمُرّون في ليْل زَوْجاتنا، فاتْرُكوا النّاي للرّيح تَبْكي
على شَعْب هذا المكان الجريح... وَتَبكي عليكم غَدا،
وتبكي عليكم... غدا!

5

وَنحن نُودّعُ نيراننا، لا نرُدّ التّحيّة... لا تكْتُبوا
علينا وصايا الإله الجديد، إله الحديد، ولا تطلُبوا
معاهَدةً للسّلام من الميّتين، فلم يبْقَ منهُمْ أحدْ
يُبشّرُكُمْ بالسّلام مع النّفْس والآخرين، وكُنّا هُنا
نُعمّرُ أكْثر، لوْلا بنادقُ إنجلترا والنّبيذُ الفرنْسيّ والإنفلونزا،
وكُنّا نعيش كما ينْبغي أن نعيش برفقة شعب الغزال
وَنَحفظ تاريخنا الشّفهيّ، وكنّا نبشّرُكمْ بالبراءة والأقْحُوان
لكُمْ ربّكم ولنا ربّنا، ولكم أمْسُكُم ولنا أمْسُنا، والزّمان

هُو النّهر حين نُحدّقُ في النّهر يَغْروْرقُ الْوقْتُ فينا
ألا تحفظون قليلاً من الشّعر كي توقفوا الْمذْبحةْ؟
ألم تولدوا من نساءٍ؟ ألم ترضعوا مثلنا
حليب الحنين إلى أمّهاتٍ؟ ألم ترتدوا مثلنا أجْنحةْ
لتلتحقوا بالسّنونو. وكنّا نُبشّرُكمْ بالرّبيع، فلا تَشْهروا الأسْلحَةْ!
وفي وُسْعنا أن نتبادل بعض الْهدايا وبَعْضَ الغِناء
هُنا كانَ شَعْبي. هنا مات شَعْبي. هنا شجر الكستَناء
يُخبّئ أرْواح شعبي. سَيَرْجعُ شَعْبي هواءً وضوءًا وماء،
خذوا أرض أمّي بالسّيف، لكنّني لن أوقّع باسمي
معاهدة الصّلح بين القتيل وقاتله، لن أوقّع باسمي
على بيع شبرٍ من الشّوك حول حقول الذّرة

وأعرفُ أنّي أودّع آخر شمسٍ، وألتفّ باسمي
وأسقُطُ في النّهر، أعرف أنّي أعود إلى قلب أُمّي
لتدْخُل، يا سَيّدَ البيضِ، عصرك... فارْفعْ على جُثّتي
تماثيلَ حرّيّةٍ لا تردّ التّحيّة، واحفر صليب الْحديد
على ظلّي الْحَجَريّ، سأصْعد عَمّا قليلٍ أعالي النّشيد،
نشيد انْتحار الجماعات حين تشيّع تاريخها للبعيد،
وأطلقُ فيها عصافير أصواتنا: ههنا انتصر الغرباء
على الملح، واختلط البحر في الغيم، وانتصر الغرباء
على قشرة القمح فينا، ومدّوا الأنابيب للبرق والكهرباء
هنا انتحر الصّقر غمًّا، هنا انتصر الغُرباء

عَلَيْنا. ولم يبْق شيءٌ لنا في الزّمان الجديد
هنا تَتَبخّر أجْسادنا ، غيمةً غَيْمةً ، في الفضاء
هُنا تتلألأ أرواحُنا ، نَجْمةً نَجْمةً ، في فضاء النّشيد

6

سَيَمْضي زمانٌ طويلٌ ليصبح حاضرنا ماضيًا مثْلنا
سَنمْضي إلى حتْفنا ، أوّلاً ، سنُدافع عن شَجرٍ نَرْتَديه
وَعَنْ جَرَس اللّيل، عن قمرٍ، فوق أكواخنا نشْتهيه
وعن طيش غزلاننا سندافع، عن طين فخّارِنا سَنَدُافعُ
وعن ريشنا في جناح الأغاني الأخيرة. عمّا قَليل
تُقيمون عالمكُمْ فَوْق عالمنا : مِنْ مقابرنا تَفْتَحون الطّريق
إلى الْقمر الاصطناعيّ. هذا زمان الصّناعات. هذا
زمانُ المعادن، من قطعةِ الفحْم تبزغُ شمْبانيا الأقْوياءْ
هُنالك موْتى ومستوطناتٌ، وموْتى وبولدوزراتٌ، وموْتى
ومستشْفياتٌ، وموتى وشاشاتُ رادار ترْصُدُ مَوْتى
يموتون أكثر من مرّةٍ فى الحياة، وَتَرصُدُ موتى
يعيشون بَعْد الممات، وموْتى يُربّونَ وحْش الحضارات مَوْتًا ،
وموتى يموتون كيْ يحملوا الأرض فوق الرّفات
إلى أيْن، يا سيّد البيض، تأخُذُ شعْبي، ... وشعْبَك
إلى أيّ هاويةٍ يأخذ الأرض هذا الرّوبوتُ المدجّج بالطّائرات
وحَامِله الطّائرات، إلى أيّ هاويةٍ رحبةٍ تصعدون
لكم ما تشاؤون: رُوما الجديدة، إسْبارطةُ التكنولوجيا

وأيديولوجيا الجنون،

ونَحنُ، سنهرب من زَمَنٍ لم نُهيّئ لَهُ، بَعْدُ، هاجسنا
سَنَمضى إلى وَطن الطّير سريًا من الْبشر السّابقين
نطلّ على أَرضنا منْ حصى أرضنا ، من ثُقوب الغيوم
نطلّ على أَرْضنا ، منْ كلام النّجوم نُطلّ على أرضنا
منْ هَواء البُحيْرات، من زغب الذّرة الهشّ، من
زهرة القَبْر، من ورق الحوْرِ، من كُلّ شيء
يحاصرُكم، أيّها البيض، موتى يموتون، موتى
يعيشون، موتى يَعودونَ، موتى يبوحون بالسّرّ،
فلتمهلوا الأرض حتى تقول الحقيقة، كلّ الحقيقة،

عنكم

وعنّا....

وعنّا

وعنكم!

7

هُنالك مَوْتى ينامون في غُرفٍ سَوْفَ تَبْنونَها
هنالك مَوْتى يَزورون ماضيَهُم في المَكان الّذي تَهْدمون
هنالك مَوتى يمرّون فَوقَ الجسورِ الّتي سوفَ تَبْنونَها
هنالِك مَوتى يُضيئون لَيْل الفَراشات، مَوْتى
يجيئونَ فَجْرًا لكي يَشْربُوا شايهم مَعَكُم، هادِئين

كما تَرَكَتْهمْ بنادُقكُم، فاتركوا يا ضُيوفَ المَكان
مَقاعَد خاليةً للْمُضيفينَ.. كي يَقْرؤوا
عليكُمْ شُروط السّلام مَعَ... المَيّتين!

حجر كنعاني في البحر الميت

حجر كنعاني في البحر الميت

لا بابَ يَفْتَحُهُ أمامي البَحرُ...
قُلتُ: قَصيدتي
حَجَرٌ يَطيرُ إلى أبي حَجَلاً أتَعْلَمُ يا أَبي
ماحَلَّ بي ؟ لا بابَ يُغْلقُهُ عَلَيَّ الْبحْرُ, لا
مرآة أكْسرُها لِيَنْتشرَ الطّريق حَصىً.. أَمامي
أو زَبَدْ...
هل مِنْ أَحَدْ..
يبكي على أحد لأحْمل نَايَهُ
عنْهُ, وأُظْهر ماتَبطّن مِنْ حُطامي؟
أنا مِن رُعاة الْملح في الأَغْوارِ. يَنْقُرُ طائرٌ
لُغتي, ويَبْني عُشَّ زُرْقَته المُبَعْثَرَ في خِيامي
هل مِنْ بَلَدْ
يَنْسَلُّ منّي كي أراهُ, كما أُريدُ وكَي يَراني
في الشاطئ الْغرْبيِّ من نَفْسي على حَجَر الأبَدْ؟
هذا غيابُكَ كله شَجَرٌ, يُطلُّ عليكَ مَنك
ومِنْ دُخاني
نامَتْ أريحا تَحْتَ نَخْلَتها ا لقديمةِ, لَمْ أَجدْ أَحَداً يَهُزُّ سَريرَها : هَدأتْ قَوافلُهُم
فَنامي..

وَبَحثْتُ لاسْمي عن أب لاسمي, فشقنني عَصاً سحْريةٌ, فتْلاي أمْ رؤياي تَطْلُعُ منْ مَنامي؟

الأنْبياءُ جَميعُهُمْ أهْلي, ولكنَّ السَّماءَ بَعيدةٌ عَنْ أرْضها, وأنا بعيدٌ عَنْ كَلامي

لا ريحَ تَرفعُني إلى أعْلى من الماضي هُنا

لا ريحَ تَرفعُ موْجةً عن ملْح هذا البحْر, لا

رايات للموْتى لكي يسْتسْلموا فيها, ولا

أصْوات للأحْياء كي يَتبادلوا خطب السَّلامَ..

الْبحْرُ يَحْملُ ظلِّي الفضّيَّ عند الْفَجْر

يُرْشدُني إلى كلماتي الأُولى لثدْي المرْأة

الأُولى, ويَحْيا مَيِّتاً

في رَقْصة الوَثَنيِّ حول فَضائِهِ

ويَموتُ حَيّاً في ثُنائِيِّ القَصيدةِ الْحُسامِ,

مابيْنَ مصرَ وبينَ آسيا والشَّمالِ ..فَيا غَريب

أوقفْ حِصانَكَ تَحْتَ نَخْلَتِنا ! على طُرُق الشَّآمِ

يَتَبادَلُ الغُرَباءُ في ما بَيْنَهم خُوَذاً سَيَنْبُتُ فَوْقَها

حَبَقٌ يُوَزِّعُهُ على الدُّنْيا حَمَامٌ قد يَهُبُّ من البيوت

والبحرُ مَات, من الرَّتابة, في وصايا لا تَموت

وأَنا أَنا, إنْ كنتَ أنتَ هُناك أنتَ, أنا الغَريب

عن نَخْلَة الصَّحْراءِ مُنْذُ وُلِدْتُ في هذا الزَّحامِ

وأنا أنا, حَرْبٌ عليَّ وفيَّ حَرْبٌ.. ياغريب

علِّقْ سِلاحك فوقَ نَخلَتنا, لأزْرع حِنْطتي

في حَقْل كَنْعان ا لْمُقدَّس.. خُذْ نبيذاً من جراري
خُذْ صفحةً من سِفْر آلهَتي.. وقْسطاً من طعامي
وخُذِ الغَزالةَ من فِخاخ غنائنا الرَّعوي, خُذْ
صَلواتِ كنْعانيَّة في عيد كَرْمتها, وخُذْ عاداتنا
في الرِّيِّ, خُذْ منَّا دُرُوس البيْتِ. ضَع
حَجَراً من الآجُرِّ, وارْفع فَوقَهُ بُرْجَ الْحَمام

لتكونَ منّا إن أرَدْت, وجارَ حِنْطتِنا وخُذْ
منَّا نُجوم الأبْجديَّة, ياغَريب
واكتُبْ رسالاتِ السَّماء مَعي إلى
خَوْفِ الشُّعوب من الطَّبيعَة والشّعوب
وأتْرُك أَريحا تحْت نَخلتها, ولاتَسْرقْ منامي
وَحليبَ امرأتي , وقُوتَ النَّمْل في جُرْحِ الرُّخامِ !
أأتيْتَ... ثُمَّ قَتَلْتَ.. ثُمَّ وَرِثْتَ, كَي
يَزْدادَ هذا البحْرُ مِلْحاً؟
وأنا أنا أخضرُّ عاماً بعد عامٍ فوْقَ جِذْع السَّنْديان
هذا أنا, وأنا أنا, هنا مَكاني في مَكاني
والآن في الماضي أراكَ, كما أتيْت, ولاتَراني
والآن في الماضي أُضيءُ لحاضِري
غده.. فَينْأَى بي زَماني عَنْ مَكاني
حيناً, ويَنْأَى بي مكاني عَنْ زَماني..
والأَنْبَياءُ جَميعُهُمْ أَهْلي , ولكِنَّ السَّماءَ بَعيدَةٌ

عَنْ أَرْضِها , وأَنا بَعيدٌ عن كَلامي
والبَحْرُ يَنْزِلُ تَحْتَ سَطْحِ الْبحْر كَيْ تَطْفُو عِظامي
شَجَراً . غيابي كُلُّهُ شَجرٌ وبابي ظِلُّهُ
قَمَرٌ .وكَنْعانيَّةٌ أُمِّي . وهَذا البَحْرُ جِسْرٌ ثابِتٌ
لِعُبورِ أَيَّامِ القيامَةِ يا أبي كَمْ مَرَّةً
سَأَموتُ فوْقَ فِراش إِمْرَأَةِ الأَساطيرِ الَّتي
تَختَارُهَا ((آناتُ)) لي ' فَتَشُبُّ نارٌ فيِ الْغَمامِ
كَمْ مَرَّةً سأَموتُ فيِ نَعْناعِ أَحْواضي القَديمَةِ كُلَّما
فَرَكَتْهُ رِيحُ شَمالِكَ الْعالي رَسائِلَ من يمامِ؟
هَذَا غَيابي سَيِّدٌ يَتْلُو شَرائِعَهَ على
أحْفادِ لُوطَ , ولا يَرى لِسَدومَ مَغْفِرَةً سِوَايْ
هذا غِيابي سَيِّدٌ يَتْلو شَرائِعهُ ويَسْخَرُ من رُؤايْ
ما قيمةُ الْمرْآةِ لِلْمرْآةِ ؟ لي وَجْهٌ عَليكَ , وأَنت لا
تَصْحو منَ التَّاريخ ' لا تَمْحو بُخارَ الْبَحْرِ عَنْكْ
والْبَحْرُ , هذا الْبَحْرُ ' أَصْغَرُ من خُرافَتِهِ وأَصْغَرُ مِنْ يَدَيْكْ
هو بَرْزَخُ البلُّورِ , أَوَّلُهُ كآخِرِهِ ' وَلاَ مَعْنى هنا
لِدخولِكَ اُلعبثِيِّ فيِ أُسْطورَةٍ تَرَكَتْ جُيوشاً للرُّكامِ
لِيَمُرَّ جَيْشٌ آخَرٌ يَرْوي رِوايَتَهُ وَيَحْفِرَ لاِسْمِهِ
جَبَلاً ' ويَأْتي ثالِثٌ ويَخُطُّ سِيْرَةَ زَوْجَةٍ خَانَتْ , ويَمْحو
رابعٌ
أَسْماءَ مَنْ سَبَقوا هُنَاك لِكُلِّ جَيْشٍ شاعرٌ

ومُؤَرِّخٌ , وربابَةٌ لِلرَّاقصاتِ السَّاحِراتِ مِنَ الْبدايَةِ والخِتامِ...
سُدىً أُفَتِّشُ عَن غِيابي , فهو أَبْسَطُ من حَميرِ
الأَنْبياء تَمُرُّ فَوقَ السَّفْحِ حامِلَةً سَماءً للأنامِ..
والْبَحْرُ ' هذا الْبَحْرُ , في مُتَناوَلِ الأَيْدي سَأَمْشي فَوْقَهُ
وأَسُكُّ فِضَّتَهُ , وأَطْحَنُ مِلْحَهُ بِيَدَيَّ هَذا الْبَحْرُ لا

يَحْتَلُّهُ أَحَدٌ أَتي كِسْرَى وَفرْعَوْنَ وقَيْصَرُ والنَّجاسي
والآخَرُونَ , لِيَكْتُبُوا أَسْماءَهم , بيديَّ ' على أَلْواحِهِ
فَكَتَبْتُ : لاِسْمي الأَرْضُ ' واُسْمُ آلِهةُ تُشاركُني مُقامي
في الْمَقْعَدِ الْحَجَرِيِّ . لَمْ أَذْهَبْ ولَمْ أَرْجِعْ مَعَ الزَّمَنِ الهُلامي
وأَنا أَنا ' ولو انْكَسَرْتُ ....رَأَيْتُ أَيَّامي أَمامي
ذَهَباً على أَشْجاريَ الأُولى , رَأَيْتُ رَبيعَ أُمِّي ' يا أَبي

وَرَأَيْتُ رِيشَتَها تُطَرِّزُ طائِرَيْنِ : لِشالِها ' وَلِشالِ أُخْتي
وفَراشَةً لَمْ تَحْتَرِقْ بِفَراشَةٍ مِنْ أَجْلِنا , وَرَأَيْتُ لاِسْمي
جَسَداً : أَنا ذَكَرُ الْحَمامِ يَئِنُّ في أُنْثى الْحَمامِ
ورَأَيْتُ مَنْزِلَنا الْمُؤَنَّثَ بِالنَّباتِ , رَأَيْتُ باباً لِلدُّخولِ..
هَلْ مَرَّ نوحٌ مِنْ هُناكَ إلى هُناكَ لِكَيْ يَقول

ما قال في الدُّنْيا : لَها بابانِ مُخْتَلِفانِ , لكنَّ الْحِصانَ يَطيرُ بي ويَطيرُ بي أَعْلى
وأَسْقُطُ مَوْجَةً جَرَحَتْ سُفوحاً ' يا أَبي
وأنا أَنا ولوِ انْكَسَرْتُ , رَأَيْتُ أَيَّامي أَمامي

ورأَيْتُ هاويةً , رأَيْتُ الْحَرْبَ بَعْدَ الْحَرْبِ , تِلْكَ قَبيلَةٌ
دالَتْ , وتِلْكَ قَبيلَةٌ قَالَتْ لِهولاكو الْمُعاصِرِ : نَحْنُ لَك
وأَقُولُ : لَسنا أُمَّةً أَمَةً ' وأَبْعَثُ لابْنِ خَلْدونَ احْتِرامي
وأنا أنا ' ولو انْكَسَرْتَ على الْهَواءِ المَعْدِنِيِّ ..وأَسْلَمَتْني
حَرْبُ الصَّليبيِّ الجَديدَ إلى إلهِ الانْتِقامِ
وإلى المَغوليِّ المُرابِطِ خَلْفَ أقنِعَةِ الإمامِ
وإلى نِساءِ المِلْحَ في أُسْطورَةٍ نَخَرَتْ عِظامي..
وأَنا أنا , لا بابَ يُغْلقُهُ عَليَّ الْبَحْرُ .لا
مِرْآةَ أَكْسِرُها لِتَنْتَشِر الطَّريقُ رُؤىً ...أَمامي
والأَنْبياءُ جَميعُهُمْ أَهْلي ' ولكنَّ السَّماءَ بَعيدَةٌ عن
أَرْضِها ' وأَنَا بَعيدٌ عَنْ كَلامي....

سنختارُ سوفوكليس

سنختارُ سوفوكليس

إذا كانَ هذا الخَريفُ الْخَريفَ النِّهائيَّ ، فَلنَعْتَذِرْ
عَنِ الْمَدِّ والْجَزْرِ في الْبَحْرِ والْذِّكْرَياتِ.. وَعَمَّا صَنَعْنا
بإِخْوَتِنا قَبْلَ عَصْرِ النُّحاسِ : جَرَحْنا كثيراً مِنَ الكائناتِ
بأَسْلِحَةٍ صُنِعَتْ مِنْ هَياكِلِ إِخْوتِنا ، كَي نَونَ
سُلالَتَهُمْ قُرْبَ ماءِ الْيَنابيعِ ، ولْنَعْتَذِرْ
لأَهْلِ الغَزالةِ عَمّا صَنَعْنا بِها قُرْبَ ماءِ الْينابيع ،حِين
تَدَفَّقَ خَيْطٌ مِنَ الأَرْجُوانِ على الماءِ ، لم نَنْتَبِهْ أَنَّهُ دَمُنا
يُؤرِّخُ سِيْرتَنا في شَقائِقِ هذا المَكانِ الْجَميلْ
وإنْ كانَ هذا الْخَريفُ الْخَريفَ النِّهائيَّ ، فلْنَتَّحِدْ بالسُّحُبْ
لنُمْطِرَ مِنْ أَجْلِ هذا النَّباتِ المُعَلَّقِ فَوقَ أَنا شيدِنا
لِنُمْطِرَ فَوْقَ جُذوعِ الأساطيرِ ... والأُمَّهاتِ اللَّواتي وَقَفْنَ
على أَوَّلِ العُمْرِ كَي يَسْتَعِدْنَ حِكايَتَنا مِنْ رُواة
أطالوا عليها فُصولَ الرَّحيل ،
أما كَانَ في وُسْعِنا أَنْ نُعَدِّلَ فَصْلَ الرَّحيلِ قَليلا
ليَهْدَأَ فينا صُراخُ النَّخيل؟

وُلِدْنا هُناكَ على خَيْلنا ، وَاُحْتَرَقْنا بشَمْسِ أَريحا القَديمَة
رَفَعْنا سُقوفَ البُيوتِ ليَرْتَديَ الظلُّ أَجْسادنا ، واحْتَفَلْنا
بعيدِ الكُرومِ وعَيدِ الشَّعيرِ ,وزَيَّنتِ الأَرضُ أَسْماءَنا
بِسَوْسَنِها وأُسْمِها . وصَقَلْنا حِجارتَنا كَي تَرِقَّ ...تَرِقَّ

على مَهَلٍ في بُيوتٍ يُلَمِّعُها الضَّوْءُ والبُرْتُقالُ ، وَكُنَّا
نُعَلِّقُ أَيامَنا في مَفاتيح مِنْ مَنْ خَشَبِ السَّروِ كُنَّا نَعيشُ
على مَهَلٍ ، كانَ لِلْعُمْرِ طَعْمُ الْفُرقِ الصَّغيرةَ بَيْنَ الْفُصول

وإنْ كانَ هذا الخرَيفُ الخَريفَ النِّهائيَّ ، فَلْنَبْتَعِدْ عَنْ
سَماءِ الْمنافي وَعَنْ شَجَر الآخرينَ . كَبِرْنا قَليلاً
ولَم نَنتَبِهْ للتَّجاعيدِ في نَبْرَة النَّايِ...طالَ الطَّريق
ولم نَعْتَرِفْ أَنَنَّا سائِرونَ على دَرْبِ قَيصرَ . لَمْ نَنْتَبِهْ لِلْقَصيدَة وقد أَفْرَغَتْ أَهْلَها
مِنْ عَواطِفِهِمْ كَيْ تُوَسِّعَ شُطْآنها
وَتَنْصِبَ خَيْمَتَنا حَيْثُ أَلْقَتْ بِنا الحَرْبُ بَينَ أَثينا وفارِسْ
وبَيْنَ الْعِراقِ وَمصرْ وَنَحْنُ نُحِبُّ الْمَحاريثَ أَكْثَرَ مِمَّا
نُحِبُّ السُّيوفَ ، نُحِبُّ هَواءَ الْخَريْفِ ، ونُحِبُّ الْمطَرْ
نُحِبُّ الطَّبيعَةَ عاشقَةً في تقاليدِ آلِهَةٍ وُلدَتْ بَيْنَنا
لِتَحْمِيَنَا مِنْ رِياحِ الْجَفافِ وخَيْلِ الْعَدُوِّ الَّذي نَجْهَلُهْ
ولكنَّ أبوابَنا بين مصرَ وبابلَ مفتوحةٌ للحروب
ومَفْتوحةٌ لِلرَّحيل
....وإنْ كان هذا الخريفُ الخَريفَ النِّهائِيَّ ، فَلْنَخْتَصِرْ
مَدائِحَنا لِلأواني الْقَديمَةِ ، حَيثُ حَفَرْنا علَيْها مَزاميرَنا
فَقَدْ حَفَرَ الآخَرون على ما حَفَرْنا مزاميرَ أُخْرى
ولَمْ تَتكَسرْ بَعْدُ تَصعَدُ فَوْقَ الدُّروعِ القَديمَةِ خُبيَّزَةٌ
لِتُخْفِي أَزْهارُها الحُمْرُ ما صَنَعَ السَّيْفُ بالاسم . آثارُنا

سَتَخْضَرُّ منها الظِّلالُ إذا ما اُسْتَطَعْنا الْوُصول
إلى أُمِّنا , فِي نِهايَةِ هذا الْمَمَرِّ الطَّويل

لَنا ما لنا كُلُّ شَيءٍ لَنا : مُفْرَداتُ الْوَداع
تُعِدُّ لَنا طَقْسَ زينَتِها ... كُلُّ مُفْرَدَةٍ إمْرَأةْ
على الْبابِ تَحْرُسُ رَجْعَ الصَّدى كلُّ مُفْرَدَةٍ شُرْفَةٌ
تُطِلُّ على بُقَعِ الغَيْمِ فِي السَّاحَةِ الخاليَةْ
تُطِلُّ على ظِلِّها فَوقَ ريشِ الْهَديل...

لَنا ما لَنا كُلُ شيءٍ هُناكَ لَنا .... أَمْسُنا
يُرَتِّبُ أحْلامَنا , صُورَةً ' ويُهَذِّبُ أيَّامَنا
وأيَّامَ إخْوَتنا السّابقينَ وأَيَّام أَعْدائِنا السَّابِقين ,
وَنَحْنُ الّذينَ اُحْتَرَقْنا بشَمْسِ الْبِلادِ الْبَعيدةِ ' نَحْنُ الّذين
نَجيءُ إلى أوَّلِ الأَرضِ كَيْ نَسْلُكَ الطُّرُق الآبقة
وكي نَملِكَ الوَرْدَةَ السَّابقَة
وكَي نَنْطِقَ اللُّغَةَ السَّابِقَة
سَنَخْتارُ ((سوفوكلَ)) قَبْلَ ((اُمْرِئِ ألقيس)) ' مَهْما
تَغَيَّرَ تِينُ الرُّعاةِ , وصَلَّى لِقَيْصَرَ إخْوَتُنا السَّابقون
وأَعْداؤُنا السَّابقونَ مَعاً فِي احتفالِ الظَّلام...
ومَهْما تَغَيَّرَ دِينُ الرُّواةِ , فلا بُدَّ مِنْ شاعرٍ
يُفَتِّشُ عَنْ طائِرٍ فِي الزِّحامِ ليَخْدِشَ وَجْهَ الرُّخام
ويفتَحَ فَوْقَ السُّفوحِ مَمَرات آلِهةٍ عَبَرتْ مِنْ هُنا

لِتَنْشُرَ أَرْض . لا بُدَّ مِنْ ذَاكِرَة
لِنَنْسى ونَغْفِر حِيْنَ يَحُلُّ السَّلامُ النِّهائيُّ مَا بَيْنَنا
وَبَيْنَ الغزالَةِ والذِّئْبِ ، لا بُدَّ مِنْ ذاكرة
لِنَخْتارَ ((سوفوكل)) في آخِرِ الأَمرِ هذا الصَّهيل...

لَنا في الخَريفِ قَصيدَةُ قَصيدةُ حُبٍّ ... قَصيدةُ حُبٍّ قَصيرَة
تَدورُ بِنا الرِّيحُ ، يا حُبُّ ، نَسْقُطُ قُرْبَ الْبُحَيْرَةِ أَسرى
نُداوي الْهواءَ الْمَريضَ ، نَهُزُّ الغُصونَ لِنَسْمَعَ نَبْضَ الْهَواء
نُخَفِّفُ طَقْسَ الْعِبادةَ , نَتْرُكُ آلِهةً للشُّعوبِ على الشّاطِئَيْن
ونَحْمِلُ أَصْغَرَها مَعَ زادِ الطريق ، وَنَحْمِلُ هذا الطَّريقَ ... وَنَمْشِي وَعِنْدَ الْينابيعِ
نَقْرأُ آثارَنا : هَل مَرَرْنا هُنا ؟
وهَلْ نَحْنُ أصْحابُ هذا الزُّجاجِ الْمُلَوَّنِ ... هَلْ نحنُ نحنُ؟
سَنَعْرِفُ ما صنعَ السَّيْفُ بالاسم عمَّا قليل
فَيا حُبُ أَبْقِ لَنا ما لَنا ..مِنْ هَواءِ الْحُقول...

قَصيدَةُ حُبٍّ لَنا في الْخَريفِ , قَصيدةَ حُبٍّ أخيرَة
وَلم نَسْتَطِعْ أَنْ نُقَصِّرَ عُمْرَ الطَّريقِ , ولكنَّ أَعْمارَنا
تُطارِدُنا كَيْ نَحُثَّ خُطانا إلى أول الْحُبِّ ، يا حُبُّ كُنّا
ثَعالِبَ ذاكَ السِّياجِ وَبابونِجَ السَّهلِ . كُنَّا نَرى ما نُحِسُّ,
وَكُنَّا نَدُقُّ على جَرَسِ الْوَقْتِ بُنْدُقنا كان فينا طَرِيقٌ
وَحيدٌ إلى السَّاحَةِ الْقَمَرِيَّةِ , وَاللَّيْلُ لا لَيْلَ فيهِ
سِوى ثَمَر التُّوتِ , كانَ لنَا قَمَرٌ واحِدٌ في الْكَلام

وكُنَّا رُواة الحِكايَةِ قَبْلَ وُصولِ الغُزاةِ إلى غَدِنا...
فَيا لَيْتَنا شَجَرٌ في الأَغاني لِنُصْبحَ باباً لِكُوخٍ , وسَقْفاً
لِبيْتٍ , وَطاولَةً لِعَشاءِ الْمُحِبِّينَ , أوْ مَقْعَداً لِلظَّهيرة
ويا حُبُّ أَبْقِ عَلَيْنا قليلاً لِنَغْزِلَ ثَوْبَ السَّرابِ الْجَميل

يُسامِرُنا ظِلُّنا في الْجنوبِ وتَعْوي إِناثُ الْوُحوش
على قَمَرٍ أَحْمَرٍ فَوْقَنا سَوْف نَلْمُسُ خُبْزَ الرُّعاة
ونَلْبِسُ كَتّانَ أَثْوابِهِمْ كَيْ نُفاجِئَ أَنْفُسَنا...
تِلك أَيّامُنا
تَمُرُّ , قُبالَتنا , في اُنْتِظامٍ بطيءِ الْخُطى....
تِلك أَيّامُنا

تَمُرُّ على عَرَباتِ الْجنودِ وَتَرْمِي تَحِيَّتَها لِلسُّفوحِ الْخَفيفَة
((سلاماً على أَرضِ كَنْعان ' أَرْضِ الْغَزالَةِ ' والأُرْجُوان))
تِلك أَيّامُنا
تَنْسَلُّ خَيْطاً وخَيْطاً , ونَحْنُ الَّذين
نَسَجْنا عَباءَةَ أَيّامِنا لَمْ يَكُنْ للإِلهَةِ دَوْرٌ
سِوى أَنَّها سامَرَتْنا , وَصَبَّت لَنا خَمْرَها...
تِلك أَيّامُنا

تُطِلُّ عَلَيْنا لنَعْطَش أَكْثَرَ ..لَمْ نَتَعرَّفْ على جُرحنا في
زِحام الْجُروحِ الْقَديمَة ' لكِنَّ هذا الْمكانَ – النَّزيف

يُسَمَّى بأَسْمائِنا لمْ نَكَنْ مُخْطِئينَ لأنَّا وُلِدْنا هُنا
ولا مُخْطِئِينَ ... لأَنَّ غُزاةً كَثيرينَ هَبُّوا علَيْنا
هُنا , وأَحَبُّوا مدائِحَنا للِنَّبيذ ' أَحَبُّوا أَساطيرَنا
وفضَّةَ زَيْتوننا . لَمْ نكنْ مُخطِئينَ لأنَّ الْعَذارى
على أَرْضِ كَنْعانَ عَلَّقْنَ فَوْقَ رُؤوس الْوعول
سَراويلَهُنَّ , لِيَنْضَجَ تينُ الْبراري ويَكْبَرَ خَوْخُ الُسهول,
ولا مُخْطِئِينَ ... لأنَّ رُواةً كَثيرينَ جاؤوا إلى أَبْجَديَّتنا
لِكيْ يَصفوا أَرْضَنا , مِثلنا مِثلَنا , تلْكَ أَصْواتُنا
وَأَصَواتُهُمْ تتَقاطعُ فَوْقَ التَّلالِ صَدىً واحداً للِصَّدى
وَيخْتَلطِ النَّايُ في النَّاي والرِّيحُ تَعْوي سُدى
كأنَّ أَناشيدَنا في الْخَريفِ أَناشيدُهُمْ في الخَريف
كأَنَّ الْبلادَ تُلَقِّنُنا ما نَقول...
ولكنَّ عِيدَ الشَّعيرِ لَنا , وَأَريحا لَنا , ولَنا
تَقاليدُنا فِي مَديحِ الْبيُوتِ وَتَرْبِيةَ الْقَمْحِ والأُقْحُوان
سَلاماً على أَرْضِ كَنْعانَ ,
أَرضِ الْغَزالَةِ ,
والارْجُوان

شتاءُ ريتا

شتاءُ ريتا

ريتا تُرَتِّبُ لَيْلَ غُرْفَتنا : قَليلٌ هذا النَّبيذُ
وهذه الأزْهارُ أَكبَرُ مِنْ سَريري
فافْتَحْ لَها الشُّبَّاكَ كَي يَتَعَطَّرَ اللَّيلُ الجَميلُ
ضَعْ ههُنا قَمَراً على الكُرْسِيّ
ضَعْ فوق البُحَيْرَةَ
حَوْلَ مِنْديلي ليَرْتَفع النَّخيلُ أَعْلى وأَعْلى
هل لَبسْتَ سِواي ؟ هَلْ سكَنَتْكَ إمْرَأَةٌ
لِتُجْهِشَ كُلَّما الْتفَّتْ على جِذعي فُروعُكَ ؟
حُكَّ لي قَدَمي وحُكَّ دَمي لِنَعْرفَ ما
تُخَلِّفُهُ العُواصِفُ والسّيولُ
مِنّي ومِنك....

تَنامُ ريتا في حَديقَة جِسْمِها
توتُ السَّياجِ على أَظافِرِها يضيءُ
المِلْحَ في جَسَدي . أُحبّك
نامَ عُصْفورانِ تحت يَدَيّ....
نامَتْ مَوْجةُ القَمْحِ النبيل على تَنَفُّسها البطيءِ
وَ وَرْدَةٌ حَمْراءُ نامَتْ في المَمَرِّ
ونامَ لَيْلٌ لا يَطولُ
والبَحْرُ نامَ أمامَ نافِذَتي على إيقاعِ ريتا
يَعْلو ويَهْبِطُ في أَشِعَّة صدْرِها العاري

فَنامي بَيْني وبَيْنَكِ
لا تُغَطِّي عَتْمَةَ الذَّهَبِ العَميقَةَ بَيْنَنَا
نامي يَداً حَوْلَ الصَّدى
ويَداً تُبَعْثِرُ عُزْلَة الغابات
نامي بين القميص الفُسْتُقيِّ ومَقْعَدِ اللَّيْمون
نامي فَرَساً على رايات ليلة عُرْسِها....
هَدَأَ الصَّهيلُ
هَدَأَت خَلايا النَّحْلِ في دَمنا
فَهَلْ كانَتْ هُنا ريتا
وهَلْ كُنَّا مَعا ؟
... ريتا سَتَرْحَلُ بَعْدَ ساعاتٍ وتَتْرُكُ ظِلَّها
زَنْزَانَةٌ بَيْضاءَ . أين سَنَلْتقي ؟
سَأَلَتْ يَدَيْها ، فالْتفتّ إلى البَعيد
البَحْرُ خَلْفَ البابِ ، والصَّحراءُ خَلْفَ البَحْرِ
قَبِّلْني على شَفَتَيَّ قالتْ
قُلْتُ : يا ريتا أأرْحَلْ من جَديد
مادامَ لي عِنبٌ وذاكِرَةٌ ، وتَتْرُكُني الفُصولُ
بينَ الإشارَة والعِبارَة هاجِساً ؟
ماذا تَقولُ ؟
لا شَيْءَ يا ريتا ، أَقلّدُ فارِساً في أغنية
عن لَعْنَةِ الحُبِّ المُحاصَرِ بالمَرايا....
عَنّي ؟

وعن حُلُمَيْن فَوْق وسادَةٍ يَتَقاطعانِ ويهربان
فَواحِدٌ يستل سكيناً وآخرُ يودِعُ النَّاي الوَصايا
لا أَدْركُ المَعْنى ، تقولُ
و لا أنا ، لُغتي شظايا

كغيابِ إمْرَأةٍ عن المَعْنى ،
وتَنْتحِرُ الخيْولُ في آخِر المَيْدان....
ريتا تَحْتسي شايَ الصَّباحِ
وتُقَشِّرُ التُّفاحة الأُولى بعشر زنابقٍ
وتقول لي:
لا تقرأ الآن الجريدة ، فالطُّبول هي الطُّبولُ
والحَرْبُ لَيْسَتْ مِهْنَتي . وأَنا أَنا . هَلْ أَنتَ أَنتَ ؟
أَنا هُوَ
هو مَنْ رآكِ غَزالةً ترمي لآلئَها عَلَيْه
هُوَ مَنْ رأى شَهَواتِهِ تَجْري وَراءَك كالغَدير
هُوَ مَنْ رآنا تائهَيْن تَوَحَّدا فَوْقَ السَّرير
وتَباعَدا كتَحيَّة الْغُرباء في الْميناءِ
يأْخُذُنا الرَّحيلُ في ريحِهِ وَرَقاً
أمام فَنادِق الْغُرَباء
مثلَ رسائلٍ قُرِئَتْ على عَجَلٍ
أَتأَخُذُني مَعَكْ ؟

فَأكونَ خاتم قَلْبكَ الْحافي ، أتأْخُذُني مَعَكْ

فَأكونَ ثَوْبَكَ في بلادٍ أَنْجَبَتْكَ ... لتَصرْعَكْ
وأكون تابوتا من النعناع يحمل مصرعك
وتَكونَ لي حَيّاً ومَيْتاً
ضاعَ يا ريتا الدَّليلُ
والحُبُّ مِثْلُ المَوْتِ وَعَدٌ لا يُرَدُّ .. ولا يَزولُ
... ريتا تُعِدّ لِي النَّهارْ
حَجَلاً تَجمَّعَ حَوْلَ كَعْبِ حِذائها العالي:
صَباحُ الخَيْرِ يا ريتا
وغَيْماً أَزْرَقاً للياسَمينَة تَحْتَ إبْطَيْها :
صَباحُ الخَيْرِ يا ريتا
وفاكِهَةً لضَوْءِ الفَجْرِ: يا ريتا صَباحُ الخَيْرِ
يا ريتا أعيديني إلى جَسَدي لِتَهْدَأَ لَحْظَةَ
إبَرُ الصَّنَوْبرِ في دَمي المَهْجورِ بَعْدَك
كُلَّما عانَقْتُ بُرَجَ العاجِ فرت من يَدَيّ يَمامتان
قالت : سَأَرْجعُ عِنْدما تَتبَدَّلُ الأيَّامُ والأحْلامُ
يا ريتا طويلُ هذا الشَّتاءُ ، ونَحنُ نَحنُ
فلا تقولي ما أقولُ أنا هي

هِيَ مَنْ رَأتْكَ مُعلَّقاً فوق السَّياج ، فأنْزَلتك وضَمَّدتْكْ
وبِدَمْعها غَسلَتْكَ ، انْتَشَرَتْ بسَوْسَنها عَلَيْكْ

وَمَرَرْتَ بينَ سُيوفِ إخوتها ولَعْنَةِ أمِّها وأنا هِيَ

هل أنتَ أنتْ ؟

.. تَقومُ ريتا عن رُكْبَتَيَّ

تَزُورُ زينَتَها ، وتَرْبُطُ شَعْرَها بفَراشةٍ فضيةٍ

ذَيْلُ الحِصانِ يُداعبُ النمش المُبَعْثَرْ

كَرَذاذ ضَوْءٍ فوق الرُّخام الأُنْثَوِيِّ

تُعيدُ ريتا زر القميصِ إلى القميصِ الخَرْدليَّ ... أأنتَ لي ؟

لَك ، لو تَرَكْتِ الباب مَفْتوحاً على ماضِيّ ،

لي ماضٍ أراهُ الآن يُولَدُ في غِيابِكِ

من صَريرِ الوَقْتِ في مِفْتاح هذا البابِ

لي ماضٍ أراهُ الآن يَجْلسُ قُرْبنا كالطَّاوِلةْ

لي رَغْوةُ الصَّابونِ

والعَسَل المُمَلَّحُ

والنَّدى

والزَّنْجُبيلُ

ولكَ الأيائلُ ، إنْ أرَدْتَ ، لَكَ الأيائلُ والسُّهولُ

ولكَ الأَغاني ، إنْ أرَدْتَ، لكَ الأغاني والذُّهولُ

إني وُلدُتُ لكي أحبَّكْ

فَرَساً تُرقِّص غابَةً ، وتَشُقُّ في المرْجان غيْبَكْ

ووُلدتُ سيِّدةً لسيِّدها ، فخُذْني كَي أَصُبَّكْ

خَمْراً نهائيّاً لأشْفي مِنْك فيكَ ، وهات قلْبَكْ

إني وُلدْتُ لكي أحبَّكْ

وتَرَكْتُ أُمِّي في المزامير القديمةِ تلْعنُ الدُّنْيا وشَعْبَكْ
وَوَجدْتُ حُرَّاس المَدينة يُطْعمون النَّار حُبَّكْ
وإنا وُلدْتُ لكي أَحبَّكْ
ريتا تُكسِّرُ جوْزَ أيَّامي ، فتَتَّسع الحُقولُ
لي هذه الأرْضُ الصَّغيرةُ في غُرْفَةٌ في شارعٍ
في الطَّابقَ الأرضيَّ من مَبْنًى على جبَلٍ
يُطلُّ على هَواء البَحْرِ . لي قَمَرٌ نَبيذيٌّ ولي حَجَرٌ صَقيلُ
لي حِصَّةٌ من مَشْهَدِ المَوْجِ المُسافِرِ في الغُيوم ، وحِصَّةٌ
من سفْرِ تَكْوينِ البدايةِ و سِفْرِ أيّوبٍ ، وَمنْ عيد الحصادِ
وحِصَّةٌ مما ملكْتُ ، وحصَّةٌ من خُبْز أُمي
لي حِصَّةٌ من سَوْسَنِ الودْيانِ في أشعار عُشَّاقٍ قُدامى
لي حصَّةٌ من حِكْمةِ العُشَّاق : يَعْشقُ وَجْهَ قاتِلهِ القتيلُ
لَو تَعْبُرين النَّهْرَ يا ريتا
وأين النَّهْرُ ، قالَتْ....
قُلْتُ فيك وفيَّ نهرٌ واحد
وأنا أسيلُ دَماً وذاكرَةً أسيلُ
لمْ يَتْرُك الحرَّاس لي باباً لأدخل فاتَّكأتُ على الأفُقْ
وَنَظرْتُ تَحْتَ
نظرتُ فوْقَ
نَظرْتُ حَوْلَ
فلَمْ أجِدْ
أفقاً لأنْظُرَ ، لَمْ أَجِدْ في الضوء إلا نظرتي

تَرْتَدُّ نَحْوي . قُلتُ عُودي مَرَّةً أُخْرى إليَّ ، فَقَدْ أَرى
أَحَداً يُحَاوِلُ أنْ يَرَى أُفُقاً يُرَمِّمُهُ رَسولُ
بِرِسالةٍ من لَفْظَتَيْن صَغيرَتَيْن : أنا ، وأنتِ
فَرَحٌ صَغيرٌ في سَريرٍ ضيِّقٍ ... فَرَحٌ ضَئيلُ
لَمْ يَقْتُلونا بَعْدُ ، يا ريتا ، ويا ريتا .. ثَقيلُ
هذا الشِّتاءُ وبارِدٌ
... ريتا تُغنِّي وَحْدها
لبريدِ غُرْبتها الشَّماليِّ البَعيد : تَرَكْتُ أَمّي وَحْدَها
قُرْبَ البُحَيْرةِ وحْدَها ، تَبْكي طُفولتي البعيدَةَ بَعْدَها
في كُلِّ أُمْسيةٍ تَنامُ ضَفيرَتي الصَّغيرةِ عندَها
أمي ، كَسرْتُ طُفولتي وخَرجْتُ إمْرَأةً تربِّي نَهْدَها
بِفم الحَبيب . تدورُ ريتا حَوْلَ ريتا وَحْدَها :
لا أرْضَ للجسَدَيْن في جَسَدٍ ، ولا مَنْفىً لِمَنْفَى
في هذه الغُرَف الصَّغيرَة ، والخُروجُ هو الدُّخولُ
عَبَثاً نُغَنِّي بينَ هاويَتَيْن ، فَلْنَرْحَلْ ليَتَّضح السَّبيلُ
لا أسْتَطيعُ ، ولا أنا ، كانَتْ تَقولُ ولا تَقولُ
وتُهَدئُ الأفْراسَ في دَمها : أمِنْ أرْضٍ بعيدَةْ
تأتي السُّنونو ، يا غَريبُ ويا حَبيبُ ، إلى حديقتك الوَحيدَة ؟
خُذْني إلى أرْضٍ بَعيدَة
خُذْني إلى الأرْض البَعيدة ، أجْهَشَتْ ريتا : طويلُ هذا الشِّتاءُ
وكَسَّرتْ خَزَف النَّهار على حَديد النَّافِذَة
وَضَعتْ مُسدَّسَها الصَّغير على مُسَوَّدَة القَصيدَةْ

وَرَمَتْ جَواربها على الكُرْسيِّ فَانْكسَرَ الْهديلُ
ومَضَتء إلى المَجْهول حَافيةً ، وأدْرَكَني الرَّحيلُ

فــرسٌ لــلـغـريـب

فرسٌ للغريب

أُ عِدُ لأرْثيك، عِشْرينَ عاماً من الحُبِّ. كُنْتَ
وَحيداً هناكَ تُؤَثِّثُ مَنْفىً لسَيِّدةِ الزَّيْزَفُونِ، وبَيْتا
لِسَيِّدنا ـِفِ أعالي الكَلام، تَكَلَّمْ لِنَصْعَدَ أَعْلى
وأَعْلى ... على سُلَّم الْبِئْرِ، ياصاحِبِي، أينَ أنت؟
تَقَدَّمْ، لأحْمِلَ عنكَ الكَلاَم ... وأَرْثيك

.... لو كانَ جسْراً عَبَرْناهُ. لكِنَّه الدّارُ والهاوية
وللقَمَر البابِلِيِّ على شَجَر اللَّيلِ مملكة لم تَعُدْ
لنا، مُنْذُ عادَ التَّتارُ على خَيْلِنا. والتتَّارُ الجُدُدْ
يَجُرُّونَ أسْماءَنا خَلْفَهُم ـِفِ شعابِ الجِبال، ويَنْسَوْنَنا
ويَنْسَوْنَ فينا نَخيلاً ونَهْرَيْنِ: يَنْسَوْنَ فينا العِراقْ

أَما قُلْتَ لي ـِفِ الطَّريقِ إلى الرِّيحِ : عمَّا قَليل
سَنَشْحَنُ تاريخَنا بالمَعاني ، وتَنْطَفِئُ الحَرْبُ عمَّا قَليل
وعمَّا قَليلٍ نُشَيِّدُ سُومَرَ، للنَّاسِ والطَّيْرِ من كلّ جِنْسٍ؟
وَنَرْجعُ مِنْ حَيْثُ جاءَتْ بِنا الرِّيح ..../
...لم يَبْقَ ـِفِ الأَرْضِ مُتَّسَعٌ لِلقَصيدَةِ ، يا صاحِبِي
فَهَلْ ـِفِ القَصيدَةِ مُتَّسَعٌ ، بَعْدَ الْعِراق؟
وَروما تُحاصِرُ أَمْطارَ عالَمِنا ، والزُّنوجُ يَدُقُّونَ أقْمارَها
نُحاساً عَلَى روما تُعيدُ الزَّمانَ إلى الْكَهْفِ روما
تَهُبُّ على الأَرْضِ فَأُفْتَحْ لِمَنْفاكَ مَنْفى....

لَنا غُرَفٌ في حَدائِقِ آبَ ، هُنا في البِلادِ الَّتي
تُحِبُّ الكِلابَ وَتَكْرَهُ شَعْبَكَ واسْمَ الْجَنوبِ لَنا
بَقايا نِساءٍ طُرِدْنَ من الأُقْحُوانِ . لَنا أَصْدِقاءُ
من الغَجَرِ الطَّيِّبينَ لَنا دَرَجُ الْبارِ رامبو لنا ولنا
رَصيفٌ مِنَ الكَسْتَناءِ لَنا تكنولوجيا لِقَتْل الْعِراق

تَهُبُّ جَنُوبِيَّةً ريحُ مَوْتاكَ . تَسْأَلُني : هَلْ أَراك؟
أَقولُ : تَراني مَساءً قَتيلاً على نَشْرَةِ الشَّاشَةِ الْخامِسَة
فَما نَفْعُ حُرِّيّتي يا تَماثيلَ رودانَ ؟ لا تَتَساءَلْ ، ولا
تُعَلِّقْ على بَلَحِ النَّخْلِ ذاكِرَتي جَرَسَ قَدْ خَسِرْنا
مَنافِينَا مُنْذُ هَبَّتْ جَنوبِيَّةً ريحُ مَوْتاك...../

...لا بُدَّ مِنْ فَرَسٍ لِلْغَريبِ لِيَتْبَعَ قَيْصَرَ ، أَوْ
لِيَرْجِعَ مِنْ لَسْعَةِ النَّاي . لاَ بُدَّ مِنْ فَرَسٍ لِلَغَريبْ
أَما كانَ في وُسْعِنا أَنْ نَرى قَمَراً وَاحِداً لا يَدُلُّ
على امْرَأَةٍ ما ؟ أما كان في وُسْعِنا أَنْ
نُمَيِّزَ بَيْن البصيرَةِ ، يا صاحبي ، والبَصَرْ؟

لَنا ما عَلَيْنا من النَّحْلِ والمُفْرَداتِ . خُلِقْنا لِنَكْتُبَ عَمّا
يُهَدِّدُنا مِنْ نِساءٍ وَقَيْصَرَ ... والأَرْضِ حِيْنَ تَصيرُ لُغَةْ،
وَعَنْ سِرِّ جلجامشَ الْمُسْتَحيلِ ، لِنَهْرُبَ مِنْ عَصْرِنا
إلى أَمْسَ خَمْرَتنا الذَّهَبِيَّ ذَهَبْنا ، وَسِرْنا إلى عُمْرِ حِكْمَتِنا وكانت أَغاني

الحَنينِ عِرَاقيّةً , والعراقُ نَخيلٌ ونَهْران.../

.... لِي قَمَرٌ الرَّصافَةِ . لي سَمَكٌ ﻓﻲ الفُراتِ ودجْلَةْ
ولي قارِئُ ﻓﻲ الجَنُوبِ ولي حَجَرُ الشَّمْسِ ﻓﻲ نَيْنَوى
وَنَيْروزُ لي ﻓﻲ ضَفائِرِ كُرْديّةٍ ﻓﻲ شَمالِ الشَّجَنْ
ولي وَرْدَةٌ ﻓﻲ حَدائقِ بابلَ لي شاعرٌ ﻓﻲ بُوَيْب
ولي جُثَّتي تَحْتَ شَمْسِ العِراق

على صورَتي خَنْجَري وعلى خَنْجري صورَتي كُلَّما
بَعُدْنا عَنِ النَّهْرِ مَرَّ الْمَغولشيُّ , يا صاحبي , بَيْنَنا
كَأَنَّ القَصائِدَ غَيْمُ الأَساطيرِ لا الشَّرْقُ شَرْقٌ
ولا الغَربُ غَرْبٌ تَوَحَّدَ إِخْوَتُنا فِي غَريزَةِ قابيلَ . لا
تُعاتِبْ أَخاكَ , فإِنَّ الْبَنَفْسَجَ شاهِدَةُ الْقَبَر.../

....قَبْرٌ لِباريسَ , لُنْدنَ , روما , نيويورك . موسكو , وقبر
لِبَغْدادَ , هَلْ كانَ من حقِّها أَن تُصَدِّقَ ماضَيَها الْمُرْتَقَبْ؟
وَقَبْرٌ لإِيتاكَةِ الدَّرْبِ وَالْهَدَفِ الصَّعْبِ , قَبْرٌ لِيافا...
وَقَبْرٌ لِهوميرَ أَيْضاً وَلِلْبُحْتُرِيِّ , وقبرٌ هو الشِّعْرُ , قبرٌ
من الرِّيحِ..يا حَجَرَ الرُّوحِ ٬ يا صَمْتَنا !

نُصَدِّقُ , كَي نُكْمِلَ التّيهَ , أنَّ الخَريفَ تَغَيَّرَ فينا
نَعَمْ, نَحْنُ أَوْراقُ هذا الصَّنَوْبَر , نَحْنُ التَّعَب
وقَدْ خَفَّ , خارجَ أجسادِنا , كالنَّدى ..وَانْسَكَب

نَوارِسَ بيضاءَ تبحثُ عن شُعَراءِ الْهَواجِسِ فينا
وعَنْ دَمْعَةِ الْعَرَبِيِّ الأَخيرةِ , صَحْراء... صَحْراء /
..... لَمْ يَبْقَ فِي صَوْتِنا طائِرٌ واحِدٌ لِلرَّحيلِ إلى
سَمَرْقَنْدَ أَو غَيرها , فالزَّمانُ تَكَسَّرَ واللُّغَةُ انْكَسَرَتْ
وهذا الهَواءُ الَّذي قد حَمَلْناهُ يَوْماً على كَتِفَيْنا
فمَنْ يَحْمِلُ الآنَ عِبْءَ الْقَصيدةَ عنّا؟

ولا صَوْتَ يَصْعَدُ , لا صَوْتَ يَهْبطُ , بَعْدَ قَليل
سنُفْرِغُ آخِرَ أَلفاظِنا في مَديحِ المكانِ ،وبَعْدَ قليل
سنَرْنو إلى غَدِنا , خَلْفَنا , في حَريرِ الكَلامِ القَديم
وسَوْفَ نُشاهِدُ أَحْلامَنا في الْمَمَرَّاتِ تَبْحَثُ عَنّا
وعَنْ نَسْرِ أَعْلامِنا السُّود..../

صَحْراءُ للصَّوْتِ , صَحْراءُ لِلصَّمْتِ , صحراءُ لِلْعَبَثِ الأَبَدِيّ
لِلَوْحِ الشَّرائِع صَحْراءُ للكُتُبِ المَدْرَسيَّةِ , للأَنبياءِ وللعُلَماءْ
لشيكسبيرَ العَرَبِيُّ الأَخيرُ : أَنا العَرَبِيُّ الّذي لَمْ يَكُنْ
أَنا العَرَبِيُّ الّذي لَمْ يَكُنْ

قُلِ الآنَ إنَّكَ أَخْطَأْتَ , أَو لا تَقُلْ
فَلَنْ يَسْمَعَ المَيِّتونَ اعتِذارَكَ منهم , ولَنْ يَقْرَؤوا
مَجَلاَّتِ قاتِلِهِمْ كَيْ يَرَوْنَ , ولن يَرْجِعوا
إلى الْبصْرةِ الأَبَديَّةِ كَيْ يَعْرِفوا ما صَنَعْت

بأُمِّكَ , حِينَ انْتَبَهْتَ إلى زُرْقَةِ الْبَحَر..../

....قُلْ إنَّنا لَمْ نُسافِرْ لِنَرْجِعَ .... أَوْ لا تَقُلْ س
فإنَّ الكلامَ النِّهائِيَّ قيل لأُمِّكَ , باسْمِك :
أَعِنْدَكَ ما يُثْبِتُ الآنَ أَنَّكِ أُمِّي الوَحيدَة؟
وَإن كانَ لا بُدَّ من عَصْرِنا , فَلْيَكُنْ مَقْبَرَةْ
كَما هُوَ , لا مِثْلَما تَتَجَلّى سُدُومُ الجَديدَة
وَلَنْ يَغْفِرَ المَيِّتونَ لِمَنْ وَقَفوا , مِثْلَنا ' حائِرين
على حافَّةِ الْبِئْر : هَلْ يُوسُفُ السُّومَرِيُّ أَخُونا
أَخُونا الْجَميلُ , لنَخْطَفَ مِنْهُ كَواكبَ هذا المساءِ الْجَميل ؟
وإن كانَ لا بُدَّ من قَتْلِهِ , فَيَكُنْ قَيْصَرٌ
هُوَ الشَّمْسُ فَوْقَ الْعِراقِ الْقَتيل !

سَأُولَدُ مِنْكَ وَتُولَدُ مِنّي . رُوَيْداً رُوَيْداً سَأَخْلَعُ عَنْك
أصابعَ مَوْتايَ , أَزْرارَ قُمْصانهمْ , وبِطاقاتِ ميلادِهِمْ
وتخلعُ عنِّي رَسائلَ مَوْتاكَ لِلْقُدْسِ ' ثُمَّ نُنَظِّفُ نظّارَتَيْنا
من الدَّمِ ' يا صاحِبي ' كَيْ نُعيدَ قِراءَةَ كافْكا
ونَفْتَحَ نافِذَتَيْنِ على شارِعِ الظّلّ.../
....في داخِلي خارجي . لا تُصَدِّقْ دُخانَ الشِّتاءِ كثيراً
فعمّا قليلٍ سيَخْرُجُ إبْريلُ مِن نَوْمِنا خارِجي داخلي
فلا تَكْتَرِثْ بِالتَّماثيلِ ... سَوْفَ تطرزُ بِنْتُ عِراقيَّةٌ ثَوْبَها

بأَوَّلِ زَهْرَةِ لَوْزٍ . وتَكْتُبُ أَوَّلَ حَرْفٍ من اسْمِك

على طَرَفِ السَّهْمِ فَوْقَ اسْمِها......

في مَهَبِّ الْعِراق



تـا ريـخ الــنشر	1990
عـد د الـقـصـائـد	6

مـقـدمـة

مقدمة

....وأَنا أَنظُرُ خَلْفِي في هذا الليلْ
في أَوراق الأَشجار وفي أَوراق العُمرْ
وأُحَدِّقُ في ذاكرة الماء وفي ذاكرة الرملْ
لا أُبصرُ في هذا الليلْ
إلاَّ آخرَ هذا الليلْ
دَقَّاتُ الساعة تَقْضُمُ عُمْري ثانيةً ثانيةً
وتقصِّرُ أَيضاً عُمْرَ الليلْ
لم يبقَ من الليل ومنِّي وقتٌ نتصارعُ فيهِ...وَعَلَيْهِ
لكنَّ الليلَ يعودُ إلى ليلتِهِ
وَأَنا أَسقطُ في حُفْرَةِ هذا الظلّ...

ربـــا عيـا ت

رباعيات

1

أُرى ما أريدُ مِنَ الحقل... إنّي أَرى

جدائلَ قَمْحٍ تُمَشِّطُهَا الريح، أُغمضُ عينيٍّ :

هذا السرابُ يُؤدِّي إلى النَهَوَنْدْ

وهذا السكونُ يُؤَدِّي إلى اللازَوَردْ

2

أرى ما أُريدُ من البحر... إني أرى

هُبوبَ النوارس عند الغروب فأُغمض عينيّ :

هذا الضياعُ يؤدِّي إلى أندلُسْ

وهذا الشراعُ صلاةُ الحمام عليّ ....

3

أرى ما أُريدُ من الليل... إني أرى

نهايات هذا الممرِّ الطويل على باب إحدى المُدُنْ

سأَرمي مُفَكرتي في مقاهي الرصيف، سأجْلسُ هذا الغيابْ

على مقعد فوق إحدى السفُنْ

4

أرى ما أريدُ من الروح: وَجْهَ الحجرْ

وَقَدْ حكَّهُ البرقُ، خضراءُ يا أرضُ... خضراءُ يا أرض روحي

أما كنتُ طفلاً على حافة البئْر يلعبُ؟

ما زلتُ ألعب.... هذا المدى ساحتي، والحجارةُ ريحي

5

أرى ما أريدُ من السلْم... إني أرى

غزالاً وعشباً، وجدول ماءٍ... فأغمض عينيّ :

هذا الغزال ينامُ على ساعديّ

وصيَّادُهُ نائم، قُرْبَ أولادِهِ في مكانٍ قصيّ

6

أرى ما أريدُ من الحرب... إني أرى

سواعدَ أجدادنا تعصُرُ النبع في حَجَر أخضرا

وآباءنا يَرثُون المياه ولا يورثون، فأُغمض عيني :

إنَّ البلادَ التي بين كفيَّ من صُنْع كَفَّيّ

7

أرى ما أُريدُ من السجن: أيَّامَ زهرةْ

مَضَتْ من هنا كي تدلَّ غريبين فيّ

على مقعد في الحديثة، أغمضُ عينيّ :

ما أوسع الأرض! ما أًجمل الأرض من ثُقْب إِبرةْ

8

أُرى ما أُريدُ من البرقِ.. إِني أَرى

حقولاً تفتت أغلالَها بالنباتات، مَرْحى !

لأُغنية اللوز بيضاءَ تهبط فوق دخان القرى

حماماً... حماماً نقاسمه قُوتَ أَطفالنا

9

أرى ما أُريدُ من الحُبّ ... إني أرى

خيولاً تُرَقِّص سهلاً، وخمسين غيتارةً تتنهَّدْ

وسرياً من النحل يمتصُّ توت البراري، فأُغمض عينيّ

حتى أرى ظلّنا خلف هذا المكان المُشَرَّدْ

10

أرى ما أريدُ من الموت: إني أُحبُّ، وينشقُّ صدري

ويقفزُ منه الحصانُ الإروسي أبيضَ يركض فوق السحابْ

يطير على غيمة لا نهائية ويدور مع الأزرق الأبَديّ...

فلا توقفوني من الموت، لا تُرْجعوني إلى نجمةٍ من ترابْ

11

أرى ما أُريدُ من الدم: إني رأيتُ القتيلْ

يخاطب قاتِلَهُ مذ أضاءتْ رصاصتُه قَلْبَهُ: أنت لا تستطيعْ

من الآن أن تتذكر غيري. قتلتُك سَهْواً ، ولن تستطيعْ

من الآن أن تتذكّر غيري... وأن تحمل وردَ الربيعْ

12

أرى ما أُريدُ من المَسْرَح العبثيِّ: الوحوشْ

قضاةَ المحاكم، قُبَّعةَ الإمبراطور، أقنعةَ العصر،

لونَ السماء القديمة، راقصةَ القصر ، فوضى الجيوش

فأَنسى الجميع، ولا أتذكّر إلا الضحية خلف الستار

13

أرى ما أُريدُ من الشعر: كُنّا قديماً إذا استُشْهِد الشعراء

نُشَيِّعُهُمْ بالرياحين ثم نعود إلى شعرهم سالمين

ولكننا في زمان المجلات والسينما والطنين نهيل التراب على شعرهم ضاحكين

وحين نعود نراهم على بابنا واقفين

14

أرى ما أُريدُ من الفجر في الفجر... إني أرى

شعوباً تفتِّشُ عن خبزها بين خبز الشعوبْ

هو الخبز، يَنْسُلُنا من حرير النعاس، ومن قُطْن أحلامنا

أمن حَبَّة القمح يبزغُ فجر الحياة... وفجر الحروبْ؟

15

أَرى ما أُريد من الناس: رغبتَهمْ في الحنينْ

إلى أيٍّ شيء. تباطؤهم في الذهاب إلى شُغْلِهِمْ

وسُرْعتَهُمْ في الرجوع إلى أهلهمْ ...

رَبِ الأيائل يا أبي .. رَبُها

رَبِ الأيائل ياأبي .. رَبُها

.... مُسْتَسْلماً لخُطى أَبيكَ ذَهَبْتُ أَبحثُ عنكَ يا أَبتي هناكْ

عند احتراق أَصابعي بشموع شوْكِكَ ' عندما

كان الغروبُ يَقُصُّ خَرُّوبَ الغروبِ وعندما

كنا – أَنا وأَبوكَ – يا أَبتي وراءك وَالِدَيْكْ

أَنتَ المُعَلَّقُ فوق صُبَّار البراري من يديكْ

وعليكَ صَقْرٌ من مخاوفنا عليكْ

وعليك أَن ترث السماء من السماءْ

وعليكَ أَرضٌ مثل جلد الروح تثقُبُهُ زهورُ الهِنْدباء

وعليكَ أَن تختار فَأْسَكَ من بنادقهمْ عليكْ

وعليكَ أَن تنحاز ' يا أَبتي ' لفائدة الندى في راحتيكْ

ولقمحكَ المهجورِ حول معسكرات الجيش , فاصنعْ ما تشاءْ

بقلوب سَجَّانيكَ , واصمدْ فوق شوكك حين يقهرك الصهيلُ

حول الجهات الستَّ ' واصمدْ ' فالسهول لكَ السهولُ

..وأَبي خَجُولُ يا أبي ' ماذا يقولُ

حدَّثْتُهُ عنه فأَوماَ للشتاء ' ودسّ شيئاً في الرمادْ

لا تُعْطني حُبّاً . همستُ ' أُريدُ أَن أَهب البلادَ

غزالةً فاشرحْ بدايتَكَ البعيدةَ كي أَراك كما أَراك

أَباً يُعَلِّمني كتابَ الأَرض من أَلِفٍ إلى ياءٍ..ويزرعني هناك

لُغْزٌ هو الميلاد : ينبتُ مثل بَلُّوط يشقُّ الصخر في

عَتَبات هذا المشهد العاري ويصعَدُ..ثم يكسره السوادْ

نَحْبُو ونَصْبُو . تنهض الأَفراس تركضُ في المدى .نكبو ونخبو فمتى وُلِدْنا يا أَبي ومتى نموتُ؟ فلا يُجيبُ ' هُوَ الخجولُ

والوقت ملْك يديه يُرْسِلُهُ إلى الوادي ويرجعه إليه

وَهُوَ الحديقةُ في مهابتها البسيطة . لا يحدِّثُني عن التاريخ في

أَيَّامِهِ : كُنَّا هنا قبل الزمان وههُنا نبقى ' فتخضرُّ الحقولُ

رَبَّ الأَيائل ... رَبِّها في ساحة الدار الكبيرة يا أبي !

فيغُضّ عني الطَرْفَ . يُصلح غُصْنَ داليةٍ يُقَدِّم للحصان شعيرَةُ

والماءَ . يَعْرفُهُ على مَهَل ٬ يلاطفه ويهمس: يا أَصيلُ.

يتناولُ النعناعَ من أُمي . يُدَخِّن تبغه . يُحْصي ثُرَيَّات العِنَبْ

ويقول لي : إِهدأْ ! فأَغفُو فوق ركبته على خَدَرِ التَعَبْ

أَتذكَّرُ الأَعشابَ : يأَخذني قطيعُ الأُقحوان إلى حَلَبْ

من ههُنا قطعتْ مُخَيلتي جبالَ الناي ٬ خلف الناي أَعدو

أَعدو وراء الطير كي أَتعلَّم الطيرانَ . قد خَبَّأْتُ سرِّي

في ما يقول الأَوَّلون هناك , خلف التلِّ . كم أَبعدتني

عمَّا أُحاول أَن أَكون ولا أَكون...وأَنت تدري

أَني أُريدُ فوائدَ الأَزهار ٬ قَبْلَ الملح . كم قرَّبْتَني

من نجمة العَبَث البعيدة ٬ يا أبي لِمَ تَقُلْ لي مَرَّةً

في العمر : يا ابني !... كي أَطير إِليكَ بعد المدرسةْ؟

لِمَ لَمْ تحاول أَن تربِّيني كما رَبَّيْتَ حقلك سمسماً , ذُرَةً ٬ وحنطةْ

أَلانَّ فيكَ من الحروب توجُّسَ الجنديَّ من حَبَق البيوت؟

كُنْ سَيِّدي ' يا سيِّدي ' لأفرَّ منك إِلى الرعاة على التلالْ

كُنْ سَيِّدي لتحبنَّي أُمِّي...وينسى إِخوتي موز الهلالْ

كُنْ سيِّدي أَحفظ القرآن أَكثرَ ..كي أُحبَّ الإِمرأَةْ

أَكون سيِّدها وأَسجنها معي ! كن سيَّدي لأَرى الدليلْ

خَبَّأْتَ قلبك ' يا أَبي , عني لأَكبُر فجأَة وحدي على شجر النخيلْ

شَجَرٌ ' وأَفكارٌ ' ومزمارٌ ... سأَقفزُ من يديكَ إِلى الرحيلْ

لأَسيرَ عكس الريح ' عكس غروبنا ... منفايَ أَرضُ

أَرضُ من الشهوات ' كنعانيةٌ ' ترعى الأُيائل والوعولْ..

أَرضٌ من الكلمات يحملها اليمام إِلى اليمام ..وأَنتَ منفَى

منفًى من الغزوات ينقلها الكلام إِلى الكلام .. وأَنت أَرضُ

أَرضٌ من النعناع تحت قصائدي ' تدنُو وتنأى ثم تدنو

ثم تنأى في أُسم فاتحها , وتدنو في اسم فاتحها الجديدْ

كُرَةً تخاطفها الغزاةُ وَتَبَّتُوها فوق أَطلال المعابد والجنودْ

لو كُنْتَ من حَجَرٍ لكان الطقسُ آخرَ.يا بن كنعان القديمْ

لكنهم كتبوا عليك نشيدَهُمْ لتكون ((أَنت)) ((هو)) الوحيدْ

لمْ تأتِ سوسنةٌ لتشهد , مَرَّةً , مَنْ كان شاعرُها الشهيدْ

سَرَقَ المؤرِّخُ عندما واجهتُهُ بعظام أَسلافي : ((إلهي ..يا إلهي

لِمَ لمْ يموتوا كُلُّهم لتكون لي وحْدي ..؟)) أَتغفر يا أَبي

لِيَ ما صَنَعْتُ بقلبكَ المثقوبِ بالصُبَّار حين كبرتُ وحْدي

وذهبتُ وحدي كي أُطِلَّ على القصيدة من بعيد ؟

فَلِمَ اندفعتَ الآن في السفر الكبير وأَنتَ توراةُ الجذورْ

أَنت الذي ملأَ الجرارَ بأَوَّل الزيت المُقدَّس , وابتكرتَ من الصخورْ

كَرْماً . وأَنت القاتلُ الأَبديُّ : لا ترحل إلى صيْدَا وصُورْ؟

أَنا قادمٌ حَيّاً وَمَيْتاً , يا أَبي , تَوّاً ...أَتغفر لي جنوني

بطيور أَسئلتي عن المعنى ؟ أَتغفر لي حنيني

هذا الشتاءَ إِلى انتحارٍ باذخٍ ؟ شاهدتُ قلبي يا أَبي

وأَضَعْتُ قلبك يا أَبي ، خَبأَته عني طويلاً ، فالتجأتُ إلى القمرْ

قل لي : أُحبُّكَ ، قبل أَن تغفو..فينهمر المطرْ

...متداخلاً في صُوفِهِ البُنِّيِّ ، مُتَّكِئاً على دَرَجِ الشجرْ

يرنو إِلى فِرْدَوْسِهِ المفقود , خلف يديه ، يرمي ظِلَّهُ

فوق التراب – تُرابِهِ ويشدُّهُ..يصطادُ زهرة أُقحوانْ

بعباءة الظلِّ المراوغِ أَيُّ صَيَّادٍ يغافل سارقَ الأَشجارِ !

أَيّ أَبٍ أَبي ! يرمي نِبَالَ الظلّ نحو ترابِهِ

المسروقِ .. يخطفُ منه زهرة أُقحوانْ!

ويعود قبل الليل . كم جيش جديد سوف يحتلُّ الزمانْ

يأتون كي يتحاربوا فينا ..هُمُ الأُمراءُ ، والشهداءُ نحنُ

يأتون ,يبنون القلاع على القلاع , ويذهبون ، ونحْنُ نحْن

لكنَّ هذا الوحش يسرق جلدنا وينام فيه فوق خَيْش فراشنا ويعضُّنا , ويصيح

من وَجَع إِلى عيون الأقحوانْ

يا أَرضُ ! لم أَسأَلك : هل رحلَ المكانُ من المكان ؟

لأَكون زائركِ الغريبَ على حِراب القادمين من الدخان

بيني وبين حقولَي الشقراء مترٌ واحدٌ..مترٌ مِقَصٌ قَصَّ قلبي

أَنا من هنا .. ورأَيتُ أَحشائي تطلُّ عليَّ من زَغَبِ الذُرَةْ

ورأيتُ ذاكرتي تَعُدُّ حُبُوبَ هذا الحقلَ والشهداءَ فيه

أَنا من هنا . أَنا ههُنا ... وأُمشِّطُ الزيتون في هذا الخريف

أَنا من وهنا . وهنا أَنا . دَوَّى أَبي : أَنا من هنا

وأَنا هنا . وأَنا أَنا . وهنا هنا . إِني أَنا . وأَنا هنا . وهنا

أَنا . وأَنا أَنا .وهنا أَنا . وأَنا هنا . إِني هنا . وأَنا أَنا

ودنا الصدى . كَسَرَ المدى . قامت قيامَتُهُ . صدى وجد الصدى

دَوَّى الصدى ...أَبداً هنا أَبداً هنا . وغدا الزمان غدا

بدا شكلُ الصدى بلداً هنا ورد الردى , فاكسرْ

جدار الكون يا أبتي صدى حول الصدى ، ولتتفجرْ :

أَنا

مِنْ

هُنَا

وَهُنَا

هُنَا

وأَنَا

أَنَا

وَهُنا

أَنَا

وأَنَا

هُنَا

الأَرضُ تكسرُ قِشْرَ بَيْضَتها وتسبَحُ بيننا

خضراءَ تحت الغيم . تأخذ من سماء اللون زينَتَها

لتسحرنا ' هي الزرقاءُ والخضراءُ ' تولد من خُرافتها

ومن قُرْبانِنا في عيد حنطتها . تُعَلِّمنا فُنُونَ البحث عن أُسطورة التكوين

سَيِّدَةٌ على إِيوانها المائيِّ

سيدة المديح . صغيرة لا عمر يخدش وجهها لا ثور

يحملها على قرنيه . تحمل نفسها وتنام في أَحضانها

هِيَ . لا تودِّعنا ولا تستقبلُ الغرباء . لا تتذكَّرُ الماضي

فلا ماضي لها . هي ذاتُها ولذاتِها في ذاتِها . تحيا فنحيا

حين تحيا حُرَّةً خضراءَ لم تركب قطاراً واحداً معنا , ولا جملاً

وطائرةً . ولم تفقد وليداً واحداً . لم تبتعد عنا ولم تفقد

معادنها . ولم تخسر مفاتنها . هي الخضراء فوق مياهها الزرقاء..

فانْهَضْ , يا أَبي ' من بين أَنقاض الهياكِلِ واكتُب

اسمَكَ فوق خاتَمِها كما كتب الأَوائل ' يا أَبي ' أَسماءهم.

وانهض أَبي لتحبَّ زوجتك الشهيَّة من ضفائرها إِلى خلخالها

وانهض , فلا زيتون في زيتون هذي الأَرض غير ظلالها ,

وانهض ' لتحمدها وتعيدها وتَرْوِي سيرة النسيان :

كم مَرَّ الغزاة وغيَّروك وغيّروا أَسماءها

كم أصلحوا عربَاتهم وتقاسموا شهداءها,

وهي التي بقيت , كما كانت , لك امرأةً وأُماً يا أَبي

فانهض ' ليرجعك الغناءُ

كشقائق النعمان في أَرض تَبنَّتْهَا وغَنَّتها لتسكنها السماءُ

..ولِمَ القصيدةُ يا أَبي ؟ إِنَّ الشتاءَ هو الشتاءُ

سأَنام بعدك , بعد هذا المهرجان الهشِّ , تَسْوَدُّ الدماءُ

على تماثيل المعابد كالنبيذ ... وتكسر العُشَّاقَ نرجسةٌ وماءُ

وسيكسرون الآن غيرتهم وغربتهم وبَلُّور الحنين إِلى حنينْ

وأَنا حزين , يا أَبي ' سلِّم على جَدِّي إذا قابلتَهُ

قَبِّلْ يديهِ نيابةً عني وعن أَحفاد ((بَعْلٍ)) أَو ((عَنَاةْ))

واملأْ له إِبريقه بالخمر من عنب الجليل أَو الخليل ، وقل له:

أُنثايَ تأبى أَن تكون إِطار

صُورَتها. وتخرج من رفاتي

عنقاءَ أُخرى . يا أَبي سَلِّمْ عليَّ هناك إِنْ قابلتَنِي

وانسَ انصرافي عن خيولك يا أَبي واغفر لأَعرف ذكرياتي

أَنت الذي خَبَّأْتَ قلبك يا أَبي عني ، فآوتني حياتي

في ما أَرى من كائناتٍ لا تُكَوِّنُ كائناتي..

والآن تسحبني أُبوَّتُك القصيَّةُ من يديَّ ومن شتاتي

بشِباك ظِلِّك نحو آجُرٍّ من الظلّ المعلّق في القصيدة..

لُغْزٌ هو الميلاد .. يا أَبتي سأَلتك : هل وُلِدْتَ

لتموت؟ كم أَرجأَتَ عمرَك ..كم تعبتَ .. وكم وَعَدْتَ

بأن تعيش غداً ، ولكنْ لم تعش من دَمِنا إِلى لغة الحمامْ؟

يا سيِّد الشجر المسجَّى فوق ظلِّ الظلِّ من شَجَر الخزامْ

يا سيِّد الحجر الذي أَدْمَتْهُ كَفُّكَ ...هل خَرجْتَ من الرخامْ

لتعود يا أَبتي إِليه ؟ دُلَّني لِمَ جِئْتَ بي ...لم جئتَ بي

أَلِكَيْ أُنادي حين أَتعَبُ : يا أَبي , يا صاحبي ؟

يا صاحبي ! مَنْ مات مَنَّا قبل صاحبِهِ...

أَنا ؟

أَم صاحبي ؟

هدنة مع المغول أمام غابة السنديان

هدنة مع المغول أمام غابة السنديان

(1)

قَدْ يصعَدُ العُشْبُ من .. كائنات من السنْدِيان تُطيلُ الوقوفَ على التلّ السماويُّ منها إِلى خبزنا نحوها إِنْ تركنا المكانَ , وَقَدْ يهبط اللازوردُ الظلِّ فوق الحصونْ

مَنْ سيملأ فُخُارنا بعدنا ؟

.. إِلى التلِّ كي نمدَحَ اللّه مَنْ يُغَيِّرُ أَعداءنا عندما يعرفونْ أَننا صاعدون

السندياںْ ؟ في كائناتٍ من

هباءْ رُبَّما كان هذا النهارُ كلُّ شيء يدلُّ على عَبَث الريح لكننا لا نَهُبُّ المكوثَ أَمام السماء , ولم أَخَفَّ علينا من الأَمس , نحن الذينْ قد أَطالوا الأَرضُ أَوسعَ من وَصفْها يعبدوا غير ما فَقَدُوا من عبادتهمْ رُبَّما كانت

ربما كان هذا في الطريقُ دخولاً مع الريح

في غابة السنديانْ

وتسقط في عالَمٍ واحدٍ الضحايا تَمُرُّ من الجانبينْ , تقول كلاماً أَخيراً

سوف ينتصرُ النسْرُ والسنديانُ عليها

الميتين على الجانبين , فلا بُدَّ مِنْ هُدْنَةٍ للشقائق في السهل كي تُخْفِيَ
وكيْ نَتَبَادَلَ بَعْض الشتائم قبل الوصول إِلى التلّ

.. لا بُدَّ مِنْ تَعَبٍ آدمي يُحَوِّل تلك الخيولَ إِلى

كائناتٍ من السنديانْ

غرْبَةٌ عَلَّقْتها الطيورُ الصدى واحدٌ في البراري : صدى ,والسماءُ على حجر
الحروب على لا نهايات هذا الفضاء , وطارتْ... والصدى واحدٌ في
إِليهم مُطَهَّمةً الطويلة : أُمٌّ , أَبٌ وَلَدٌ صَدَّقوا أَنَّ خلف البحيرات خيلاً تعود
بالرجاء الأَخيْر فأَعدُّوا لأحلامهم قهوةً تمنع النوَمَ

في شَبَح السنديانْ

الحصارْ نَعْتَني بالزنابقِ كُلُّ حربٍ تُعَلِّمنا أَن نحبَّ الطبيعة أَكثرَ : بعد آذارَ أَكثرَ , نقطف قُطْنَ الحنان من اللَوْزِ في شهر

عندما يذهبون إِلى صَيْد نزرع غاردينيا في الرخام , ونَسْقي نباتاتِ جيراننا غزلاننا

..على التلّ فمتى تَضَعُ الحربُ أَوزارها كي نفُكَّ خُصُورَ النساء

من عُقدة الرَّمز في السنديانْ ؟

كم نُحبُّ ليت أَعداءَنا يأخذون مقاعدنا في الأساطير ' كي يعلموا الرصيفَ الذي يكرهون..ويا ليتهم يأخذونْ

ما لنا من نُحاس وبرْق...لنأخذ منهم حرير الضجرْ

ليعتذروا للفراشة عن لعبة .. ليت أعداءنا يقرءون رسائلنا مرتين , ثلاثاً ...النار

في غابة السنديانْ

الكُتُبْ كم أردنا السلامَ لسيدنا في الأعالي ..لسيدنا في

لِهُواة الحياة كم أَردنا السلام لغازلة الصوف .. للطفل قرب المغارةْ

إِلى ليل زوجاتهم , لأولاد أعدائنا في مخابئهمْ.. للمَغُولْ عندما يذهبون
, عندما يرحلونْ عن براِعم أزهارنا الآن .. عَنَّا

وعن ورق السنديانْ

الماء الحروب تُعَلِّمنا أَن نذوق الهواء وأَن نمدح

جيوب معاطفنا ؟ كَمْ ليلةً سوف نفرح بالحُمُّص الصلْب والكستنا في

أَمْ سننسى مهارتنا في امتصاص الرذاذ ؟

ليبدأ سيرتَهُ من هنا ؟ ونسأَل : هَلْ كان في وُسْع مَنْ مات أَلاَّ يموت

رُبَّما نستطيع مديح النبيذ ونرفعُ

نخْباً لأَرملة السنديانْ

العنكبوت كُلُّ قَلْبٍ هنا لا يردُّ على الناي يسقط في شَرَك

فإِنُ المغُول يُحبُّون خمرتنا , تمهَّلْ تمهَّلْ لتسمع رَجْعَ الصدى فوق خيل العَدُوّ
وأَن يأخذوا شعراء القبيلة , ويريدون أَن يَرْتَدوا جلد زوجاتنا في الليالي
أسرى, وأَنْ

يقطعُوا شَجَرَ السنديان

حفنةً من هبوب الغبار المغُول يريدوننا أَن نكون كما يبتغون لنا أن نكونْ
كلُّها كي يَحُلَّ السلامُ على الصين أَو فارسٍ , ويريدوننا أَن نُحبَّ أَغانِيَهُمْ
الذي يطلبونْ

يذهبونْ مَعَ هذا المساء سوف نحفظ أَمثالهم ... سوف نغفر أَفعالَهُم عندما
إِلى ريح أجدادهمْ

خلفَ أُغنيةِ السنديانْ

لمْ يجيئوا لينتصروا , فالخرافةُ ليست خرافتَهُمْ

ولا يعرفونْ ..أَنَّ في , إِنهم يهبطونْ من رحيل الخيولِ إِلى غرب آسيا المريضِ
وسعنا أَن نقاوم غازان – أَرغون أَلفَ سَنَةْ

قليلْ دينَ قتلاهُ كي بَيْدَ أَن الخرافةَ ليست خرافَتهُ . سوف يدخل عَمًّا
.. يتعلَّم منهم كلامَ قُرَيش

ومعجزةَ السندياNْ

.الصَّدَى واحدٌ في الليالي

عُمْرَ أَولادنا – كبروا ,على قمة الليل نُحْصي النجومَ على صدر سَيِّدنا
المغول, وأَعدادَنا سَنَةً بعدنا – غَنَمَ الأَهل تحت الضباب , وأَعدادَ قتلى
فارسيٍّ والصدى واحدٌ في الليالي سنرجع يوماً , فلا بُدَّ من شاعرٍ

.. لهذا الحنين

إلى لُغَةِ السندياNْ

أَبوابنا , أن نُمَشِّطَ الحُروبُ تعلَّمنا أَن نحبَّ التفاصيل : شكْل مفاتيحِ ساعات قبل حنطتنا بالرموش , ونمشي خِفَافاً على أرضنا , أَن نقدِّسَ الغروب على شجَر الزَّنْزَلَخْت

وأَنْ نَتَحَمَّل عبء , والحروبُ تُعَلِّمُنا أَن نرى صورة الله في كل شيء . الأساطير كي نُخْرِجَ الوحشَ

من قصَّة السنديانْ

إِذا ما , كم سنضحك من سُوس خُبْزِ الحروب ومن دُود ماء الحروب جواربَ انتصرنا نُعَلِّقُ أَعلامنا السودَ فوق حبال الغَسيلْ ثم نَصْنَع منها وأَما .. ...وأَما النشيدُ , فلا بُدَّ من رَفْعِهِ في جنازات أَبطالنا الخالدين السبايا , فلا بُدَّ من عَتْقهنَّ, ولا بُدَّ من مَطَرٍ

فَوق ذاكرة السنديانْ

يشرب القَمَرْ الحُرُّ شايَ خَلْفَ هذا المساء نرى ما تبقَّى من الليل , عما قليلْ الخندقين لَهُمْ ولنا , هَلْ لَهُمْ المُحَارب تحت الشجَرْ قَمَرٌ واحدٌ للجميع على

وهَلْ عندهُمْ حَبَقٌ مثلنا , خلف تلك الجبال بيوتٌ من الطين , شايٌ , وnايٌ
.....يُرجع الذاهبين من الموت

في غابة السندياںْ ؟

فوق جذور الحكاية ..ينبت وأَخيراً , صعدْنا إِلى التَلِّ ها نحن نرتفع الآن...
عُشْبٌ جديد على دمنا وعلى دمهِمْ

ذاك الحمام بأَوسمة سوف نحشو بنادقنا بالرياحين , سوف نُطَوِّق أَعناقَ
ولا غيرنا العائدين ...ولكننا لم نجد أَحداً يقبل السِّلْم .. لا نحن نحن
غيرنا

لم نجد احداً ههنا.. البنَادِقُ مكسورة .. والحمامُ يطير بعيداً بعيداً

...لم نجد أَحداً

لم نجد غابة السندياںْ

جمـلـة مـوسـيـقـيـة

جملة موسيقية

شاعرٌ ما يكتبُ الآن قصيدهْ

بَدَلاً منّي

على صفصافة الريح البعيدة

فلماذا تلبسُ الوردةُ في الحائطِ

أوراقاً جديدة ؟

❖❖❖❖❖❖❖

ولَدٌ ما طَيَّر الآن حمامهْ

بَدَلاً منّا,

إلى أعلى، إلى سقف الغمامهْ

فلماذا تذرفُ الغابة هذا الثلجَ

حول الإبتسامة؟



طائر ما يحمل الآن رسالة

بَدَلاً منّا ,

إلى الأزرق من أرض الغزالة

فلماذا يدخُلُ الصَيَّادُ في المشهدِ

كي يرمي نِبالهْ؟

❖❖❖❖❖❖❖

رَجُلٌ ما يغسلُ الآن القمرْ

بدلاً منّا,

و يمشي فوق بلّور النَهَرْ

فلمذا يَقَعُ اللونُ على الأرضِ

لماذا نتعرَّى كالشجرْ؟



عاشقٌ ما يجرف الآن العشيقة

بدلاً مِنِّي

إلى طين الينابيع السحيقة

فلماذا يقفُ السَرْوُ هنا

حارساً بابَ الحديقة ؟

◆◆◆◆◆◆◆◆

فارسٌ ما يُوقف الآن حصانهْ

بدلاً مِنِّي,

و يغفو تحت ظلِّ السنديانهْ

فلماذا يخرجُ الموتى إلينا

من جدارٍ و خزانهْ؟

مـأسـاة الـنـرجس , مـلـهـاة الـفـضـة

مأساة النرجس , ملهاة الفضة

عادوا...

من آخر النفَق الطويل إلى مراياهم.. وعادوا

حين استعادوا مِلْحَ إِخواتهمْ , فرادى أَو جماعاتٍ , وعادوا

من أَساطيرِ الدفاع عن القلاع إِلى البسيط من الكلامْ

لن يرفعوا ' من بعدُ ' أَيديَهُمْ ولا راياتِهمْ للمعجزات إِذا أَرادوا
عادوا ليحتفلوا بماء وجودهم ، ويُرتِّبوا هذا الهواءْ
ويزوِّجوا أَبناءهم لبناتهم ، ويرقِّصوا جَسَداً توارى في الرخامْ
ويُعَلِّقوا بسُقُوفهمْ بَصَلاً ' وبامِيةً ' وثوماً للشتاءْ
وليحلبوا أَثداء مَاعِزِهمْ ' وغيماً سالَ من ريش الحمامْ
عادوا على أَطراف هاجسهم إلى جُغرافيا السحرِ الإِلهي
وإلى بساط الموز في أَرض التضاريس القديمةْ:
جبلٌ على بحرٍ ,
وخلف الذكريات بحيرتان ,
وساحلٌ للأنبياء –
وشارعٌ لروائح الليمون . لم تُصَب البلاد بأَيِّ سوءْ
هَبَّتْ رياح الخيل , والهكسوس هبُّوا ' والتتَار مُقَنَّعينَ
وسافرينَ . وخلَّدوا أَسماءهم بالرمح أَو بالمنجنيق ...
وسافروا لم يحرموا إِبريل من عاداته : يلدُ الزهور من الصخور
ولزهرة الليمون أَجراسٌ , ولم يُصب التُرابُ بأي سوءٍ -
أَيِّ سوء ' أَيِّ سوءٍ بعدهم . والأَرضُ تُورَثُ كاللغةْ
هَبَّتْ رياحُ الخيل وانطفأَت رياحُ الخيل ' وانبثق الشعير من الشعيرْ
عادوا لأنهمُ أَرادوا واستعادوا النارَ في ناياتهم , فأتي البعدُ
من البعيد , مُضَرَّجاً بثيابهم وهشاشة البلور ' وارتفع النشيدُ -
على المسافة والغياب . بأَيِّ أَسلحة تُصَدُّ الروح عن تحليقها؟
في كل منفى من منافيهم بلادٌ لم يصبها أَي سوءْ...

صنعوا خرافَتَهُمْ كما شاءوا ٬ وشادوا للحصى أَلَقَ الطيور . وكُلَّما
مَرُّوا بنهرٍ.. مَزَّقوهُ , وأَحرقوهُ من الحنين ...وكُلّما
مَرُّوا بسَوْسَنَةٍ بكوا وتساءلوا :هل نحن شعب أَم نبيذٌ للقرابين الجديدةْ؟
يا نشيدُ ! خذ العناصر كُلَّها
واصعدْ بنا

سفحاً فسفحاً
واهبط الوديان –
هيّا يا نشيدُ
فأَنت أَدرى بالمكانِ
وأَنت أَدرى بالزمانِ
وقُوَّةِ الأَشياء فينا..
لم يذهبوا أَبداً ولم يصلوا ٬ لأَن قلوبهم حَبَّتُ لَوْزٍ في الشوارع . كانت
الساحاتُ أَوسعَ من سماء لا تُغَطِّيهم . وكان البحر ينساهم وكانوا يعرفون
شمالهم وجنوبهم ٬ ويطِّيرون حمائمَ الذكرى إلى أَبراجها الأُولى , ويصطادون
من شهدائهم نجماً يُسَيِّرهم إلى وحشِ الطفولةِ كلما قالوا :
وصلنا ... خرَّ أَوَّلُهُمْ على قوسِ البدايةِ . أَيها البطلُ ابتعدْ عنا لنمشي فيك
نحو نهاية أُخرى ٬ فتبّاً أُخرى ٬ فتبّاً للبدايةِ أَيها البطل المضرّج بالبدايات
الطويلةِ قُلْ
لنا : كم مرةً ستكون رحلتُنا البدايةَ؟ أَيها البطل المُسَجَّى فوق أَرغفة الشعير
وفوق صوف اللوز ٬ سوف نحنِّطُ الجرحَ الذي يمتصُّ روحك بالندى : بحليبِ
ليلٍ لا ينامُ , بزهرة الليمونِ ٬ بالحجر المُدَمَّى , بالنشيد – نشيدنا ,

وبريشةٍ مقلوعة من طائرِ الفينيق -
إِنَّ الأَرضَ تُورَثُ كاللغةْ !
..ونشيدهم حَجَرٌ يَحُكُّ الشمسَ . كانوا طيِّبين وساخرينْ
لا يعرفون الرقص والمزمار إِلاَّ في جنازاتهم الرفاق الراحلينْ
كانوا يُحبُّون النساء كما يحبون الفواكه والمبادئ والقططْ
كانوا يَعُدُّون السنين بعمر موتاهم . كانوا يرحلون إِلى الهواجسْ : ماذا صنعنا بالقرنفل كي نكون بعيدَهُ؟ ماذا صنعنا بالنوارسْ
لنكون سُكَّانَ المرافئ والملوحةِ في هواءٍ يابسٍ : مستقبلين مُوَدِّعينْ؟
...كانوا , كما كانوا , سليقةَ كلَّ نهرٍ لا يفتِّش عن ثباتْ
يجرون في الدنيا لعلَّ الدرب يأخذهم إِلى درب النجاة من الشتاتْ
....ولأنهم لا يعرفون من الحياة سوى الحياة كما تقدِّمها الحياة
لم يسألوا عما وراء مصيرهم وقبورهم . ما شأنهم بعد القيامهْ ؟
ما شأَنهم إِن إِسماعيل أَمْ إِسحقُ شاةً للإِلهْ؟
هذي الجحيم هي الجحيمُ . تعوَّدوا أَن يزرعوا النعناعَ في قمصانهم وتعلَّموا أَن يزرعوا اللبلابَ حول خيامهم , وتعوَّدوا حفظ البنفسج في أَغانيهم وفي أَحواض موتاهم... ولم يُصَب البناتُ بأَيِّ سوءٍ ' أَيِّ سوء ' حين جَسَّدهُ الحنينُ لكنهم
عادوا قبيل غروبهم ، عادوا إِلى أَسمائهم
وإِلى وضوح الوقت في سَفَر السنونو
..وأَمَّا المنافي ' فهي أمكنةٌ وأَزمنةٌ تُغيِّر أَهلها
وهي المساءُ إِذا تدلَّى من نوافذَ لا تطلُّ على أَحدْ
وهي الوصولُ إِلى السواحل فوق مركبة أَضاعتْ خليها

وهي الطيورُ إذا تمادت في مديح غنائها ، وهي البلدْ
وقد انتمى للعرش ...واختصر الطبيعة في جَسَدْ
...لكنهم عادوا من المنفى ، وإن تركوا هناك خيولَهُمْ
فلأَنهم كسروا خرافتهم بأَيديهم لكي يتسربوا منها وكي يتحرروا
ويفكّروا بقلوبهم .عادوا من الأسطورة الكبرى يتذكروا أَيامهم وكلامهم .
عادوا إلى المألوف فيهم وهو يمشي
فوق الرصيف ويمضغ الكسَلَ اللذيذ ووقتَهُ من غير غاية
ويرى الزهورَ كما ترى الناسُ الزهورَ..بلا حكاية
من زهرةِ الليمون تُولَدُ زَهْرةُ الليمون ثانيةً وتفتح في الظلامِ
نوافذَ الدورِ القديمةِ للمدى ..وعلى سلام العائلة
..وكأَنهم عادوا , لأَن الوقت يكفي كي تعود القافلة
من رحلة الهند البعيدة .أَصلحوا عرباتهمْ وتقدموا قبل الكلامْ
وعلى نوافذ آسيا الوسطى أَضاءوا نجمةَ الذكرى , وعادوا وكأَنهم عادوا من
شمال الشام عادوا
وكأَنهم عادوا من الجُزر الصغيرة في المحيط الرحب , عادوا من فتوحات بلا
عَدَدٍ ومن سَبي بلا عدد , وعادوا
وكأَنهم عادوا كعودة ظلّ مئذنة إلى صوت المؤذّن في المغيبْ
لم تسخر الطرقاتُ منهم مثلما سخر الغريبُ من الغريبْ
النهر هاجسهم , تَلَعْثَمَ أَمْ فاض النهَرْ
ولراية الصفصاف عرَّافٌ يُعَلّقُها على ما سال من ذهبِ القمرْ
...ولهم حكايَتُهُمْ . وآدَمُ – جَدُّ هجرتهم بكى ندماً وللصحراء هاجَرْ

والأَنبياء تشرَّدوا في كل أرض ٬ والحضارةُ هاجَرَتْ ٬ والنخل هاجرْ لكنهم
عادوا قوافلَ,
أَو رُؤى
أَو فكرةً,
أَو ذاكرهْ

ورأوا من الصوَر القديمة فتنةً أَو محنةً تكفي لوصف الآخرة
هل كانت الصحراءُ تكفي للضياع الآدميِّ؟ وصَبَّ آدمْ
في رَحْمَ زوجته ٬ على مرأى من التُفّاح ٬ شَهْدَ الشهوةِ الأُولى وقاومَ موتَهُ . يحيا
ليعبد رَبَّهُ العالي ليحيا
هل كان أَوَّلُ قاتِ – قابيلُ – يعرف أَن نومَ أَخيه مَوْتْ؟
هل كان يعرف انه لا يعرف الأسماء, بعد, ولا اللغة
هل كانت إمرأة يغطِّيها قميص التوت أَوِّل خارطة ؟
لا شمسَ تحت الشمس إلا نور هذا القلب يخترق الظلالْ
كم من زمانٍ مرَّ كي يجدوا الجوابَ عن السؤالْ . وما السؤال إلا جوابٌ عن
السؤال إلا جواب لا سؤال له . وكانت تلك أسئلة الرمالُ إلى الرمالْ نُبُوءةً
ويغافل الصوفيُّ إمراةً ليغزل صوف عتمتِهِ بلحيته , ويعلو جَسَداً من البلور . هل
للروح اردافٌ وخاصرةٌ وظلٌّ ؟
في الاسر مُتَّسع لشمسِ الشكِّ منذ صاروا سكارى الباب – حُرّياتُهُم هي
ماتسقط من فضاء المُطلَق المكسور حول خيامهم :
خوذ , صفيح , زُرْقَةٌ , إبريقُ ماء , اسلحهْ
اثار انسانٍ , غرابٌ , ساعةٌ رملية , عشبٌ يغطي مذبحهْ .

هل نستطيع بناء بناء معبدنا على متر من الدنيا ... لنعبدْ خالق الحشرات
والاسماء والاعداء والسر المُخَبإ في ذبابة ؟
هل نستطيع اعادة الماضي الى اطراف حاضرنا , لنجسدْ فوق صخرتنا لمن
كتب الزمان على الكتاب بلا كتابهْ ؟
هل نستطيع غناء أُغنيةٍ على حجر سماويٍّ لنصمدْ ؟
للأساطير التي لم نستطع تغييرها الا بتاويلِ السحابة ؟
هل يستطيع بريدُنا المائيُّ أَن يأَتي على منقار هُدْهُدْ
ويعيدَ من سَبَإٍ رسالتَنَا ' لنؤمن بالخُرافةِ والغرابهْ؟
.في التيه مُتَّسع لأحصنة تشبُّ من السفوح إلى الأعالي
ومن السفوح تخر صوب القاع ، مُتَّسعٌ لفرسان يحثون الليالي
إن الليالي كلُّها ليلٌ وإن الموت قتلٌ في الليالي
..يا نشيدُ ! خُذِ العناصرَ كلُّها
واصعدْ بنا دهلاً فدهراً
كي نرى من سيرة الإنسان ما سيُعيدُنا
من رحلةِ العبث الطويل إلى المكان – مكانِنَا ,
واصعد بنا قِمَمَ الحراب لكي نُطلَّ على المدينةِ –
أَنتَ أدرى بالمكان , وقُوَّة الأَشياء فينا
أَنت أدرى بالزمان..
خذني إِلى حَجَرٍ –
لأجلس قرب جيتار البعيدِ
خذني إِلى قَمَرٍ –

لأعرف ما تبقّى من شرودي

خذني إلى وَتَرٍ –

يَشُدّ البحرَ للبرِّ الشريدِ

خذني إلى سَفَرٍ –

قليلِ الموت في شريانِ عودِ

خذني إلى مَطَرٍ –

على قرميد منزلنا الوحيدِ

خذني إليَّ لأَنتمي لجنازتي في يوم عيدي

خذني إلى عيدي شهيداً في بنفسجة الشهيدِ

عادوا , ولكن لم أَعُدْ..

خذني هناك إلى هناك من الوريد إلى الوريدِ

..عادوا إلى ما كان فيهم من منازلَ , واستعادوا

قَدَمَ الحرير على البحيرات المضيئة ، واستعادوا

ما ضاع من قاموسهم : زيتونَ رُومَا في مخيّلة الجنودِ

توراةَ كنعانَ الدفينةَ تحت أنقاض تحت أنقاض الهياكل بين صُورَ وأورشليم

وطريقَ رائحةِ البخور إلى قُرَيْشَ تهبُّ من شامِ الورودِ

وغزالةَ الأبد التي زُفّت إلى النيل الشماليِّ الصعودِ

وإلى فحولةِ دجلةَ الوحشيِّ وَهْوَ يَزُفُّ سُومَرَ للخلودِ

كانوا معاً

كانوا معاً يتحاربون , ويَغْلِبون , ويُغْلَبونْ

كانوا معاً

يتزوَّجون وينجبون سُلالةَ الأَضدادِ أَو نسلَ الجنونْ

كانوا معاً

يتحالفون على الشمال ٬ ويرفعون على الجحيمْ

جسرَ العبور من الجحيم إلى انتصار الروح فيهم كُلِّهم

ويعاودون الحربَ حول العقل . مَنْ لا عَقْلَ في إِيمانِهِ

لا روح فيه..

هل نستطيع تناسخَ الإبداع من جلجامشَ المحروم من عُشْبِ الخلودِ

ومن أثينا بعد ذلك ؟ أين نحن الآن ! للرُّومان أَن يجدوا وجودي في الرخام ٬

وأَن يعيدوا نقطةَ الدنيا إلى روما ٬ وأَن يلدوا جُدودي

من تفوُّق سيفهم

لكنَّ فينا من أَثينا

ما يجعل البحر القديمَ نشيدَنا

ونشيدُنا حَجَرٌ يَحُكُّ الشمسَ فينا

حَجَرٌ يشعُّ غموضَنا أقصي الوضوحِ هو الغموضُ ,

فكيف ندرك ما نسينا؟

عاد المسيحُ إلى العشاء ٬ كما نشاء ٬ ومريٌّ عادتْ إِليهِ

على جديلتها الطويلة كي تُغَطِّيَ مسرحَ الرومان فينا

هل كان في الزيتون ما يكفي من المعنى ..لنملأ راحيتهِ

سكينةً وجروحَهُ حَبَقاً ٬ وندلق روحَنَا أَلَقاً عليهِ؟

..ويا نشيدُ , خذِ المعاني كلَّها

واصعدْ بنا جرحاً فجُرحاً

ضمِّدِ النسيانَ

واصعدْ ما استطعتَ بنا إلى الإنسانِ

حولَ خيامهِ الأُولى

يُلَمِّعُ قُبَّةَ الأفقِ المُغَطَّى بالنحاسِ

لكي يَرَى

ما لا يَرَى

من قلبِهِ

واصعد بنا ، واهبط بنَا نحو المكان

فأَنتَ أَدرى بالمكان ,

وأَنتَ أدرى بالزمان

...وفي الممرات استعدُّوا للحصار . نياقُهم عطشتْ وقد حلبوا السرابْ

حلبوا السرابَ ليشربوا لَبَنَ النبوءةِ من مخيّلة الجنوبْ

في كل منفى قلعةٌ مكسورةٌ أَبوابُها لحصارهمْ ، ولكُلِّ بابْ

صحراءُ تكملُ سيرةَ السفر الطويل من الحروب إلى الحروبْ

ولكل عَوْسَجَةٍ على الصحراءِ هاجَرُ هاجَرَتْ نحو الجنوبْ

مروا على أسمائهم منقوشةً فوق المعان والحصى

لم يعرفوها ....فالضحايا لا تصدِّق حَدْسها..

لم يعرفوها...

مَمْحُوَّةً بالرمل أَحياناً , وأَحياناً تغطيها نباتاتُ الغروبْ

تاريُخنا تاريخيهم , لولا اختلافُ الطير في الرايات وحَّدتِ الشعوبُ – دروبَ

فكرتها . نهايتُنا بدايتنا...

وإِنَّ الأَرضَ

تُورَثُ

كاللغهْ

لو كان ذو القرنين ذا قرن ' وكان الكونُ أَكبرْ

لتشرَّقَ الشرقيُّ في أَلواحِهِ ..وتغرَّبَ الغربيُّ أَكثرْ

لو كان قصيرُ فيلسوفاً كانت الأرضُ الصغيرةُ دارَ قيصرْ

تاريخُنا تاريخنا...

ولنَخلة البدويَّ أن تمتدَّ نحو الأَطلسيِّ

على طريق دمشقَ كي نشفى من الظمأ المميت إلى غمامهْ

تاريخُنا تاريخهم

تاريخهم تاريخُنا

لولا الخلافُ على مواعيد القيامهْ !

من وحَّد الأَرضَ العنيدة خارج السيفِ المُرَصَّع بالحماسةِ؟

لا أَحدْ...

من عاد من سَفَرٍ إلى حَبَقِ الطفولةِ؟

لا أَحَدْ

من صاغَ سيرته بمنأى عن هُبُوب نقيضها وعن البطولةِ؟

لا أَحدْ...

لا بُدَّ من منفى يَبيضُ لآلئَ الذكرى ويختزلُ الأَبَدْ

في لحظة تسعُ الزمانَ ,

...لعلَّهم كتبوا على أَسمائهم أسماءَهم ,

وتذكروا في فضة الزيتون أَوَّلَ شاعرٍ سَجَّى هناك سماءهم

يا بحر إِيجةَ ، عُدْ بنا يا بحرُ..قد نبحتْ كلابُ العائلاتْ

لتعيدَنا من حيث هَبَّتْ ريحُنا ...فالنَّصْرُ مَوْتْ

والموتُ نصرٌ في هِرَقْلَ..وخطوةُ الشهداء بَيْتْ

نجن الذين أتو لكي يأتون وينتصروا ..رمتنا الكاهناتْ

بشمال غربتنا ولم يَسْأَلنَ عن زوجاتنا . من ماتَ ماتَ,

ومن تذكَّر بيتَهُ قتل المزيد من العجائز والبناتْ

أَلقى بأَطفال المدينة من أسرتهم إلى الوادي السحيق

ليعود قبل الوقتِ من الشيطان،

هل خُنَّا نظامَ ضميرنا

لتخوننا زوجاتُنا ؟

كان الضميرُ إليهنَّ البخورَ وعطرَ هيلينَ الجميلة

النصر موت كالهزيمة ، والجريمة قد إلى الفضيلة

يا بَحْرُ ! أَنتَ تُزيِّنُ القتلى بقاتلهم ، أَعِدْنَا أيها البحرُ القديمُ

إلى نُباح كلابنا في أَرضنا الأولى وتابعْ أَيها البحرُ القديمُ

مغامرات البحث عمَّا ضاعَ من أسطولنا ... وزوارق الصيد القديمةِ ، عن رجال

أَصبحوا شجراً من المرجان في القيعانِ ,

أَما نحن , فاحملْنا لنرجعَ

من حروب الذَّودِ عن عرشَ السرير إلى فراشِ نسائنا

وإلى قماش الحور أَخضرَ في الرمادِ وفي رؤى شعرائنا

لا بد من بَرٍّ لنرسُوَ فوق خطوتنا وبُنْدُقِ دارنا

فالضوء – هذا الضوء ، لا يكفي لنقطف فيه توتَ ديارنا

....كانوا هناك يحاورون الموجَ كي يتشبَّهوا بالعائدين من المعارك تحت قوس النصر . لم تذهب منافينا سدى أَبداً ، ولم نذهب إلى المنفى سدى . سيموت موتاهم بلا ندمٍ على شيءٍ وللأحياءِ الماضي بحاضرهم ، وأن يبكوا على مهلٍ على مهلٍ لئلاَّ يسمع الأَعداءُ ما فيهم من الخزف المكسَّر أَيها الشهداءُ قد كنتم على حَقٍّ ، لأَن البيت أَجملُ من طريقِ البيتِ ، رغم خيانةِ الأَزهار ، لكنَّ النوافذَ لا تُطلُّ على سماء القلب...
والمنفى هو المنفى هنا وهناك . لم نذهب إلى المنفى سُدىً أَبداً ، ولم تذهبْ منافينا سُدىً

والأرضُ
تُوْرَثُ
كاللغة !
....لم يُشْبهوا الأسرى ، ولم يتقمَّصُوا حريةَ الشهداءِ . لم يتخلَّصوا من صيف وحشتهم . لماذا أَشعلوا الجبلَ البعيد بنارِ وحشتهم ، وغابوا حين لم يجدوا لمنحدراتهم طُرُقاً تُوزِّعهم على الوديان ؟ قد يأتي الرعاةُ الأولون إلى الصدى . قد يعثرون على بقايا صوتهم وثبابهم ، وعلى زمان سلاحهم ، وعل تعرُّج نايهمْ مِنْ كُلِّ شعبٍ أَلَّفوا أسطورةً كي يشبهوا أَبطالها ، في كلِّ حربٍ ماتَ منهم فارسٌ ، لكنَّ للأَنهار وِجْهَتَها وليس الأَمس أَمس
ليسكنوا أَعلى قليلاً من مَصَبِّ النهرِ
جيتاراتُهُمْ فَرَسٌ وأَندلُسٌ على قدَمَيْ

فتاةِ الريحِ دُقِّينا على إِبَرِ

الصنوبرِ الغابات دُقِّينا تَرِقَّ الروحُ

فينا نتركِ الميناء للميناء دُقِّينا

بايقاع النبيذ على سواد السرِّ بين الأَبيضين

وَخلِّصينا الآن من مُرْجانِ واديكِ

الكبير وعَلِّمينا مهنةَ الفَرَحِ المَسَلح

بالدم الغجريِّ دُقِّينا ودُقّي ما يُطلُّ

من القلة بكعبك العالي لتلتفت

الشعوبُ إلى بداية حربها : رَجُلٌ

يفتش في البراري عن سكينته

ويسكن امرأَةْ

...وعلى أَعالي الموج , موج البحر والصحراء كانوا يرفعون جزيرةً لوجودهم

إِني وقد دافعتُ عن سَفري إِلى قَدَري أدافع عن نشيدي

بين النخيل وظلّه المثقوبِ . من عدمى سأمشي من جديدِ

نحو الوجود – يقول شاعرهم وقد عادوا – سأترك للبعيدِ

ولزهرة الليمون جِسْرَ الأَزرقِ المكسورِ بالأمطار .مُرُّوا

يا منشدونَ , إذا استطعتم أَن تُعيدوا

للخيول صهيلها , مُرُّوا إِذاً يا منشدونْ

الخيلُ تلهثُ خلف قلبي وهو يقفز من يديَّ إلى السدودْ

ها نحن نحن, فمن يغيِّرنا ؟ نعودُ ولا نعودْ

ونسير فينا...

عندما يأتي نهارٌ واحدٌ لا موتَ فيه

وليلةٌ لا حلمَ فيها , نبلغ الميناءَ محترقين بالوردِ الأَخيرِ

وكأَنهم عادوا ,

لأَن البحر يهبط عن أَصابعهم وعن طرف السريرِ

كانوا يرون بيوتهم خلفَ السحابِ

ويسمعون ثُغاءَ ماعزهم , وكانوا

يتحسَّسون قُرونَ غزلانِ الحكايةِ..

يضرمون النارَ فوق التَّلِّ . كانوا

يتبادلون الهالَ كانوا يعجنونَ فطائرَ العيد السعيدِ

أَتذكرون؟

أَيامَ غربيتنا هناك ؟ ويرقصون على الحقائبِ ساخرينْ

من سيرة المنفى البعيد ومن بلاد سوف يهجرها الحنينْ

هل تذكرون حصارَ قرطاجَ الأَخيرْ؟

هل تذكرون سقوطَ صورْ

وممالكَ الإفرنجِ فوق الساحلِ السوريِّ ، والموتَ الكبيرْ

في نهر دجلةَ عندما فاضَ الرمادُ على المدينةِ والعصورْ؟

((ها نحن عدنا يا صلاح الدين))...

فابحث عن بَنِينْ.

كانوا يعيدون الحكاية من نهايتها إلى زمن الفكاهةْ

قد تدخل المأساةُ في الملهاة يوماً

قد تدخل الملهاةُ في المأساة يوماً..

فيْ نَرْجسِ المأساة كانوا يسخرونْ
من فِضَّة الملهاة , كانوا يسألون ويسألون:
ماذا سنحلم حين نعلم أَن مريمَ امرأة؟
كانوا يشمّون الحشائشَ وهي تفتح في الجدار ربيعَها وجروحَهم
وتعيدهم من كل منفى . لَسْعَةُ القُرَّاصِ تشبهُ لسعةَ الأَفعى
ورائحةُ الحَبَقْ
هي قهوة المنفيّ ...ممشى للعواطف حين تمشي في منازلها...
وصلنا !
صَفَّقُوا لكلابهم , لبيوت عودتهم , لأَجدادِ الحكايةِ , للمحاريث القديمة ,
لاحتكاك البحر بالبصل المُعَلّق فوق أَسلحة قديمةْ
ما كان كانَ ومازحَ الأَزواجُ زوجاتِ الجنازاتِ :
انتهينا من دموع النادباتِ ' الراقصات , الباكياتْ
نروى , إذاً , رَكْضَ القلوبِ مع الخيول إلى هبوب الذكرياتْ
نروي صُمُودَ هِرَقْل في دمه الأَخيرِ وفي جنون الأمهاتْ
ونَكُونُهُ ,
ونكونُ أُوليسَ إذا أَرادَ البحرُ ذلك يا بناتْ
نروي ونروي ' حينما نروي , نداءَ القائد الكُرديِّ
للمتردِّد العربيِّ : هاتْ
سيفاً
وخُذْ مني الصلاةَ على النبيِّ وصَحْبِهِ ونسائِهِ
وخذِ الزكاةْ

...ضحكوا كثيراً : قد يكون السجن أَجمل من بساتين المنافي
ورأوا نوافذهم تطلّ على فُكاهتهم وتُوقد ورْدَها حول الضفافِ
ما كان كانَ , سيقفزون على السلالم ,
يفتحون خزائن الذكرى
وصندوقَ الثيابِ
يُلَمِّعُون مقابضَ الأَبواب أَحياناً,
وأَحياناً يَعُدُّون الخواتمْ
كبُرَتْ أَصابعُهُم مع الأَيام وانتفخت محاجرهم
ولم يجدوا على صَدَأ المرايا والزجاج وجوههم
حسناً ,
ستتسع الحديقةُ عندما يصلون بعد هنيةٍ قبل النشيدْ
وسينظرون وراءهم :
هانحن نحن , فمن سيُرجِعُنا إِلى الصحراءِ؟
سوف نُلَقِّن الأَعداء درساً في الزراعة وانبثاق الماء من حجرٍ..سنزرع فلفلاً في
خوذة الجنديِّ ... نزرعُ حنطةً في كل منحدرٍ لأَنَّ القمح أَكبر من حدود
الإِمبراطورية الحمقاءِ في كل العصورِ سنقتقس عادات موتانا ونغسل فضَّة
الأشجار من صدأ السنينِ...
بلادُنا هي أن تكون بلادَنا
وبلادنا هي أَن نكون بلادَها
هي أن نكونَ نباتَها وطيورَها وجمادَها
وبلادُنا ميلادُنا

أَجدادُنا

أَحفادُنا

أَكبادُنا تمشي على أَو زغبِ القطا ,

وبلادُنا هي أَن نُسيِّج بالبنفسج نارَها ورمادَها

هي أَن تكون بلادَنا

هي أن نكون بلادَها

هي جَنَّةٌ

أَو محنةٌ

سيَّان –

سوف نُعَلِّم الأعداءَ تربيةَ الحمام إذا استطعنا أَن نُعَلِّمهمْ وسوف ننام بعد الظهر

تحت عريشةِ العنبِ الظليلةِ , حولنا قططٌ تنام على رذاذِ الضوءِ

أحصنةٌ تنام على انحناء شرودها . بَقَرٌ ينامُ ويمضغ الأعشابَ . ديكُ لا ينام

لأن في الدنيا دجاجاتٍ وسوف ننامُ بعد الظهرِ تحت عريشةِ العنبِ

الظليلةِ كمْ تعبنا .. كم تعبنا من هواء البحر والصحراءِ –

....كانوا يرجعُونَ

ويحلمون بأَنهم وصلوا

لأَن البحر ينزل عن أَصابعهم وعن أكتاف موتاهم

وكانوا يشهدون , فُجاءَةً : ريحانة البطل المسجّى فوق خطوته الأَخيرةْ :

أَهنا يموت على مسدسه وسُندسِهِ وعَتْبَتِهِ الأخيرةْ؟

أهنا يموت هنا ؟ هنا والآن في شمس الظهيرةْ

والآن , هَزَّت إصبعاه بشارةِ النصر الأخيرةْ

بوَّابةَ البيتِ القديم , وهزَّ أَسوار الجزيرةْ
الآن سدَّدَ آخرَ الخطوات نحو الباب ... واختتم المسيرةْ
برجوع موتانا . ونامَ البحرُ تحت نوافذ الدّور الصغيرةْ
...يا بحرُ ! لم نخطئ كثيراً ..أيها البحرُ القديمْ
لا تُعْطِنا ' يا بحُ ' أَكثر من سِوان ...نحن ندري
أن الضحايا فيك أَكثرُ والمياهْ هي الغيومْ
....كانوا كما كانوا وكانوا يرجعون ويسألون كآبة الأَقدارِ
هل لا بُدَّ من بطلٍ يموت لتكبر الرؤيا وتزداد النجومْ
نجْماً على راياتنا ؟
لم يستطيعوا أن يضيفوا للنهايةِ وردةً
ويغيّروا مجرى الأَساطير القديمة :
فالنشيدُ هو النشيدْ :
لا بُدَّ من بطلٍ يخرُّ على سياجِ النصرِ
في أوج النشيدْ
....يَا أيها البطل الذي فينا .. تَمَهَّلْ !
عِشْ ليلةَ أُخرى لنبلغ آخر العمر المُكلَّلْ
ببداية لم تكتملْ ،
عِشْ ليلةً أُخرى لنكملَ رحلةَ الحُلُم المُضَرِّجْ
يا تاجَ شوكتنا ، ويا شَفَقَ الأساطيرِ المُتَوَّجْ
ببدايةٍ لا تنتهي . يا أيها البطلُ الذي فينا ..تمهَّلْ !
عِشْ ساعةً أُخرى لنبدأ رقصةَ النصرِ المُنَزَّلْ

لم ننتصر , بعدُ ٬ انتظرْ يا أيها البطلُ انتظرْ

فعلامَ ترحلْ

قبل الوصولِ بساعةٍ ؟

يا أيها البطلُ

الذي

فينا

تمهّلْ !

...مازالَ فيهم من منافيهم خريفُ الاعترافْ

ما زال فيهم شارعٌ يفضي ؟إلى المنفى ...

وأَنهارٌ تسير بلا ضفافْ

ما زال فيهم نرجسُ رخوٌ يخاف من الجفافْ

ما زال فيهم ما يغيِّرهم إِذا عادوا ولم يجدوا :

الشقائق ذاتها

وَبَرَ السفرجلة العنيدة ذاتَها

والأقحوانةَ ذاتَها

والأَكيدنيا ذاتَها

وسنابلَ القمح الطويلةَ ذاتَها

والبيلسانةَ الثومِ المجفّف ذاتهَا

والسنديانَةَ ذاتَها

والأَبجديةَ ذاتَها

...كانوا على وشك الهبوط إلى هواءٍ بيوتهم..

من أَيًّ حلم يحلمون ؟

بأيٍّ شيء يدخلون حدائقَ الأَبوابِ

والمنفى هو المنفى

..وكانوا يعرفون طريقَهم حتى نهايته وكانوا يحلمونْ

جاءوا من الغد نحو حاضرهم ... وكانوا يعرفونْ

ما سوف يحدث للأغاني في حناجرهم ... وكانوا يحلمونْ

بقرنفُل المنفى الجديدِ على سياجِ البيت , كانوا يعرفونْ

ما سوف يحدث للصقور ' ويحلمونْ

بصراعِ نرْجِسِهِم مع الفردوس حين يصير منفاهم , وكانوا يعرفونْ

ما سوف يحدث للسنونو حين يْحرقه الربيعُ , ويحلمونْ

بربيع هاجسهم يجيءُ ولا يجيءُ , ويعرفونْ

ما سوف يحدُث حين يأتي الحُلْمُ من حُلُمٍ

ويعرف أنه كان يحلمُ ،

يعرفُون , ويحلمُون , ويرجعُون , ويخلُمون , ويعرفُون ' ويرجِعُون ' ويرجعُون '

ويحلُمون ' ويحلُمون , ويحلمُون , ويرجعُونْ .

الـهـد هـد

الهدهد

لم نَقْتَرِبْ من أرض نجمتنا البعيدة بَعْدُ . تأخذُنا القصيدةْ

من خُرْمِ إِبْرَتِنا لِنَغْزلَ للفضاء عباءَةَ الأُفق الجديدةْ ،

أَسْرى ، ولو قَفَزَتْ سنابلُنا عن الأسوار وانبثق السنونُو

من قَيْدنا المكسورِ ، أسرى ما نحبُّ وما نريدُ وما نكونُ

لكنَّ فينا هُدْهُداً يُملي على زيتونةِ المنفى بريدهْ

عادتْ إلينا من رسائلُنا رسائلُنا ، لنكتب من جديد

ما تكتبُ الأَمطارُ من زَهْرٍ بدائيٍّ على صخر البعيد

ويسافرُ السَّفَرُ - الصدى منَّا إلينا . لم نكن حَبَقاً -

لِنَرْجِعَ في الربيع إلى نوافذنا الصغيرة . لم نكن ورقاً –

لتأخذنا الرياحُ إلى سواحلنا . هنا وهناك خطٌّ واضحٌ

للتيهِ . كم سنةٌ سنرفع للغموض العذب موْتانا مرايا ؟

كم مَرَّةً سنحمِّل الجرحى جبالَ الملح كي نَجِدَ الوصايا ؟

عادة إلينا من رسالتنا رسالَتُنا .هنا وهناك خط واضحٌ –

للظل . كم بحراً سنقطع داخل الصحراء؟ كم لوحاً سنَنْسَى ؟

كم نبياً سوف نَقتُلُ في ظهيرتنا ؟ وكم شعباً سنُشبْه كي نكونَ –

قبيلةً؟ هذا الطريقُ – طريقُنا قَصَبٌ على الكلمات يرفو

طَرَفَ العباءة بين وحْشتنا وبين الأرض إذ تنأى ، وتغفو

في زَعْفَران غُرُوبنا . فَلْنَنْبسَط كَيد لنرفع وقتنا للآلهةْ

أنا هدهد – قال الدليلُ لسيِّد الأشياء – أبحثُ عن أسماء تائهةْ

لم يبق منَّا في البراري غيرُ ما تجد البراري

منا : بقايا الجلْد فوق الشوك ، أغنية المحاربِ للديارِ

وفم الفضاء. أمامنا آثارنا . ووراءنا صدف العبث

أنا هُدْهُدٌ قال - الدليل لنا – وطار مع الأشعَّة والغبارِ

من أين جئنا ؟ يسأل الحكماءُ عن معنى الحكاية والرحيلِ

وأمامنا آثارنا ، ووراءنا الصفصافُ . من أسمائنا نأتي إلى

أسمائنا ونخبيءُ النسيان عن أبنائنا . نَثِبُ الوعولُ من الوعولِ -

على المعابد. والطيُورُ تبيض فوق فكاهة التمثال . لم نسأل لماذا
لم يُولَد الإنسانُ من شَجَرٍ ليرجع ؟ أَنْبَأَتْنَا الكاهناتُ
أنَّ القلوب تُزَان بالميزان في مصر القديمة ، أنبأتنا الكاهناتُ
أن المسلّة تُسْنِدُ الأُفُق المُهَدَّدَ بالسقوط على الزمان . وأَننا
سنُعِيدُ رحلتُنا هناك على الظلام الخارجيِّ . وأَنبأتنا الكاهناتُ
أن الملوكَ قضاتُنا ، وشهودَنا أعداؤُنا . والروحَ يحرسُها الرعاةُ
جسر على نهرين رحلتُنا . ولم نولد لتمحونا وتمّحي الحياةُ
أنا هُدْهُدٌ – قال الدليل - سأهتدي إلى النبع إن جفَّ النباتُ
قلنا له : لسْنا طيوراً . قال : لن تصلوا إليه ، الكُلُّ لَهُ
والكُلُّ فيه ،وَهْوَ في الكُلِّ ، اُبحثوا عنه لكي تجدوهُ فيه ، فَهْوَ فيهِ
قلنا له : لسنا طيوراً كي نطير ،فقال : أجنحتي زماني
والعشق نار العشق، فاحترقوا لتلقوا عنكم جسد المكان
قلنا له : هل عدت من سبإ لتأخذنا إلى سبإ جديدة ؟
عادت إلينا من رسائلنا رسالتُنا ولم ترجع .. ولم ترجعْ
وفي اليونان لم تفهم أرسْطُوفان . لم تجد المدينة في المدينة
لم تجد بَيْتَ الحنان لكي تُدَثِّرنا حريراً من سكينة
لم تدرك المعنى فمسَّكَ هاجسُ الشعراء : (طيري
يا بنتَ ريشي ! يا طيور السهل والوديان ، طيري
طيري سريعاً نحو أَجنحتي وطيري نحو صوتي) .إنَّ فينا
شبقاً إلى الطيران في أشواقنا . والناس طير لا تطيرُ
يا هُدهدَ الكلمات حين تفرِّخُ المعنى وتخطفنا من اللغة الطيورُ

يا آبن التوتّر حين تنفصل الفراشةُ عن عناصرها ويسكنها الشعورُ
ذوِّبْ هنا صلْصالَنا ليشقَّ صورة هذه الأشياء نورُ
حلِّقْ لتَّتضحَ المسافةُ بين ما كنا وما سيكون حاضرُنا الأخيرُ
ننأى ، فندنو من حقيقتنا ومن أسوار غربتنا . وهاجِسُنا العبورُ
نحن الثنائيُّ السماء – الأرضُ ، والأرض – السماءُ . وحول سورٌ وسورٌ
ماذا وراء السور ؟ علم آدَم الأسماءَ كي يتَفتح السر الكبيرُ
والسرُّ رحلتنا إلى السريِّ . إن الناسَ طيرٌ لا تطيرُ
أنا هُدْهُدٌ – قال الدليل – وتَحْتَنا طوفان نوحٍ . بابلُ
أشلاء يابسةٍ . بُخارٌ من نداءات الشعوب على المياه . هياكلُ
ونهايةٌ كبدايةٍ كبدايةٍ لنهايةٍ . حلِّقْ لينسى القاتلُ
قتلاهُ. حلِّقْ فوقنا لينسى الخالقُ المخلوق
والأشياءَ والأسماءَ في أسطورة الخلق الذي نتبادلُ
- هل كنت تعرفُ ؟ - كنتُ أعرف أن بركاناً سيرسم صورةَ
الكون الجديدة . - لم تَقُلْ شيئاً وأَنتَ بريدُ هذي الأرض . - كنتُ أَحاولُ
فيه من الأَشباح ما يكفي ليبحث في المقابر عن حبيبِهْ
.. كانت له أُمٌّ ، وكان له جنوبٌ يستقرُّ على هُبُوبِه
كانت له أسطورةُ الحَدْسِ . المتوج بالمياه .. وفي دروبِهْ
مَلِكٌ وإِمرأَة .. وجيشٌ يحرس الصبواتِ في الجسدين من أحلامنا
ولنا من الصحراء ما يكفي لنُعطيةَ زمام سرابنا وغمامِنَا
ومن الهشاشة ما سيكفي كي نسلّمه منامَ منامِنا
خُذْنَا . لقد هَدَّ اللسانُ فكيف نمتدح الذي طلب المديحْ

ومديحُهُ فيه . وفيه الكلُّ للكلِّ . اعترفنا أننا بشرٌ ، وذُنْبا

في هذه الصحراء حُبّاً . أين نخلتُنا لنعرف في التُمُور قلوبَنا ؟

واللّه أجْمَلُ من طريق اللّه . لكن الذين يسافرونْ

لا يرجعون من الضياع لكي يرجعوا في الضياع . ويعرفونْ

أن الطريق هو الوصول إلى البدايات الطريق المستحيلْ

يا هُدْهدَ الأسرار ، جاهِدْ كي نشاهدَ في الحبيب حبيبَنَا

هي رحلةٌ أَبدية للبحث عن صفة الذي ليست لَهْ

صِفَةٌ . هو الموصوفُ خارجَ وَصْفِنا وصفَاتِهِ . حلِّقْ بنا

لم تَبْقَ مِنَّا غيرُ رحلتنا إليه . إليه نشكو ما نُكابد في الرحيل

دَمُناً نبيذُ شُعوبِهِ فوق الرخام وفوق مائدة الأصيل

(لا أنتَ إلا أنتَ) فاخطِفْنا إليك إذا أذِنْتَ ، ودُلَّنا

يوماً على الأرض السريعة قبل دَوْرَتنا مَعَ العَدَم العميق ، ودُلَّنا

يوماً على شَجِرة ولدنا تحته ، سراً ، ليُخْفيَ ظلَّنا

وعلى الطفولة دُلَّنا . وعلى يمام زافَ أَوَّلَ مرةٍ ليُذلَّنا

يَفَعَ الصغارُ ولم يطيروا مثله . يا ليْتَنَا . يا ليتنا . ولعلَّنا

سنطير في يوم من الأيام .. إنَّ الناسَ طَيْرٌ لا تطيرُ

والأرضُ تكبر حين نجهلُ ، ثم تصغر حين نعرف جهلنا

لكننا أحفادُ هذا الطين ، والشيطان من نار يحاول مثلنا

أن يُدْرِكَ الأسرارَ عن كَثَبٍ ليحرقنا ويحرق عقلنا

والعقل ليس سوى دخان ، فليضعْ ! إنَّ القلوب تدلُّنا

خُذْنَا إذاً يا هُدْهُدَ الأسرار نحو فَنَائنا بِفِنائه . حلِّقْ بنا

واهبطْ بنا .لنودِّعَ الأُمَّ التي انتظرتْ دهوراً خيْلنا
لتموت غبَّ النور أَو تحيا لنيسابورَ أرملةً تُزيِّن ليلنا
هي (لا تريد من الإله – الله إلاّ الله) .. خذْنا
والحبُّ أن لا يُدْرَكَ المحبوبُ .. أرْسَلَ عاشقٌ لفتاته
فَرَسَ الغياب على صدى النايات واختصر الطريق : (أنا هِيَ)
وهي (الأنا) تتسلُّ من يأسٍ إلى أملٍ يعود إليَّ يأسا
لا تنتهي طُرُقي إلى أَبوابها .. طارت أنايَ (فلا أَنا إلاَّ أَنا ..)
لا تنتهي طُرُقي إلى أبوابها .. لا تنتهي طُرُق الشعوبِ –
إلى الينابيع القديمةِ ذاتها . قُلْنا ستكتملُ الشرائعُ –
عندما نجتازُ هذا الأرخبيلَ ونعتقُ الأسرى من الألواحِ –
فلْيَجْلِسْ على إيوانِهِ هذا الفراغُ ليكمل البشريُّ فينا هجرتَهْ

عَمَّنْ تفتِّشُ هذه الناياتُ في الغابات ؟ والغرباء نحنُ
ونحن أَهْلُ المعبد المهجور مهجورون فوق خيولنا البيضاءِ –
ينبت فوقنا قَصَبٌ وتعبر فوقنا شهُب ونبحث عن محطتنا الأخيرةْ
لم تبق أرضٌ لم نعمِّر فوقها منفى لخيمتنا الصغيرةْ
هل نحن جِلْدُ الأرض ؟ عَمَّنْ تبحثُ الكلماتُ فينا
وهي التي عقدَتْ لنا في العالم السفليّ محكمة البصيرةْ
وهي التي بَنَتِ المعابدَ كي تُروِّضَ وحش عزلتها بمزمارٍ وصورةْ
وأمامنا آثارُنا . ووراءنا آثارُنا . وهنا هناك . وأنبأتْنا الكاهناتُ:
الجد يأخُذُ عَرْشَه مَعَهْ إلى القبر المقدَّس ، يأخذُ –
الفتياتِ زوجاتٍ وأسرى الحرب حُرّاساً له . قد أنبأتنا الكاهناتُ

أن الأُلوهةَ توأمُ الإنسان في الهند القديمة. أنبأتنا الكاهناتُ

ما أنبأتنا الكائنات به.. (و أنتَ تكون أيضاً مَنْ هُوَ)

لكننا لم نُعْلِ تينَتَنَا ليشنقنا عليها القادِمُون من الجنوبْ

هل نحن جلدُ الأرض؟ كُنَّا إذ نَعَضُّ الصخْرَ نفتحُ -

حَيِّزاً للفُلِّ.كُنا نحتمي بالله من حُرَّاسه و من الحروبْ

كنا نصدِّقُ ما تعلَّمْنا من الكلمات. كان الشعر يهبطُ -

من فواكِهِ لَيْلنا ، وقيودُ معزنا إلى المرعى على درب الزبيبْ

الفجر أَزرقُ، ناعمٌ، رطبٌ. وكُنَّا حين نحلُمُ نكتفي

بحدود منزلنا : نرى عَسَلا على الخروب، نَجْنِيه.نرى

في النوم أنَّ مُرَبَّعات السمسم اكتنزتْ، فنْنخُلُهَا. نرى

في النوم ما سنراه عند الفجر.كان الحلم منديل الحبيبْ

لكننا لم نُعْلِ تينَتَنَا ليشنقنا عليها القادمون من الجنوبْ

أنا هُدْهدٌ – قال الدليل – وطار منَّا . طارت الكلماتُ –

منا . قبْلَنا الطوفان . لم نَخْلَعْ ثيابَ الأرض عنَّا –

قبْلَنا الطوفانُ . لم نبدأ حروبَ النفس بعدُ . وقبلنا

الطوفانُ. لم نحصدْ شعيرَ سهولنا الصفراء بعدُ

وقبْلَنا الطوفانُ . لم نَصْقُلْ حجارتنا بقَرْنِ الكبش بعدُ

وقبْلَنا الطوفانُ . لم نيأس من التفاح بعدُ

.. ستنجب

الأمُّ الحزينةُ إخوةً من لحمنا لا من جذوع الكستناء ولا

الحديد . ستنجب الأُم الحزينة إخوةً ليعمِّروا منفى

النشيدِ . ستنجب الأُم الحزينة إخوةً كي يسكنوا
سعفَ النخيل إذا أرادوا أو سطوح خيولنا . وستنجب
الأمُّ الحزينةُ إخوة ليتوِّجُوا هابيلَهُمْ ملكاً على عرش الترابْ
لكنَّ رحلتنا إلى النسيان طالت . والحجاب أمامنا غطى الحجابْ
ولَعَلَّ منتصفَ الطريق هو الطريق إلى الطريق من سحابْ
ولعلنا ، يا هُدهدَ الأسرار ، أشباحٌ تفتِّش عن خرابْ
قال: اتركُوا أجسادكم كي تتبعوني واتركوا الأرض - السرابْ
كي تتبعوني . واتركوا أسماءكم . لا تسألوني عن جوابْ
إن الجوابَ هو الطريقُ ولا طريقَ سوى التلاشي في الضبابْ
هل مَسَّكَ (العَطَّارُ) بالأشعار ؟ قلنا . قال : خاطبني وغابْ
في بطن وادي العشق . هل وقف (المعرِّيْ) عند وادي المعرفةْ ؟
قلنا . فقال : طريقُهُ عَبَثٌ . سألنا : وابن سينا .. هل أجابَ
عن السؤال وهل رآكَ ؟ أنا أرَى بالقلب لا بالفلسفةْ
هل أنت صوفيٌّ إذاً ؟
أنا هدهدٌ . أنا لا أريد . (أنا أريدْ
أنا لا أريد) وغاب في أشواقه : عذَّبْتَنَا
يا حبُّ . من سَفَرٍ إلى سَفَرٍ تُسَفِّرنا سدى . عَذَّبتنَا ،
غَرَّبتنا عن أهلنا ، عن مائنا وهوائنا . خَرَّبتنَا . أفرغتَ
ساعات الغروب من الغروب . سلبتنَا كلماتنا الأُولى
نهبْتَ شُجَيْرةَ الدُرَّاق من أيامنا ، وسلبتنا أيامنا . يا
حُبُّ قد عَذَّبتَنا ، ونهبتنَا . غرّبْتنَا عن كُلِّ شيء واحتجبْتَ

وراء أوراق الخريف . نهبتنا يا حب . لم تترك لنا شيئاً
صغيراً كي نُفَتِّش عنكَ وكي نقبِّل ظلّه ، فأترك
لنا في الروح سنبلة تحبُّكَ أَنت . لا تَكْسِر زُجَاجَ
الكون حول نِدائنا . لا تضطربْ . لا تصطخبْ . واهدأْ
قليلاً كي نرى فيك العناصر وهي ترفع عُرْسَها الكُليَّ
نحوك . واقتربْ منا لنُدرك مَرَّةً : هل نستحقُّ
بأن نكون عبيد رَعْشَتِكَ الخفيةِ ؟ لا تبعثر ما
تبقّى من حُطام سمائنا . يا حبُّ قد عذّبتنا ، يا
حب ، يا هِبَةً تُبَدِّدُنا لترشد غيبنا فيهبّ
هذا الغيب ليس لنا وليس لنا مصبُّ النهر،
والدنيا تهبُّ أمامنا ورقاً من السّرْوِ القديم ليُرْشدَ
الأشواق للأشواق . كم عذَّبتنَا يا حُبُ ، كم غيّبْتَنَا
عن ذاتنا ، وسلبتَنَا أسماءنا يا حُبُّ
قال الهدهدُ السكرانُ : طيروا كي تطيروا . نحن عُشَّاقٌ وحَسْبْ
قلنا : تَعِبْنَا من بياض العشق واشتقنا إلى أمّ ويابسةٍ وأَبْ
هل نحن مَنْ كنا وما سنكون ؟ قال: توحَّدوا في كل دربْ
وتبخَّروا تصِلُوا إلى مَنْ ليس تدركه الحواسُّ . وكُلُّ قلبْ
كونٌ من الأسرار . طيروا كي تطيروا . نحن عُشّاقٌ وحسبْ
قلنا ، وقد مِتناً مراراً وانتشيْنَا : نحن عُشَّاقٌ وحسبْ
منفىً هي الأشواقُ . منفَى حُبُّنا . نبيذُنا مَنْفىً . ومنفَى
تاريخُ القلبِ . كم قلنا لرائحةِ المكان : تَحَجّرِي لننام . كم

قلنا لأشجار المكان تجرَّدي من زينَةِ الغزوات كي نجد المكانْ
واللا مكانُ هو المكانُ وقد نأى في الروح عن تاريخهِ
منفىً هِيَ الروحُ التي تنأى بنا عن أرضنا نحو الحبيبْ
منفى هي الأرضُ التي تنأى بنا عن روحنا نحو الغريبْ
لم يَبْقَ سَيْفٌ لم يجد غِمْداً له في لحمنا
والأخوةُ – الأعداءُ منا أسْرَجُوا خَيْلَ العَدُوِّ ليخرجوا العدو ليخرجوا من حُلْمِنا
منفىً هو الماضي : قَطَفْنا خوخَ بهجتنا من الصيف العقيمْ
منفىً هي الأفكارُ : شاهدنا غداً تحت النوافذ فاخترقنا
أسوارَ حاضرنا لنبلغه فأصبح ماضياً في درع جُنْديٍّ قديمْ
والشعرُ منفى حين نَحْلُمُ ثم ننسى حين نصحو أَين كنا
هل نستحقُّ غزالةً ؟ خُذْنا إلى غَدِنا الذي لا ينتهي
يا هُدْهُدَ الأسرارِ ! علِّقْ وقتنا فوق المدى . حلِّقْ بنا
إنَّ الطبيعة كُلَّها روحٌ ، وإن الأرضَ تبدو من هنا
ثدْياً لتلك الرعشة الكبرى ، وخيلُ الريح مركبةٌ لنا
يا طيرُ .. طيري كي تطيري فالطبيعةُ كُلُّها رُوحٌ . ودوري
حول افتتانِك باليدِ الصفراءِ ، شمسِكِ ، كي تذوبي واستديري
بعد احتراقك نَحْوَ تلك الأرض ، أرضِكِ ، كي تنيري
نَفَقَ السؤال الصلْب عن هذا الوجود وحائطِ الزَمَن الصغيرِ
إنَّ الطبيعةَ كلها روحٌ ، وروحٌ رقصةُ الجَسَدِ الأخيرِ
طيري إلى أعلى من الطيران .. أعلى من سمائِك .. كي تطيري
أعلى من الحُبِّ الكبير .. من القَدَاسَةِ .. والألوهةِ .. والشعورِ

وتحرري من كل أجنحة السؤال عن البدايةِ والمصير
الكونُ أَصغرُ من جناح فراشَةٍ في ساحة القلب الكبيرِ
في حَبَّة القمح التقْينَا ، وافترقْنَا في الرغيف وفي المسر
مَنْ نحنُ في هذا النشيدِ لنَسْقُفَ الصحراءَ بالمطر الغزيرِ ؟
مَنْ نحن في هذا النشيدِ لنُعْتِقَ الأحياءَ من أسر القبورِ ؟
طيري بأجنحةِ انخطافِك ، يا طيورُ ، على عواصفَ من حرير
لكِ أن تطيري مثل نشوتنا. يناديكِ الصدى الكونيُّ : طيري
لكِ وَمْضَةُ الرؤيا . سنهبط فوق أنفسنا .. سنرجع إن صَحَوْنا
سنزور وقتاً لم يكن يكفي مَسَرَّتَنا ولا طَقْسَ النُشُور
مَنْ نحن في هذا النشيد لنلتقي بنقيضهِ باباً لسورِ
ما نفُع فِكْرتَنا بلا بَشَرٍ ؟ ونحن الآن من نارٍ ونورٍ ؟
أنا هُدْهُدٌ — قال الدليل — ونحن قلنا : نحن سرْبٌ من طيورِ
ضاقتْ بنا الكلماتُ أو ضقنا بها عطشاً وشرَّدنا الصدى
وإلى متى سنطير ؟ قال الهدهدُ السكرانُ : غايتُنَا المدى
قلنا : وماذا خلْفَه ؟ قال المدى خلفَ المدى خلف المدى
قلنا : تعبنَا . قال : لنا تجدوا صنوبرةً لترتاحُوا . سدى
ما تطلبون من الهبوط ، فحلّقوا لتُحلّقوا . قلنا : غداً
سنطيرُ ثانيةً . فتلك الأرضُ ثديٌ ناضجٌ يمتصُّه هذا الغمامُ
ذهبٌ يَحُكُّ الرعشةَ الزرقاء حول بيوتنا . هل كان فيها —
كلُّ ما فيها ولم نعرفْ ؟ سنرجع حين نرجع كي نراها
بعُيون هُدْهُدِنا وقد مَسّت بصيرتَنا . سلامٌ حولها ولها السلامُ

ولها سريرُ الكون مفروشٌ بقُطن الغَيْمِ والرؤيا . تنامُ
وتنامُ فوق ذراعها المائيِّ سيدةً لصورتها وصورتنا . لها
قَمَرٌ صغيرٌ مثل خادمها يمشّط ظلَّها . ويمرُّ بين قلوبنا
خوفاً من المنفى ومن قَدرِ الخرافة ، ثم يُشعِلُهُ الظلامُ
سهراً لحال النفس قرب المُعجزات . أمِنْ هنا وُلدَ الكلامُ
ليصير هذا الطين إنساناً ؟ عرفناها لننساها وننْسى
سمك الطفولة حول صرتها . أعن بُعدٍ نرى ما لا نَرَى
في القرب ؟ كم كانتْ لنا الأيامُ أحصنةً على وَتَرِ اللغةْ
كم كانتِ الأنهارُ ناياتٍ . ولم نَعْلَمْ . وكم سَجَنَ الرخامُ
مِنّا الملائكةَ ولم نعرفْ . وكم ضَلَّتْ هنا مصرٌ وشامُ
للأرضِ . أرضٌ كان هُدْهُدُنا سجيناً فوقها . في الأرض روحٌ –
شَرَّدَتْها الريحُ خارجها . ولم يترك لنا نوحُ الرسائل كُلَّها
ومشى المسيحُ إلى الجليل فصفَّقَتْ فينا الجروحُ . هنا اليمامُ
كلماتُ موتانا . هنا أطلال بابل شامةٌ في إبْطِ سيرتنا . هنا
جَسَدٌ من التفاح يسبح في المجرَّة . والمياهُ له حزامُ
يسري مع الأبد المجسّد في مدائحنا ، ويرجع نحو ذاتِهْ
أمّاً تُغَطّينا بفَرْوِ حنانها العاري ، وتُخْفي ما فَعَلْنا بالرئة
وبنار وردتها ،وتخفي حرب سيرتنا ، وما صنع الحسامُ
بخريطة الأعشاب حول شواطئ الزغَبِ المقدّس . أُمُّنا هي أمنا
أم الإثنيين والفُرْس القدامى أمُّ أفلاطون زارادشت أفلوطين أم السهرورْدِي
أمُّ الجميع . وكُلُّ طفلٍ سيّد أَمه . ولها البداية والختامُ

وكأنها هِي ما هِي الميلادُ إن شاءتْ ، وإن شاءت هي الموتُ الحرامُ
أطعمتِنا وأكلتِنا يا أمنا كي تُطْعِمي أولادنا يا أمَّنا ، فمتى الفِطامُ ؟
يا عنكبوت الحُبِّ . إن الموتَ قتلٌ . كم نحبُّك كَمْ نحبك فارحمينَا
لا تقتلينا مرةً أُخرى ولا تلدي الأفاعي قرب دِجْلة .. واتُركينا
نسري على الغزلان خصْرك قرب خصْركِ ، والهواءُ هو المقامُ
واستدرجينَا مثلما يُسْتَدْرَجُ الحَجَلُ الشقيُّ إلى الشِباك ، وعانقينَا
هل كنتِ أنتِ قبيل هجرتنا ولم نعرف ؟ يغيرنا الهيامُ
فنصير مثل قصيدة فتحتْ نوافذَهَا ليحملَها ويُكمِلها الحمامُ
معنىً يُعيد النسْغَ للشجر الخفيِّ على ضفاف الروح فينَا
طيري إذاً ، يا طَيْرُ في ساحات هذا القلب طيري
ما نفع فِكْرَتنا بلا بَشَرٍ .. ونحن الآن من طين ونور ؟
- هل كنتَ تعرف أيَّ تاجٍ فوق رأسك ؟ - قَبْرُ أُمِّي
وأَنا أَطيرُ وأَحملُ الأسرار والأَخبار أُمِّي فوق رأسي مهرجانُ
هُوَ هُدْهُدٌ ، وهو الدليل وفيه ما فينا ، يعلِّقه الزمانُ
جرساً على الوديانِ . لكنّ المكان يضيق في الرؤيا وينكسر الزمانُ
ماذا ترى .. ماذا ترى في صورة الظل البعيدةِ ؟
- ظِلٌّ صورته علينا فلْنحلِّق كي نراه ، فلا هُو / إلاّ هُو
(يا قلب .. يا أُمِّي ، ويا أُختي) ويا امرأتي تدفَّقْ كي تراهُ
وله .. لهدْهُدِنَا عُروشُ الماء تحت جَفَافِهِ تَعْلُو ويعلو السنديانُ
للماء لَوْنُ الحَقْل يرفَعُهُ النسيمُ على ظهور الخيل فجْرَا
للماء طعْمُ هَديَّة الإنشاد وهو يَهُبُّ من بستان ذكرى

للماء رائحةُ الحبيب على الرخام تزيدنا عَطَشاً وسُكْراً
للمائ شَكْلُ هُنَيْهَةِ الإشراق حين تَشُقُّنا نِصْفَيْنِ : إنساناً وطيْرَاً
وله .. لِهُدْهُدِنَا خيولُ الماء تحت جفافه تعلو ، ويعلو الصولجانُ
وله .. لِهُدْهُدِنَا زمانٌ كان يحمله ، وكان له لسانُ
وله .. لِهُدْهُدِنَا بلاد كان يحملها رسائلَ للسماوات البعيدةْ
لم يَبْقَ دِينٌ لم يجرِّبْهُ ليمتحن الخليقةَ بالرحيل إلى الإلهْ
لم يَبْقَ حُبٌّ لم يعذبه ليخترق الحبيبَ إلى سواهْ
وهو المسافر دائماً . من أنتَ في هذا النشيد ؟ أنا الدليلُ
وهو المسافر دائماً . من أنتَ في هذا النشيد ؟ أنا الرحيلُ
(يا قلب .. يا أُمي وأختي) تدفقْ كي يراكَ المستحيلُ –
وكي تراه وتأخذني نحو مرآتي الأخيرة . قال هُدهُدُنَا وطارْ
هل نحن ما كنا ؟ على آثارنا شَجَرٌ وفي أسفارنا قَمَرُ جميلُ
ولنا حياةٌ في حياة الآخرين هناك . لكنا أَتيْنَا –
مُكرهينَ إلى سمرقَنْدَ اليتيمِة . ليس في أجدادنا مَلِكٌ نُعيدُهْ
تركتْ لنا الأيام إرْثَ الناي فِي الأَيام .. أقربُهُ بعيدُهْ
ولنا من الأمطار ما لشُجيْرَةِ اللبلاب . نحن الآن ما كنا وعُدْنَا
مُكرهينَ إلى الأساطير التي لم تَتَّسع لوصُولنا ، لم نستطعْ
أن نَحْلبَ الأغنامَ قرب بيوتنا ، ونُرَتِّبَ الأَيام حول نشيدنا
ولنا هناك معابدٌ ، ولنا هنا رَبٌّ يمجده شهيدُهْ
ولنا من الأزهار (مِسْكُ الليل) يُوصِدُهُ نهارٌ لا يريدُهْ
ولنا حياةٌ في حياة الآخرين . لنا هنا قمحٌ وزيتٌ –

نحن لم نقطع من الصفصاف خيْمَتَنَا ، ولم نصنع مِنَ –

الكبريت آلهةً ليعبدها الجنود القادمون . لقد وجدْنا –

كل شيء جاهزاً : أسماءنا مكسورةً في جَرَّةِ –

الفُخَّار .. دَمْعَ نسائنا بُقَعاً من التوت القديم على

الثياب .. بنادقَ الصيد القديمة .. واحتفالاً سابقاً لا نستعيدُهْ

الفَقْر مكتظ بآثار الغياب الآدميِّ . كأنَّنا كُنَّا هنا

وهنا من الأدوات ما يكفي لنصب خيمةً فوق الرياحْ

لا وَشْمَ للطوفان فوق تَجَعُّيد الجَبَل الذي اخضرَّتْ حدودُهْ

لكنَّ فينا أَلفَ شعبٍ مَرَّ ما بينا الأغاني والرماحْ

جئنا لنعْلَم أننا جئنا لنرجعَ من غياب لا نريدُهْ

ولنا حياةٌ لم نُجَرِّبْها ، وملحٌ لم يخلِّدنا خلودُهُ

ولنا خطى لم يَخْطُها قبلنا أَحَدٌ .. فطيرِي

طيري ، إذاً ، يا طيرُ في ساحات القلب طيري

وتجمعِي من حول هُدْهُدِنَا ، وطيري .. كي .. تطيري!

و ر د   أ ق ـ ل



تــا ريــخ الــنـشر 1986

عـد د الـقـصـا ئــد 49

سـأقـطـع هـذ ا الـطـريـق

سأقطع هذا الطريق

أقْطعُ هذا الطَّريق الطويل، وهذا الطريقَ الطويلَ، إلى آخِرهْ
إلى آخر القلب أقطعُ هذا الطريقَ الطويلَ الطويلَ الطويلْ ...
فما عدتُ أخسرُ غير الغُبار وما مات مني ، وصفُّ النخيلْ
يدُلُّ على ما يغيبُ . سأعبرُ صفّ التخيل . أيحتاج جُرْحٌ إلى شاعرهْ
ليرسُم رمانةً للغُياب؟ سأبْني لكم فوق سقف الصَّهيلْ
ثلاثين نافذة للكناية ، فلتخرُجُوا من رحيلٍ لكيْ تدخُلُوا في رحيلْ

تضيقُ بنا الأرضُ أو لا تضيقُ. سنقطعُ هذا الطَّريق الطويلْ
إلى آخر القوْس. فلتتوتَّرْ خطانا سهاماً. أكنا هنا منذ وقتٍ قليلْ
وعما قليل سنَبلغُ سهم البداية؟ دَارت بِنَا الرِّيحُ دارتْ ، فَمَاذا تقُولْ؟
أقول: سأقطعُ هذا الطَّريق الطَّويل إلى آخرِي.. وإلى آخِرهْ

ومـازال فـي الـدرب درب

ومازال في الدرب درب

وَمَا زال فِي الدَّرب دربٌ. وما زال في الدرب مُتّسعٌ للرَّحيلْ
سنَرمي كثيراً من الورد في النَّهْرِ كي نَقطَعَ النَّهر. لا أَرْملهْ
تحبُّ الرجُوع إلينا. لنذهبْ هناك.. هناك شمالُ الصهيلْ
أَلمْ تنس شيئاً بسيطاً يليقُ بميلادِ فكرتنا المُقْبلَهْ؟
تكلَّم عن الأمس، يَا صاحبي، كيْ أرى صُورتي في الهديلْ
وأُمسكَ طوقَ اليمَامةِ، أو أجدَ الناايَ في تينةٍ مُهْملَهْ

حَنيني يئنُّ إلى أي شيء ، حَنيني يُصوّبني قاتلاً أو قتيلْ
وما زال ﭬ الدَّرْب دربٌ لِنَمشي ونمشي. إلَى أين تأخُذُني الأسئلة؟
أَنا مِنْ هُنَا ، وأَنا مِنْ هُناكَ . ولَسْتُ هُنَاكَ ولْستُ هُنَا
سَأرْمي كثيراً منَ الورد قبْل الوُصُولِ إلى وردةٍ ﭬ الجَليلْ

اذا كان لي أن أعيد البداية

اذا كان لي أن أعيد البداية

إذَا كان لي أَنْ أُعيدَ البدايَة أَختارُ ما اخْتَرْتُ: وَرْدَ السّياج

أسَافِرُ ثانية ﭬ الدَّرُوب التي قد تُؤدِّي وقد لا تُؤدِّي إلى قُرْطَبَهْ

أعلّقُ ظلّي على صَخْرتَيْن لتَبْني الطُّيُورُ الشَّريدةُ عُشاً علَى غُصْنِ ظِلِّي

وأُكسرُ ظلّي لأَتْبَعَ رائحَةَ اللَّوْز وهي تَطيرُ على غَيْمةٍ مُتْربهْ

وَأَتعبُ عنْدَ السُّفوحِ: تعالوا إِليّ اسْمَعُوني. كُلُوا مِنْ رَغيفي

اشْربُوا من نَبيذي ، ولا تَتْرُكُوني عَلَى شارِع العُمر وَحْدي

كَصَفَصْافةٍ مُتْعبهْ

أُحبُّ البلاَدَ التي لَمْ يَطَأها نَشيدُ الرَّحيل ولمْ تمَتَثِلْ لدمٍ وامْرأهْ

أَحبُّ النِّساءَ اللَّواتي يُخبّئن فِي الشَّهَوَات انْتحار الخُيُول عَلَى عتبهْ

أَعُودُ ، إذَا كَانَ لي أَنْ أَعُودَ ، إلى وَرْدَتي نَفْسها وإِلَى خطوتي نَفْسها

وَلَكنني لاَ أَعُودُ إلى قُرْطُبهْ....

على هذه الأرض

على هذه الأرض

عَلَى هَذِهِ الأَرضَ مَا يَسْتَحِقُّ الحَياةْ : تَرَدُّدُ إبريلَ . رَائِحَةُ الخُبْزِ فِي الفجْرِ ، آراءُ
امْرأَةٍ فِي الرِّجالِ ، كِتَابَاتُ أَسْخِيْليوس ، أَوَّلُ الحُبِّ ، عشبٌ
عَلَى حجرٍ ، أُمَّهاتٌ تَقِفْنَ عَلَى خيْطِ نايٍ . وخوفُ الغُزَاةِ مِنَ الذِّكْرَيَاتْ
عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ : نِهَايَةُ أَيلُولَ ، سَيِّدَةٌ تترُكُ الأَرْبَعِينَ بِكَامِلِ
مشْمِشِهَا . ساعَةُ الشَّمْسِ فِي السَّجْنِ ، غَيْمٌ يُقَلِّدُ سِرْباً مِنَ
الكَائِنَاتِ ، هُتَافَاتُ شَعْبٍ لِمَنْ يَصعَدُونَ إلىَ حَتْفِهِمْ بَاسِمِينَ . وَخَوْفُ
الطُّغَاةِ مِنَ الأَغْنِيَاتْ
عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ : عَلَى هَذِهِ الأرضِ سَيَّدَةُ الأُرْضِ ، أُمُّ
البِدَايَاتِ أُمَّ النِّهَايَاتِ كَانَتْ تُسَمَّى
فلسْطِين . سَيِّدَتِي ، أَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ

أنا من هناك

أنــا مـن هـنـاك

أَنَاَ منْ هُنَاكَ. ولي ذِكْريات . وُلِدْتُ كما تُولَدُ النَّاس. لِي وَالدَهْ
وبيتٌ كثير النَّوافذ. لي إِخْوةٌ. أصدقاءُ. وَسجْنٌ بنَافذَةٍ بَاردَهْ
وَلي مَوْجَةٌ خَطَفتْهَا النَّوارس. لي مَشْهَدي الخاصُّ. لي عُشْبَةٌ زَائِدَهْ

وَلي قَمَرٌ فِي أقاصِي الكَلاَم، ورزْقُ الطُّيُور، وَزَيتونَةٌ خَالِدَهْ
مَرَرْتُ على الأَرْض قَبْلَ مُرُور السُّيُوفِ على جَسدٍ حوّلُوه إلى مَائِدهْ
أَنَا مِنْ هُناك. أُعيدُ السَّمَاءَ إلى أُمِّها حينَ تبكي السَّمَاءُ على أمّهَا ،
وَأَبْكي لتَعْرفَني غَيمَةٌ عَائِدهْ
تَعَلّمْتُ كُلَّ كلام يَليقُ بمَحكَمَةِ الدَّم كَيْ أُكْسِرَ القَاعِدهْ
تَعَلّمتُ كُلَّ الكَلاَم، وَفَكّكْتُهُ كَيْ أُرَكّب مُفْرَدَةً وَاحِدَهْ

هِيَ: الوَطَنُ....

عناوين للروح خارج هذا المكان

عناوين للروح خارج هذا المكان

عَنَاوينُ لِلرُّوح خَارجَ هذا المَكَان. أُحِبُّ السَّفَرْ
إلى قرْيَةٍ لَمْ تُعلّقْ مَسَائي الأَخيرَ علَى سروِهَا. وأُحِبُّ الشَّجَرْ
على سَطْح بَيْتٍ رآنا نُعَذّب عُصْفُورَتَيْن، رآنا نُرَبِّي الحَصَى

أَمَا كَانَ فِي وسْعنا أَنْ نُرَبِّي أَيَّامنَا
لتَنْمُو عَلَى مَهلٍ فِي اتِّجَاهِ النَّباتِ؟ أُحبُّ سُقُوط المَطَرْ
عَلَى سَيِّدَاتِ المُرُوج البَعيدَةِ. مَاءٌ يُضيءُ. وَرَائحةٌ صَلْبَةٌ كَالحَجَرْ
أَمَا كَانَ فِي وسْعنا أن نغافل أَعْمَارَنَا ،
وَأَنْ نَتَطلَّعَ أَكْثَرَ نَحو السَّمَاءِ الأخِيرَةِ قَبْلَ أَفُولِ القَمَرْ؟
عَنَاوينُ لِلرُّوحِ خارج هَذَا المَكَانِ. أُحِبُّ الرَّحيلْ
إلَى أَيِّ ريحٍ .. وَلَكنَّني لا أُحِبُّ الوُصُولْ.

تضيق بنا الأرض

تَضيقُ بِنَا الأَرْضُ تَحْشُرُنَا ﬁ المَمَرِّ الأخير , فَنَخْلعُ أَعْضَاءَنَا كَيْ نَمُرَّ وتَعْصُرُنَا
الأَرْضُ . يَا لَيْتَنَا قَمْحُها كَيْ نَمُوتَ وَنَحْيَا . وَيَا لَيْتَهَا أُمُّنَا
لِتَرْحَمَنَا أُمُّنَا .لَيْتَنَا صُوَرٌ لِلصُّخُورِ التي سَوْفَ يَحْمِلُهَا حُلْمُنَا
مَرَايَا . رَأَيْنَا وُجُوهَ الذينَ سَيَقْتُلُهمْ ﬁ الدِّفَاع الأخير عَن الرُّوحِ آخِرُنَا
بَكَيْنَا عَلَى عيدِ أَطْفَالِهم وَرَأَيْنَا وُجُوهَ الذينَ سَيَرْمُونَ أَطْفَالَنَا
مِنْ نَوَافِذِ هذَا الفَضَاءِ الأَخِيرِ. مَرَايَا سَيَصقُلُهَا نَجْمُنَا
إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ الحُدُودِ الأَخيرَة ؟ أَيْنَ تَطيرُ العَصَافيرُ بَعْدَ السَّمَاءِ
الأَخِيرةِ أَيْنَ تَنَامُ النَّباتَاتُ بَعْدَ الهَوَاءِ الأَخِيرِ؟ سَنَكْتُبُ أَسْمَاءنَا بِالبُخَارِ
المُلَوَّنِ بِالقُرْمُزِيِّ سنَقْطَعُ كَفَّ النَّشِيدِ لِيُكْمِلَهُ لَحْمُنَا
هُنَا سَنَمْوتُ هُنَا ﬁ المَمَرِّ الأخيرِ هُنَا أَو هُنَا سَوْفَ يَغرِسُ زَيْتُونَهُ.دَمُنَا.

نـسيـر الــى بــلــد

نسير الى بلد

نَسِيرُ إلَى بَلَدٍ لَيْس مِنْ لَحْمنَا ، لَيْسَ مِنْ عَظْمِنَا شَجَرْ الكسْتَنَا
وَ لَيْسَتْ حِجَارتُهُ مَاعِزاً فِي نَشِيد الجِبَالِ ، وَ لَيْسَتْ عُيُونُ الحَصَى سَوْسَنَا
نَسيرُ إلى بَلَدٍ لا يُعلّقُ شَمْساً خُصُوصِيَّةً فَوْقَنَا
تُصَفِّقُ مِنْ أَجْلنَا سَيِّداتُ الأَسَاطِيرِ : بَحْرٌ عَلَيْنا و بَحْرٌ لَنَا
إذَا انْقَطَع القَمْحُ و الماءُ عَنْكُم ، كُلُوا حبّنا و اشْرَبُوا دَمْعَنَا
مَنَادِيلُ سَوْدَاءُ للشُّعَرَاء ، وَ صَفّ تماثيل مِنْ مَرْمَرٍ سَوْفَ تَرفَعُ أَصْواتنَا
وَ جُرنٌ ليَحْمِيَ أَرْوَاحَنَا مِنْ غُبَارِ الزَّمَان .. وَ وَردٌ عَلَيْنَا ، وَ وَرْدٌ لَنَا
لَكُمْ مَجْدُكُمْ وَ لَنا مَجْدُنَا
آهٍ مِنْ بَلَدٍ لا نَرَى منْهُ إلاّ الذي لا يُرَى : سِرّنَا
لَنَا المَجْدُ .. عَرْشٌ على أَرْجُلٍ قَطَّعتها الدُّرُوبُ التي أَوْصَلَتْنَا إلى كُلّ بيْتٍ سوى بَيْتِنا !
على الرُّوح أَنْ تَجدَ الرَّوح فِي رُوحها أَوْ تَمُوتَ هُنَا....

نسافر كالناس

نسافر كالناس

نُسافِرُ كَالنَّاسِ، لَكنَّنا لاَ نَعُودُ إِلَى أي شيْءٍ... كَأَنَّ السَّفَرْ
طريقُ الغُيُومِ، دَفَنَّا أَحِبتَّنَا فِي ظِلاَل الغُيُوم وَبَيْنَ جُذُوع الشَّجَرْ
وقُلْنَا لِزوْجَاتِنَا : لِدْنَ مِنَّا مَئَات السِّنِين لِنُكمل هَذَا الرَّحِيلْ
إلى سَاعَةٍ مِنْ بِلادٍ وَمتْرٍ من المُسْتَحيلْ
نُسَافِرُ فِي عَرَبَات المَزَامير نَرْقُدُ فِي خَيمْةِ الأَنْبِيَاءِ ونَخْرُجُ مِنْ كَلِمَاتِ الغَجَرْ
نَقيسُ الفَضَاء بِمِنْقَار هُدْهُدَةٍ أو نُغَنِّي لنُلْهي المَسَافَةَ عَنَّا وَنَغْسل ضوءَ القَمَرْ
طَويلٌ طَرِيقُك فَاحْلُمْ بِسَبْع نسَاءٍ لتَحْمِل هَذَا الطَّرِيقَ الطَّوِيلْ
عَلَى كَتِفَيْكَ وَهُزَّ لَهُنَّ النَّخِيلَ لِتَعْرف أَسْمَاءَهُنَّ وَمِنْ أَيِّ أُمٍّ سَيُولَدُ طِفْلُ الجليلْ
لَنَا بَلَدٌ من كَلاَم تَكَلَّمْ تَكَلَّمْ لأُسْنِد دَرْبي عَلَى حَجَرٍ مِنْ حَجَرْ
لَنَا بَلَدٌ مِنْ كَلاَم تَكَلَّمْ لِنَعْرفَ حَدّاً لِهذَا السَّفَرْ!

مطار أثينا

مطار أثينا

مَطَارُ أَثِينَا يُوزِّعُنَا لِلْمَطارَات. قَالَ المُقَاتِلُ: أَيْنَ أُقَاتِلُ؟ صَاحَتْ بِهِ حَامِلٌ: أَيْنَ أُهْدِيكَ طِفلَكَ؟ قَالَ المُوَظَّفُ: أَيْنَ أُوظِّفُ مَالي؟ فقَالَ المُثَقَّفُ: مَالي وَمَالك؟ قَالَ رِجَالُ الجمَارِك: مِنْ أَيْنَ جِئْتُم؟
أَجبْنَا: مِنَ البَحْرِ. قالُوا: إلى أَيْنَ تَمْضُون؟ قُلْنَا: إلى البَحْرِ. قالُوا: وأَيْنَ عَنَاوِينُكُم؟
قَالَت امْرَأَةٌ مِنْ جَمَاعَتنا: بُقجَتي قَرْيتي. في مَطَارِ أَثِينَا انْتَظَرْنَا سِنينا. تَزَوَّج شابٌ فَتَاةً وَلَمْ يَجدا غُرْفَةً لِلزَّوَاج السَّريع تَسَاءَلَ: أَيْنَ أَفُضُّ بكارتَهَا؟ فَضَحِكنَا وَقُلْنَا لَهُ: يَا فَتىً، لامَكَان لهَذَا السُّؤال. وَقَال المُحلِّل فينَا: يَمُوتُون من أَجْلِ ألا يَمُوتُوا. يَمُوتُونَ سَهْواً. وقال الأَديبُ: مُخَيَّمُنَا سَاقِطٌ لاَمحَالَة. مَاذَا يُريدُون مِنَّا؟ وَكَانَ مَطَارُ أَثينَا يُغَيِّرُ سُكَّانَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَنَحْنُ بَقَيْنَا مَقَاعِد فَوْقَ المَقَاعد نَنْتَظرُ البَحْرَ، كَمْ سنةً يَا مَطَارَ أَثِينَا!

أقول كلاماً كثيرا

أَقُولُ كَلاَماً كَثيراً عَنِ الفَارِقِ الهَشِّ بَيْنَ النِّسَاء وَبَيْن الشجَرْ،
وَعَنْ فِتْنَةِ الأَرْضِ .. عَنْ بَلَدٍ لَمْ أَجِدْ خَتْمَهُ فِي جَوازِ السَّفَرْ
وَأَسْأَلُ : يا سَيِّداتِي وَيَا سادَتي الّطيِّبِينَ
أَأَرْضُ البَشَرْ/ لِجَميعِ البَشَرْ
كَمَا تَدَّعُون ؟
إذاً أَيْنَ كُوخِي الصَّغَيرُ وأَيْنَ أَنَا ؟
فَتُصَفِّقُ لي قَاعَةُ المُؤتَمَرْ
ثَلاَثَ دَقَائِقَ أُخْرَي ,ثَلاَثَ دَقَائِقَ حُرِّيَّةً واعْتِرَافاً
فَقَدْ وَافَق المُؤتَمَرْ
عَلَي حَقِّنَا فِي الرُّجُوعِ كَكُلِّ الدِّجَاجِ وَكُلِّ الخُيُولِ
إلَي حُلُمٍ مِنْ حَجَرْ
أَصَافِحُهمْ وَاحِداً وَاحِداً ,ثُمَّ أَحْني لَهُمْ قَامَتِي ...وَأُوَاصِلِ هَذَا السَّفَرْ
إلَي بَلَدٍ آخَرٍ ,كَيْ أَقُول كَلاَماً عَنِ الفَرْقِ بَيْن السَّرَابِ وَبَيْن المَطَرْ
وَأَسْأَلُ يَا سَيِّدَاتِي وَيَا سَادَتِي الّطَّيِبِينَ:
أَأَرْضُ البَشَرْ لِكُلِّ البَشَرْ؟

يحق لنا أن نحب الخريف

نَحْنُ، يَحِقُّ لَنَا أَنْ نُحِبَّ نِهَايَاتِ هَذَا الخَرِيف، وَأَنْ نَسْأَلَهْ وَ
أَفِي الحَقْلِ مُتَّسَعٌ لِخَرِيفٍ جَدِيدٍ، وَنَحْنُ نُمَدِّدُ أَجْسَادَنَا فِيه فَحْما ؟
خَرِيفٌ يُنَكِّسُ أَوْرَاقَهُ ذَهَباً. لَيْتَنَا وَرَقُ التِّين، يَا لَيْتَنَا عُشْبَةٌ مُهْمَلَهْ
لِنَشْهَدَ مَا الفَرْقُ بَيْنَ الفُصُول. وَيَا لَيْتَنَا لَمْ نُوَدِّعْ جَنُوبَ العُيُونِ لنَسْأَل عَمَّا
تَسَاءل آبَاؤنَا حِين طَارُوا عَلَى قِمَّةِ الرُّمْحِ. يَرْحَمُنَا الشِّعْرُ و البَسْمَلَهْ
وَنَحْنُ يَحقُّ لَنَا أَنْ نُجَفِّف لَيْلَ النِّساءِ الجَميلاَت، أَنْ نَتَحَدَّث عَمَّا
يُقَصِّر لَيْلَ غَرِيبين يَنْتَظِرَانِ وُصُول الشَّمال إلى البَوْصَلَهْ
خَرِيفٌ. وَنَحْنُ يَحقُّ لَنَا أَنْ نَشُمَّ رَوَائِحَ هَذَا الخَرِيف، وَأَنْ نَسْأَلَ اللَّيْلَ حُلْما
أَيَمْرضُ حُلْمٌ كَمَا يَمْرضُ الحَالِمُون ؟ خَرِيفٌ خَرِيفٌ. أَيُولَدُ شَعْبٌ على مِقْصلَهْ
يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَمُوتَ كَما نَشْتَهِي أَنْ نَمُوت، لِتَخْتَبِئ الأَرْضُ في سُنْبُلَهْ

القطار الأخير توقف

القِطَارُ الأَخِيرُ تَوَقَّفَ عِنْدَ الرَّصِيفِ الأَخِيرِ وَمَا مِنْ أَحَدْ
يُنْقِذُ الوَرْدَ . مَا مَنْ حَمَامٍ يَحُطُّ عَلَى امْرأَةٍ مِنْ كَلاَمْ
وَانْتَهَى الوَقْتُ لا تَسْتَطِيعُ القَصِيدَةُ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَطَاع الزَّبَدْ
لا تُصَدِّقْ قِطَاراتنَا - أيها الحُبُّ - لا تَنْتِظرْ أَحَداً فِي الزّحامْ
القِطَارُ الأَخَيرُ توقف عنْد الرَّصيف الأَخِير ، وَمَا منْ أحَدْ
يَسْتَطيعُ الرُّجُوع إلَى مَا تَرَاجع مِنْ نَرْجسٍ في مَرَايا الظَّلامْ
أَيْنَ أَتْرُكُ وَصفي الأَخيرَ لِمَا حلّ بي مِنْ جَسَدْ؟
وَانْتَهَى مَا انْتهَى أَيْنَ مَا ينتهي ؟ أَيْنَ أُفْرغُ ما حَلَّ بي منْ بَلَدْ؟
لاَ تُصَدِّقْ قِطَارَاتَنا - أَيُّها الحُبُّ - طَارَ الحَمَامُ الأَخِيرُ وَطَارَ الحَمَامْ
وَالقِطَارُ الأَخيرُ تَوَقَّفَ عِنْد الرَّصيف الأَخير..وَمَا مِنْ أَحَدْ

نــا مـو ا

على السفح , أعلى من البحر , ناموا

عَلَى السَّفْحِ , أَعْلَى مِنَ البَحْرِ ، أَعْلَى مِنَ السَّروِ ، نَامُوا
لَقَدْ أَفْرَغَتْهُمْ سَمَاءُ الحَدِيدِ مِنَ الذِّكْرَيَاتِ . وَطَارَ الحمَامُ
إِلَى جِهَةٍ حَدَّدَتْهَا أَصَابِعُهُمْ شَرْقَ أَشْلاَئِهِم
أَمَا كَانَ مِنْ حَقِّهِم أَنْ يَرُشُّوا عَلَى قَمَرِ المَاءِ رِيْحَانَ أَسْمَائِهِمْ
وَأَنْ يَزْرَعُوا فِي الخَنَادِقِ نَارِنْجَةً كَيْ يَقِلَّ الظَّلاَمُ؟
يَنَامُونَ أَبْعَدَ مِمَّا يَضِيقُ المَدَى فَوْقَ سَفْحٍ تَحَجَّرَ فيهِ الكَلاَمُ
يَنَامُونَ فِي حَجَرٍ صُكَّ مِنْ عَظْمِ عَنْقَائِهِمْ..
وَفِينَا مِنَ القَلْبِ مَا يَسْتَطِعُ الوُصُولَ قَرِيباً إِلَى عِيدِ أَشْيَائِهِم
وَفِينَا مِنَ القَلْبِ مَا يَسْتَطِيعُ انْتِشَالَ الفَضَاءِ لِيَرْجِعَ هَذَا الحَمَامُ
إِلَى أَوَّلِ الأَرْضِ ..يَا أَيُّها النَّائِمُونَ عَلَى آخِرِ الأَرْضِ فينَا ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ..سَلاَمُ

يـعـانـق قـاتـلـه

يعانق قاتله

**يُعَانِقُ قَاتِلَهُ كَيْ يَفُوزَ بِرَحْمَتِه : هَلْ سَتَغَضَبُ مِنِّي كَثِيراً إذا مَا نَجَوْتُ؟
أُخِي... يَا أَخِي ! مَا صَنَعْتُ لِتَغْتَالَنِي؟ ..فَوْقَنَا طَائِرانِ فَصَوِّبْ إلَى فَوْق ! أَطْلِقْ
جَحِيمَك أَبْعَدَ مِنِّي...تعالَ إلَى كُوخِ أُمِّي لِتَطْبُخَ مِنْ أَجْلِكَ الفُولَ . مَاذَا تَقُولُ؟
وَمَاذَا تَقُول؟مَلَلْتَ عِنَاقِي وَرَائِحَتِي هَلْ تَعِبْتَ مِنَ الخَوْفِ فِيَّ ؟إذَنْ ' إِرْمِ هَذَا
المُسَدَّسَ في النَّهْرِ !مَاذَا تَقُول؟..عَدُوٌّ عَلَى
ضِفَّةِ النَّهْرِ صَوَّبَ رَشَّاشَهُ في اتِّجَاهِ العناقِ؟إذَنْ أَطْلِقِ النَّارَ نَحْوَ العَدُوّ لِنَنْجُو معاً
مِنْ رَصَاصِ العَدُوِّ . وَتَنْجُو مِنَ الإِثْمِ مَاذَا تَقُول ؟ سَتَقْتُلُنِي كَيْ يَعُودَ العَدُوُّ إلىَ
بَيْتِهِ / بَيْتِنا وَتَعُودَ إِلَى لُعْبَةِ الكَهْفِ ' مَاذَا صَنَعْتَ بِقَهْوَةِ أُمِّي
وَأُمِّكَ؟ ماذَا جَنَيْتُ لِتَغْتَالَنِي يَا أَخِي .لَنْ أَحُلَّ وِ ثَاقَ العِنَاقِ
ولَنْ أَتْرُكَكْ!**

تـخـالـفـنـا الـريـح

تخالفنا الريح

تُخَالِفُنَا الرَّيحُ , ريحُ الجَنُوبِ تُحَالِفُ أَعْدَاءَنَا . وَالمَمرُّ
يَضِيقُ. فَنَرْفَعُ شَارَاتِ نَصْرٍ أَمَامَ الظَّلاَمِ لعلَّ الظلامَ يُضِيءُ..وَنَسْرُو
عَلَى شَجَرِ الحلْمِ . يَا آخِرَ الأَرْضِ – يَا حُلْمَنَا الصَّعْبَ!
هَلْ تَسْتَمِرُّ؟ وَنَكْتُبُ فِي المَرَّةِ الأَلْفِ فَوْقَ الهَوَاءِ الأَخِيرِ: نَمُوتُ , وَلَكِنَّهُم لَنْ يَمُرُّوا
وَنَتْبَعُ أَصْوَاتَنَا كَيْ قَمَراً بَيْنَهَا, وَنُغَنِّي لِيَجْفُلَ صَخْر
وَنَحْفرُ أَجْسَادَنَا بالحَديدِ...لِيبْزُغَ نَهْرُ
تُخَالِفُنَا الرِّيح , ريحُ الشَّمَالِ تُحَالِفُ ريحَ الجَنُوبِ وَنَصْرُخ :أَيْنَ المَقَرُّ؟
وَنَطْلُبُ مِنْ سيِّدَاتِ الخُرَافَاتِ أَهْلاً يُحِبُّونَنَا مَيِّتِين , فَيَسْقُطُ نَسْرُ عَلَيْنَا. وَنَتْبَعُ
أَحْلاَمَنَا كَيْ نَرَاهَا , وَتَتْبَعُنَا كَيْ تَرَانَا هُنَا.لاَ مَفَرُّ
وَنَحْنُ نُوَاصِلُ مَا يُشْبِهُ المَوْتَ نَحْيَا . وَهَذَا الَّذِي يُشْبِهُ المَوْتَ نَصْرُ !

صهـيـل عـلـى الـسـفـح

صهيل على السفح

صَهِيلُ الخُيُولِ عَلَى السَّفْحِ : إِمَّا الهُبُوطُ وَإِمَّا الصُّعُودُ
أُعِدُّ لِسَيِّدَتِي صُورَتِي , عَلِّقِيهَا إِذَا مُتُّ فَوْقَ الجِدَارْ
تَقُول : وَهَلْ مِنْ جِدَارٍ لَهَا؟ قُلْتُ : نَبْنِي لَهَا غُرْفَةً – أَيْنَ..فِي أَيِّ دَارْ؟
صَهِيلُ الخُيُولِ عَلَى السَّفْح: إِمَّا الهُبُوطُ ، وَإِمَّا الصُّعُودُ
أَتحْتَاجُ سَيِّدَةٌ فِي الثَّلاثِينَ أَرْضاً لِتَجْمَعَ صُورَةَ فَارِسهَا فِي إِطَارْ؟
وَهَلْ أَسْتَطِيعُ الوُصُولَ إِلىَ قِمَّةِ الجبَلِ الصَّعْبِ؟وَالسَّفْحُ هَاوِيَةٌ أَوْ حِصَارْ
وَمُنْتَصَفُ الدَّرْبِ مُفْتَرقٌ..آهِ مِنْ رِحْلَةٍ كَانَ يَقْتُلُ فِيهَا الشَّهِيدَ الشَّهِيدُ !
أُعِدُّ لِسَيِّدتِي صُورَتي.مَزِّقِي صُورَتي حِينَ يَصْهَلُ فِيكِ حِصَانٌ جَديدُ
صَهِيلُ الخُيُولِ عَلَى السَّفْحِ : إِمَّا الصُّعُودُ...وَإِمَّا الصُّعُودُ

سيـأتــي بــرابــرة آخـرون

سيأتي برابرة آخرون

سَيَأتِي بَرَابِرَةٌ آخَرُون . سَتُخْطَفُ امرأة الإِمْبرَاطُور .سَوْفَ تُدَقُّ الطُّبُولْ تُدَقُّ
الطُّبُولُ لِتَعْلُو الخُيُولُ عَلَى جُثَثِ النَّاسِ مِنْ بَحْ إِيجَا إِلىَ الدَّرْدَنِيلْ
فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ ؟ مَا شَأْنُ زَوْجَاتِنَا بِسِبَاقِ الخُيُولْ؟
سَتُخْطَفَ امرأة الإِمْبرَاطُور .سَوْفَ تدقُّ الطُّبُول . وَيَأتِي بَرَابِرَةٌ آخَرُونْ
بَرَابِرَةٌ يَمْلأُونَ فَرَاغَ المَدَائِن , أَعْلَى قليلاً مِنَ البَحْرِ ' أَقْوَى مِنَ السَّيْفِ وَقْتَ الجُنُونْ
فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ ؟ مَا شَأْنُ أَوْلاَدِنَا بِسُلاَلَةِ هَذَا المَجُونْ؟
وَسَوْفَ تدقُّ الطُّبُول . وَيَأَتِي بَرَابِرَةٌ آخَرُون .وَتُخْطَفُ امرأة الإمبراطُورِ مِنْ بَيْتِه
وَمِنْ بَيْتِه تُولَدُ الحَمْلَةُ العَسْكَرِيَّةُ حَتَّى تُعِيدَ عَرُوسَ الفِرَاشِ إِلَى تَخْتِهِ
فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ؟ مَا شَأْنُ خُمْسِينَ أَلفَ قَتِيلٍ بِهَذَا الزَّوَاجِ السَّرِيعْ؟
أَيُولَدُ ((هُومِير))مِنْ بَعْدِنَا..وَالأَسَاطِيرُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا لِلْجَمِيعْ؟

يـحبُـونـي مـيـتـاً

يحبُونني ميتاً

يُحبُّونَني مَيِّتاً لِيَقُولُوا : لَقَدْ كَان مِنَّا , وَكَانَ لَنَا
سَمِعْتُ الخُطَى ذَاتَهَا , مُنْذُ عِشرينَ عَاماً تدقُّ عَلَى حَائِطِ اللَّيْلِ

تَأتِي وَلاَ تَفتَحُ البَابَ
لَكِنَّهَا تَدْخُلُ الآن
يَخْرُجُ مِنْهَا الثَّلاَثَةُ : شَاعِرٌ , قَاتِلٌ , قَارئٌ
أَلاَ تَشْرَبُونَ نَبِيذاً ؟ سَأَلْتُ , سَنَشْرَبُ
قَاُلوا . مَتَى تُطْلِقُونَ الرَّصاصَ عَلَيَّ ؟ سَأَلْتُ
أجابوا : تَمَهَّلْ ! وَصفُّوا الكُؤُوسَ وَرَاحُوا يُغَنُّونَ لِلشَّعْبِ , قُلْتُ : مَتَى تَبْدَءونَ اغْتِيَالي ؟
فَقَالُوا : ابْتَدَأنَا ... لمَاذَا بَعَثْتَ إلَى الرُّوحِ أَحْذِيَةً ! كَيْ تَسيرَ عَلَى الأَرْضِ , قُلْتُ

فَقَالُوا : لِمَاذَا كَتَبْتَ القَصيدَةَ بَيْضَاءَ والأَرْضُ سَوْدَاءُ جِدَّاً
أَجَبْتُ : لأَنَّ ثَلاثِينَ بَحْراً تَصُبُّ بِقَلْبِي
فَقَالوا : لِمَاذا تُحبُّ النَّبِيذَ الفَرَنْسِيّ ؟
قُلْتُ : لأَنِّي جَدِيرٌ بِأَجْمَل امْرأَةٍ
كَيْفَ تَطْلُبُ مَوْتَكَ ؟
أَزْرَق مِثْل نُجُومٍ تَسِيلُ مِنَ السَّقْف – هَلْ تَطْلُبُونَ المَزِيدَ مِنَ الخَمْر ؟
قَالوا : سَنَشْرَبُ
قُلْتُ : سَأَسْأَلُكُمْ أَنْ تَكُونُوا بَطِيئِين , أَنْ تَقْتُلُوني رُوَيْداً رُوَيْداً لأَكْتُبَ شعْراً

أَخِيراً لِزَوْجَةِ قَلْبِي . وَلَكِنَّهُم يَضْحكُونَ
وَلاَ يَسْرِقُونَ مِنَ البَيْتِ غَيْرَ الكَلاَمِ الذِي سَأَقُولُ لِزَوْجَةِ قَلْبِي....

عندما يذهب الشهداء الى النوم

عندما يذهب الشهداء الى النوم

عِنْدمَا يَذْهَبُ الشُّهَدَاءُ إِلَى النَّوْمِ أَصْحُو

وَأَحْرُسُهُمُ مِنْ هُوَاةَ الرِّثَاءْ

أَقُولُ لَهُم

تُصْبحُونَ عَلَى وَطَنٍ

مِنْ سَحَابٍ ومَنْ شَجَرٍ

مِنْ سَرَابٍ وَمَاءْ

أُهَنِّئُهُم بالسَّلامَةِ مِنْ حَادثِ المُسْتَحيل

وَمِنْ قيمَةِ المَذْبحِ الفَائِضَهْ

وَأَسْرقُ وَقْتَاً لِكَيْ يسْرقُوني منَ الوَقْتِ

هَلْ كلُنا شُهَدَاءْ؟

وَأَهْمسُ:

يَا أَصْدِقَائي اتْرُكُوا حَائِطاً وَاحداً

لحِبَال الغَسِيلِ

اتْرُكُوا لَيْلَةَ لِلْغِنَاءْ

أُعلّقُ أسْمَاءَكُمْ أيْنَ شِئْتُمْ فَنَامُوا قليلاً

وَنَامُوا عَلَى سُلَّم الكَرْمَة الحَامضَةْ

لأحْرُسَ أَحْلاَمَكُمْ مِنْ خَنَاجِرِ حُرَّاسِكُم

وانْقِلاَب الكِتَابِ عَلَى الأَنْبِيَاءْ

وَكُونُوا نَشيدَ الذي لا نَشيدَ لهُ

عِنْدمَا تَذْهَبُونَ إلى النَّومِ هذا المَسَاءْ

أَقُولُ لَكُم

تُصْبِحُونَ عَلَى وَطَنٍ

حَمَّلُوهُ عَلَى فَرَسٍ راكضه

وأَهْمِسُ:

يا أَصْدقَائيَ لَنْ تُصبْحُوا مِثْلَنا

حَبْلَ مِشْنَقةٍ غَامِضَهْ!

هنالك ليل

هنالك ليلٌ أشَدّ سواداً

" هنالك ورد أقلُّ "

سَيَنْقَسِمُ الدَّرْبُ أَكْثَرَ مماَّ رأَيْنَا , سَيَنْشَقُّ سَهْلُ

وَيَنْهَدُّ سَفْحٌ عَلَيْنَا , وَيَنْقَضُّ جُرْحٌ عَلَيْنَا ٬ وَيَنْفَضُّ أَهْلُ

سَيَقْتُلُ فِينَا القَتِيلَ لِيَنْسَى عُيُونَ القَتِيلِ... وَيَسْلُو

سَنَعْرِفُ أَكْثَرَ مِمَّا عَرَفْنَا ٬ وَنَبْلُغُ هَاوِيَةً بَعْدَ هَاوِيَةٍ حِينَ نَعْلُو

عَلَى فِكْرَةٍ عَبَدَتْهَا القَبَائِلُ ثُمَّ شَوَتْهَا عَلَى لَحْمِ أَصْحَابِهَا حِينَ قَلُّوا

سَنَشْهَدُ فِينَا أَبَاطِرَةً يَحفِرُونَ عَلَى القَمْحِ أَسْمَاءَهُم كَيْ يَدُلُّوا عَلَيْنَا . أَلَمْ

نَتَغَيَّرْ؟ رِجَالٌ عَلَى دِينِ خِنْجَرِهم يَذْبَحُونَ ٬ وَرَمْلٌ لِيَكْثُر رَمْلُ

نِسَاءُ عَلَى دِينِ مَا بَيْنَ أَفْخَاذِهِنَّ وَظِلّ لِيَصْغرَ ظِلُّ..

وَلَكِنَّنِي سَأْتَابعُ مَجْرَى النَّشِيد , وَلَوْ أَنَّ وَرْدِي أَقَلُّ

ذهبنا الى عدن

ذهبنا إلى عدن

ذَهَبْنَا إِلَى عَدَنٍ قَبْلَ أَحْلاَمِنَا ، فَوَجَدْنَا القَمَرْ

يُضِيءُ جَنَاحَ الغُرابِ التَفَتْنَا إِلَى البَحْرِ ، قُلْنَا : لِمَنْ

لِمَنْ يَرْفَعُ البَحْرُ أَجْرَاسَهُ ، أَلِنَسْمَعَ إِيقَاعَنا المُنْتَظَرْ؟

ذَهَبْنَا إِلَى عَدَنٍ قَبْلَ تَارِيخنَا ، فَوَجَدْنَا اليَمَنْ

حَزِيناً عَلَى امْرئِ القَيْسِ ، يَمْضَغُ قاتاً , وَيَمْحُو الصُّوَرْ

أَمَا كُنْتَ تُدْرِكُ ، يَا صَاحِبِي ، أَنَّنَا لاَحِقَانِ بِقَيْصَرِ هَذَا الزَّمَنْ؟

ذَهَبْنَا إِلَى الفُقَراءِ الفَقِرَةِ، نَفْتَحُ نَافِذَةً فِي الحَجَرْ

لَقَدْ حَاصَرَتْنَا القَبَائِلُ ، يَا صَاحِبِي ، وَرَمَتْنَا المِحَنْ،

وَلَكِنَّنَا لَمْ نُقَايِضْ رَغِيفَ العَدُوِّ بِخُبزِ الشَّجَرْ

أَمَا زَالَ مِنْ حَقِّنَا أَنْ نُصَدِّقَ أَحْلاَمَنَا , وَنُكَذِّبَ هَذَا الوَطَنْ؟

وفي الشام شام

وفــي الــشــام شــام

وَفِي الشَّامِ شَامٌ لِكُلِّ زَمَانٍ ظَلَمْتُكَ حِينَ ظَلَمْتَ نُزُوحِي
إِلَى طَلْقَةِ القَلْبِ ، يَوْمَيْنِ يَوْمَيْنِ ، يَا صَاحِي
أَمِنْ حَقِّي ، الآنَ ، بَعْدَ الرُّجُوعِ منَ الحُبِّ أَنْ أَسْأَلَكْ
لِمَاذَا اتَّكَأتَ عَلَيَّ خِنْجرٍ كَيْ تَرَانِي ؟ لِمَاذَا رَفَعْتُ سُفُوحِي
لِتُسْقِطَ خَيْلي عَلَيَّ؟ تَمَنَّيتُ ..إِنِّي تَمَنَّيْتُ أَنْ أَحْمِلَكْ
إِلَى أَوَّلِ الشَّعْرِ ، أَوْ آخِرِ الأَرْض ، مَا أَجْمَلَكْ !
وَمَا أَجْمَلَ . الشَّامَ . مَا أَجْمَلَ الشَّامَ ، لَوْلاَ جُرُوحِي ،
فَضَعْ نِصْفَ قَلْبِكَ فِي نِصْفِ قَلْبِي ، يَا صَاحِبِي
لِنَصْنَعَ قَلْباً صَحِيحاً فَسِيحاً لَهَا . لِي ، وَلَكْ
فَفِي الشَّام شَامٌ ، إِذَا شِئْتَ ، فِي الشَّامِ مرآةُ رُوحِي.

بـكـى الـنـا ي

بكى الناي

بَكَى النَّايُ ' لَوْ أَسْتَطِيعُ ذَهَبْتُ إِلَى الشَّامِ مَشْياً كَأَنِّي الصَّدَى
يَنُوحُ الحَرِيُر عَلَى سَاحِلٍ , يَتَعَرَّجُ فِي صَرْخَةٍ لَمْ تَصِلْ أَبَدَا
وتَنْزِلُ فِينَا المَسَافَاتُ دَمْعاً . بَكَى النَّايُ شَقَّ السَّمَاءَ إِلَى امْرَأَتَيْنِ . وَشَقَّ
الطَّرِيق , وَشَقَّ القَطَا فَافْتَرَقْنَا لِنَعْشَق . يَا نَايُ ! رِفْقا
بنَا .نَحْنُ لَسْنَا بَعِيدِينَ حَتَّى الغُرُوبِ أَتَبْكِي لِتَبْكي سُدى
أَمْ لِتَثْقُبَ صَخْرَ : يَا شَامُ , يَا امْرأَةً . هَلْ أُحِبُّ وَأَبْقَى؟

بَكَى النَّايُ . لَوْ أَسْتَطِيعُ ذَهَبْتُ إِلَى الشَّامِ مَشْياً كَأَنِّي الصَّدَى
أُصَدِّقُ مَا لاَ أُصَدِّقُ . يَلْهَثُ فِينَا حَرِيرُ الدُّمُوع يَدَا
بَكَى النَّايُ . لَو اسْتَطِيعُ البُكَاءَ كَنَايٍ..عَرفْتُ دِمَشْقَا !

أفــي مــثـل هـذ ا الــنـشـيـد

أفي مثل هذا النشيد

أَفِي مِثْلِ هَذَا النَّشِيدِ نُوَسِّدُ حُلْماً عَلَى صَدْرِ فَارِسْ

وَنَحْمِلُ عَنْهُ القَمِيصَ الأَخِير ، وَشَارَةَ نَصْرٍ ، وَمِفْتَاحَ آخِرِ بَابْ

لِنَدْخُل أَوَّلَ بَحْرٍ؟ سَلاَمٌ عَلَيْكَ رَفِيقَ المَكَانِ الَّذِي لاَ مَكَانَ لَهُ

سَلامٌ عَلَى قَدَمَيْكَ / الرُّعَاةُ سَيَنْسَوْنَ آثَارَ عَيْنَيْك فَوْقَ التُّرَابْ

سَلاَمٌ عَلَى سَاعِدَيْكَ / القطَاةُ سَتَعْبُر ثَانِيَةً مِنْ هُنَا

وَسَلاَمٌ عَلَى شَفَتَيْكَ / الصَّلاَةُ سَتَرْكَعُ فِي الحَقْلِ . مَاذَا نَقُولُ لِجَمْرَةِ

عَيْنَيْك

مَاذَا يَقُولُ الغِيَابْ

لأُمِّكَ ؟ فِي البِئْرِ نَامَ ؟ وَمَاذَا يَقُولُ الغُزَاةُ؟

انْتَصَرْنَا عَلَى غَيْمَةِ الصَّوْتِ فِي شَهْرِ آبْ؟

وَمَاذَا تَقُولُ الحَيَاةُ لِمَحْمُود درْويش ؟ عِشْتَ ، عَشِقْتَ ، عَرَفْتَ، وَكَلُّ الذِينَ

سَتَعْشَقُ مَاتُوا؟

أَفِي مثْلِ هَذَا النَّشِيدِ نُوسِّدُ حُلْماً وَنَحْمِلُ شَارَةَ نَصْرٍ وَمِفْتَاحَ آخِرِ بَابْ

لِنُغْلِقَ هَذَا النَّشِيدَ عَلَيْنَا ؟ وَلَكِنَّنَا سَوْفَ نَحْيَا..لأَنَّ الحَيَاةَ حَيَاةُ

نـخـاف عـلـى حـلـم

نخاف على حلم

نَخَافُ عَلَى حُلُمٍ : لاَ تُصَدِّقْ كَثِيراً فَراشَاتنَا
وَصدِّقْ قَرَابِينَنَا إنْ أَرَدْتَ ، وَبوْصلَة الخَيْلِ صَدِّقْ، وَحَاجَتَنَا لِلشّمَالْ رَفَعْنَا إِلَيْكَ
مَنَاقِيرَ أَرْوَاحِنَا . أَعْطِنَا حبَّةَ القَمْحِ يَا حُلْمَنَا . هَاتِهَا هَاتِنَا
رَفَعْنَا إِلَيْكَ الشواطئ مُنْذُ أَتَيْنَا إِلَى الأَرْضِ مِنْ فِكْرَةٍ أَوْ زِنَا مَوْجَتَيْنِ
عَلَى صَخْرَةٍ فِي الرِّمَالْ
ولاَشَيْءَ ، لاَ شَيْء نَطْفُو عَلَى قَدَمٍ مِنْ هَوَاءٍ...هَوَاءٍ تَكَسَّرَ فِي ذَاتِنَا
وَنَعْرِفُ أَنَّكَ ترْتَدُّ عَنَّا ، وَتَبْنِي سُجوناً تُسَمَّى لَنَا جَنَّةَ البُرْتُقَالْ
وَنَحْلُمُ ..يَا حُلُماً نَشْتهِيه , وَنَسْرقُ أَيَّامَنَا مِنْ تَجَلِّيهِ في ما مَضَى مِنْ
خُرَافَاتِنَا
نَخَافُ عَلَيْكَ ومِنْكَ نَخَافُ آتَّضَحْنَا مَعاً ، لاَ تُصَدِّقْ إِذَنْ صَبْرَ زَوْجَاتِنَا
سَيَنْسُجْنَ ثَوْبَيْنِ , ثُمَّ يَبِعْنَ عِظَامَ الحَبِيبِ لِيَبْتَعْنَ كَأْسَ الحَلِيبِ لأَطْفَالِنَا
نَخَافُ عَلَى الحُلْم مِنْهُ وَمِنَّا وَنَحْلُمُ يَا حُلُمَنَا لاَ تُصَدِّقْ كَثِيراً فَرَاشَاتِنَا !

هنا تنتهي رحلة الطير

هُنَا تَنْتَهِي رِحْلَةُ الطَّيْرِ . رِحْلَتُنَا ' رِحْلَةُ الكَلِمَاتْ
وَمِنْ بَعْدِنَا أُفُقٌ لِلطُّيُورِ الجَدِيدَةِ ، مِنْ بَعْدِنَا أُفُقٌ لِلطُّيُورِ الجَدِيدَهْ
وَنَحْنُ الَّذِينَ نَدُقُّ نُحَاسَ السَّماءِ ، نَدُقُّ السَّمَاءَ لِتحفرَ مِنْ بَعْدِنَا طُرُقَاتْ
نُصَالِحُ أَسْمَاءَنَا فَوْقَ سفْحِ الغُيُومِ البَعِيدَةِ ، سَفْحِ الغُيُومِ البَعِيدَهْ
سَنَهْبِطُ عَمَّا قَلِيلٍ هُبُوطَ الأَرَامِلِ فِي سَاحَةِ الذِّكْرَيَاتْ
وَنَرْفَعُ خَيْمَتَنَا لِلرِّياحِ الأخِيرَةِ هُبِّي وَهُبِّي . لِتَحْيَا القَصِيدَهْ
وَتَحْيَا الطَّرِيقْ إِلَيْهَا وَمِنْ بَعْدِنَا سَوْفَ يَنْمُ النَّبَاتُ وَيَعْلُو النَّبَاتْ
عَلَى طُرُقٍ لَمْ يَطأْهَا سِوَانَا ، عَلَى طُرُقٍ دَشَّنَتْهَا خُطَانَا العَنِيدَهْ
هُنَا سَوْفَ نَحْفرُ فَوْقَ الصُّخُورِ الأَخِيرةِ :تَحْيَا الحَيَاةُ . وَتَحْيَا الحَيَاةْ
وَنسْقطْ فِينَا . وَمِنْ بَعْدِنَا أُفقٌ للطُّيُورِ الجَدِيدَهْ

رأيت الوداع الأخير

رَأَيْتُ الوَدَاعَ الأَخِيرَ : سَأُودعُ قَافِيَةً مِنْ خَشَبْ
سَأُرْفَعُ فَوْقَ أَكُفِّ الرِّجَال ، سَأُرْفَعُ فَوْقَ عُيُونِ النِّسَاءْ
سَأُرْزَمُ فِي عَلَمٍ ، ثُمَّ يُحْفَظُ صَوْتِي فِي علَبِ الأَشْرِطَهْ
سَتُغْفَرُ كُلُّ خَطَايَايَ فِي سَاعَةٍ ، ثُمَّ يَشْتُمُنِي الشُّعَرَاءْ
سَيَذْكُرُ أَكْثَرُ مِنْ قارئ أَنِّي تَزَوَّجْتُهَا مُنْذُ عِشْرِينَ عَاماً..وأكثر سَتُرْوَى
أَسَاطِيرُ عَنِّي ، وَعَنْ صَدَفٍ كُنْتُ أَجْمَعُهُ مِنْ بِحَارٍ بَعِيدَهْ
سَتَبْحَثُ صَاحِبَتِي عَنْ عَشِيقٍ جَدِيدٍ تُخَبِّئُهُ فِي ثِيَابِ الحِدَادْ
سَأُبْصِرُ خَطَّ الجَنَازَةِ ، وَالمَارَّة المُتْعبِينَ مِنَ الانْتِظَارْ

وَلَكِنَّنِي لاَ أَرَى القَبْرَ بَعْدُ . أَلاَ قَبْرَ لِي بَعْدَ هَذَا التَّعَبْ؟

وداعاً لما سوف يأتي

دَاعاً لما سَوْفَ يَأتي به الوقْتُ بَعْدَ قليلٍ .. وَدَاعاً
وَدَاعاً لِما سَوْفَ تَأتي به الأمكنة
تَشَابهَ فِي اللَّيْل لَيْلي ، وَ فِي الرّمْلِ رَمْلي ، وَ مَا عَادَ قَلْبِي مَشاعاً
وَدَاعاً لَمَنْ سَأَراها بِلاداً لِنَفْسي ، لِمَنْ سَأَرَاهَا ضياعاً
سَأَعْرِفُ كَيْفَ سَأَحْلُمُ بَعْد قليلٍ ، وَ كَيْفَ سَأَحْلُمُ بَعْد سَنَهْ ،
وَ أَعْرِفُ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ فِي رَقْصَةِ السَّيفِ وَ السَّوْسَنَة ،
وَ كَيْفَ سَيَخلَعُ عَنّي القناعُ القِنَاعَا
أأَسْرقُ عُمْري لأَحْيَا دَقَائق أَخْرَى ، دَقَائق بَيْنَ السراديب و المئذنة ،
لأَشْهَدَ طَقْسَ القِيامةِ فِي حَفْلَة الكَهَنَهْ ،
لأعْرِفَ مَا كُنتُ أَعْرِفُ ؟
إنّي رَأَيْتُ .. رأيتُ الوَدَاعَا

لـديـنـي . . . لـديـنـي لأعرف

لديني ... لديني لأعرف

لديني...لديني لأعْرفَ في أيّ أرضٍ أمُوتُ وفي أيّ أرْضٍ سَأَبْعَثُ حيّا سَلامُ عَلَيْكِ وأَنْتِ تُعدّينَ نار الصَّباحِ ,سلامُ عَليْكِ ... سلامُ عليْكِ.أَمَا آنَ لي أَنْ أقدّم بَعْضَ الهَدَايا إليكِ : أَما آنَ لي أَنْ أعود إليْكِ؟ أَما زال شَعْرِكِ أَطْوَلَ مِنْ عُمرنَا ومن شَجَر الغيمِ وهو يَمُدّ السّمَاء إليكِ ليَحْيَا ؟ لِديني لأَشربَ مِنْكِ حليب البِلاَد , وَأبْقى صَبيّاً على سَاعِديْكِ وَأَبْقَى صَبيّاً إلَى أَبَد الأبدين . رَأيْتُ كثيراً يَ أَمّي رأيتُ . لديني لأَبْقى على راحَتْيكِ أما زِلْتِ حينَ تُحبِّينني تُنْشدينَ وَتَبكين مِنْ أَجْلِ لاشَيْءَ. أَمّي ! أَضَعْتُ يَدَيّا عَلَى خَصْر امرأة من سَرَابٍ.أَعانقُ رملاً أعانق ظلاً.فَهَلْ أَسْتطيعُ الرّجُوع إلَيْكِ / إليّا ؟ لأمّكِ أمٌّ ,لتين الحديقة غيمُ.فلا تَتْرُكيني وَحيداً شريداً , أُريدُ يَدَيْكِ لأَحْمِل قَلْبي. أَحنّ إلى خُبْزِ صَوْتِكِ أمّي! أَحنّ إلى كُلِّ شيْءٍ. أحِنّ إلَيّ .. أحنّ إلَيْكِ

لُصوص المدافن

لُصوص المدافن

لُصُوصُ المَدَافن لَمْ يَتْرُكُوا للمُؤرِّخِ شَيْئاً يَدُلُّ عَلَيّ

يَنَامُونَ في جُثَّتي أَيْنَمَا طَلَع العُشْبُ منْهَا ، وَقَامَ الشَّبَحْ
يَقُولُونَ مَا لا أُفَكّرُ. يَنْسَوْنَ ما أَتَذَكَّرُ. يُعْطُون صَمْتي
ذَرَائعَهم. فاسْتريحُوا قَليلاً ، لُصُوصَ المَدَافن ، في الوَقْت مُتَّسعٌ لِلضَّحيَّهْ
لتُجْري حوَاراً عَنِ الوقْتِ مع قَاتِلٍ قد يكُونُ الضَّحيهْ
وَعُودُوا إلى أَهْلِكُمْ. رُبَّما احْتَاجَ أَطْفَالُكُمْ لُعْبَةً غَيْرَ قَلْبي في بُنْدُقيَّهْ،
وَأَسْمَاءَهُم، أَوْ ملَاَبس أَسْمَائهم كَيْ يَسيرُوا إلى المَدْرسَهْ
ألا تَسْتَطيعُون أَنْ تَرْتَدُوا غَيْرَ قَبْري القَديمِ \ الجديد .. هُويَّهْ ؟
ألا تَسْتَطيعُون أَنْ تَجِدُوا فَارقاً واحِداً بَيْنَ ظِلِّي المُذهَّب والنَّرْجِسهْ ؟
إذَنْ ، مَنْ هُوَ الحَيُّ فِينَا ؟ مَنِ الحَيُّ في هَذِه المَسرَحيَّهْ ؟

قريباً من السور

قَرِيباً منَ السُّورِ ،سُورِ المَدِينَةِ ، أَمْنَعُ نَفْسِي مِنَ الاعْتِرَافْ بِأَنِّي رَأَيْتُ الذِينَ
سَيَأْتُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ ، سَيَأْتُونَ بَعْدَ قَلِيلْ ،
وَيَبْنُونَ أَسْوَارَهُمْ حَوْلَ سُورٍ قديمٍ يُحِيطُ بسُورٍ قَدِيمْ
وَأَنِّي رَأَيْتُ الذِينَ مَضَوْا مِنْ هُنَا ، وَمَضَوْا مِنْ هُنَا، بَعْدَمَا
بَنَوْا سُورَهُمْ حَوْلَ سُورٍ قَدِيمٍ يُحِيطُ بِسُورٍ قَدِيمْ
قَرِيباً من السُّورِ ، أَرْسُمُ سِلْسِلَةً مِنْ نُجُومٍ وَدَائِرةً مِنْ نُجُومْ ،
وَأَبْحَثُ عَنْ حَاضِرٍ كَانَ ، أَوْ حَاضِرٍ كَانَ ، أَوْ حاضِرٍ سَيَكُونْ:
أَفِي وُسْعِنَا أَنْ نَكُونَ هُنَا ...الآنَ؟ فِي وُسْعِنَا أَنْ نَكُونْ؟
وَنَبْنِيَ أَسْوَارَنَا ، هَهُنَا ... هَهُنَا ، حَوْلَ سُورٍ قَدِيمْ؟

سَأَلْتُ القَصِيدَةَ ، فَاغْرَوْرَقَتْ بِالغُيُومْ.

هنا نحن قرب هناك

هنا نحن قرب هناك

هُنَا نَحْنُ قُرْبَ هُنَاكَ ٬ ثَلاَثُونَ بَاباً لِخَيْمَةْ

هُنَا نَحْنُ بَيْنَ الحَصَى والظِّلاَلِ مَكَانٌ .مَكَانٌ لِصَوْتٍ ,مَكَانٌ لِحُرِّيَّةٍ , أَوْ مَكَانْ

لأَيِّ مَكَانٍ تَدَحْرَجَ عَنْ فَرَسٍ ٬ أَوْ تَنَاثَرَ مِنْ جَرَسٍ أَو أذَانْ

هُنَا نَحْنُ ٬ عَمَّا قَلِيلٍ سَنَثْقُبُ هَذَا الحِصَارَ وَعَمَّا قَلِيلٍ نُحَرِّرُ غَيْمَهْ

وَنَرْحَلُ فِينَا . هُنَا نَحْنُ قُرْبَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ بَاباً لِرِيحٍ ,ثَلاَثُونَ ((كَانْ)) نُعَلِّمُكُم أَنْ تَرَوْنَا ٬ وَأَنْ تَعْرِفُونَا ٬

وَنْ تَسمَعُونَا ٬ وَأَنْ تَلْمَسُوا دَمَنَا فِي أَمَانْ

نُعَلِّمُكُم سِلْمَنَا قَدْ نُحِبُّ وَقَدْ لاَ نُحِبُّ طَرِيقَ دِمَشْقَ وَمَكَّةَ وَالقَيْرَوَانْ

هُنَا نَحْنُ فِينَا . سَمَاءٌ لآبَ ٬وَبَحْرٌ لِمَايُو ، وَ حُرِّيَةٌ لِحِصَانْ

وَلاَ نَطْلُبُ البَحْرَ إلاَّ لِنَسْحَبَ مِنْهُ دَوَائِرَ زَرْقَاءَ حَوْلَ الدُّخَانْ

هُنَا نَحْنُ قُرْبَ هُنَاك , ثَلاَثُونَ شَكْلاً ثَلاَثُونَ ظِلاًّ...لِنَجْمَهْ

لأول مرة يرى البحر

لأول مرة يرى البحر

لأوَّل مَرَّةٍ يَرَى البَحْرَ من داخِلهْ
سَفِينَتُنَا تَحْمِلُ البر بَاحِثَةً عَنْ مَرَافِئ للْبرِّ. كُنَّا نُدَافعُ عَنْ واجِبِ الكَلمَاتِ،
وَعَنْ كَعْب "أشيل". كُنَّا نُواصلُ هَذَا الرَّحيل إلى البدْءِ. مَنْ يُوقف البَحْرَ
كَيْ نَجِد البَدءَ في سَاحِلهْ
وكَانَ الروائيُّ فينَا يَشُدُّ السَّفينَةَ نَحُو الوَرَاء، يُريُد الرُّجُوع إِلَى صَوتْ
بَيْرُوتَ : لا تَخْرُجُوا. كَانَ يكْتُبُ فَصْلاً جديداً عَنِ الْمُعْجزَاتِ، وعنْ قَاتِلهْ
وَحينَ انْتهى من كِتَابَتِه، قام أَبْطَالُ قِصتَّه يلْعَبُونَ،
فَبَالوا عَلَيْهِ وَبَالُو على بَابِلهْ
لِكيْ يُبْصر البَحْرَ مِنْ دَاخِلهْ،
وَيَحْمِلَ عبءَ الكَلاَم عَلَى كَاهِلهْ

يـمـثـل دوري الأخـيـر

يمثل دوري الأخير

يُمَثِّلُ دَوْرِي الأَخِيرَ . وَكَانَ وَحِيداً وَحِيداً عَلَى مَسْرَحِهْ
يُرَتِّبُ مَا لاَ يُرَتِّبُ مِنْ جَوْقَةٍ مُتْعَبَهْ
لَقَدْ أَطْفَأْوا النُّورَ , وانْصَرَفُوا وَاحِداً خَلْفَ أَرْزَاقِهِم...
وَمَا زَالَ يَلْعَبُ فِي دَمِهِ وَهوَ يَحْسبُهُ رَغْوَةَ العَتَبَهْ

تَقَمَّصَ دَوْرَ الشُّهُودِ وَدَوْرَ الشَّهِيدِ ، وَلَمْ يَبْلُغِ الانْكِسَارَ وَلاَ الغَلَبَهْ
وَحِيداً , يُرمِّم مَا انْهَارَ مِنَّا وَمِنْهُ ، وَمِنْ آخِرِ الخَشَبَهْ
أَلاَ بُدَّ مِنْ مَسْرَحٍ يَا أَبِي؟
فَقَالَ : وَلاَ بُدَّ مِنْ شاعِرٍ فِي الطَّرِيقِ إِلَى قُرْطُبَهْ
وَحِيداً... وَحِيداً يَسِيرُ إِلَى قُرْطُبَهْ,
وَوَحْدِي أُصَدِّقُهُ حِينَ يَكْذِبُ ، مِثْلِيَ...مَا أَكْذَبَهْ

بقايا ك للصقر

بقاياك للصقر

بَقَايَاك للصقرِ. مَنْ أنتَ كَـيْ تحفرَ الصّخرَ وحْدَكْ،
وَتَعْبُرَ هذا الفَرَاغَ النِّهائيَّ، هذا البَيَاض النِّهائيّ؟ مَرْحى!
سَتَصْطفُ حولكَ خَرّوبتانِ، وأَرْمَلَتانِ، وَصَمْتُ الفضاءِ المُجوَّفِ بعْدكْ
شهُوداً على العَبَثِ البَشَريِّ؛ شُهُوداً على المُعْجزَهْ
أَفي مِثْلِ هَذَا الزَّمانِ تُصدِّقُ ظِلَّكَ، في مثلِ هَذَا الزَّمانِ تُصدِّقُ وَرْدَكْ؟
وَتَلْفظُ اسمك واسْمَ بِلادِكَ واسْمي مَعاً
بِلا خَطَأ؟
يَا رَفيقي، كَأَنَّك تَمْلِكُ شَيْئاً، كَأَنَّك تَمْلكُ وعْدكْ!
سنُخْلي لكَ المسْرَحَ الدائِرِيَّ
تقدَّمْ إلى الصّقرِ وَحْدكْ،
فلا أرْضَ فيكَ لكي تتلاشى،
وللصقرِ أنْ يتخلَّصَ منكَ،
وللصقرِ أنْ يتقمَّصَ جِلْدَكْ

أنا يوسف يا أبي

أنا يوسف يا أبي

أَنَا يُوسُفٌ يَا أَبِي

يَا أَبي، إِخْوَتي لا يُحبُّونَنِي،
لاَ يُريدُونَني بَيْنَهُم يَا أَبِي
يَعتدُونَ عَلَيَّ وَيرْمُونَني بِالحَصَى والكَلامِ
يُرِيدُونني أَنْ أَمُوتَ لِكَيْ يَمدَحُوني
وَهُمْ أَوْصَدُوا بَابَ بَيْتِك دُوني
وَهُمْ طرَدُونِي من الحَقْلِ
هُمْ سَمَّمُوا عِنَبي يَا أَبي
وهُمْ حَطَّمُوا لُعبي يا أَبِي

حينَ مَرَّ النَّسيمُ ولاعَبَ شَعْرِي
غَارُوا وثارُوا عليَّ وثاروا عَليْكَ،
فَمَاذَا صنَعْتُ لَهُمْ يَا أَبي؟
الفَرَاشَاتُ حَطَّتْ عَلَيَّ كَتَفيَّ،
ومَالَتْ عَليَّ السَّنَابلُ،
وَالطَّيْرُ حطَّتْ على راحتيَّ
فَمَاذا فعَلْتُ أَنا يَا أَبِي،
ولماذَا أَنَا؟

أَنتَ سَمَّيْتني يُوسُفاً،
وَهُمُو أَوْقعُونيَ في الجُبِّ، واتَّهمُوا الذِّئْب
والذِّئْبُ أَرْحمُ من إِخْوَتي

أُبَتِ! هل جنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ عِنْدما قُلْتُ إنِّي
رَأَيْتُ أَحدَ عَشَرَ كَوْكبًا ، والشَّمْسَ والقَمَرَ، رأيتُهُم لي سَاجِدينْ؟

يـطـول الـعـشـاء الأخـيـر

يطول العشاء الأخير

يَطُولُ العَشَاءُ الأُخِيرُ ، تَطُولُ وَصَايَا العَشَاءِ الأَخِيرْ
أَبَانَا الذِي مَعَنَا ! كُنْ رَحِيماً بِنَا , وانْتَظِرْنَا ' قَلِيكً , أَبَانَا !
وَلاَ تُبْعِدِ الكَأسَ عَنَّا تَمَهَّلْ لِنَسْأَلَ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْنَا
وَلاَ تَتَّهِمْ أَحَداً . كُنْ رَحِيماً بِمَنْ سَوْفَ يَضْعُفُ مِنَّا '
أَبَانَا الذِي فِي النِّهَايَاتِ , وَاصْعَدْ رُوَيْداً رُوَيْداً إِلَى حَتْفِنَا
لَقَدْ ضَاقَ هَذَا المَكَانُ الصَّغِيرُ بِصَرْخَتِنَا ضَاقَ هَذَا الجَسَدْ
بِفِكْرَتِنَا , يَا أَبَانَا ' وَقُلْتَ الكَلاَمَ الَّذِي كَانَ فِينَا فَخُذْنَا مَعَكْ
إِلَى أَوَّلِ المَاءِ خُذْنَا , إِلَى أَوَّلِ الشَّيْءِ خُذْنَا ' إِلَى أَوَّلِ الكَلِمَةْ
لَقَدْ طَالَ هَذَا العَشَاءُ ' وَقَلَّ الرَّغِيفُ ' وَطَالَتْ وَصَايَاكَ ' فَاصْعَدْ بِنَا لأَنَّ
((الرَّسَائِلَ))بَعْدَكَ تَغْتَالُنَا وَاحِداً وَاحِداً..يَا أَبَانَا..

الـهي لـمـاذا تـخـليت عنـي ؟

الهي لماذا تخليت عني ؟

إِلَهِي..إِلَهِي ٬ لِمَاذَا تَخَلَّيْتَ عَنِّي ؟ لِمَاذَا تَزَوَّجْتَ مَرْيَمْ؟
لِمَاذَا وَعَدْتَ الجُنُودَ بِكَرْمِي الوَحِيدِ..لِمَاذَا؟ أَنَا الأَرْمَلَهْ
أَنَا بِنْتُ هَذَا السُّكُونِ ٬ أَنَا بِنْتُ لَفْظَتِكَ المُهْمَلَهْ
لِمَاذَا تَخَلَّيْتَ عَنِّي إِلهي ٬ إِلَهِي...لِمَاذَا تَزَوَّجْتَ مَرْيَمْ؟
تَنَزَّلْتَ فِيَّ كَلَامَاً , وَأَنْزَلْتَ شَعْبَيْنِ مِنْ سُنْبُلَهْ ,
وَزَوَّجْتَنِي فِكْرَةً فامْتَثَلْتُ ، امْتَثَلْتُ تَمَاماً لِحِكْمَتِكَ المُقْبِلَهْ؟
أَطَلَّقْتَنِي ؟أَمْ ذَهَبْتَ لِتُشْفِي سِوَايَ / عَدُوِّي مِنَ المِقْصَلَهْ
أَمِنْ حَقِّ مَنْ هِيَ مِثْلِيَ أَنْ تَطْلُبَ الله زَوْجاً..وأَنْ تَسْأَلَهْ
إِلَهِي..إِلَهِي..لِمَاذَا تَخَلَّيْتَ عَنِّي ,
لِمَاذَا تَزَوَّجْتَنِي يَا إِلَهِي , لِمَاذَا ...لِمَاذَا تَزَوَّجْتَ مَرْيَمْ؟

أريد مزيداً من العمر

أريد مزيداً من العمر

أُريدُ مَزِيداً منَ العمر كَيْ نَلْتقِي ، وَ مَزيداً من الاغْتِرَابْ
وَ لَوْ كَانَ قَلْبي خَفيفاً لأطْلقْتُ قَلْبي عَلَى كُلِّ نَحْلَهْ

أريدُ مَزيداً مِنَ القَلْب كَيْ أستَطيعَ الوُصُولَ إِلَى سَاقِ نَخْلَهْ
وَ لَوْ كَانَ عُمْري مَعِي لانْتَظَرْتُكِ خَلْف زُجَاجِ الغيَابْ

أُريدُ مَزيداً مِنَ الأُغْنيَاتِ لأحْمِلَ مَلْيُونَ بَابٍ ... وَ بَابْ
وَ أُنْصبَهَا خَيْمَةً فِي مَهَبّ البلاَدَ ، وَ أسْكُنَ جُمْلَهْ

أُريدُ مَزيداً مِنَ السَّيداتِ لأَعْرف آخِر قُبْلَهْ ،
وَ أوَّلَ مَوْتٍ جميلٍ عَلَى خِنْجرٍ مِنْ نبيذِ السّحابْ

أُريدُ مَزيداً مِنَ العُمْرِ كَيْ يعرف القَلْبُ أهْلَهْ ،
وَ كَيْ أَسْتَطيعَ الرُّجُوعَ إلى .. سَاعَةٍ مِنْ تُرَابْ

ألا تستطيعين أن تطفئي قمراً

ألا تستطيعين أن تطفئي قمراً

أَلاَ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تُطْفِئِي قَمَراً وَاحِداً كَيْ أَنامْ؟
أَنَامُ قَلِيلاً عَلَى رُكْبَتَيْكِ ٬ فَيَصْحُو الكَلاَمْ
لِيَمْدَحَ مَوْجاً منَ القَمْحِ يَنْبُتُ بَيْنَ عُرُوقِ الرُّخَامْ؟

تَطِيرينَ مِنِّي غَزَالاً يَخَافُ , وَيَرْقُصُ حَوْلِي .يَخَافُ
وَيَرْقُصُ حَوْلي
وَلاَ أَسْتَطِيعُ اللِّحَاقَ بِقَلْبٍ يَعَضُّ يَدَيْكِ وَيَصْرُخُ : ظَلِّي
لأَعْرِفَ مِنْ أَيِّ رِيحٍ يَهُبُّ عَلَيَّ سَحَابُ الحَمامْ

أَلا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تُطْفِئِي قَمَراً وَاحِداً كَيْ أَرَى
غُرُورَ الغَزَالِ الأَشُوريِّ يَطْعَنُ صيَّادَهُ قَمَرَا
أُفَتِّشُ عَنْكِ فَلاَ أَهْتَدِي أَيْنَ سُومَرُ فِيَّ..وَأَيْنَ الشـآمْ؟

تَذَكَّرْتُ أَنِّي نَسَيْتُكِ فَلْتَرْقُصِي فِي أَعَالِي الكَلاَمْ

خَرِيفٌ جَدِيدٌ لاِمْرَأَةِ النَّارِ : كُونِي كَمَا خَلَقَتْكِ الأَسَاطِيرُ وَالشَّهَوَاتُ وَكُونِي
رَصِيفاً لِمَا يَتَسَاقطُ مِنْ وَرْدَتي وَرِيَاحاً لِبَحَّارَةٍ لا يُرِيدُونَ أَنْ
يُبْحِرُوا . كَمْ أَرِيدُكِ عِنْدَ هُبُوطِ الخَرِيفِ عَلَى الرُّوح ، كَمْ أَتَمَنَّى بَقَائِي
شَرِيداً عَلَى قَدَمٍ مِنْ حَرِيرِ المَدَائِح كُونِي نسَاءَ لِقَلْبِي . وأَسْمَاءَ عَيْنَيَّ
كُونِي وَنَافِذَةً لِلْحَدِيقَةِ كُونِي . وَأَمّاً لِيَأْسِي مِنَ الأَرْضِ .
كُونِي مَلاَئكتي .
أَوْ خَطِيئَةَ سَاقَيْنِ حَوْلِي أُحِبُّك قَبْلَ احْتِكَاكِ دَمي بِالعَوَاصِفِ وَالنَّحْلِ.
كُونِي كَمَا كُنْتِ كُونِي كَمَا لا تَكُونِينَ مُسِّي بِأَطْرَافِ ظِلِّكِ جِنَّ
الأَنَاشِيدِ
يَصِحُ الكَلاَمُ عَلَى عَسَلِ الشَّهَوَاتِ أُحِبُّكِ ، لا أَسْتَطِيعُ
الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِيَ لاَ أُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى جَسَدِي لاَ أُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى أَحَدٍ
بَعْدَ هَذا الخَرِيفْ

سيأتي الشتاء الذي كان

سَيَأتي الشِّتاءُ الَّذي كَانَ .. لِلْمَرَّةِ العاشِرَةْ
فَمَاذَا سَأَفْعَلُ حِينَ يَجِيءُ الشِّتَاءُ الذي كَانَ ، ماذا سَأَفْعَل كَيْ لاَ أَمُوتَ كَمَا
مُتُّ ،
مَا بَيْنَ قَلْبَيْنِ ، أَعْلَى مِنَ الغَيْمِ أَعْلَى .. وَ أُعْلَى؟
أُعِدّ لَكِ الذِّكْرَيَاتِ ، وَ أُفْتَحُ نَافِذَةً لِلْحمامِ المُصاب بِنِسْيَان دفْلَى ،
وَ أُلْمُسُ فَرْوَ غيَابك ... هَلْ كان فِي وَسْعِنَا أَنْ نُحِبَّ أَقَلَّ ، لِنَفْرَحَ أَكْثَر ؟؟

هَلْ كَانَ فِي وسْعِنَا أن نُحِبَّ أقلَّ ... أقلَّ ؟

نُعيدُ إلى الحُبِّ أَشْيَاءَهُ ، نُرجِعُ الرِّوحَ لِلرُّوحِ ، نُرجِع ظلاً إِلَى أُهلهِ
نَتَبادَلُ أُسْماءَ نِسْيَانِنَا ، ثُمَّ نَرجِعُ قَتْلَى ... وَ أَحْلَى
نُعيدُ إِلَى الحُبِّ أشْيَاءَه ، زَهرةَ الوَقْتِ فِي جَسَدَيْنْ ،
وَ لَكِنَّنا لاَ نَعُودُ إِلَى نَفْسِنَا ، نَفْسِها ، مَرَّتَيْنْ!

سيأتي الشتاء الذي كان

سيأتي الشتاء الذي كان

سَيَأتي الشِّتَاءُ الَّذي كَانَ .. لِلْمَرَّةِ العاشِرَةْ
فَمَاذَا سَأَفْعَلُ حِينَ يَجيءُ الشِّتَاءُ الذي كَانَ ، ماذا سَأَفْعَل كَيْ لاَ أَمُوتَ كَمَا مُتُّ ،
مَا بَيْنَ قَلْبَيْنِ ، أَعْلَى مِنَ الغَيْمِ أَعْلَى .. وَ أُعْلَى؟
أُعِدّ لَكِ الذِّكْرَيَاتِ ، وَ أُفْتَحُ نَافِذَةً لِلْحمامِ الْمُصاب بِنِسْيَان دفْلَى ،
وَ أُلْمُسُ فَرْوَ غيَابك ... هَلْ كان فِي وَسْعِنَا أَنْ نُحِبَّ أَقَلَّ ، لِنَفْرَحَ أَكْثَر ؟؟
هَلْ كَانَ فِي وسْعِنَا أن نُحِبَّ أقلَّ ... أقلَّ ؟

نُعيدُ إلى الحُبِّ أَشْيَاءَهُ ، نُرجِعُ الرّوحَ لِلرُّوحِ ، نُرجِع ظلاً إلَى أُهلهِ
نَتَبادَلُ أُسْماءَ نِسْيَانِنَا ، ثُمَّ نَرجعُ قَتْلَى ... وَ أَحْلَى
نُعيدُ إلَى الحُبِّ أشْيَاءَه ، زَهرةَ الوَقْتِ فِي جَسَدَيْنْ ،
وَ لَكِنَّنا لاَ نَعُودُ إلَى نَفْسِنَا ، نَفْسِها ، مَرَّتَيْنْ!

يـعـلـمـنـي الـحب ألا أحب

يعلمني الحب أَلا أحب

يُعلِّمُني الحُبُّ ألاّ أحِبّ، وَأَنْ أفْتَحَ النَّافِذَهْ
عَلَى ضِفَّة الدَّرْبِ. هَل تَسْتَطيعين أنْ تَخْرُجي مِنْ نداءِ الحَبَقْ
وَأَنْ تقسميني إلى اثْنَيْن : أَنْتِ، وَمَا يَتَبقَّى مِنَ الأُغْنيَهْ ؟
وَحُبٌ هو الحُبُّ. فِي كُلِّ حُبٍّ أرى الحُبَّ مَوْتاً لِمَوْتٍ سَبَقْ،
وَريحاً تُعَاوِدُ دَفْعَ الخُيُول إِلَى أمِّهَا _ الرِّيحِ بَيْنَ السَّحَابَة والأَوْدِيَهْ
أَلا تَسْتَطيعينَ أَنْ تَخْرُجِي مِنْ طَنينِ دَمي كَيْ أُهَدْهِدَ هَذَا الشَّبَقْ ؟
وكَيْ أُسْحَبَ النَّحْلَ مِنْ وَرَق الوَرْدَةِ المُعْدِيهْ ؟
وَحُبٌ هو الحُبُّ، يَسْأَلُنِي : كَيْفَ عَادَ النَّبِيذُ إِلَى أُمِّه واحْتَرقْ
وَمَا أَعْذَبَ الحُبَّ حِينَ يُعذب، حِينَ يُخرِّب نَرْجسَةَ الأُغْنيهْ

يُعَلِّمُني الحُبِّ أن لاَ أُحِبَّ، وَيَتْرُكُني فِي مَهَبِّ الوَرَقْ

خسرنا ولم يربح الحب

خسرنا ولم يربح الحب

خَسِرْنَا ، وَ لَمْ يربَحِ الحُبُّ شَيئًاً

لأنَّكَ يَا حُبُّ حُبٌّ ، لأنك يَا حُب طِفلٌ مُدلّلْ

تُكسِّرُ بَابَ السَّماءِ الوَحِيدَ ، و كُلَّ الكَلَامِ الذي لَمْ نَقُلْهُ .. و تَرْحَلْ

فَكَمْ وَرْدَةً لَمْ نَرَ اليَوْمَ ، كم شَارع لَمْ يُحَطِّمْ كآبة قَلْبٍ مُكبّلْ

وَ كَمْ مِنْ فَتَاةً يُغافلُنا عُمْرُهَا وَ يَسيرُ إلى جِهةٍ لا نَرَاهَا لتَصْهلْ

وَ كَمْ مِنْ نَشيدٍ تَنَزّل فينَا و كنا نِيَاماً ، وَ كمْ مِنْ هِلالٍ تَرَجّل ، ليرتاح فَوْق الوِسَادَةِ

كَمْ قُبلةٍ طَرَقَتْ بَابَنَا حِينَ كُنَّا بَعيدَيْن عَنْ بَيْتنا ،

وَ كَمْ حُلُمٍ ضَاعَ مِن نَوْمِنَا حينَ كُنَّا نُفَتِّشُ عَنْ خُبزنَا فِي الصُّخُورِ وَ نَعْملْ

وَ كَمْ طَائِرٍ رفّ حوْل نَوَافِذنَا حِينَ كُنَّا نُدَاعِبُ أُغْلاَلنَا فِي نهارٍ مُؤجّل

خَسِرْنا كثيراً و لم يَرْبَحِ الحُبُّ شيْئاً ، لأنّكَ يَا حُبُّ طِفلٌ مُدَلّلْ

سـأمـدح هـذا الـصـبـاح

سأمدح هذا الصباح

سَأمْدَحُ هذَا الصَّبَاحَ الجَديد ، سَأَنْسَى اللَّيَالَي، كُلَّ اللَّيَالي
وَأَمشِي إلَى وَرْدَةِ الجَار ، أَخْطفُ مِنْهَا طَرِيقَتَهَا فِي الفَرَحْ

سَأَقْطِفُ فَاكهَةَ الضَّوْء مِنْ شَجرٍ واقفٍ لِلْجَميعْ
سَأَمْلكُ وَقْتاً لأسْمَعَ لحن الزّفاف على ريشِ هذَا الحمامْ
سلامٌ على كُلِّ شَيْءٍ... شوارعُ كالنَّاس واقفةٌ بَيْن يوْمَيْن
لا تملك الأرْض غَيْرُ الطُّيوْر التي حلَّقتْ فَوْقَ سَطْح الغناء،
ولا يَمْلك الطَّيْرَ غَيْرُ الفَضَاءِ المُعلَّقِ فوق أَعَالي الشَّجَرْ
سلامٌ عَلَى نَوْمِ مَنْ يَمْلكُون من الوَقْتِ وَقتاً لِكَيْ يَقْرأْوا.. وسلام على المُتْعبَيْنْ

أَفي مِثْلِ هَذَا الصَّبَاح القَوِيّ تَقُولينَ لِي : سَأَعُودُ إلَى بَيْتِ أُمِّي؟
أَفِي مِثْلِ هَذَا الصَّبَاح تُعِيدينَ قَلْبِي عَلَى طَبَقٍ مِنْ وَرَقْ؟

سمــاءُ لــبـحـر

سماءٌ لبحر

الفَرَاشَةِ أُمًّا لِكُرْسي سَمَاءٌ لِبَحْرٍ سَمَاءٌ لِتَرْسُمَ بِنْتُ

بَعْدَ الأَوَانِ أُصَالِحُ يَوْمَ الأُحَدْ أُصَالِحُ نَفْسِي وَلَوْ جَاءَتِ اليَاسَمِينَةُ

وَأَعْرِفَ كَيْفَ يَصيرُ الشُّعَاعُ جَسَدْ ، سَأُنْزِلُ عَنْ يَدكِ النَّهْرَ كَيْ يَتَعَرَّى

النِّهَائيَّ فَوْقَ يَدَيْكِ سَأَحْمِلُ عَنْكِ ذِرَاعِي لأُجْلِسَ هَذَا البَهَاءَ

الحَدِيقَةِ هَذَا النَّهَارُ سَرِيرٌ لِعُرْسي وَلَدْ سَمَاءٌ لِبَحْرٍ . وَبَحْرٌ لسُورِ

وَتفلتُ عَاشِقَةٌ مِنْ فَتَاهَا لِتَأْخُذَ قِطْعَة يَحُطُّ الحَمَامُ عَلَى شَارَةِ العَسْكَرِيِّ شَمْسِ

قَبْلُ أَرْفَعُ عَنْ مَوْجَةِ اليَاسَمِينِ الزَّبَدْ أُحِبُّكِ هَذَا النَّهَارَ كَمَا لَمْ أُحِبَّكِ مِنْ

المَسَرَّةِ؟ أَفِي الأَرْض غَيْرُ السَّلام؟ أَفِي النَّاسِ غَيْرُ

إِنِّي أُصَالحُ نَفْسي

خَمْرِي..وَتَدْخُلُ زَيْتُونَ قَوْسِي فَتَدْخُلُ كُلُّ الشُّعُوبِ مَدَائِح

فِضِّيَّةٌ هَلْ يَمُوتُ أَحَدْ أَيْ مِثْلِ هَذَا النَّهَارِ تَمُوتُ عَصَافِيرُ

أستطيع الكلام عن الحب

أستطيع الكلام عن الحب

وَ هَا أَنَذَا أُسْتطِيعُ الكَلامَ عَنِ الحُبِّ ، عَنْ شَجَرٍ فِي طَرِيقٍ يُؤدِّي إِلَى هَدف الآخَرين؟
وَ عَنْ حَالَةِ الجَوِّ فِي بَلَد الآخَرين
وَ أُهْدي حَمَامَ المدينة حَفْنَةَ قمح .. وَ أَسْمَعُ أصْوَاتَ جيرَانِنَا وَ هيَ تَحْفُرُ جِلْدي

وَ هَا أَنَذَا أَسْتطيعُ الحَيَاةَ إلى آخِرِ الشَّهْر
أَبْذُلُ جُهْدي لأكْتُب ما يُقْنعُ القَلْبَ بالنَّبض عِنْدي .. وَ مَا يُقْنعُ الروح بالعَيْش بَعْدي
و في وُسْع غارْدينيا أن تُجدّد عُمْري .. و في وُسْع امرأة أنْ تُحدّد لَحْدي

وَ هَا أنَذَا أَسْتطيعُ الذَّهَاب إِلَى آخِرِ العمر في اثْنَيْن : وَحْدي ، وَ وَحْدي
وَ لا أسْتطيع التّواطؤ إلاّ مع الكلماتِ التي لمْ أَقُلها ، لأفدي مكوثي على حافةِ الأرْض ،
بين حصَارِ الفضاء و بين جحيم التّرَدّي
سَأَحْيَا كما تَشْتَهي لُغتي أنْ أكُون ... سأَحْيا بِقُوةِ هَذَا التَّحدّي

ونحن نحب الحياة

ونحن نحب الحياة

وَنَحْنُ نُحِبُّ الحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلاً
وَنَرْقُصُ بَيْنَ شَهِيدْينِ نَرْفَعُ مِئْذَنَةً لِلْبَنَفْسَجِ بَيْنَهُمَا أَوْ نَخِيلاً

نُحِبُّ الحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلاً
وَنَسْرِقُ مِنْ دُودَةِ القَزِّ خَيْطاً لِنَبْنِي سَمَاءً لَنَا وَنُسَيِّجَ هَذَا الرَّحِيلاَ
وَنَفْتَحُ بَابَ الحَدِيقَةِ كَيْ يَخْرُجَ اليَاسَمِينُ إِلَى الطُّرُقَاتِ نَهَاراً جَمِيلاً
نُحِبُّ الحَيَاةَ إِذَا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلاً

وَنَزْرَعُ حَيْثُ أَقمْنَا نَبَاتاً سَرِيعَ النُّمُوِّ , وَنَحْصدْ حَيْثُ أَقَمْنَا قَتِيلاً
وَنَنْفُخُ فِي النَّايِ لَوْنَ البَعِيدِ البَعِيدِ , وَنَرْسُمُ فَوْقَ تُرابِ المَمَرَّ صَهِيلاً
وَنَكْتُبُ أَسْمَاءَنَا حَجَراً ' أَيُّهَا البَرْقُ أَوْضِحْ لَنَا اللَّيْلَ ' أَوْضِحْ قَلِيلاً
نُحِبُّ الحَيَاةَ إِذا مَا اسْتَطَعْنَا إِلَيْهَا سَبِيلا...

نـؤرخ أيـامـنـا بـالـفـراش

نؤرخ أيامنا بالفراش

نُؤرِّخُ أيامنا بِفَراش الحُقُول ، هَبطْنا سَلاَلم أَيَّامِنَا

صعدْنَا على مَا يغيبُ من السِّنْديَان . تركْنَا غِيَاباً لأوْهَامنَا
وَسِرْنَا إلى الشِّعر نَسْأَلهُ أَنْ يُجدِّ أرْضاً لإلْهَامنا
فَسَدَّ عَلَيْنا جهَاتِ الرِّيَاح ، وَصَار هُوِيَّةَ أَصنْنَامِنَا
سَنَكْتُبُ منْ أَجْلِ ألا نَمُوت .. سَنَكْتُبُ مِنْ أَجْل أَحْلامنَا
سَنكْتُبُ أَسْماءنَا كيْ تدلَّ على أَصلْها شَرْقَ أَجْسَامنَا
سَنَكْتُبُ ما تكتبُ الَّطيرُ فِي الفلَوَاتِ ، وَنَنْسى تَواقيع أَقْدَامنَا
نمُرُّ على الرِّيحِ .. منا المَسِيحُ ، وَمنَّا يَهُوذا ، ومنَّا مؤرِّخ أرْحَامِنَا
نَمُرُّ على الأرْض .. لا نَشْتهَي حَجَراً للكَلاَم ولا للسَّلام على شَامِنَا
خَسِرْنَا ، ولم يربَحِ الشِّعْرُ شَيْئاً .. خَسرْنَا كهُولةَ أيَّامِنَا!

هذا خريفي كله

هذا خريفي كله

فَتَّشْتُ عن نفسي فأرجعني السؤالُ إلى الوراءْ

لاشيء يأخذني إلى شيءٍ و ينسدلُ الفضاءْ

عليَّ منشقةً ويندسُّ المدى

في ثُقْب إبرة عاشقهْ

فَتَّشْتُ عن نفسي : سلامٌ للذين أُحبُّهم

عبثاً ، سلامٌ للذين يُضيئهم

جرحي هواءُ للهواءِ وأين نفسي بين

ما يسطو على نفسي ويرفعها رُخاماً للهباءْ

هذا خريفي كُلُّهُ

أعلى من الشجر المُذهَّب أين أذهب حين أذهبْ

في حضن سَيِّدتي مكانٌ واسع لقصيدتينْ

ولموتِ كوكبْ

كُلُّ الشوارع أوصلت غيري إلى طرف السماءِ

فأين أذهب أين أذهبْ ؟

كل الشوارع أوقعتهم في بياضٍ خادع بين البداية و النهاية

أُمِّي تُعدُّ لي الصباحَ على طَبَقْ

من فِضَّةٍ أو سنديانٍ ليس في أُمَّي سوى

أمٌّ هنالك تنتظرْ

وهنا يدٌ تسطو على يومي وتسرقُ ما أُعِدُّ من كلامْ

يبسَ الكلامُ وطار موَّال الحمامِ،

ونامَ النومُ نامَ،

ولا جديدَ لدى النشيد ولا وصايا للضحايا

لا بداية للنهاية , ولا نهاية للبدايةِ

أيها الشجر ارتفعْ أعلى و أعلى أيها الشجر استمعْ

لتحكي مكسورةً كبيارقي الأُولى ويا... يأيها الشجر الْتمعْ لأراك في فجرِ الرمادْ

وبحثتُ عن نفسي فأرجعني السؤال إلى بلاد لا بلاد لها بلادٌ للبلادْ لا لم أكن
ما كنتُ لكن كلّما وقعت عن الأشجار غيمهْ

فتّشتُ عن أرضٍ لأسندها بلادٌ للبلادْ.

لا لم أكن ما كنتُ لكن كلما ضيَّعْتُ نجمهْ

ضاع الطريقُ إلى النجوم وضِعتُ في نفسي

ولكن أين مَنْ كانوا معي ؟ أين انفجار اليأس في جسدين أين الأنبياءْ؟

يا أيها الشجر إندثرْ فيَّ ... اندثرْ

لأصوغَ روحي من حطامي أيها الشجر انكسرْ لأرى خُطاي مدايَ فيَّ . وأيها
الشجر انفجرْ

كي أفتحَ الشباك للشباك فيَّ ... وأنفجِرْ

حريتي – لغتي

سَلامٌ للذين أحبُّهم عبثاً

سَلامٌ للذين يضيئهم جرحي

سَلامٌ للهواءِ..............وللهواءْ

هـي أغـنـيـة , هـي أغـنـيـة



تاريخ النشر	1986
عدد القصائد	16

سنخرج

سنخرج

سنخرجُ ،

قلنا : سنخرجُ ،

قلنا لكم : سوفَ نخرجُ مِنّا قليلاً ، سنخرجُ منَّا

إلى هامش أبيضٍ نتأمل معنى الدخولِ ومعنى الخروج

سنخرج للتوِّ . أبٌ أبونا الدي كان فينا إلى أمِّه الكَلِمَهْ

وقلنا :

سنخرج . فلتفتحوا خطوةً لدمٍ فاضَ عنَّا

وغَطّى مدافعكم . أوقفوا الطائراتِ المغيرة خمسَ دقائقَ أُخرى

وكفّوا عن القصفِ ٬ براً ٬ وبحراً ٬ ثلاثَ دقائقَ أُخرى

لكي يخرج الخارجون وكي يدخلَ الداخلون..

سنخرج ، قلنا سنخرجُ,

فلتتركوا حَيّزاً للوداعِ الأخيرِ . سلامٌ علينا , سلامٌ علينا

سنجمع أعضاءنا في الحقائبِ ' فلتوقفوا القصفَ خمسَ دقائقْ

لكي تغسل السيداتُ الأنيقاتُ أثداءَهنَّ من القُبَلِ السابقهْ

سنخرج،

قلنا : سنخرجُ منَّا قليلاً ... سنخرجُ منَّا

رمينا على حافّة البحر ساحلَ أجسادنا , وانكسرنا

كعاصفة النخلِ, حين انتصرنا عليكم وحين انتصرنا علينا

وزِدْنا الشوارع ظِلاً يُسمِّي المدينةَ شكلاً لمعنى

يُذَكِّرُ بالأبِ و الابنِ والروحِ ' مهما رحلنا ومهما ابتعدنا :

سنخرج ' قلنا : سنخرجُ,

فلتدخلوا في أَريحا الجديدةِ سبعَ ليالٍ قصارٍ فقط ,

فلن تجدوا طفلةً تسرقون ضفيرتها ' أو فتى تسرقون فراشاتهِ

ولن تجدوا حائطاً تكتبون عليه أَوامر تنهي عن الزنزلختِ وعنَّا

ولن تجدوا جُثَّةً تحفرون عليها مزاميرَ رحلتكم في الخرافهْ

ولن تجدوا شرفةً كي تطلُّوا على الأبيضِ المتوسطِ فينا

ولن تجدوا شارعاً للحراسهْ

ولن تجدوا ما يَدُلُّ عليكم ، ولن تجدوا ما يَدُلُّ علينا

خرجنا قبيلَ الخروجِ . فلا ترفعوا شارة النصر فوق الجثثْ

هنا نحن . نحن هناك . ولسنا هناك ، ولسنا هنا

هنا نحن تحت العناصر . نحن دمٌ كامنٌ في الهواءِ الذي تذبحونَهْ

سنخرجُ،

قلنا : سنخرجُ . فلتقصفوا ظلَّنا ..ظِلّنا

خُذوهُ أسيراً إلى أُمِّهِ الأرضِ أو عَلِّقوه على شجر الكَسْتَنا

تكونون أو لا نكون ! ادخلوا وهمكم ، واحرثوا وهمنا

سنخرجُ ،

قلنا : سنخرج من أوّل البحرِ

بعد قتيلٍ ، وخمسةِ جرحى , وخمسِ دقائقْ

وبعد سقوط الطوائف حول اشتباك الحديد المدوِّي مع العائلهْ

سنخرجُ من كل بيت رآنا نُدَمِّر دبابةً قُربَهُ أو علينا

سنخرجُ من كلِّ مترٍ ' ومن كلِّ يومٍ ، كما يخرج البدوُ منَّا.

سنخرج ,

قلنا سنخرج مِنَّا قليلاً إلينا : سنخرجُ منَّا

إلى بُقعة البحر – أبيضَ أزرقَ – كنا هناك , وكنا هنا

يدلُّ علينا الغيَاب الحديديُّ بيروتُ كانت هناكَ وكانتْ هنا

وكُنَّا على رُقعَة ساعةَ حائطْ

ويومَ قرنْفُلُ

وداعاً ' لمن سوف يأتونَ من وقتنا صامتينْ ,

ومن دمنا واقفينَ ' لندخُلْ

سنخرجُ ,

قلنا : سنخرجُ ,

قلنا : سنخرجُ حين سندخُلْ

نـزل عـلـى الـبـحـر

نزل على البحر

نُزْلٌ على بحرٍ : زيارتُنا قصيرهْ
وحديثُنا نُقَطٌ من الماضي المهشم منذ ساعهْ
من أيِّ أبيض يبدأ التكوينُ؟
أنشأْ جزيره
لجنوب صرختنا . وداعاً يا جزيرتنا الصغيرهْ

لم نأتِ من بلدٍ إلى هذا البلدْ
جئنا من الرُّمَّان , من سرِّيس ذاكرةٍ أتينا
من شظايا فكرةٍ جئنا إلى هذا الزبدْ
لا تسألونا كم سنمكث بينكم ' لا تسألونا
أيَّ شيء عن زيارتنا. دعونا
نفرغُ السفَنَ البطيئة من بقيَّة روحنا ومن الجسدْ
نُزْلٌ على بحرٍ : زيارتنا قصيرهْ
والأرضُ أصغر من زيارتنا . سنرسل للمياهِ
تُفَّاحةً أخرى ' دوائر ' أين نذهبُ
حين نذهبُ؟ أين نرجعُ حين نرجعُ؟ يا إلهي
ماذا تبقّى من رياضة روحنا ؟ ماذا تبقّى من جهاتِ
ماذا تبقّى من حدود الأرض ؟ هل من صخرةٍ أَخرى
نُقَدِّم فوقها قربانَ رحمتك الجديدْ؟
ماذا تبقّى من بقايانا لنرحلَ من جديد؟

لا تُعطِنا , يا بحرُ , ما لا نستحقُّ من النشيد

للبحر مهنتهُ القديمهْ:
مدٌّ وجزرٌ ،
للنساء وظيفةٌ أولى هي الإغراءُ ,
للشعراء أن يتساقطوا غمّاً
وللشهداء أن يتفجروا حُلُماً
وللحكماء أن يستدرجوا شعباً إلى الوهم السعيدْ

لا تُعطِنا ' يا بحرُ ' ما لا نستحقُّ من النشيدْ

لم نأتِ من لُغة المكان إلى المكانْ
طالت نباتاتُ البعيدِ وطالَ ظلُّ الرمل فينا وانتشرْ
طالت زيارتنا القصيرةُ . كم قمرْ
أهدى خواتمهُ إلى مَنْ ليس منَّا . كم حجرْ
باضَ السنونو في البعيد وكم سنهْ
سننام في نُزْلٍ على بحرٍ وننتظر المكانْ
ونقول : بعد هنيهة أخرى سنخرج من هنا
متنا من النومِ , انكسرنا ههنا
أفلا يدوم سوى المؤقَّت يا زمان البحر فينا؟
لا تُعطِنا ' يا بحرُ , ما لانستحقُّ من النشيدْ

ونريد أن نحيا قليلاً ' لا لشيءٍ

بل لنرحل من جديدْ

لا شيء من أسلافنا فينا ولكنَّا نريدْ

بلادَ قهوتنا الصباحيّهْ

ونريدُ رائحة النباتات البدائيهْ

ونريدُ مدرسةً خصوصيهْ

ونريد مقبرةً خصوصيهْ

ونريد حريّهْ

في حجمِ جمجمةٍ ... وأغنيَّهْ

لا تُعطِنا ، يا بحرُ ، ما لا نستحقُّ من النشيدْ

....ونريد أن نحيا قليلاً كي نعود لأيِّ شيء

لم نأتِ كي نأتي...

رمانا البحرُ في قرطاجَ أصدافاً ونجمهْ

من يذكر الكلمات حين توَهَّجتْ وطناً

لمن لا بابَ لَهْ؟

مَنْ يذكُر البدو القدامى حينما استولوا على الدنيا ..بكلمهْ؟

من يذكر القتلى وهم يتدافعون لفضِّ أسرار الخرافهْ؟

ينسوننا ، ننساهُمُ . تحيا الحياةُ حياتها

من يذكر الآن البداية والتتمهْ؟

ونريد أن نحيا قليلاً كي نعود لأيِّ شيء

أيِّ شيءٍ

أيٍّ شيءٍ

لِبدايةٍ ٬ لجزيرةٍ ، لسفينةٍ , لنهايةٍ

لأذان أرملةٍ , لأقبيةٍ ٬ لخيمةْ

طالت زيارتنا القصيرهْ ,

والبحر فينا مات من سَنَتَيْنِ ... مات البحرُ فينا

لا تعطنا يا بحر ٬ ما لا نستحقُّ من النشيدْ.

نحن للنسيان . قد جئنا لتقديم المدائحْ

لإلهٍ فَرَّ من خيمتنا

واختفى حين خرجنا نجمع الصيد لَهُ

لا تخافوا يا أهالي الجبل العالي

فلن نمكث إلاّ ليلتينْ

معنا ماءٌ ٬ وخبزٌ , وهواءٌ . معناْ أصواتُنا ,

معنا ما يقطع الريح إلى نصفين... يا أهل الجبلْ

نحن لم ندخلْ ولم نخرجْ . ولكن سوف نرمي

قُوَّةَ الأشياء . هل مُتنا كثيراً لتخافوا موتنا

هل رسمنا صورة الوحش على الكهف لكي نألفهُ؟

فاحرسوا أشجاركم من غيمةٍ طارت وراء القافلهْ

نحن لا ندخل أو نخرج ... يا أهل الكهوف

نحن لا نُشبه أسلاف القصصْ

نحن للنسيان حارَبْنا كثيراً خوفَكُمْ في خوفنا

تابعوا , يا أهل هذا الساحل المكسور ٬ حرب الاعتذار

عن نباتٍ شَبَّ في قاماتنا حينَ مَرَرْنا بينكُمْ

تابعوا سهرتكم , أو زوِّجوا عذراءكم للجنرال

فلقد تنجب جنساً ثالثاً للكرنفال

نحن للنسيان لن نبقى طويلاً ههنا,

لن ندُقَّ الطبل , لن نزعجكم ' لن تسمعوا أحلامنا
لن نُطيلَ النوم في قريتكم , لن نقطف الوردة من بستانكمْ
لن نُصلِّي معكم , لن نُقْلِقَ الربَّ الذي يختاركم شعباً على صورته
نحن لن نترك في ساحاتكم قطرة دمْ
وسنمضي قبل أن تستيقظوا من نومكم
قبل أن يدخل كسرى أو سواهُ

لا تخافوا يا أهالي هذه الصحراء منَّا
نحن لا ننشُدُ شيئاً . نحن لن نبعث فيكم مرّةً أُخرى نبيّاً
هذه أصنامكم فلتعبدوها مثلما شئتم كُلُوا التَمْرَ كُلوا أسماءَنا
نحن لا نأتي لنبقى نحن لا نمضي لكي نرجع . لكنَّ الرياحْ
أوقعتنا خطأً في حَيِّكُمْ , فلتذبحوها بالسيوف الصدئهْ
واحرسوا زوجاتِكم من طائر الفينيق في أجسادنا
واحفظوا الرملَ من العشب الذي يسقطُ من ألفاظنا سهواً عليكم , واحرسوا
نخلتكم من ظلّنا الطائر , وانسونا ,. وناموا آمنين

نحن للنسيان . قد جئنا لتقديم الذبائحْ
لإلهٍ فرَّ من خيمتنا
واختفى ' حين خرجنا نُوقد النار لَهُ
نحن للنسيان . إن جئنا إلى النهر حملناهُ يداً للأغنية
وإذا جئنا إلى الحقل فتحناهُ مدىٍّ للأغنية
كُلُّ صوتٍ يحفرُ الصخرة – نحن

كُلُّ ناي لم يجدْ أنثاهُ – نحنُ
كُلُّ حُلْمٍ لم يجد حالِمَهُ الأوّلَ – نحنُ
نحن جمهوريَّة النسيان, لم نخرج , وللنسيان نحنُ

عزف منفرد

عزف منفرد

هذا خريفي كلّه

فَتَّشْتُ عن نفسي فأرجعني السؤالُ إلى الوراءْ

لاشيء يأخذني إلى شيءٍ و ينسدلُ الفضاءْ

عليَّ منشقةً ويندسُّ المدى

في ثُقْب إبرة عاشقهْ

فَتَّشْتُ عن نفسي : سلامٌ للذين أُحبُّهم

عبثاً ، سلامٌ للذين يُضيئهم

جرحي هواءُ للهواءِ وأين نفسي بين

ما يسطو على نفسي ويرفعها رُخاماً للهباءْ

هذا خريفي كُلُّهُ

أعلى من الشجر المُذهَّب أين أذهب حين أذهبْ

في حضن سَيِّدتي مكانٌ واسع لقصيدتينْ

ولموتٍ كوكبْ

كُلُّ الشوارع أوصلت غيري إلى طرف السماءِ

فأين أذهب أين أذهبْ ؟

كل الشوارع أوقعتهم في بياضٍ خادع بين البداية و النهاية

أُمِّي تُعدُّ لي الصباحَ على طَبَقْ

من فِضَّةٍ أو سنديانٍ ليس في أُمِّي سوى

أمٌّ هنالك تنتظرْ

وهنا يدٌ تسطو على يومي وتسرقُ ما أُعِدُّ من كلامْ

يبسَ الكلامُ وطار موَّال الحمامِ،

ونامَ النومُ نامَ،

ولا جديدَ لدى النشيد ولا وصايا للضحايا

لا بداية للنهاية , ولا نهاية للبدايةِ

أيها الشجر ارتفعْ أعلى و أعلى أيها الشجر استمعْ

لتحكي مكسورةً كبيارقي الأُولى ويا... يأيها الشجر الْتمعْ لأراك في فجرِ الرمادْ

وبحثتُ عن نفسي فأرجعني السؤال إلى بلاد لا بلاد لها بلادٌ للبلادْ لا لم أكن ما كنتُ لكن كلّما وقعت عن الأشجار غيمهْ

فتَّشتُ عن أرضٍ لأسندها بلادٌ للبلادْ.

لا لم أكن ما كنتُ لكن كلما ضيَّعْتُ نجمهْ

ضاع الطريقُ إلى النجوم وضِعتُ في نفسي

ولكن أين مَنْ كانوا معي ؟ أين انفجار اليأس في جسدين أين الأنبياءْ؟

يا أيها الشجر إندثرْ فيَّ ... اندثرْ

لأصوغَ روحي من حطامي أيها الشجر انكسرْ لأرى خُطاي مدايَ فيَّ . وأيها الشجر انفجرْ

كي أفتحَ الشباك للشباك فيَّ ... وأنفجِرْ

حريتي – لغتي

سَلامٌ للذين أحبُّهم عبثاً

سَلامٌ للذين يضيئهم جرحي

سَلامٌ للهواءِ..............وللهواءْ

هـذ ا خـريـفـي كـلـه

هذا خريفي كله

فَتَّشْتُ عن نفسي فأرجعني السؤالُ إلى الوراءْ

لاشيء يأخذني إلى شيءٍ و ينسدلُ الفضاءْ
عليَّ منشقةً ويندسُّ المدى
في ثُقْب إبرة عاشقهْ

فتَّشْتُ عن نفسي : سلامٌ للذين أُحبُّهم
عبثاً ، سلامٌ للذين يُضيئهم
جرحي هواءُ للهواءِ وأين نفسي بين
ما يسطو على نفسي ويرفعها رُخاماً للهباءْ
هذا خريفي كلُّهُ
أعلى من الشجر المُذهَّب أين أذهب حين أذهبْ
في حضن سَيِّدتي مكانٌ واسع لقصيدتينْ
ولموتِ كوكبْ
كُلُّ الشوارع أوصلت غيري إلى طرف السماءِ
فأين أذهب أين أذهبْ ؟

كل الشوارع أوقعتهم في بياضٍ خادع بين البداية و النهاية
أُمِّي تُعدُّ لي الصباحَ على طَبَقْ
من فِضَّةٍ أو سنديانٍ ليس في أُمَّي سوى
أمٌّ هنالك تنتظرْ
وهنا يدٌ تسطو على يومي وتسرقُ ما أُعِدُّ من كلامْ

يبسَ الكلامُ وطار موَّال الحمامِ،

ونامَ النومُ نامَ،

ولا جديدَ لدى النشيد ولا وصايا للضحايا

لا بداية للنهاية , ولا نهاية للبدايةِ

أيها الشجر ارتفعْ أعلى و أعلى أيها الشجر استمعْ

لتحكي مكسورةً كبيارقي الأُولى ويا... يأيها الشجر الْتمعْ لأراك في فجرِ الرمادْ

وبحثتُ عن نفسي فأرجعني السؤال إلى بلاد لا بلاد لها بلادٌ للبلادْ لا لم أكن ما كنتُ لكن كلُّما وقعت عن الأشجار غيمهْ

فتَّشتُ عن أرضٍ لأسندها بلادٌ للبلادْ.

لا لم أكن ما كنتُ لكن كلما ضيَّعْتُ نجمهْ

ضاع الطريقُ إلى النجوم وضِعتُ في نفسي

ولكن أين مَنْ كانوا معي ؟ أين انفجار اليأس في جسدين أين الأنبياءْ؟

يا أيها الشجر إندثرْ في ... اندثرْ

لأصوغَ روحي من حطامي أيها الشجر انكسرْ لأرى خُطاي مدايَ فيَّ . وأيها الشجر انفجرْ

كي أفتحَ الشباك للشباك فيَّ ... وأنفجِرْ

حريتي – لغتي

سَلامٌ للذين أحبُّهم عبثاً

سَلامٌ للذين يضيئهم جرحي

سَلامٌ للهواءِ.............وللهواءْ

أ ربـعة عنـا ويـن شخصيـة

أربعة عناوين شخصية

متر مربع في السجن

هو البابُ، ما خلفه جنّةُ القلب. أشياؤنا

- كُلّ شيء لنا - تتماهى. وبابٌ هو الباب،

بابُ الكناية، باب الحكاية. بابٌ يهذّب أيلولَ

بابٌ يعيد الحقولَ إلى أوّل القمحِ

لا بابَ للبابِ لكنني أستطيع الدخول إلى خارجي

عاشقاً ما أراهُ وما لا أراهُ

أفي الأرض هذا الدلالُ وهذا الجمالُ ولا بابَ للباب

زنزانتي لا تضيء سوى داخلي

وسلامٌ عليّ، سلامٌ على حائط الصوت

ألّفت عشر قصائدَ في مدْح حريتي ههنا أو هناك

أُحبُّ فُتات السماءِ التي تتسلل من كوّة السجن مترًا من الضوء تسبح فيه الخيول،

وأشياء أمّي الصغيرة

رائحةَ البُنّ في ثوبها حين تفتح باب النهار لسرب الدجاجِ

أحبّ الطبيعةَ بين الخريف وبين الشتاء،

وأبناء سجّاننا، والمجلاّت فوق الرصيف البعيدِ

وألّفتُ عشرين أغنيةً في هجاء المكان الذي لا مكان لنا فيهِ

حُرّيتي: أن أكونَ كما لا يريدون لي أن أكون

وحريتي: أن أوسّع زنزانتي: أن أُواصل أغنيةَ البابِ

بابٌ هو البابُ: لا بابَ للبابِ

لكنني أستطيع الخروج إلى داخلي، إلخ.. إلخ

مقعد في قطار

منـاديلُ ليست لنا
عاشقاتُ الثواني الأخيرةِ
ضوءُ المحطة
وردٌ يُضَلّل قلبًا يفتّش عن معطفٍ للحنان
دموعٌ تخون الرصيف. أساطيرُ ليست لنا
من هنا سافروا ، هل لنا من هناك لنفرحَ عند الوصول
زنابقُ ليست لنا كي نُقبّل خط الحديد
نسافر بحثًا عن الصِّفْر
لكننا لا نحبّ القطارات حين تكون المحطات منفى جديدًا
مصابيحُ ليستْ لنا كي نرى حُبّنا واقفًا في انتظار الدخانِ
قطارٌ سريعٌ يقصّ البحيراتِ
في كل جيبٍ مفاتيح بيتٍ وصورة عائلةٍ
كُلّ أهلِ القطارِ يعودون للأهلِ، لكننا لا نعودُ إلى أي بيتٍ
نسافرُ بحثًا عن الصفرْ كي نستعيد صواب الفراش
نوافذُ ليست لنا ، والسلامُ علينا بكلّ اللغات
تُرى، كانت الأرضُ أوضحَ حين ركبنا الخيولَ القديمة
أين الخيول، وأين عذارى الأغاني، وأين أغاني الطبيعة فينا
بعيدٌ أنا عن بعيديَ
ما أبعد الحبّ! تصطادنا الفتياتُ السريعاتُ مثل لصوصِ البضائع
ننسى العناوين فوقَ زجاج القطاراتِ

نحن الذين نحبّ لعشر دقائق لا نستطيع الرجوعَ إلى أي بيتٍ دخلناه

لا نستطيع عبور الصدى مرتين

حجرة العناية الفائقة

تدورُ بيَ الريحُ حين تضيقُ بيَ الأرضُ

لا بُدّ لي أن أطيرَ وأن ألجُمَ الريح

لكنني آدميٌّ.. شعرتُ بمليون نايٍ يُمَزّق صدري

تصبّبْتُ ثلجًا وشاهدتُ قبري على راحتيّ

تبعثرتُ فوق السرير

تقيّأتُ

غبتُ قليلاً عن الوعي

متّ

وصحتُ قبيل الوفاة القصيرة

إني أحبّك، هل أدخل الموت من قدميكِ

ومتّ.. ومتّ تمامًا

فما أهدأ الموت لولا بكاؤك

ما أهدأ الموت لولا يداكِ اللتان تدقّان صدري لأرجع من حيث متّ

أحبك قبل الوفاةِ، وبعد الوفاةِ

وبينهما لم أُشاهد سوى وجه أمي

هو القلب ضلّ قليلاً وعاد، سألت الحبيبة

في أيّ قلبٍ أَصبتُ؟ فمالتْ عليه وغطّتْ سؤالي بدمعتها

أيها القلبُ.. يا أيها القلبُ كيف كذبت عليّ وأوقعتني عن صهيلي؟
لدينا كثير من الوقت، يا قلب، فاصمُدْ
ليأتيك من أرض بلقيس هدهدْ
بعشا الرسائل
قطعنا ثلاثين بحرًا وستين ساحلْ
وما زال في العمر وقتٌ لنشرُدْ
ويا أيها القلب، كيف كذبت على فرسٍ لا تملّ الرياحَ
تمهّل لنكمل هذا العناق الأخير ونسجُدْ
تمهّل.. تمهّل لأعرفَ إن كنتَ قلبي أم صوتها وهي تصرخ
خُذني.

غرفة في فندق

سلامٌ على الحب يوم يجيءُ
ويوم يموتُ، ويومَ يُغَيِّرُ أصحابَهُ في الفنادقِ
هل يخسرُ الحبُّ شيئًا؟ سنشربُ قهوتنا في مساءِ الحديقةِ
نروي أحاديثَ غربتنا في العشاءِ
ونمضي إلى حجْرةٍ كي نتابع بحث الغريبين عن ليلةٍ من حنانٍ، إلخ.. إلخ
سننسى بقايا كلام على مقعدين

سننسى سجائرنا، ثم يأتي سوانا ليكمل سهرتنا والدخان

سننسى قليلاً من النوم فوق الوسادة

يأتي سوانا ويرقد في نومنا ، إلخ.. إلخ

كيف كُنَّا نُصَدِّقُ أجسادَنا في الفنادقِ؟

كيف نُصَدِّقُ أَسرارنَا في الفنادق؟

يأتي سوانا ، يُتابع صرختنا في الظلام الذي وَحَّدَ الجسدينْ

ولسنا سوى رَقمين ينامان فوقَ السرير .. إلخ.. إلخ..

المشاع المشاع، يقولان ما قاله عابرانِ على الحبِّ قبل قليلٍ

ويأتي الوداعُ سريعًا سريعًا

أما كان هذا اللقاء سريعًا لننسى الذين يحبوننا في فنادق أخرى؟

أما قلتِ هذا الكلام الإباحيَّ يومًا لغيري؟

أما قلتُ هذا الكلام الإباحيَّ يومًا لغيرك في فندقٍ آخر أو هنا فوق هذا السريرِ؟

سنمشي الخطى ذاتها كي يجيءَ سوانا ويمشي الخطى ذاتها.. إلخ.. إلخ

أنا العاشق السيئ الحظ

مناديلُ ليست لنا

عاشقاتُ الثواني الأخيرةِ

ضوءُ المحطة

وردٌ يُضَلّل قلبًا يفتّش عن معطفٍ للحنان

دموعٌ تخون الرصيف. أساطيرُ ليست لنا

من هنا سافروا ، هل لنا من هناك لنفرحَ عند الوصول

زنابقُ ليست لنا كي نُقبّل خط الحديد

نسافر بحثًا عن الصِّفْر

لكننا لا نحبّ القطارات حين تكون المحطات منفى جديدًا

مصابيحُ ليستْ لنا كي نرى حُبّنا واقفًا في انتظار الدخانِ

قطارٌ سريعٌ يقصّ البحيراتِ

في كل جيبٍ مفاتيح بيتٍ وصورة عائلةٍ

كُلّ أهلِ القطارِ يعودون للأهلِ، لكننا لا نعودُ إلى أي بيتٍ

نسافرُ بحثًا عن الصفرْ كي نستعيد صواب الفراش

نوافذُ ليست لنا ، والسلامُ علينا بكلّ اللغات

تُرى، كانت الأرضُ أوضحَ حين ركبنا الخيولَ القديمة

أين الخيول، وأين عذارى الأغاني، وأين أغاني الطبيعة فينا

بعيدٌ أنا عن بعيديَ

ما أبعد الحبّ! تصطادنا الفتياتُ السريعاتُ مثل لصوصِ البضائع

ننسى العناوين فوقَ زجاج القطاراتِ

نحن الذين نحبّ لعشر دقائق لا نستطيع الرجوعَ إلى أي بيتٍ دخلناه

لا نستطيع عبور الصدى مرتين

عـنـد أبـو اب الـحـكـايـة

عند أبواب الحكاية

للنهايات مذاقُ القمر البُنيّ ، طعمُ الكلماتْ
عندما تحفرُ في الروحِ مجاريها ..وتتشفْ
ولها صوتُ أبينا في السموات ، وإصغاءُ حصاةْ

لوصايا الملحِ .مُتْ يا حُبُّ مُتْ فينا ' لنعرف
أنَّنا كُنَّا نحبُّ
كُلُّ شيء جاهزٌ من أجل هذا الانكسار العاطفيّ
شَجَرُ السور ' ووردُ الحائط الأحمرُ ' والدمع المُخَبَّأْ
وطريقٌ لا يؤدِّي بي إلى بيتٍ ومرفأْ
وتحيَّاتُ الحديد
لمكانٍ غيَّر السُكانَ والألوانَ . مُتْ يا حب في
لأرى النهر على هيئةِ أفعى ونهايات نشيدٍ...
النهاياتُ يَدٌ تخرجُ منها يُدها الأُخرى
ووجهٌ لسماء تتكسَّرْ
هل بوسعِ القلبِ أن يسقط أمثرْ؟
هل بوسعِ البَجَعِ العاشقِ أن يرقصَ أكثر ؟
صرختي دلَّتْ على قلبي قليلاً , وأضلَّتْهُ كثيرا
والنهايات بداياتُ سؤالي عن صواب الأغنيهْ
تَصْدُقُ الصحراء فينا عندما يكذب عصفورٌ علينا
وتصير الأقبيهْ
لَقَباً للأندلس.

ها أنا أَصحو من النومِ . على صدرىَ أثارُ يديْنِ
وعلى المرآة ما يُشبه مَنْ كنتُ أُحبُّ .
أو أُحبُّ الآن , أو أعبدُ ' أو يجلدُ روحي بُعْدُها
وعليَّ الآن أن أخلع عن بطنيَ ختم الشفتينِ

وعليَّ الآن أن أخرج من نفسي كي يندسَّ في نفسي ونفسي جلدُها
وعليَّ الآن أن أسقيَ حُلْماً سابقاً شاي الصباحْ
وأقول : المطرُ الناعمُ جلدُ امرأة كانت هنا
كانت هنا
كانت هنا

ها أنا أدخلُ في النومِ . أرى حُلمْي . أرى
كُلَّ ما يحدث لي بعد قليلْ
قد مررنا مثلما مرَّ سوانا
واشتهينا كسوانا وافترقنا كسوانا
ربما نرجع للشيء الذي شرَّدنا بعد قليلْ
ربما نرجع ، لكنْ حُلُمي إياهُ يأتي عكسَ حُلْي
كلما قلت وجدت الشيء فَرَّتْ نحلةٌ حبلى بشَهْدٍ ، فرأيت
أنَّ حُلْمي عَكْسُ حلمي

لم يعد في وُسْع هذا القلب أن يصرخَ أكثرْ
السماويُّ ترابيٌّ . فمتْ يا حبُّ فينا نتحرَّرْ
من نجوم لا تغطينا ولا توقد فينا نرجسهْ
النهايات هي الحُلم الذي يشبه حُلْماً قد حدثْ
النهايات هي المرأةُ والفكرةُ إذ تفترقانِ
والنهاياتُ هي الفكرةُ والمرأةُ إذ تنتظرانِ

عند أبواب الحكايهْ

هل أُسميكِ النهايهْ
أم أُسميكِ البدايهْ؟

سأسميكِ البدايهْ.

فــي آخــر الأشـيـاء

في آخر الأشياء

ثمَر على وشك السقوط عن الشجرْ

تلك النهايةُ و البدايةُ أو كلامٌ للسفرْ

في آخر السردابِ ينكسر الفضاءُ و يتَّسعْ
لا نستطيع البحثِ عن شيء و عن قولٍ يُحَرِّر حائطاً
فينا . وتتفتح الشوارعُ كي نَمُرّ

ظلاَّن ينفصلانِ عنَّا, ثم ينتشرانِ ليلا لا يُحَسُّ ولا يُرى
مَنْ يستطيعُ الحب بعدك ؟ من سيشفى من جراح الملح
بعدَكَ ؟ في زواج البحرِ و الليلِ استدار القلبُ نحوك
لم يجدنا ,لم يجد حَجَلاً تَزَيَّا بالحجرْ
في آخر السرداب نبلغ حكمة القتلى, نساوي
بين حاضرنا و ماضينا لننجو من كوابيس الغدِ
أيَّامنا شَجَرٌ . وكم قمرٍ أرادَكِ زوجةً للبحر
كم ريحٍ أرادت أن تهبَّ لتأخذيني من يدي
أيامنا ورقٌ على وشكِ السقوط مع المطرْ
لم تبقَ للموت سوى الحجيج الأخيرةِ.لا مكانَ لنا هنا
لنطيلَ جلستنا أمام البحرِ.فلنفتح طريقاً للزهورْ
ولأرجُل الأطفالِ كي يتعلموا المشي السريع إلى القبورْ
كبرت تجاربنا و ضاق كلامُنا

فلننطفئْ
ولنختبئْ

في سيرةِ الأسلاف و السفرِ المؤدِّي للسفرْ

في آخر السرداب يسقطُ من يدينا كُلُّ شيءْ
لا تستطيع روائحُ اللوز استعادتَنا ولا دروبُ الشام
في آخر الأشياء نطلبُ كُلَّ شيء يمنع الثمرَ الأخيرَ من السقوطْ
لكننا نمضي إلى حتفِ الفواكهِ في مكابرة المحبِّين الجُدُدْ
لا تذكريني عندما ينمو ينمو جنينك . لا تطأ حلمي ولا تسمع منامي
لا تغضبي مني ولا تغضبْ من الذكرى ومن صدأٍ على ريش
الحمامِ
في آخر الأشياء ندرك كم سيذبحنا وينكرنا القمرْ
فى آخر الأشياء ينكسر الكلامُ على أصابعنا ونُخفي
ما اختفى منّا ولمْ نعلمْ . ونرحمُ وردةَ البيتِ الأخيرهْ
إن جئتِ أُغنيتي ولم تجدي حذاءَك فاعلمي أني كذبتُ على المدى.
إن جئتِ أُغنيتي ولم تجدي صراخك فاعلمي أني كذبتُ على الصدى
إن جئتِ أُغنيتي ولم تجدي نهايتها أحبِّيني قليلاً كي تحبيِّني سدى
إن جئتِ أُغنيتي ولم تجدي بدايتها أعيدي زهرةَ البيت الأخيرة للندى.
في آخر الأشياء نعلم أننا كنا نحبُّ لكي نحبّ..وننكسرْ.
..ولو استطعتُ ملكتُ عُمرَكِ ساعةً ودقيقةً منذ الولادهْ
حتى محاولة انتحاري حول خَصْرِكْ
وسرقت نعناع الطفولة من خُطاكِ وشرق شَعْرِكْ
ولو استطعتُ قتلت من رسموا فراشة ركبتيكِ
وشاهدوا الحجلَ المراوغَ فوق صدرِكْ.

ولو استطعت لكنتُ عبداً . أو إلهاً في مَمَرِّكْ
وأعدتُ تكوين الخليقة كي أكون الموجة الأولى لبحرِكْ
والصرَّخةَ الأولى لبرِّكْ
ولو استطعتُ لكنتُ أُدْرِكُ أننا
ثَمَرٌ على وشكِ السقوطِ عن الشجرْ

فـانـتـازيـا الـنـاي

فانتازيا الناي

النايُ خيطُ الروح , خيطٌ من شعاع أو أبَدْ
أبَدِ الصدى . والنايُ أنَّ يئنُّ أنّي راجعٌ من حيثُ جئتْ
من حيث جئتُ بلا رفيقٍ ' أو بلدْ

بلدٍ يَلُمُّ حُطام أُغنيتي ,
ما نفعُ أُغنيتي؟

النايُ أصواتٌ وراء الباب . أصواتٌ تخافُ من القمر
قمر القرى . يا هل تُرى وَصَلَ الخبرْ
خبرُ انكساري قربَ داري قبل أن يصل المطرْ
مطرْ البعيدِ , ولا أُريدُ من السّنهْ
سنة الوفاةِ سوى التفاتي نحو وجهي في حجرْ
حجرٍ رآني خارجاً من كُمِّ أُمّي مازجاً قدمي بدمعتها
فوقعتُ من سنةٍ على سَنَةِ
ما نفع أُغنيتي؟

النايُ ما نُخفي ويظهر من هشاشتنا , ونمضي
نمضي لنقضي عمرنا بحثاً عن الباب الذي لم ينغلقْ
لم ينغلقْ بابٌ أمام الناي . لكنَّ السحابة تحترقْ
مما أصاب خيولنا , يا نايُ , فاثقبْ في الصخورِ طريقنا حتى نمرّ حتى نمر
كما يمر العائدون من المعارك ناقصينَ
وخاسرينَ شقائق اللغةِ
ما نفعُ أُغنيتي؟

النايُ آخر ليلتي . والنايُ أوَّل ليلتي . والنايُ بينهما أنا
أنا لا أُنادي غير ما ضيَّعْتُ من قلبي هنا

وهناك سرنمةٌ . بلادي تشتهيني ميتاً ومشتتاً حول السياجْ
حول السياجِ يطاردُ الأولادُ قُوتَ الطيرِ أو قطع الزجاجْ
زجاجِ أيّامٍ تُعَدُّ على الأصابع أو على توت البيوت
توتِ البيوتِ يموت فيَّ ' ولا يموتُ
ولا يموتُ على الغصون . تموتُ ذاكرتي
وما نفعُ أُغنيتي؟

النايُ ' ناح النايُ صاح النايُ في شجر النخيلِ
شجر النخيل سيشتهينا . مَوِّهينا وادخلي باهَ الصهيلِ
وأَنا الصهيلُ وأنت جلدي ' دثّريني دثّريني , واشربي عسل القتيلِ وأنا القتيلُ '
وأنت أفراسُ . سأسقط كالنداء عن السفوحْ وعلى السفوح ينوح نايٌ . فضَّة
الوديان أنَّتْ حول حنجرتي
فرس من الشهوَهْ
لا تبلغُ الذروهْ
ما نفعُ أُغنيتي ؟

النايُ نار الحب حين نظنُّه قد مات فينا
قد مات فينا فجأة ما نشتهيه ويشتهينا
ما يشتهينا نشتهيه ' ورغبتي تبكي كأنثى الوحش تبكي
تبكي شعيرات الدم المحبوسِ في لُغَتي لأصرخ :
كم أُحبُّك , أو لأحكي
أحكي عن الناي الذي لا يستطيع فراق امرأتي

ما نفعُ أغنيتي ؟

الناي يفضحُ جرحنا المنسيَّ . يفتح سّرنا للاعترافْ
الاعتراف بكل ما نخفي وراء قناعنا . كنا نحبُّ
كنا نحبُّ نساءَنا . كنا نصَدِّق ماءنا وهواءنا . كنا نخافْ
كنا نخافُ نهاية الأشياء فينا عندما كنا نشبُّ
كنا نشبُّ على الخرافة . باسم مَنْ نهدي ونرفع حلمنا
هل حلمُنا ' يا ناي ' كنزٌ ضائعٌ
أم حبل مشنقةٍ؟
قمرٌ على الشرفَهْ
لا يدخلُ الغرفَهْ
ما نفعُ أُغنيتي ؟

محاولة انتحار

محاولة انتحار

كتب الوصيَّهْ :
عشرون أُغنيةً لعينيها ' وللرمل البقيَّهْ

لم أَحترقْ

لم أَحترقْ

والنار ما زالت مُسَوَّدَةً خفيَّهْ

لم يبقَ لي غير النزول عن الصدى

والسير خارج داخلي بين الشظايا والمدى

عبثاً أُقدِّس ما يدنِّسُهُ الكلامُ . سدىً سدى

فلأنصرفْ عني وعنكِ إلى الغيوم الليلكيَّهْ

فَتَحَ النوافذ للكآبة : كم أرى

سُحُباً تغطيني وتمطرُ خارجي . كَمْ مِنْ قُرى

ألِفَتْ حنيني واختفت بدخانها كم من شعاعٍ أخضرا

شقَّ السماء وشَقَّني لأكون : قاعاً ' أو ذُرى

وقصيدتي لا تنتهي إلاّ لتبدأ منكِ يا لُغَتي العصيَّهْ

لم يبقَ لي غيرُ الذي لم يبقَ لي . تعب المغنّي والمحاربْ

فليستريحا ، ريثما تُنهي مراكبُنا عويل البحر أو تُسْبَى المراكبْ

وليستريحا ليلةً ' حتى نرى حجراً نُسَمِّرُ فوقه ضوء الكواكبْ

وليستريحا في . هل من قِمَّةٍ أُخرى

لنسرٍ لا يريد الموتَ في حقلِ الحقائبْ ؟

لم يبقَ لي غير انكسارِ السيف في جَسَد الضَحيَّهْ

ماذا تبقّي منك . يا شعري ' سوى امرأة تُغنِّي ما استطاعت أن تُغنِّي للقادمين

من الغياب ومن أصابع أدمنت شارات نصرٍ كَسَّرتني؟
مات الذين أُحبُّهُم ، واللوزُ يُزهر كلَّ عامٍ بانتظامْ
ماتوا ، ولكنَّ الصخور تبيضُ لي حجلاً وتسحب ظلَّها البُني عني
طُرق بلا طُرق هناكَ,
وههنا أفقٌ ، وأغنية تمنَّتني ولكن حطمتني
وحدي أُجدِّد صرختي : عودوا لأسمع صرختي . عودوا إليَّ الآن مني ماذا تبقَّى
منك ، يا شعري ، سوى أسماء قتلانا ، ووشمٍ في الهويّهْ؟

ماذا تبقَّى منك ، يا امرأتي ، سوى يأسٍ تُكَلِّلني يداهُ؟
قد خفتُ من هذا النسيج وخفت من النشيج ومن عَدُوٍّ لا أراهُ لا نهر فيَّ لتعبريه
إليّ فجراً . كُلُّ ما فيَّ انتباهٌ وانتباهُ
لا بحر فيك لكي أصبَّ نهايتي . لا برَّ فيك لأهتدي من حيث شرَّدني
الإلهُ
وهبطتُ من قدميكِ كي أعلو إلى قدميكِ ثانيةً ، ويخطفني مَتَاهُ
لكنَّ قلبي كان يعرف أنه لا يستطيع الارتفاع إلى مداكِ..إلى مداهُ
ماذا تبقَّى منك ، يا امرأتي ، سوى عسل يُجرِّحني ، وملح جرَّحتني ضَفَّتاهُ؟
ماذا تبقَّى منكِ غير قصيدةِ الحبِّ الشقيَّهْ
كتبَ الوصيَّهْ:
عشرون أغنيةً لعينيها ... وللرمل البقيَّه
لا تشرحي أسباب هذا الانتحار لأصدقائي
لا تريد فحم الثياب , ولا تُغطيني بريحانٍ ورايهْ
لا تحفري فوق الهواء تحيَّةَ القلب الأخيرهْ

وإذا استطعتِ فلا تُحبِّي أيَّ شخصٍ تعرفينه
وإذا استطعت تجنَّبي مطر الخريف وصوتَ أُمِّي ,
وخُذي من النسيان زنبقةَ البياضِ العائليَّهْ

فَتَحَ النوافذ للذى يأتي ' فلم يسمع سوى دقّات ساعته الأخيرة دقَّتْ ' تدقُّ '
تعدّ ساعات النهاية . كم نهايهْ
ستدقُّ ساعتهُ لتُنهي دورة العمر القصيرهْ؟
لم يبقِ لي غير النزولِ من البداية ...للبدايهْ
والسير داخل خارجي . لكن سدى
وسدى تطول المسرحيَّهْ
هو لا يُوَدِّع أيَّ شيء أو أحدْ
عبثاً يُحِسُّ بأنه قد مَرَّ فوق الأرض يوماً
لا شيء يغريه بأن يبقي على الفراغ من الفراغ إلى الفراغ مُعَلَّقاً
قال : الحياةُ هديَّةُ الأفعى ' فما شأني أنا
في مَنْ سيفرحُ بالهديَّهْ؟

وَضَعَ المُسَدَّس بين رؤياهُ ' وحاول أن ينامْ
إن لم أجد حلماً لأحلمهُ سأطلقُ طلقتي
وأموت مثل ذبابةٍ زرقاءَ في هذا الظلامْ

وبلا شهيَّهْ

كتب الوصيَّهْ
عشرون أُغنيةً لعينيها ، وللرمل البقيَّهْ

كتب الوصيَّه :
لا ، لا وصيَّهْ.

آ ن ـلـلـشـا عـر أ ن يـقـتـل نـفـسـه

آن للشاعر أن يقتل نفسه

آن للشاعر أن يقتل نفسَهْ

لا لشيء ٬ بل لكي يقتل نَفْسَهْ

قال : لن أسمح للنحلة أن تمتصَّني

قال : لن أسمح للفكرة أن تَقْتَصَّ منِّي

قال : لن أسمح للمرأة أن تتركني حيّاً على ركبتها

من ثلاثين سَنَةْ

يكتب الشعر وينساني . وقعنا عن جميع الأحصنهْ

ووجدنا الملح في قمحٍ , وهو ينساني . خسرنا الأمكنهْ

وهو ينساني . أنا الآخر فيه

كُلُّ شيء صورةٌ فيه . أنا مرآتُهُ

كُلُّ موتٍ صورةٌ كُلُّ جَسَدْ

صورةٌ . كُلُّ رحيل صورة . كُلُّ بَلَدْ

صورةٌ . قلتُ : كفى متنا تماماً , أين إنسانيتي؟ أين أنا

قال : لا صورة إلاَّ للصوَر

من ثلاثين شتاءْ

يكتب الشعر ويبني عالماً ينهار حولهْ

يجمع الأشلاء كي يرسم عصفوراً وباباً للفضاءْ

كُلَّما انهار جدارٌ حولنا شاد بيوتاً في اللغهْ

كلما ضاق بنا البرُّ بنى الجنة , وامتدَّ بُجُملهْ

من ثلاثين شتاء ٫ وهو يحيا خارجي

قال : إنْ جئنا إلى أُولى المُدُنْ

ووجدناها غياباً

وخراباً

لا تصدِّقْ

لا تُطَلِّقْ

شارعاً سرنا عليه ... وإليهِ

تكذب الأرضُ ولا يكذب حُلْمٌ يتدلى من يديه

من ثلاثين خريفاً

يكتب الشعر ولا يحيا ولا يعشق إلاّ صوَرهْ

يدخل السجنَ فلا يُبصر إلاّ قمرهْ

يدخلُ الحبَّ فلا يَقطِفُ إلاّ تمرهْ

قلتُ : ما المرأةُ فينا ؟ قال لي : تُفَّاحةٌ للمغفرهْ

أين إنسانيَّتي ؟ صحتُ

فسدَّ الباب كي يبصرني خارجَهُ . يصرخ بي :

من فكرةٍ في صورةٍ في سُلَّم الإيقاع تأتي المرأةُ المنتظرهْ

آن للشاعر أن يخرج مني للأبد

ليس قلبي من ورقْ

آن لي أن أفترقْ

عن مراياي وعن شعب الورقْ

آن للنحلة أن تخرج من وردتها نحو الشفقْ

آن للوردة أن تخرج من شوكتها كي تحترقْ

آن للشوكة أن تدخل قلبي كُلَّهُ

كي أرى قلبي , وكي أسمع قلبي , وأحسَّهْ

آن للشاعر أن يقتل نفسهْ ,

لا لشيء ,

بل لكي يقتل نفسهْ

أوديب [ماحاجتك للمعرفة ... يا أوديب]

أوديب [ماحاجتك للمعرفة ... ياأوديب]

ما حاجتي للمعرفهْ؟
لم ينجُ منِّي طائرٌ أو ساحرٌ أو إمرأهْ
العرش خاتمةُ المطافِ ٫ ولا ضفافَ لقُوَّتي
ومشيئتي قَدَرٌ . صنعتُ أُلوهتي
بيدي ٫ وإلهةُ القطيع مُزَيَّفهْ
ما حاجتي للمعرفهْ؟

السرُّ في الإنسان,
والإنسان سَيِّدُ نفسه وسؤالِهِ
لا علم إلاّ ما يراهُ الآن ,
والماضي دموعٌ مُتْرفهْ
ما حاجتي للمعرفهْ؟

أمشي أمامي واثقاً من صولجان خطايَ . ظلِّي أزرقٌ
والناسُ أشجاري
وللتاريخ أن يأتي بكُلِّ قضاتِهِ وشهودِهِ
ليؤرخوا فرحي بمملكتي
وأولادي وسُورَ مدينتي
وجلالَ أقنعتي
وموتَ الأمسِ فيَّ وفي المؤرِّخ . ههنا أحيا . هنا أحيا ٫ هنا ما حاجتي للمعرفهْ؟

لا شأن لي بسلالتي

كانوا رُعاةً ، أم ملوكاً ، أم عبيدْ

هذا أنا مَلِكٌ

أنا ملك وحيدْ

وأُحِبُّ امرأتي وأعبدُها وأَلبسُ عُرْيَهَا

وأشدُّها من كل أطراف الدم الجنسيِّ في دمها

وأُطلقُ صرختي بفحيح حيواناتها الصغرى

أُريدكِ مَرَّةً أُخرى ، فلا تتحدثي عن زوجكِ الماضي وعن رجل سوايَ

أنا هنا . وأنا هنا

وأنا هنا

وهنا أنا...

ما حاجتي للمعرفهْ؟

أنا كائنٌ في ما أكونْ

وأن أنا

ماضيَّ سرٌّ لا يُؤرِّقني ،

سأكمل ما بدأت من الجوابِ ، لأكملَهْ

لا شأن لي بالأسئلة

عمَّا مضى

لا شأن لي ، لا شأنَ لي . وأنا جوابٌ للجوابْ

لا شأن لي في أصل أُمِّي

سيَّان ، إن كانت أميرهْ

أو فقيرهْ

أنا واحدٌ

أَحَدٌ

مَلكْ

ما حاجتي للمعرفهْ؟

لم يسألوني مَرَّةً : من أي صُلْبٍ قد أتيت؟

لم يسألوني : مَنْ أبوك ومَنْ أخوك ؟ ومن قتلتَ وهل قتلتْ؟

لكنهم قالوا : ستثأرٌ للملكْ

فسألت : من قتل الملكْ؟

وسألتُ : من قتل الملكْ؟

أنا قاتلُ الملكِ . الملكْ

هو والدي المجهول والراحلْ

وأنا بريءُ من دَمٍ واقفْ

بيني وبين الله . لم أعرفْ

بأني القاتل الجاهلْ

وهل الجريمة أنني قاتلْ

أَمْ أَنَّني عارفْ؟!

أنا زوجُ أُمِّي

وابنتي أُختي

وتختي , مثل عرشي ٬ أوبئهْ
يا إمرأهْ
يا معرفهْ
ما حاجتي لكما ,
لماذا لم تموتا مثل موت الآلهة
مَنْ أطلق الماضي عليّ كإخطبوط حول روحي التائهة
مَنْ دسَّ في خمري سموم المعرفهْ
ما حاجتي للمعرفهْ؟

يـكـتـب الـراوي : يـمـوت

يكتب الراوي : يموت

ليس لي وجهٌ على هذا الزجاجْ

الشظايا جسدي

وخريفي نائمٌ في البحرِ

والبحرٌ زواجْ

فلينم أصحاب هذا الوقت في ساعاتهم

هذه الأجراس لا تأخذني اليومَ

إلى أي لقاء أو وداع...

هذه الأجراسُ لا تعلن وقتي

إنَّ وقتي من شعاع

يكتبُ الراوي على الكورنيش

والموج الممزَّقْ:

ذهب المَوتُ إلى البحر

وظلَّ البحر أزرق

مُدنٌ تأتي وتمضي . هذه زنزانتي

بين حوار الضوء والظلِّ

جدارٌ وجدارْ...

إن وجهي واحدٌ . والموت واحدْ

مدن تأتي .. وظلَّ يتمدَّدْ

مدن تمضي ... وظلَّ يتبدد

هذه حريتي

بين حوار الظلِّ والضوء

نهار وجدار

إن وجهي واحدٌ ... والموت واحدْ.

يكتب الراوي على السكينِ:

من هذا النزيفْ

طار عنقودُ حمامْ

وعلى سطح الرغيفْ

وجد العشَّ ونامْ

ليس لي وجه على مرآة هذا الوقت

وجهي كبيوت الفقراء

((يشرب النسيان)) من ذاكرة القمحِ

وحلم الأنبياء

مُدُنٌ تأتي وتمضي . ساعةُ الحائطِ للعرضِ

وللأرض أنا ... والشهداء

وهنا بيروت في الصفر التجاريِّ وفي أقراص منع الحمل والحنطة

تبكي وقتها المكسور في الإعلان عن أقراص منع الوطن الأخر تبكي وقتها

المهدور في هذا المساء

ليس لي وجه على هذا الكفن

فلينم أصحاب هذا الوقت في ساعاتهمْ

ولينهضِ الموتى من الموت لترويض الزمن

يكتُبُ الراوي على باب المدينة:
من هنا مر الخريفْ
في ثياب القَتَلَهْ
وعلى كل رصيفْ
حفلة للسنبلَهْ

ليس لي وَجْهٌ على هذا الفراق
الشظايا جسدي
والمسافاتُ عناق
آه ، لو يبتعد الموتى عن الموت قليلا
لأراهم في تفاصيل الأملْ
آه . لو أسحب مني جثتي
لأرى الفارقَ ما بين الصّدى والصوت
والفكرة في بؤس العمل
كلُّ شيء قابل للاحتراقْ
في احتمالات الكتابة
كلُّ شيء في يد الراوي أو الشاعر
شعرٌ وعناقْ
الضحايا – صُوَرةٌ
والدمُ – إيقاع قصيدهْ
واندلاعُ الفجر في الغابةِ
والماء الطليعيّ

وعطرُ البرتقال الرحبُ...
والموتُ دفاعاً عن حصان أو عقيدهْ
في يد الشاعر شعرٌ وعناقْ !
يا إلهي ! أين إنسانيتي
يا إلهي ! كيف أنجو من مهارات اللغة !
كل شيء قابل للاحتراق
في احتمالات الكتابة
المسافات عناق
والتفاصيل عناق
والعلاقات عناق

ولذلك
يكتب الراوي على كل البيوت:
الحقيقيُّ يموت
والحقيقيُّ يموت !

أُسميك نرجسة حول قلبي [الى سميح القاسم]

أُسميك نرجسة حول قلبي [الى سميح القاسم]

دوائرُ حولَ الدوائرِ ، لو كان قلبي مَعَكْ
قطعتُ مزيداً من البحرِ . ماذا أصابَ الفَرَاشَ ،
وما صَنَعَ النبعُ بالفتياتِ الصغيرات ؟ ماذا دهانا ؟
لندخل هذا العناقَ السرابَ .. العناقَ السرابَ السرابْ
ونحن على مشهدٍ لا يُكَرِّر إلاّ حضورَ الغيابْ
تماثيلَ تُحصى ، حصى ، مشمشاً ، شارعاً ، شارعين . وبابْ
يطلُّ على خُطْوةٍ لم تصلْ بعدُ . ماذا أصاب الوهجْ
وما فعل الليلُ بالعتباتِ الأليفةِ ؟ ماذا دهانا ؟
لتنفصلَ العينُ عن نظرةٍ صَوَّبَتها ؟ أحين تمدُّ الجذورْ
رسائلَها في الفضاءِ لتمتدَّ فينا يغيبُ الحضورْ ؟
غيابٌ حُلوليَ في كُلِّ دارٍ . غيابٌ بلادٌ أُشيّدها في اللغهْ
غيابٌ دخوليَ في الروحِ لاشيءَ فيَّ . غيابٌ غيابْ

إذا غَفَر اللهُ للأنبياءْ
وعادوا إلى الأرضِ من ملكوت العقيدهْ ؛
إذا غَفَر اللهُ للسجناءْ
وعادوا إلى البيت من رحلةٍ في مساء القصيدهْ
إذا غَفَر اللهُ للشهداءْ
وعادوا إلى الأهل من جنَّة الكلماتِ البعيدهْ
فهل تغفرُ الأمُّ لي

رحيلي إلى امرأةٍ ثانيهْ ؟

دوائرُ حول الدوائِر ، دعني أُفسِّرْ لكَ الحادثهْ
حلمتُ ، كما كُنْتَ تحلم ، أَن حزيران أقسى الشهورْ
وأَنَّ الكلام الذي يتكرَّرُ فينا لكي نتبعهْ
هو الكارثهْ
حلمتُ ، كما كنتَ تحلمُ ، أن البحيرات زرقاءُ خلف يديَّ
وخلفَ يديكْ
وأن الطريق المعاكسَ أقربُ منّي إليَّ ، وأقربُ منكَ إليكْ ،
وأَن لحريتي رمزَ تموزَ والزوبعهْ
حلمتُ فَطِرْتُ لأدخل ، ثانيةً ، في الجذورْ
وغبتُ لأُحضِرَ كلَّ هدايا اللغهْ
إليكْ ..
وكدتُ أعود قُبَيْل انبثاق الفراقْ
ولكنَّ حادثةَ الوهم تمّتْ ، وتَمَّ احتراقُ البُراقْ
على شارع عجَّ بالحالمين ،
وبالرحلة الثالثهْ

إذا ضَلَّت الروحُ خارجَها
ضَلَّتْ روحَ داخلها

أسمِّيك نرجسةً حول قلبيَ
لو كان قلبي معكْ ،
وأودعتُهُ خَشَبَ السنديانِ ،
لكنتُ قطعتُ الطريقَ بموتٍ أقلَّ ...

أما من وراءٍ ؟ أما من أمامٍ ؟ أما من صعود ؟
أما من هبوط ؟
أما آن للفارس الحُرِّ أن يتوسَّدَ ظِلاً وأن يشتري قبرَهُ قبل أن ينفدَ القفرُ . ماذا دهانا

أما كان من حقِّنا أن نُصَدِّق امرأةً واحدهْ
وأُسطورة واحدهْ ؟
حرامٌ علينا مكاشفةُ الذات . هل ترقص الباسادوبلي
وتعبر في شارع المومساتْ ؟
أما كان من حَقِّنا أن نواصل ذاك الضحكْ
وكَسْرَ الزجاجاتِ في شارع الليل حين يموتُ الملكْ ؟

لنا الذكرياتُ ، وللغزوِ ترجمةُ الذكرياتِ إلى أسلحهْ
ومستوطناتْ
أما زلت تؤمن أن القصائد أقوى من الطائراتْ ؟
إذن ، كيف لم يستطع امرؤ القيسِ فينا مواجهة المذبحهْ ؟

سؤالي غلطْ

لأنَّ جروحي صحيحهْ

ونطقي صحيحٌ ، وحبري صحيحٌ ، وروحي فضيحهْ

أما كان من حَقِّنا أن نكرّس للخيل بعضَ القصائد قبلَ انتحار القريحهْ ؟

سؤالي غلطْ

لأني نمطْ

وبعد دقائقَ أشربُ نخبي ونخبكَ من أجل عامٍ سعيدٍ جديدٍ جديدٍ سعيدٍ

جديدٍ سعيدْ

إذا ضلَّت الروحُ خارجَها

ضلَّتْ روحَ داخلِها

سنكتبُ ، لا شيء يثبت أني أُحبك غير الكتابهْ

أُعانق فيك الذين أحبوا ولم يفصحوا بعد عن حُبِّهم

أُعانق فيك تفاصيل عمر توقَّفَ في لحظةٍ لا تشيخُ

هنا قلبُ أُمّي . هنا وجهُ أُمِّك

هنا أوَّل الشِعْرِ والسخريهْ

هنا أول السُلَّم الحجريِّ المؤدّي إلى الله والسجن والكلمهْ

هنا نستطيع انتظارَ البرابرة المؤمنين بجحشٍ

توقف في أرضنا قبل ميلاد عيسى عليه السلام ،
وأسَّس دولته بعد ألفي سنهْ
أتحسب أن الزمانَ يُضَيِّعُ حَقَّ الحمير بقتلِ العربْ ؟

سنكتب ، لا شيء يثبتُ أنَّ الزمانَ طويلُ اللسانِ
سوى الكلمات التي لا تَصُدُّ سوى موتِ
صاحبها
فقُلها
وقُلْها
وخفِّفْ عن القلبِ بعضَ التلوّثِ والأسئلةْ
وقُلْها
وخفِّفْ عن الناس ساديَّة العصرِ والأخوة – القَتَلَهْ
سنكتب من غير قافيةٍ أو وطنْ
لأنَّ الكتابة تثبت أني أُحبكْ ،
وأنَّ لأُمي حقاً بقلبكْ
وأنَّ يديك يدايَ ، وقلبيَ قلبُكْ

□

من فضة الموت الذي لاموت فيه

نسيانُ أَمرٍ مّا صعودٌ نحو باب الهاويهْ

يُمْتَحنُ الصوابْ؟ هذا أنا أنسى نهاياتي وأصعدُ ثم أهبطُ . أين

المُفْرجَهْ؟ هل في الطريق ' أم الوصولِ إلى نهايات الطريق

أو أغنيهْ وإذا وصلتُ فيكَيفَ أمشي ؟ كيفَ أرفعُ فكرةً

السماء على الحصى ضيَّقْتُ هاويتي لتكبر خطوتي فيها ' وأجلستُ

الكثيرهْ وعليَّ أن أنسى لأنفضَ عن يديَّ سلاسل الطُرقِ

البدايهْ وعليَّ أن أنسى هزائميَ الأخيرة كي أرى أُفُقَ

البدايةِ واثقاً منِّي ومِنها وعليَّ أن أنسى البدايةَ كي أسيرَ إلى

غيرَ قبوي ولأنني ما زلتُ أسألُ ' لا أرى شكلاً لصوتي

فكرتي مُذْ طارَ سيفي؟ هل كان معيارُ الحقيقةِ دائماً سيفاً لأخفي

الوادي السحيقْ؟ مَنْ يستطيعُ البحثَ عن سفحٍ لصوتٍ خرَّ في

الخيول الفاتحهْ مَنْ يستطيعُ البحث عن أممٍ أتانا صمتهُا عبر

واستسلمتْ لغيابها وتزوَّجتْ لغةَ العدوِّ تعلمتْ أديانَهُ

مُرَبَّعْ ماذا أرى مما جرى ؟ هل أستطيع البحثَ عن مترٍ

الصارمهْ لأحيل أُغنيتي إليه ' خلفَ هندسةِ الخرابِ

موتي ولخطوتي الأولى . ألم أعرف تماماً شكل

موتي وحجارة القمر المبعثرِ ' عندما أهديتُ

لسلام أطفالٍ سينجبهم عَدُوِّي من نسائي

الناجحينْ؟ هل هكذا التاريخ لا يروي سوى سِيرَ الملوك

وعن سرير العاشقهْ ' دافعتُ عما لا أراهُ ' لن أراهُ ' ولن أراهُ

إليهْ دافعتُ عن شجرٍ سيشنقني إذا ما عُدْتُ من لغتي

يدايْ دافعت عمَّا كان لي ' ويفرُّ مني حين توقظهُ

سأستطيع دافعت عمّا ليس لي . وسأستطيع إذا استطعتُ

موعظةَ الجبلْ أن أُرجعَ الماضي إلى ماضيهِ ' أن استلَّ

والشهودْ ممّن رآني سائراً متسائلاً بين الضحايا

سأستطيعْ ضيَّقْتُ هاويتي لأوضحَ خطوتي . سأستطيعُ

مشيئةُ رغبتي أن أملأ الكلمات معناها وأن أحيا كما شاءت

الهاويهْ هذا أنا أنسى نهاياتي وأصعدُ ثم أصعدُ نحو باب

الأخيرهْ؟ أهناك ما يكفي من الأفكار كي أختارَ خطوتي

الرصيف أهناك مايكفي من البلدان كي أضعَ الكلامَ على

وأنصرفْ

تطلُّ على المذابحْ؟ أهناك ما يكفي من الكلمات كي أبني نوافِذَ لا

الشعوبِ السابقهْ؟ أهناك ما يكفي من التاريخ كي أجدَ ابتهالاتِ

وأنسى .. أهناك ما يكفي من النسيان كي أنسى

كسرتُ الدائرهْ .أنسى لأبتكر البداية من نهاية ما انتهى فينا

الأجنحهْ وكسرتُ نفسي كي أرى نفسي تدلّ على انتباه

أنسرِجُها الكنايهْ؟ وعليّ أحياناً. أنطعمُ خيلَنا لغةً ،

قيودي من ليس منّا صار منّا. افتحوا باب الحدائقِ في

من اليمامْ يخرجْ إليكم ما أُريدُ من الكلام، وما أُريدُ

شيءٌ كي أراهْ لم يبقَ لي شيءٌ لأخسرَهُ هنا. لم يبقَ لي

كتابات الكهوفْ لم يبقَ لي شيءٌ يناديني ولا شيءٌ يضافُ إلى

المعنى. فماذا في قوّتي ضعفُ الممرِّ، وفي انكساري قوّةُ

حطامي العاليهْ لو هبَّ نعناعٌ على أقفاص نفسي، وارتفعتُ على

حدودُ الهاويهْ؟ ماذا لو اكتمل النشيدُ الحرُّ ، وانهارتْ

هي أغنيهْ ماذا لو انفضّ النّهارُ عليَّ من ثقب المدى؟

وسنستعيدْ سيوّزعُ النسيانُ أعشاباً على جدرانها ،

سنةً سنبقى أيامَ إخوتنا وتاريخ انبجاس الماء من حجر. فكم

وجناسَها في قاع هاويةٍ نُعلم روحنا قدّاسَها

يتبعونا ونعيدُ للأسماء سكّاناً نسوا أسماءهم كي

ويُقايضوا دمهم برمّان البعيدْ؟

أُغنيتي وصدّقتُ صدّقتُ أُغنيتي وكذّبتُ الخريفَ وليتني كذّبتُ

الخريفْ

عن السياجْ؟ هل يستطيعُ الوردُ في أحلامِ منْ مات النزولَ

ذهبَ الكلامْ هل نستطيعُ العيشَ أكثرَ ما استطعنا كي نرى

كما أساء الحبُّ لي خبزاً وفاكهةً؟ "أسأتُ إليك يا شعبي" أسأتُ

وحدها وأصبتُ طفلاً بالأغاني حين قدّستُ المعاني

الهواءَ على الأصابعْ وتركتُ سكانَ القصيدةِ في مخيّمهم يعدّونَ

الصغيرهْ؟ كم من أخٍ لك لم تلدْهُ الأم يولدُ من شظاياك

الظهيرةَ عن دمك؟ كم من عدوٍّ غامضٍ ولدته أمُّك يفصلُ الآن

كما أساءَ إليّ آدمْ؟ "أأسأتُ يا شعبي إليكَ"

!أحدْ ما أضيقَ الأرضَ التي لا أرضَ فيها للحنين إلى

كم مرةً ستعيدُ للأممِ المسيحَ على طبقْ

..درجْ من فضةِ الموت الذي لا موت فيهِ ولا

فكرتها البسيطهْ كم مرةً ستعيدُ للأشياءِ أوّلها وللأسماءِ

ولا ترى ، "كم مرةً ستمرُّ وحدك في "الطريق إلى دمشق

كوني صغيرهْ غير الفراغ المرِّ، يا صحراءُ كوني نعمةً،

الأخيرهْ لتمرَّ قافلةُ الدعاءِ وقبضةُ القمح

كم مرةً ستكونُ آخرَ من يكونُ ولا يكونْ؟

السلامَ على أحدْ يستدرجونك، فانتظرهم خارج المعنى ولا تلقِ

الشجرِ السحابةِ واللغهْ واخطفْ خطاكَ من الخناجر، وارتفعْ أعلى من

فيهم وادخلْ إلى أنفاقِ نفسك كي ترى ما ليس

وكنْ .يستدرجونك، فانتظرهم خارج الأشياء. كن شبحاً

شبحْ شبحاً، ولا تخلعْ قناعَك عن دروعك. كنْ

هي أغنيهْ .شبحَ البدايةِ والنهايةِ والمدى، أنت المدى

قطعوا يديّ وطالبوني أن أدافعَ عن حلبْ

صلاة الغائبين واستأصلوا منّي خطاي وطالبوني أن أسير إلى

حاصروني أشعلتُ معجزتي وسرْتُ، فحاصروني ، حاصروني ،

{الرياحِ مع العدو قالوا : انتظرْ، فنظرتُ. {لا تكسرْ موازينَ

فقالوا : لا تسِرْ ووقفتُ: قالوا : لا تقفْ . فمشيتُ ثانيةً،

خارجَ الكلماتِ}. قلتُ: منِ العدوّ؟ الحربُ فرٌّ. لا تحاربْ}

{واعتذر عمّا فعلتْ ارفعْ شعارك وانتظرهُ}

{تبلّغْ سيِّدكْ ماذا فعلْتُ؟ {بحثْتَ وحدك عن خطاكَ ولم

فقلتُ: لا {من سيِّدي؟ قالوا : {الشعارُ على الجدار

يديّ لا سيّدٌ إلاّ دمي المحروقُ في جسدي يفتّش عن

دمي. هي أُغنيهْ لتدقَّ بوابات هذا الليلِ . لا. لا سيّدٌ إلاّ

قاتلي، حبيبتي :وعليَّ أن أجدَ الغناءَ لكيْ أسلّي من أُسلّي

وأحياناً أحبُّ لكي أحبّ وأنا أُحبُّ لأرفعَ الأنقاضَ عن نفسي،

ماذا سأفعلُ بعد جسمك، والشتاءُ هو الشتاء

إلى عبثِ الكلامْ عسلٌ عنيفٌ يرشدُ الأنثى إلى ذكرٍ ، ويرشدني

للقصيدهْ دقّت حوافرُ هذه الأمطار خاصرتي ، أألجأُ

أنت وأين أنتِ؟ وهي التي فتحت على حريتي منفايَ فيكِ، وأين

أجسّهُ وأراهُ جسماً للغيابْ في القاعِ يتضحُ الغيابُ، أرى الغيابَ ،

فأهبطُ في الجحيمْ وأقيسُ هاويتي بما يبقى من النسيانِ ، لا أنسى

أيها النسيانُ حبلاً للخروجْ وأقيسُ هاويتي بما يبقى من النسيانِ ، فاهبطْ

الذاكرهْ للخارجِ الهاوي. تعبتُ من الرجوع إلى مهبٍّ

وردتي أنسى لأعرف أننا بشرٌ وأنسى كي أجدّدَ

حمراءَ في هذا الخرابْ لا شيء فيَّ ، ولا أماميَ ، كي أرى خُبَّيْزةً

لا شيء فيكِ لكي أضحّي بالمدائحِ والجسدْ

والطبائعْ لا شيء فينا كي نعودَ إلى مُساءلةِ الطبيعةِ

أغنيهْ لا شيء فينا كي نعلّقَ شارعاً فوق الصدى. هي

طائراً وعليَّ أن أجدَ السماءَ هنا لأُصبحَ

أنتظرْ؟ وعليَّ أن أنسى لكي أجدَ الذي أنساهُ . ماذا

غيابي لم يبقَ في تاريخ بابي ما يدلُّ على حضوري أو

إلى الرموزْ بابٌ ليدخل أو ليخرجَ مَنْ يتوبُ ومَنْ يؤوبُ

بابٌ ليحملَ هدهدٌ بعض الرسائلِ للبعيدْ

ومن أحبّ لم يبقَ في تاريخ بابي غيرُ خطوة مَنْ أريدُ

وحين قمتُ كلَّ الذين كرهتهمْ مرُّوا ببابي حين نمتُ

من أبناءِ أمِّي من آدمَ المحكومِ بالصحراءِ حتى آخرَ الأعداءِ

الآلههْ؟ أأنا الوحيد المستباحُ كشمسِ آبَ وتسميات

الأمكنهْ أأنا الوحيد الحرُّ في كلّ العصورِ وفي جميع

أبي ليقيسَ كلَّ الناسِ ٬ حُرياتهم بطلاق أُمِّي من

أحدْ؟ هل متُّ من زمنٍ بعيدٍ واختفيت ولم يصدِّقني

العدوِّ على فضاء مشانقي ويواصلون البحثَ عن قبري ليتفق الحليفُ مع

صوت لي ويواصلون البحثَ عن صوتي لأشهد أنني ... لا

أو أنني نصفُ الطريق إلى التوابل والحرير

يخاطب ربَّهُ أأننا استراحةُ من يحاربُ أو يفاوضُ 00أو

! أو واحةٌ للقافلهْ

لكي أغيب لا أستطيعُ تأمُّلَ الأشياءِ وهي تعيشُ فيَّ

حجرْ وقُدِدْتُ من حجرٍ ٬ وفي حجرٍ سُجِنْتُ ومِنْ

هناكْ أطلعتُ نرجسةً لتُؤْنسَ صورتي أنا من

وخرافتي وبكُلِّ ما أوتيتُ من حجرٍ سأجمعُ قوَّتي

وظلٍّ للمكانْ ٬ لأكون صنواً لاسمي الحجريٍّ,تخطيطاً لظلٍّ لي

السيوف الغادرهْ ومسافةً قرب المسافةِ بين أسئلتي وأجوبة

صرختي سأُمزِّق الصحراء فيَّ وحول أجوبتي . سأسكنُ

...((أنا من رأى))

حفنة العشب الأخيرهْ أنا من رأى في ساعةِ الميلادِ صحراءً فأمسك

سأكون ما وسعَتْ يدايَ من الأفق

سأُعيدُ ترتيبَ الدروب على خُطاي

.سأكون ما كانتْ رؤاي

...((أنا من رأى))

الراكضهْ أنا مَنْ رأى نومَ التتارِ على الخيولِ

فاقْتَرَبْ ... أنا مَنْ رأى أَمعاءَهُ فوق الدوالي

الدقيقةِ . فاقْتَرَبْ أنا مَنْ رأى خمسينَ عَصراً جاثِماً فوق

أنا مَنْ رأى تسعينَ والدةً لبنتٍ واحدهْ

القمرْ أنا مَنْ رأى سرباً من الحشراتِ يصطادُ

من الكهوفِ إلى المسارحْ أنا مَنْ رأى في جرحِهِ تاريخَ هجراتِ الشعوب

أنا مَنْ رأى ما لا يَرَى . هي أُغنيهْ

تهبَّ لذاتها هي أُغنيهْ لا شيء يعنيها سوى إيقاعِها ، ريحٌ تهبُّ لكي

أُغنيهْ حجرٌ يُشاهدُ عودةَ الأسرى إلى ما ليس فيهم ،

جنونهم في ضوئِهِ ويصدقون قمرٌ يرى أسرارَ كُلِّ الناس حين يخبئون

الأُغنيهْ

وهشاشةٌ تتفَقّدُ الإنسان في آثارِهِ،

فيْ لَوْحٍ يُؤوَّلُ أُغنيهْ ' فيْ قطعةِ الخزفِ القديمةِ , فيْ أداة الصيَّدْ

ليس يُدْرَكُ ' أُغنيهْ لتمجِّدَ العبثَ الشقيَّ وقوةَ الأشياءِ فيْ ما

وتَرْحَلْ تُرسي , لتعرفَ نفسها ' قانونَ غبطتها

تشير لقراءة أُخرى تراها عكسَ ما كانتْ تُشيرُ ولا

هي أُغنيهْ

هي أُغنيهْ

حصار لمدائح البحر



تاريخ النشر	**1984**
عدد القصائد	**11**

حصار لمدائح البحر **1984** موسيقى

عربـيـة

حصار لمدائح البحر 1984 موسيقى عربية

(ليتَ الفتى حَجَرٌ)

يا ليتني حَجَرُ..

أكُلّما شَرَدَتْ عينانِ

شرّدَني

هذا السحابُ سحاباً

كُلّما خَمَشَتْ عصفورةٌ أفقًا

فَتّشْتُ عن وَثَنِ؟

أكلّما لَمَعَتْ جيتارَةٌ

خَضَعتْ

روحي لمصرعها في رَغْوَةِ السُّفُنِ

أكُلّما وَجَدَتْ أُنثى أُنوثتها

أضاءني البرق من خصري

وأحرقني!

أكُلّما ذَبُلَتْ خُبّيزةٌ

وبكى طيرٌ على فننِ

أصابني مَرَضٌ

أو صِحْتُ: يا وطني!

أكُلّما نَوّرَ اللوزُ اشتعلتُ بِهِ
وكلما احترقا
كنتُ الدخانَ ومنديلاً
تمزقني
ريحُ الشمال، ويمحو وجهيَ المَطَرُ؟

ليت الفتى حَجَرٌ
يا ليتني حَجَرُ...

لحن غجري

شارعٌ واضحٌ
وبنتْ
خرجتْ تُشْعل القَمَرْ
وبلادٌ بعيدةٌ
وبلادٌ بلا أثرْ ...

حُلمٌ مالحٌ
وصوتْ
يَحْفُرُ الخصرَ في الحجرْ
إذهبي يا حبيبتي
فوق رمشي ... أو الوَتَرْ
قَمَرٌ جَارحٌ
وصمتْ
يكسر الريحَ والمطرْ
يجعل النهرَ إبرةً
في يدٍ تنسج الشَجَرْ

حَائطٌ سابحٌ
وبيتْ
يختفي كُلّما ظَهَرْ
رُبّما يقتلوننا

أو ينامونَ في المَمَرّ ...

زَمَنٌ فاضحٌ
وموتْ
يَشْتهَينا إذا عَبَرْ

انتهى الآن كُلُّ شيء

واقتربنا من النَهَرْ
انتهتْ رحلةُ الغَجَرْ
وتعبنا من السَفَرْ

شارعٌ واضحٌ
وبنتْ

خرجتْ تُلصِقُ الصُوَرْ
فوق جدران جُثّتي ...
وخيامي بعيدةٌ
وخيامٌ بلا أُثَرْ ..

أقـبـيـة , أنـدلـسـيـة , صحراء

أقبية , أندلسية , صحراء

فلتواصلْ نشيدكَ باسمي. هل اخترتُ أُمِّي وصوتَكَ؟ صحراءُ صحراءُ
ولتكن الأرضُ أوْسعَ من شكلها البيضويِّ . وهذا الحمامُ الغريبْ
حمامٌ غريب . وصدِّ رحيلي القصير إلى قرطبهْ
وافتراقي عن الرمل والشعراء القدامى ' وعن شَجَرٍ لم يكن إمرأة.
البدايةُ ليست بدايتنا, والدخانُ الأخيرُ لنا
والملوكُ إذا دخلوا قريةً أفسدوها,
فلا تبكِ , يا صاحبي , حائطاً يتهاوَى
وصدِّق رحيلي القصير إلى قرطبهْ
وواصلْ نشيدك باسمي . هل اخترتُ أُمي وصوتك؟ صحراءُ صحراءُ

سَهْلٌ وصعبٌ خروجٌ الحمام من الحائط اللغويِّ' فكيف سنمضي
إلى ساحة البرتقال الصغيرةِ؟
سَهْلٌ وصعبٌ دخولُ الحمام إلى الحائط اللغويِّ , فكيف سنبقى
أمام القصيدة في القبو؟صحراءُ صحراءُ
أذكر أني سأحلُمُ ثانيةً بالرجوع
- إلى أين يا صاحبي ؟
- إلى حيثُ طار الحمام فصفّق قمحٌ وشقّ السماء
ليربط هذا الفضاءَ بسنبلةٍ في الجليلْ

- هل نَجَوْتَ , إذن , يا صديقي؟
- تدلّيتُ من شرفة الله كالخيط في ثوب أُمِّي الطويلْ
وارتطمتُ بعوسجةٍ فانفجرتُ....

- لماذا تريد الرحيلَ إلى قرطبهْ؟
- لأنيَ لا أعرفُ الدرب , صحراءُ صحراءُ ,

غنِّ التشابهَ بين السؤال الذي سيليه
لعلّ انهياراً سيحمي انهياري من الانهيار الأخير
أنا ألفُ عامٍ من اللحظة العربيَّةِ' أبني على الرمل ما تحمل الريحُ
من غَزَوَاتٍ ومن شهواتٍ وعطرٍ من الهند . أذكر درب الحرير
إلى الشام . أذكر مدرسةً في ضواحي سمرقندَ, وإمرأةً
تقطف التَمْرَ من كلماتي وتسقط في النهر
- هل يقتلون الخيولْ؟
- والبخارَ الذي يتسلّل من دمنا في اتجاه الصدى
- هل تموتُ كثيراً؟
- وأحيا كثيراً' وأُمسكُ ظلّي كتفّاحة ناضجةْ
ويلتفّ حولي الطريق الطويلْ
كمشنقةٍ من ندى
وأوقنُ , يا صاحبي , أننا لاحقان بقيصرَ.. صحراءُ صحراءُ

غنِّ انتشاري على جسَد الأرض كالفُطْر . إنّ الغجرْ

يكرهون الزراعةَ.

لكنهم يزرعون الخيول على وتَرَينْ

ولا يملؤون التوابيتَ قمحاً كمصرَ القديمةْ,

ولا يرحلون إلى الأندلسْ

فرادى ،

وغنِّ الحقولَ التي تركض الشمسُ والقلبُ فيها ولا يتعبان....وصحراءُ

صحراءُ! من ألف عام أتيتُ إلى الضوءِ

هُمْ فتحوا باب زنزانتي فسقطتُ على الضوءِ

ضيِّقةٌ خطوتي , والمسافات بيضاءُ بيضاءُ , والبابُ نهرٌ

لماذا تُقام السجون على ضفّة النهر في بَلَدٍ يشتهي الماء؟

هم فتحوا باب زنزانتي فخرجتُ

وجدت طريقً فسرتُ

إلى أين أذهب ؟ في بادئ الأمر قلتُ : أُعلِّمُ حرّيتي المشيَ, مالتْ

عليَّ, استندتُ إليها , وأسندتُها , فسقطنا على بائع البرتقال العجوز,

وقمتُ , وكدّستُها فوق ظهري كما يحملون البلاد على الإبْلِ والشاحناتِ'

وسرتُ وفي ساحة البرتقال تعبتُ , فناديتُ : أيتها الشرطة العسكريّةُ ! لا

أستطيع الذهاب إلى قرطبهْ

وأحنيتُ ظهري على عَتَبَةْ

وأنزلتُ حُريتي مثل كيس من الفحم , ثم هربت إلى القبو,

هل يشبهُ القبوُ أُمِّي وأُمك ؟ صحراءُ صحراءُ

ما الساعةُ الآن؟

لا وقت للقبوِ

ما الساعة الآن؟

لا وقتَ...

في ساحة البرتقال تصدِّقنا بائعاتُ السيوف القديمة , والذاهبون إلى يومهم يسمعون النشيد ولا يكذبون على الخبز , صحراءُ في القلب،

مزِّق شرايينَ قلبي القديم بأغنية الغجر الذاهبين إلى الأندلسْ

وغنِّ افتراقي عن الرمل والشعراء القدامى ، وعن شَجَر لم يكن إمرأة

ولا تمتِ الآن , أرجوك ! لا تتكسر كالمرايا ، ولا تحتجب كالوطنْ

ولا تتنشرْ كالسطوح وكالأوديهْ

فقد يسرقونك مثلي شهيداً

وقد يعرفون العلاقة بين الحمامة والأقبيهْ

وقد يشعرون بأن الطيور امتدادُ الصباحِ على الأرض

والنهرَ دبُّوسُ شَعْرٍ لسيِّدَة تنتحرْ

وانتظرني قليلاً لأسمع صوتَ دمي

يقطع الشارع المنفجرْ

كنتُ أنجو

- ولا تنتصرْ!

- وسأمشي

- إلى أين يا صاحبي ؟

- إلى حيث طار الحمام فصفق قمحٌ ليُسْند هذا الفضاء   بسنبلة تتظرْ.

فلتواصل نشيدكَ باسمي

ولا تبك يا صاحبي وتراً ضاع في الأقبيهْ

إنها أُغنية

إنها أُغنية !

حوار شخصي في سمرقند

حوار شخصي في سمر قند

إذا انكَسَرَ القلبُ صاحَ: سَمَرْقَنْدْ
هِيَ الحَجَلُ....

ألا تستطيعُ البكاءَ غداً ؟
رُبَّما أستطيع
ولكنْ أينزلُ هذا الندى
كلُّما
وَجَدَتني الطريقُ إلى الشام
أجمعُ هذا الصدى
مثلما
تجمع العاشقاتُ الدموع عن الليل
أجمع هذا الصدى ،
رُبِّما
رُبِّما
كان صوتاً وأخفيتُهُ
فاختفى بردى

سَمَرْقَنْدُ خيمةُ روحي المُشَرَّدْ

وخمسُ جهاتٍ لدمعة أُمي
سمرقندُ خيطُ حرير

يُعَلِّقُ شاطئ وادٍ على فَرَس تحملُ المطرا
وصوتاً تدلَّى من اللّٰه
وانكسرا.
سمرقند نهرٌ تَجَعَّدْ
سَمَرْقَنْدُ خيمةُ روحي المشرَّدْ

أتصعد هذا النداءَ
على الدرج الحجريِّ الطويل
لتبكي الوراءَ؟

لأسرق قلبي المعلَّقَ فوق النخيل
لأسرق أسماءَ أُمي
وأذكرَ بغدادَ قبل الرحيل
على أيِّ جسر رَمَتْكَ الأغاني
قتيلاً لِتُشْعِلَ هذا المساءَ؟

على صدر أُمِّي سقطتُ

وأخفيتُ دجلة في نخلة لا تبوح بسرّي

وأيٌّ قتيل
أعاد إليك البكاءَ؟

لقد هاجروا كُلُّهم
كلهم هاجروا يا صديقيَ منِّي إليّ

فهل من دليل
يسير بنا خطوةً
أو يعود بنا خطوةً ما لها أوَّلُ؟

إذا انكَسَرَ القلبُ صاحَ : سمرقندْ
هِيَ الحَجَلُ....

سمرقندُ خمسون سَيِّدةً يَنْتَحِبْنَ على عَتَبَهْ
ويَرْسُمْنَ لِلَّيلِ شكلاً يُرى
قنَاطِرَ من كلمات القرى
وقد هاجرت
حجراً
حجراً
تضيء قناديلَ فِضَّتها المتعبَهْ....
ألا تشربُ الدمع وحدك

وحدك؟

أين رُخام ابنِ عَبَّاس؟

في الذكريات

وأين مدى القلب بعد أذان الغروب

وأين القبابُ ، وأين الأزقةُ ، والباب؟

في المتحف الوطنيِّ

وأين سَمَرْقَنْدُ؟

تحت سَمَرَقَنْد....

دعني أعانقْ أبي في السراب

فكُلُّ سرابٍ

أبي

وكل غيابٍ

أبي

سمرقند ما يترك الوردُ للريح

ما يتركُّ البلبلُ

على قَمَرٍ عابر في القصيدةْ

سمرقند ما تتركُ القُبَلُ

على شهوةٍ تَذْبُلُ ...

سمرقند سُجَّادَةٌ للصلاة البعيدةْ

سمرقند مئذنةٌ للندى

وبوصلةٌ للصدى

سمرقند وَصْفٌ سريع لما يتساقط من حُبِّنا

عندما نرحلُ

إذا انكسر القلب صاح : سمرقندْ

هي الحجلُ ...

أتذكر كيف دخلت المدينة ؟

كَسَّرْتُ أضلاعَ صدري الأخيرةَ

قنطرةً

قنطرةْ

وحين انحنيتُ لأشْهَدَ صُورةَ قلبي

رأيتُ سمرقند في قُبَّرةْ

وكيف ستخرج ؟

أنسى دمي

في حجارتها المُقْمِرَةْ

إذا انكسر القلب صاح : سمرقندْ

هي الحجلُ

على رِسْلِهِ ، ينكُثُ الوعدُ بالوعدْ

وتبقى من المرأة القُبَلُ

وداعاً سمرقندْ

يا امرأةً لا تُقيُم ، ولا ترحلُ
وداعاً ...
وداعاً سمرقند!

رحلة المتنبي الى مصر

للنيل عاداتٌ

وإني راحلُ

أمشي سريعاً في بلادٍ تسرقُ الأسماءَ منِّي

قد جئتُ من حلَبٍ ، وإني لا أعود إلى العراقِ

سَقَطَ الشمالُ فلا أُلاقي

غير هذا الدرب يَسَبُني إلى نفسي...ومصر

كم اندفعتُ إلى الصهيلْ

فلم أجدْ فَرَساً وفرساناً

وأسْلَمَني الرحيلُ إلى الرحيلْ

ولا أرى بلداً هناك

ولا أرى أحداً هناك

الأرضُ أصغُر من مرور الرمح في خصرٍ نخيلْ

والأرضُ أكبرُ من خيام الأنبياءِ

ولا أرى بلداً ورائي

لا أرى أحداً أمامي

هذا زحامٌ قاحلُ

والخطو قبل الدرب ، لكنَّ المدى يتطاولُ

للنيل عاداتٌ

وإني راحلُ

وطني قصيدْتيَ الجديدةُ
أمشي إلى نفسي فتطردني من الفسطاط
كم ألجُ المرايا
كم أُكسرها
فتكسرني
أرى فيما أرى دُوَلاً تُوَزَّعُ كالهدايا
وأرى السبايا في حروب السبي تفترس السبايا
وأرى انعطافَ الانعطاف
أرى الضفاف
ولا أرى نهراً .... فأجري
وطني قصيدتيَ الجديدةُ
كيف أدرى
أنَّ صدرى ليس قبري
كيف أدري
أن أضلاعي سياجُ الأرضِ أو شَجَرُ الفَضَاءِ وقد تَدَلَّى
كيف أدري
أنَّ هذا الليلَ قد يُدمي

فأرمي القلبَ من سَأمي إلى عَسَسِ الأميرِ
وقد تساوى الحبلُ والمحكومُ

هل وطني قصيدتي الجديدةُ؟

هَيْتَ لَكْ

ما أجملَكْ

الليلُ ليليٌّ , وهذا القلبُ لَكْ

لا الحبٌّ ناداني

ولا الصفصافُ أغراني بهذا النيل كي أغفو

ولا جَسَدٌ من الأنبوس مَزَّقني شظايا

أمشي إلى نفسي

فتطردني من الفسطاط

كم ألج المرايا

كم أُكسِّرها

فتكسرني

أرى دُوَلاً تُوزَّعُ كالهدايا

والنهرُ لا يمشي إليَّ ، فلا أراهُ

والحقلُ لا ينضو الفراش على يديَّ ، فلا أراهُ

لا مصر في مصر التي أمشي إلى أسراها

فأرى الفراغ , وكُلَّما صافحتُها

شَقَّتْ يدينا بابلُ

في مصر كافورٌ.... وفي زلازلُ

للنيل عاداتٌ

وإنّي راحلُ

حَجَرٌ أنا

يا مصر، هل يصلُ اعتذاري

عندما تتكدسين على الزمان الصعب أصعبَ مِنْهُ؟

خطوي فكرتي

ودمي غباري

هل تتركين النهر مفتوحاً لمن يأتي

ويهبط من مراكبه إلى فخدين من عاج وعرش

هل يكون العرشُ قبل الماء؟

لا أدري, ولكن ... ربما... هيهات...قد...

لا يصعدون السُلّم الحجريَّ والأهرامَ كالحلزون

يغتصبون , يغتصبون....

أعرفُ أنني أمتصُّ فيكِ الغزوَ

أعرف أنني لا أعرف السرَّ الدفينَ

وأنني صِفْرُ اليدين وسائرِ الأعضاءِ

أعرف أنني سَأمُرُّ في لمح الوطنْ

وأذوبُ في الغزوات والغزوات

لكنْ كُلّما حاولتُ أن أبكي بعينيكِ

التفتُّ إلى عَدُوِّي

فالتصقتُ بما تبقّى منكِ أو منّي، وأدركَني الزمنْ...

هل تتركين النيل مفتوحاً

لأرمي جُثَّتِي في النيل؟

لا ز لن يستبيح الكاهنُ الوثنيُّ زوجاتي

ولا ، لن أبنيَ الأهرام ثانيةً ، ولا

لن أنسج الأعلام من هذا الكفن

من يفتديني , يا مُعَذِّبتي ، بمنْ؟

ولمنْ؟

تمضين حافيةً لجمع القطن من هذا الصعيد

وتسكتين لكي يضيع الفرقُ بين الطين والفلاَّح

في الريف البعيد

وتجفُّ في دمك البلابل والذرهْ

ويطول فيك الزائلُ

للنيل عاداتٌ

وإني راحلُ

هل غادرَ الشعراءُ مصرَ؟ ولن يعودوا....

إنَّ أرضَ الله ضَيِّقةٌ , وأضيقَ من مضائقها الصعودُ

على بساط الرمل...

هل من أجل هذا القبر نامتْ مصرُ في الوادي

كأنَّ القبر سَيِّدُها ؟

بلادٌ كُلَّما عانقتُها فَرَّتْ من الأضلاع

لكنْ كُلَّما حاولتُ أن أنجو من النسيان فيها

طاردتْ روحي
فصارتْ كُلُّ أرضِ الشام منفى
كلما انبجسَتْ من القلب المهاجر لحظةُ امرأةٍ
وعانقتُ الحبيبةَ أصبحتْ ذكرى
ونفسي تشتهي نفسي ولا تتقابلان
ولا تُردَّان التحية في طريقهما إليَّ...
....إليَّ يا طُرُقَ الشمال
نسيتُ أن خطاي تَبْتَكِرُ الجهاتِ
وأبجديَّاتِ الرحيل إلى القصيدة واللهبْ
يا مصرُ، لن آتيكِ ثانيةً...
ومَن يترك حلَبْ
ينس الطريق إلى حلبْ
وأنا أسيرٌ حَرَّرَتْهُ سلاسلُ
وأنا طليقٌ قَيَّدَتْهُ رسائلُ

للنيل عاداتٌ
وإني راحلُ

....وإلى اللقاء إذا استطعتُ
وكلٌّ من يلقاكِ يخطفه الوداعُ
وأُصيب فيكِ نهاية الدنيا ويصرعني الصراعُ
والقرمطيُّ أنا . ولكنَّ الرفاقَ هناك في حلَبٍ

أضاعوني وضاعوا

والرومُ حول الضاد ينتشرون

والفقراء تحت الضاد ينتحبون

والأضدادُ يجمعهم شراعٌ واحِدٌ

وأنا المسافُر بينهم . وأنا الحصارُ . أنا القلاعُ

أنا ما أُريد ولا أُريد

أنا الهدايةُ والضياعُ

وتشابُهُ الأسماء فوق السُلَّم الملكيِّ

لولا أن كافوراً خداعُ

ماذا جرى للنيل؟

لم يأخُذْ دموعي

في اتجاه مَصَبِّها

ماذا جرى للنيل؟

لم يقذفْ ربيعي

قُرْبَ عمري،

والقلوبُ هنا مشاعُ...

ماذا جرى للنيل

لم يعتبْ

ولم يغضبْ

عليَّ

وفي صحاريَّ اتساعُ...

وسُكُونُ مصرَ يَشُقُّنِي:

هذا هو العبدُ الأميرُ

وهذه الناسُ الجياعُ

والقرمطيُّ أنا , أبيعُ القصرَ أُغنيةً

وأهدِمُهُ بأُغنيةٍ

وأسندُ قامتي بالريح والروح الجريح

ولا أُباعُ

الآن أُشْهِرُ كُلَّ أَسئلتي

وأسألُ : كيف أسألُ؟

والصراعُ هو الصراعُ

والروم ينتشرون حول الضاد

لا سيفٌ يطاردهم هناك ولا ذراعُ

كُلَ الرماح تُصيبُني

وتُعيدُ أسمائي إليّ

وتعيدني منكم إليّ

وأنا القتيل القاتلُ

للنيل عاداتٌ

وإني راحلُ

الحوار الأخير في باريس (لذكرى عز الدين قلق)

.....كان عل بابِ غرفتهِ قالَ لي : إنهم يقتلونَ بلا سببٍ

هل تحبُّ النبيذَ الفرنسيَّ؟

والمرأة الشاردهْ

تطلّعَ خلفَ الجهاتِ , وحاولَ أن يفتحَ البابَ

لكنّهُ خافَ أن يخرجوا من خزانتهِ

فرجعنا إلى المصعد....

الساعةُ الواحدهْ

وباريسُ نائمةٌ . من هنا يبدأ الليلُ

من أينَ ؟ من شارعٍ واسعٍ لا يسيرُ عليه سواكَ

ومن شجرٍ لا تراهُ

ومن جسدٍ أبيض يشتهيكَ

ومن طلقةٍ قد تراكَ

أتقرأ كافكا وتدخلُ في الليل؟

كان زماناً جميلاً وكانتْ دمشقُ نهاياتِ أحلامنا

ذهبنا إلى بردى وسألناهُ:

هل أنت نهرٌ أم أُمرأةٌ زاهدهْ؟

فلم يخرجونا إلى النهر ثانيةً...

صاحِ ! هذي زنازيننُا تملأُ الأرضَ من عهدِ عادٍ

فأين البياضُ وأينَ السوادُ؟

....وباريسُ نائمةٌ في الرسومِ على حافةِ السِّيْنِ
كُلُّ روايات باريسَ غَارقةٌ في التلوث
وحدهُمُ العاشقونَ يظنونَ أن المياهَ مرايا فينتحرونْ....
أين ننامُ أخيراً؟
على مقعدٍ في الحديقةِ
قلتُ : ألا يقتلون ، ولكنه تَعَبٌ لا يخافُ
وقلت : أيوجعُكَ الليلُ؟
قال : وتوجعني الروحُ والنجمةُ الباردهْ

لعلَّ الفتى حجرٌ...
من بعيدٍ يرى مُدُنَ البرتقالِ السياحيِّ
والكاهن العسكريِّ
ولكنه يجمعُ الملصقات ويكتب فوق بقايا السجائر آراءهُ في الغزاةِ
الذين إذا شاهدوا مُدُناً هدموها بأسمائهم واستراحوا على العشبِ
قال : لماذا تكون الثقافةُ ظلّ الجنودِ على ساحلِ الأبيضِ المتوسط؟
قلتّ: وخادمةً للبلاطِ وللفئة الزائدهْ
.... قد اعترفوا أنهم قتلوني
ولكنهم عانقوني طويلاً
ودسّوا مكان الرصاصةِ عشرين ألف فرنكٍ مكافأةً للخطابِ الذي سوف
أُقنعُ فيه اليسارَ الفرنسيَّ أن السجونَ على ضفةِ النهر مستشفياتٌ
وأنَّ دمي مائدهْ

وكان صديقي يطيرُ

ويلعب مثل الفراشة حول دمٍ

ظنّهُ زهرةً ،

كان مستسلماً

للعيون التي حفظتْ ظلّهُ ,

وكان يرى ما تراه العيونُ التي حَفظت ظلّهُ,

كان مزدحماً

بالأزقة والذاهبين إلى السجن والسينما

والليالي التي امتلأت بالليالي

وباللغة الفاسدهْ

وكان يودّعني كلما جاءني ضاحكاً

ويراني وراء جنازتِهَ

فيطلّ تؤمن الآن أنهمُ يقتلون بلا سببٍ؟

قلتْ : مَنْ هُمْ؟

فقال : الذين إذا شاهدوا حُلُما

أعدّوا له القبرَ والزهرَ والشاهدهْ

... وكان يحبُّ وينسى

ويسألني دائماً : يا صديقي لماذا أُحبُّ وأنسى التي سأحبُّ ونبقى

غريبين في مصعدٍ ينظران إلى الساعةِ الجامدهْ؟

يحبُّ وينسى

ويذكر شكل النباتات حول الدروب التي خرجتْ من شمال فلسطين في شهر

مايو ولم ترجع

الأغنياتُ التي ودَّعتْ نازحا

والأغاني التي استقبلتْ فاتحا

تتشابهُ.

قالَ: أفكَّرتَ في الانتحار قليلاً؟

نعمْ

ألأنَّ الرفاقَ يخونون مثل الغدير

لأنَّ الرفاق يمرّون كالساقيهْ؟

قلتُ : كلا ! أينتحر المرء من أجل جُمّيزةٍ هامدهْ؟

قال : كلا

أأدركتَ أنَّا نمرُّ على الأرض ظلاًّ

وجسمك ليس نحاساً ليحمل هذا الزمان

وقال : أتذكُر منذ ثلاثين عاماً...؟

وأذكر كنتُ أمدُّ يدي في بياض النهار

وأنتشلُ القلب من قطّة تتسلى

بما يترك الزائرون على الباب : أسرى وقتلى

فقلتُ : ومملكةُ الله أحلى.

وقال : أفكَّرت بالانتحار كأبناءِ جيلك؟

قلتُ: وكنتُ كأبناء جيلي أُحبُّ فتاةً من الموجِ

كان المساء جريحاً بلا سببٍ واضحٍ تحت شرفتها الواعدهْ

وقفتُ وناديتُ 0 كان الصدى حجراً

فذهبت إلى شاطئ البحر . ناديتُ . كان الصدى قمراً

فجلستُ على صخرةً في المياهِ

وأعددت موتي

فشاهدت وجهي في الماء ,

لكنهم أوقفوني في اللحظة الساجدهْ

وفي سجن عكّا القديم تعلّمتُ كيف تصيرُ النساءُ وطنْ

وأين الفتاة إذنْ ؟

فوق شرفتها

تحبُّ الأغاني وتنسى المغنِّي

وتعزل موجتها العائدهْ

....ويقفزُ فوق بلاطِ الشوارعِ

مثل طيورٍ مُبَلّلة بالزوابعِ

والبرقِ,

يرمي لنا ذكريات عن الشرق :

أُمي تحبُّ دمشق

أبي يتمنَّى الرجوع إلى حجرٍ نام في صدرِهِ

وأُختي تظنُّ العراق بعيداً

وتحسب أن السواد ليالي

فأخبرتُها أنه شجرٌ في الغروبِ

ونؤمن أن دمي يكسر السيفَ... والقاعدهْ

أمِنْ جبلٍ حوَّلْتهُ الليالي إلى قُبَلِ
أنا ؟
هل تمدَّدتَ تحت الصنوبر؟
خمسةَ عشرَ شتاءً
وبلّلكَ الماءُ؟
بلّلني فذهبتُ إلى الراهبِ الأرثوذكسيّ صلّى أمامي وصلّى لأجلي
وكان جنودُ المظلاّت ظلّي
فلم يستطيعوا دخول الكنيسةِ..
آهِ على جبلٍ يتشعَّب في جسدي كالشعيرات ، مليونُ رَحْمٍ يُصلّي لميلادنا
يا صديقي
ولا تَلِدُ الوالدة
أكنتَ تغنّي كثيراً لها ؟
من هي؟
سَمِّها ما تشاءُ: النساءَ ، المرايا ، الكلام , البلاد ، اتحادَ العصافير في القمح ،
الخلايا , وأوّلَ موجٍ تَشَرَّد في البرِ

....مستسلماً للتداعي رأى قلبهُ حَبَّةً من عنبْ
رأى قلبه غيمةً فوق حقل الذهبْ
وتابع غَسْلَ الحقول من الحشراتِ الصغيرةِ , ثم تساءل : كيف يصير المغنّون
أُغنيةً عندما يعرفون النساءَ وينسون؟

كُنَّا نغنِّي معاً للغموض الذي

لَفّنا : في الممرِّ الصغير تتامينَ وحدَكِ بين ذراعيك وحدكِ عُشّاقُكِ اقتربوا

من خناجرهم في الممر الصغير تتامين وحدكِ يلتمس البحر وُدَّكِ ينكسر

البحر عندكِ عُشّاقُكِ ابتعدوا عن خناجرهم آهٍ أيتها المرأةُ الحاملُ المرأةُ

القاتلُ الأرض أصغرُ من صمتك المتواصِلِ لكنَّ بطنكِ أصغرُ

من طعنةٍ أو نشيدٍ *سننشدُهُ* في الممرِّ الصغيرِ تتامين وَحدَكِ بيني وبينك وَحدكِ

بين ذراعيكِ وحدكِ عشاقُكِ اقتربوا من خناجرهم آهٍ أيتها المرأةُ الخالدهْ

تُرى , هل يحقُّ لمثلك أن يتأمَّل لوحهْ؟

وأن يتساءل عن مصدر اللّهِ

أو يجد الفَرْقَ بين الحمام ومنديل أُمٍّ تودِّعُ؟

هل نستطيع التجوُّل في السان جرمَان كالغرباءِ الذين يشمون أرض فرنسا

من الجوِّ؟

هل نستطيع الذهاب إلى البرجِ واللُّوْفْرِ؟

هل نستطيع مشاهدة المسرحية دون تقمص أبطالها المتعبين؟

لماذا نكون كما لا نكون ؟

ألم تجد امرأة واحده

تمشط شعرك هذا الصباح

فترتاح للتعب الوثني

فلا يقتلونكَ حين تمرُّ

بلا حارسٍ أو لُغهْ

ألم تجدِ امرأةً واحدهْ

تُطيلُ الصباحَ علي الجسرِ؟

قد يتعبون من الانتظار

وقد يذهبون إلي نزهةٍ في حدائق فينسانْ

وقد يخجلون من الكلمات التي ستقول لها عن رحيلٍ بلا فائدهْ.

. . . يعرفُ أن الجنود يعودونَ

يعرفُ أن الحشائش سيِّدةُ الأرضِ

لكنه يعبر النهر من أجل أن يعبر النهر

هل تعرف الضفّةَ المشتهاةْ؟

تماماً كما أعرفُ القلبَ أو أجهُلهْ

ولكنني سأطيعُ خطىّ بدأتَ

وأحمل قلبي إلي جَرَسٍ يشتهيهِ

أطيع خطايَ وأحمل قلبي إلي حَرسٍ يشتهيهِ

على خطوةٍ صاعدهْ.

....يرى موتَهُ واقفاً بيننا فيدخِّنُ كي يُبعدَ الموتَ عنا قليلاً.

يُصفِّر لحناً سريعاً ويطردُ عن معطفي نحلةً ' ويتابعُ : في شهر تموزَ تذهبُ

باريسُ نحو الجنوب , وقد يذهبُ القتلَهْ.

يرى موتَهُ في النبيذِ فيهتف : سيدتي غيِّري قَدَحي . ويتابعُ : كانوا ورائيَ في

معرض المُلْصَقاتِ فأسندتُ نافذةً واستدرتُ وصافحتُهم واحداً واحداً....

يلعبُ الموتَ' يألفُهُ ' ويباريه . يعرفهُ جيداً ويعرفُ كلّ مزاياهُ ' يشرح أنواعه:

طلقةٌ في الجبين فأسقط كالنسر فوق السفوحِ ،

وقنبلةٌ تحت سيّارتي فتطيُر ذراعٌ إلى الشرفاتِ وتكسر آنية الزهر أو شاشة التلفزيونِ ,

قنبلةٌ تحت طاولةٍ أو رصاصٌ على الظهرِ أو طلقةٌ تحت حنجرتي هكذا الموت ' أبسطُ مما تظنُّ

أيوجعُ؟

حين يكون الفتى خائفا

هل تخافُ

إذا جاءني زاحفا

وبطيئاً , فقد أعرف القاتلا

وقد أعرف الطلقةَ الوافدهْ

....على بابِ مكتبهِ شجرُ الكستناءِ

ومقهى صغيرٌ

وقوسُ حمامْ

يرى طالباً عربياً فيرمي عليه السلامْ

يَرُدُّ بطيئاً

ويشرب قهوتَهُ

يصعدُ السُّلَّمَ الحجريَّ

سريعاً كعادته مثل طيرٍ يُبَلِّلهُ البرقُ

يدخل غرفتهُ. يتأمَّلُ أوراقه والخريطةَ والشهداءَ الكثيرين

فوق الجدارِ ويقرأ برقيَّة من دمشق : ((تعالَى مع الصيفِ يا ابني))،

وبرقِّيةً من بقيَّة بيروت: ((شدِّدْ عليك الحراسة))

لم يتساءلْ لماذا يريدون أن يقتلوه

ولم يتذكر بلاداً تنام على صُرَّة الله مثل المسدّسِ،

لكنهم أخبروهْ

أن صاحبَهُ الطالبَ العربي يريد مقابلة عاجلَهْ

فألقى عليه تحيَّتهُ الشاردهْ

وردَّ بأقصرَ منها ... وبالطلقةِ القاتلَهْ

وعاد إلى شجرِ الكستناءِ

ليشربَ قهوته الباردَهْ

لـمـاجـد أبـو شـرار)

اللقاء الأخير في روما (مرثية لماجد أبو شرار)

صديقي , أخي ' يا حبيبي الأخيرا
أما كان من حقّنا أن نسيرا
على شارعٍ من تراب تَفَرَّعَ من موجةٍ مُتْعَبَهْ
وسافَرَ شرقاً إلى الهند
سافر غرباً إلى قُرْطُبَهْ؟
أما كان من حَقّنا أن ننام ككُلِّ القِطَطْ
على ظلِّ حائطْ؟
أما كان من حَقّنا أن نطيرا
ككُلِّ الطيور إلى تينةٍ مُثْرَيَهْ....؟

صديقي , أخي ' يا حبيبي الأخيرا
أما كان من حَقّنا أن نُغَنِّي
لِعَيْنَيْنِ بُنِّيَّتينِ تُقيمان ما بيننا والإله
معاهدةً للسلام؟
أما كان من حقّنا أن نحبَّ, ونلعنها أورشليم
إذا ما ادعى الكذبَ فيها نبيٌّ الظلام؟
فقد يكذب الأنبياءُ
وقد يصدق الشعراء كثيرا....

صديقي , أخي , يا حبيبي الأخيرا

أما كان من حَقّنا أن نرى ما يراهُ
وما لا يراهُ أُولو الأمر فينا؟
أما كان من حَقّنا أن نقول الكلامَ الذي لا يُقَال
الكلامَ الذي يَنْتَقِي من غُموض الفصول
وُضُوحَ النصال
الكلامَ الذي ينتقي من وضوح السيول
غُموضَ قُوى الروح فينا؟
صديقي ,أخي ' يا حبيبي الأخيرا
أما كان من حَقّنا أن نداعب قِطّةْ؟
أما كان من حَقّنا أن نرى وردةً
دون أن نَتَوَجَّسَ فيها دماً قادماً من مكان قريب؟
أما كان من حَقّنا أن نُصَدّق أن لروما قَمَرْ
وأن لروما شَجَرْ
أما كان من حقّنا أن نسافر داخل هذا السفرْ
أما كان من حَقّنا يا حبيبيَ
أن نسند التَعَبَ الحُلْوَ فوق حَجَرْ
أما كان من حقّنا أن نسيرا

صديقي ' أخي ' يا حبيبي الأخيرا

- 2-

مِنَ الصعْبِ أن أتأمَّلَ وَجْهَ حبيبي

ولا أغمر الأفُقَ المستديرَ
عَسلْ
من الصعب أن أتحسِّس كَفِّ حبيبي
ولا أحفن السلم منها
كَرَفٍّ حَجَلْ

من الصعب أن يتدفَّق صوتُ حبيبي
ولا يتحول قلبي
إلى فَرَس مِنْ أمَلْ

حبيبي , من الصعب أن أتأمِّلَ موت حبيبي
ولا أرميَ الأرض
في سلة المهملات...

- 3-

....وماذا بعد هذي الأرض , ماذا
وزندُكَ شارعٌ , وأنا رحيلُ

ثقَبْتُ الأرضَ بحثاً عن سواها
فأسندني , لأسندها , الجليلُ

فضَاءُ , أنتَ صُرَّتُهُ , وحيداً
وحقلٌ , أنت طائرُهُ الجميلُ

ولو ' لو أستطيع حميتُ قلبي
من الآمال...لكني عليلُ

لنا جسدان من لُغَةٍ وخيلٍ
ولكن , ليس يحمينا صهِيلُ

وكان السجنُ في الدنيا مكاناً
فَحَرَّرنا , ليقْتُلَنا , البديلُ

أَنا أرضُ الأغاني وهي ترمي
بِمَدحِكَ حنطةً ... وأنا القتيلُ

أنا أعلى من الشعراء شنقاً
وأدناهم إلى عشبٍ يميلُ

أُحبُّكَ ' إذْ أُحبُّ طلاق روحي
من الألفاظ , والدنيا هديلُ

ولو ....لو أستطيع رفعتُ حيفا
كقنطرةٍ , لتبلغك الخليلُ

أحقاً أنَّ هذا الموت حَقٌّ
وأن البحر يطويه الأصيلُ

وأن مِسَاحَةَ الأشياءِ صارتْ

حُدُودَ الروحِ مُذْ غاب الدليلُ

- 4-

صباحُ الخيرِ يا ماجدْ

صباح الخيرْ

قُمِ اقرأَ سُورَةَ العائدْ

وحُثَّ السَيْرْ

إلى بلدٍ فقدناهُ

بحادث سيرْ

صباحُ الورد يا ماجدْ

صباح الوردْ

قُمِ اقرأَ سُورةَ العائدْ

وشُدَّ القَيْدْ

على بَلَدٍ حملناهُ

كوشم اليدْ

صباحُ الخيرِ يا ماجدْ

صباح الخيرِ والأبيضْ

قم اشربْ قهوتي , وانهضْ

فإن جنازتي وَصَلَتْ . وروما كالمُسَدَّس ,

كُلُّ أرض الله روما , يا غريب الدار , يا لحماً يغطي الواجهات وسادة

الكلمات , يا لحم الفلسطينيِّ , يا خبز المسيح الصلْبَ , يا قُرْبَان حوض الأبيض المتوسط ... اختصر الطريق عليك يا لحم الفلسطينيِّ , يا سجادة الوثنيِّ , يا كهف الحضارات القديمة , يا خيام الحاكم البدويِّ , يا درع الفقير ويا زَكَاةَ المليونير , ويا مزاداً زاد عن طلبات هذي السوق , يا حلم الفلسطينيَّ في الطرقات , يا نهراً من الأجساد في واحدْ

تجمِّع , واجمع الساعدْ

....ويا لحم الفلسطينيِّ فوق موائد الحُكّام , يا حَجَر التوازن والتضامُنِ بين جَلاَديكَ . حَرْفُ الضاد لا يحميك , فاختصر الطريقَ عليك يا لحم الفلسطينيِّ , يا شرعيَّةَ البوليس والقدِّيس إذ يتبادلان الاسم , إذ يتناوبان عليك, يمتزجان , يتحدان , ينقسمان مملكتين , يقتتلان فيك , وحين تنهض منهما يتوحَّدان عليك يا لحم الفلسطينيِّ , يا جغرافيا الفوضى

ويا تاريخ هذا الشرق , فاختصر الطريق عليك ... يا حقل التجارب للصناعات الخفيفة والثقيلة ' أيها اللحم الفلسطينيُّ ' يا موسوعة البارود منذ المنجنيق

إلى الصواريخ التي صُنِعَتْ لأجلك في بلاد الغرب , يا لحم

الفلسطينيَّ في دُوَل القبائل والدويلات التي اختلفت على ثمن الشَّمَنْدَرِ, والبطاطا , وامتياز الغاز , واتَّحَدتْ على طرد الفلسطينيَّ من دَمِهِ

تَجَمِّعْ أيها اللحم الفلسطينيُّ في واحدْ

تَجَمَّعْ واجمع الساعدْ

لتكتبَ سُورَةَ العائدْ....

اللقاء الأخير في روما

(مرثية لماجد أبو شرار)

صديقي , أخي ٬ يا حبيبي الأخيرا
أما كان من حقّنا أن نسيرا
على شارعٍ من تراب تَفَرَّعَ من موجةٍ مُتْعَبَهْ
وسافَرَ شرقاً إلى الهند
سافر غرباً إلى قُرْطُبَهْ؟
أما كان من حَقّنا أن ننام ككُلِّ القِطَطْ
على ظلِّ حائطْ؟
أما كان من حَقّنا أن نطيرا
ككُلِّ الطيور إلى تينةٍ مُتْرَبَهْ....؟

صديقي , أخي ٬ يا حبيبي الأخيرا
أما كان من حَقّنا أن نُغَنّي
لِعَيْنَيْنِ بُنّيَّتينِ تُقيمان ما بيننا والإله
معاهدةً للسلام؟
أما كان من حقّنا أن نحبَّ, ونلعنها أورشليم
إذا ما ادعى الكذبَ فيها نبيٌّ الظلام؟
فقد يكذب الأنبياءُ
وقد يصدق الشعراء كثيرا....

صديقي , أخي , يا حبيبي الأخيرا

أما كان من حَقِّنا أن نرى ما يراهُ

وما لا يراهُ أُولو الأمر فينا؟

أما كان من حَقِّنا أن نقول الكلامَ الذي لا يُقَال

الكلامَ الذي يَنْتَقِي من غُموض الفصول

وُضُوحَ النصال

الكلامَ الذي ينتقي من وضوح السيول

غُموضَ قُوى الروح فينا؟

صديقي ,أخي ' يا حبيبي الأخيرا

أما كان من حَقِّنا أن نداعب قِطَّةْ؟

أما كان من حَقِّنا أن نرى وردةً

دون أن نَتَوَجَّسَ فيها دماً قادماً من مكان قريب؟

أما كان من حَقِّنا أن نُصَدِّق أن لروما قَمَرْ

وأن لروما شَجَرْ

أما كان من حقِّنا أن نسافر داخل هذا السفرْ

أما كان من حَقِّنا يا حبيبيَ

أن نسند التَعَبَ الحُلْوَ فوق حَجَرْ

أما كان من حقِّنا أن نسيرا

صديقي ' أخي ' يا حبيبي الأخيرا

- 2-

مِنَ الصعْبِ أن أتأمَّلَ وَجْهَ حبيبي

ولا أغمر الأفُقَ المستديرَ
عَسَلْ
من الصعب أن أتحسِّس كَفٍّ حبيبي
ولا أحفن السلم منها
كَرَفٍّ حَجَلْ

من الصعب أن يتدفَّق صوتُ حبيبي
ولا يتحول قلبي
إلى فَرَس مِنْ أمَلْ

حبيبي , من الصعب أن أتأمِّلَ موت حبيبي
ولا أرميَ الأرض
في سلة المهملات...

- 3-

....وماذا بعد هذي الأرض , ماذا
وزندُكَ شارِعٌ وأنا رحيلُ

ثَقَبْتُ الأرضَ بحثاً عن سواها
فأسندني , لأسندها , الجليلُ

فضَاءُ ' أنتَ صرُتُّهُ ' وحيداً
وحقلٌ , أنت طائرُهُ الجميلُ

ولو ، لو أستطيع حميتُ قلبي
من الآمال...لكني عليلُ

لنا جسدان من لُغَةٍ وخيلٍ
ولكن , ليس يحمينا صهِيلُ

وكان السجنُ في الدنيا مكاناً
فَحَرَّرنا , ليقُتلَنا , البديلُ

أَنا أرضُ الأغاني وهي ترمي
بِمَدحِكَ حنطةً ... وأنا القتيلُ

أنا أعلى من الشعراء شنقاً
وأدناهم إلى عشبٍ يميلُ

أُحبُّكَ ، إذْ أُحبُّ طلاق روحي
من الألفاظ , والدنيا هديلُ

ولو ....لو أستطيع رفعتُ حيفا
كقنطرةٍ , لتبلغك الخليلُ

أحقاً أنَّ هذا الموت حَقٌّ
وأن البحر يطويه الأصيلُ

وأن مِسَاحَةَ الأشياءِ صارتْ

حُدُودَ الروحِ مُذْ غاب الدليلُ

- 4-

صباحُ الخير يا ماجدْ

صباح الخيرْ

قُمِ اقرأَ سُورَةَ العائدْ

وحُثَّ السَيْرْ

إلى بلدٍ فقدناهُ

بحادث سيرْ

صباحُ الورد يا ماجدْ

صباح الوردْ

قُمِ اقرأ سُورةَ العائدْ

وشُدَّ القَيْدْ

على بَلَدٍ حملناهُ

كوشم اليدْ

صباحُ الخير يا ماجدْ

صباح الخير والأبيضْ

قم اشربْ قهوتي , وانهضْ

فإن جنازتي وَصَلَتْ . وروما كالمُسَدَّس ,

كُلُّ أرض الله روما , يا غريب الدار , يا لحماً يغطي الواجهات وسادة

الكلمات , يا لحم الفلسطينيِّ , يا خبز المسيح الصَلْبَ , يا قُرْبَان حوض الأبيض المتوسط ... اختصر الطريق عليك يا لحم الفلسطينيِّ , يا سجادة الوثنيِّ , يا كهف الحضارات القديمة , يا خيام الحاكم البدويِّ , يا درع الفقير ويا زَكَاةَ المليونير , ويا مزاداً زاد عن طلبات هذي السوق , يا حلم الفلسطينيَّ في الطرقات , يا نهراً من الأجساد في واحدْ

تجمِّع , واجمع الساعدْ

....ويا لحم الفلسطينيِّ فوق موائد الحُكّام , يا حَجَر التوازن والتضامُنِ بين جَلاَديكَ . حَرْفُ الضاد لا يحميك , فاختصر الطريقَ عليك يا لحم الفلسطينيِّ , يا شرعيَّةَ البوليس والقدِّيس إذ يتبادلان الاسم , إذ يتناوبان عليك, يمتزجان , يتحدان , ينقسمان مملكتين , يقتتلان فيك , وحين تنهض منهما يتوحَّدان عليك يا لحم الفلسطينيِّ , يا جغرافيا الفوضى

ويا تاريخ هذا الشرق , فاختصر الطريق عليك ... يا حقل التجارب للصناعات الخفيفة والثقيلة ' أيها اللحم الفلسطينيُّ ' يا موسوعة البارود منذ المنجنيق

إلى الصواريخ التي صُنِعَتْ لأجلك في بلاد الغرب , يا لحم

الفلسطينيَّ في دُوَل القبائل والدويلات التي اختلفت على ثمن الشَّمَنْدَرِ,

والبطاطا , وامتياز الغاز , واتَّحَدتْ على طرد الفلسطينيَّ من دَمِهِ

تَجَمَّعْ أيها اللحم الفلسطينيُّ في واحدْ

تَجَمَّعْ واجمع الساعدْ

لتكتبَ سُورَةَ العائدْ....

تـاملات سـريـعـة فـي مـديـنـة قـديـمـة وجـمـيـلـة

تاملات سريعة في مدينة قديمة وجميلة

لتكنْ أُمًّا لهذا البحرِ ,

أوْ صرختَهُ الأولى على هذا المكانِ

....وليكُنْ أَنَّ الذي شَيَّدها من موجةٍ

أقوى من الماضي ومن ألف حصانِ

....وليكُنْ أن التي نامتْ على وردتها الأولى

فتاةٌ من بلاد الشام ....

ما شأني , وما شأنُ زماني

بهواءٍ لم يُجَفِّفْ دَمِيَ العاري,

وما شأني أنا

بسماء لا تُغَطِّيني بطير أو دخانِ؟

ما الذي يجعلني أقفزُ من هذا الأذانِ

لأُصلّي للّذي علّمها أسماءَهُ

ثُمَّ رماني للأغاني .

... فلتكُنْ هذي المدينةْ

أُمَّ هذا البحر , أو صَرْخَتَهُ الأُولى

علينا أن نُغَنِّي لانكسار البحر فينا

أو لقتلانا على مرأى من نمضي إلى كُلِّ الموانى

قبل أن يَمتَصَّنا النسيانُ,

لا شيء يُعيدُ الروحَ في هذا المكان

نَحْنُ أوراقُ الشَّجَرْ,

كلماتُ الزمنِ المكسورِ ' نَحْنُ

النايُ إذ يبتعدُ البيتُ عن الناي . ونَحْنُ

الحقلُ إذ يمتدُّ في اللوحةِ ... نحنُ

نحن سوناتا على ضوءِ القمرْ

نحن لا نطلب من مرآتنا

غيرَ ما يُشبهنا,

نحن لا نطلب من أرض البشَرْ

موطئاً للروحِ ,

نحن الماءُ في الصوت الذي سوف ينادينا

فلا نسمعُ . نحن الضفة الأخرى لنهرٍ بين صوت وحَجَرْ

نحن ما تنتجُهُ الأرضُ التي ليستْ لنا

نحن ما نُنتجُ في الأرض التي كانت لنا

نجن ما نترك في المنفى وفينا من أثَرْ

نحن أعشابُ الإناءِ المنكسِرْ

نحن ما نحن ومَنْ نحنُ ' فما جدوى المكان ؟

وعلينا أن ندور الآن حول الكُرَةِ الأرضيَّةِ الحبلى بمن يُشبهها ,

وبمن يُسقطها عن عرشها العالي

لكي نُدْفَنَ في أيِّ مكانِ

أَلِفٌ . باءُ . وباءْ
كيف كُنَّا نقضم الأرضَ
كما يقضمُ طفلٌ حَبَّة الخوخِ
ونرميها كما يُرمى المساءْ
في ثياب الزانيهْ !

أَلِفٌ . جيمٌ . وياءْ
كيف كنا ندخُلُ الضوءَ
كما يدخُلُ في القمح الغناءْ
ونَعُدُّ الشهداءْ
مثلما كنا نُعُدُّ الماشيهْ !

أَلِفٌ . دالٌ. وياءْ
قد دخلنا الهاويهْ
دون أنْ نهوي ، لأَنَّ السنبلهْ
تسند العُشَّاق إن مالوا ....
تَمَهَّلْ يا نشيدي
ريثما يَتَّحِدُ القلبُ بحدِّ المقصلهْ
ريثما أكْسر قُفْلَ الهاويهْ !

أيُّ شيء يخمشُ الروحَ هنا
أيُّ شيء يخمش الروحَ؟

وما

شأني

أنا

بيدٍ تفتَحُ بابَ الفجرِ للقهوةِ؟

ما شأني أنَا؟

نارنجةٌ تَضحكُ كي تضحكَ...

شمسٌ تفتح الوردة كي تفتحها...

لا شيء ' لا شيء ' بياضْ...

وبياض آخرٌ يُولد من هذا البياضْ...

رأس هانيبال ' أو خاتَمُ انطونيو, وسروال الأميرةْ

حَجَرٌ يشهد أنَّ الناس مَرُّوا من هنا

حَجَرٌ ' أو نصفهُ , يشهد أنَّ الناس ماتوا

حَجَرٌ يشهد أني ذكرياتٌ كلماتٌ ذكرياتُ

قَمَرٌ ' أَو نصفُهُ ' يتبع أنثاهُ...

سُفُوحٌ تشربُ البَحْرَ . قَطَاةُ

قطَطٌ بيضاءُ. دِفلى رفعتها الأُغنياتُ

ثابتُ هذا الزوالْ'

زائلٌ هذا الثباتُ

((والذي أعرفه أجهلُهُ))

((والذي أجهله أعرفه)) بعد الأوانِ

وفتاةٌ تقسمُ الفجر بساقيها سريرينِ

ولا تدخل إلا الغامضَ الغامضَ

....لا شيء يُثير الروحَ في هذا المكانِ

ساحِلٌ كالأفعى على أجراس خصر الراقصةْ

وملوكٌ تَوَّجوا البحر بإكليل الزَبَدْ

أَيٌّ شيء ينتهي في هذه اللحظةِ,

في هذا الجَسَدْ؟

أَي شيء يبتدئْ؟

قد أكلنا البحرَ في رحلة صيدٍ يائسةْ

أيٌّ شيء ينتهي

أي شيء يبتدئْ

بَلَدٌ يُولَدُ من قبر بَلَدْ

ولصوصٌ يعبدون الله

كي يعبدهم شَعْبٌ...

ملوكٌ للأبدْ

وعبيدٌ للأبدْ

لا أحدْ

يسأل القصير : ما شأني أنا

بَوَليِّ العهدِ ٬ أوْ هَذا البلدْ ؟

آه ,

ما

شأني

أنا

ما دامتِ الروحُ هنا

فحمة في موقد السلطانِ...

لا شيء يهزُّ الروح في هذا المكانِ

ألفُ شُبَّاك على البحرِ الذي قد أغرَقَ الإغريقَ

كي يُغرقنا الرومانُ

بيضاءُ هي الجدرانُ

زرقاءُ هي الموجةُ

سوداءُ هي البهجةُ

والفكرةُ مرآةُ الدماء الطائشهْ

فلتُحَاكَمْ عائشهْ

ولتُبَرَّأْ عائشهْ

آه ' لا شيء يثير الروح في هذا المكانِ

... ولتكُنْ هذي المدينةْ

جَدَّةَ الدنيا وما شاءَتْ وما شاءتْ

فما شأني أنا ؟ كلُّ صباحٍ

لم يجئني أوَّلاً ليس صباحي !

لا ...

وما شأني أنا ؟ كلُّ رياحٍ

لم تُكَسِّرْني مَدَى ليستْ رياحي !

لا ...

وما شأني أنَا ؟ كلُّ جراحٍ

لم تَلِدْ فيَّ إلهاً طَازجاً ليست جراحي !

لا ...

وما شأني أنَا؟

أيُّ سلاح في يدي

لا يُرْجِعُ الخبزَ إلى حنطته ليس سلاحي !

.. وليكُنْ أنَّ الذي شيَّد هذا السورَ جَدِّي

أو عَدُوِّي.

..وليَكُنْ أنَّ الذي سمَّى المدينهْ

فارسٌ

أو عاشقٌ

أو لا أحدْ

..وليَكُنْ أنَّ عيون الياسمينهْ

تَحْفَظُ الأسرار منذ انبجستْ حَوَّاءُ...

ما شأني أنا الضائع ما بين سماءٍ وَحَجَرْ

بقضاءٍ

لم أُطَيِّرْ فيه أسراب حمامي ،

لم أُدخِّنْ فيه أحلامي ,

ولم أصطدْ قَمَرْ...

كُلُّ غُصْنٍ لم يُقَلِّدْ لعبتي الأُولى ،

ولم يجرح يدي ليس شَجَرْ
وليَكُنْ ما كان ,
لا شيء يهزُّ الروح في هذا المكانِ

المكانُ الرائحةْ
قهوةٌ تفتح شبُبَّاكاً غُموضُ المرأة الأولى
أبٌ علَّق بحراً فوق حائطْ
المكانُ الشَهَواتُ الجارحةْ
خطوتي الأولى إلى أول ساقين أضاءا جسدي
فتعرَّفْتُ إليه وإلى النرجس فيّ
المكان المَرَضُ الأوَّلُ....
أُمٌّ تعصُرُ الغيمةَ كي تغسل ثوباً . والمكانْ
هو ما كان وما يمنعني الآن من اللهوِ
المكانُ الفاتحةْ,
المكانُ السَنَةُ الأولى . ضجيجُ الدمعة الأُولى
التفاتُ الماء نحو الفتيات . الوَجَعُ الجنسيُّ في أوَّلِهِ, والعَسَلُ المُرُّ
هُبوبُ الريح من أُغنيَّةٍ . صخرةُ أجدادي وأُمِّي الواضحةْ
المكانُ الشيءُ في رحلته منِّي إليَّ
المكانُ الأرضُ والتاريخُ فيَّ
المكانُ الشّيء إنْ دَلَّ عليَّ
آهِ , لا شيءَ يضيءُ الاسم في هذا المكانِ
..... وسلاماً أيها البحرُ المريضْ

أيها البحر الذي أَبْحَرَ من صور إلى إسبانيا
فوق السُفُنْ
أيها البحر الذي يسقط مِنَّا كالمُدُنْ !
ألفُ شُبَّاك على تابوتك الكحليِّ مفتوحٌ
ولا أبصر فيها شاعراً تسندُهُ الفكرةُ ,
أو ترفعُهُ المرأةُ....
يا بحر البدايات , إلى أين تعودْ
أيها البحر المحاصرْ
بين إسبانيا وصورْ
ها هي الأرض تدورْ
فلماذا لا تعود الآن من حيث أتيتْ؟
آه ,مَنْ يُنْقِذُ هذا البحرَ
دَقَّتْ ساعة البحرِ
تراخي البحرُ
من يُنْقِذُنَا من سَرَطَان البحرِ
مَنْ يُعْلِنُ أنَّ البحرَ مَيِّتْ؟!
....وسلاماً أيها البحر القديمُ,
أيها البحر الذي أَنْقَذَنا من وحشة الغاباتِ
يا بحرَ البدايات...[يغيبُ البحرُ]
يا جُثَّتَنا الزرقاءَ , يا غبطتنا , يا روحنا الهامدَ من يافا إلى قرطاج , يا إبريقنا المكسور , يا لوح الكتابات التي ضاعت

بَحَثْنَا عن أساطيرِ الحضارات

فلم نُبْصِرْ سوى جمجمة الإنسان قرب البحرِ....

يا غبطتنا الأولى ويا دهشتنا –

هل يموتُ البحرُ كالإنسان في الإنسان

أمْ فِي البحرِ؟

لا شيء يثير البحرَ في هذا المكانِ

حين نعتادُ الرحيلْ

مَرَّةً

تصبح كُلُّ الأمكنهْ

زَبَداً نطفو عَلَيهْ

ونميلْ

كلما مالَت بنا الريحُ

ونعتادُ بُكاء الأحصنهْ

حين نعتاد الرحيلْ

مَرَّةً

تصبح كُلُّ الأزمنهْ

لحظةً للقتل

كم مُتنا وكم مُتنا,

وكان الكَهَنَهْ

خَدَماً للسيف منذ المعبد الأوَّلِ

حتى آخر الثورات،

والعاشقُ عَبْدَ السوسنهْ

....وسلاماً يَتُها الأرضُ الأسيرةْ

يا التي كانت عقابَ اللّٰه فينا

ثم صارت جَنَّةَ اللّٰه الصغيرةْ....

من سيحتاجُ ضحيَّه

ليرى البحر أمَامَهْ؟

من سيحتاج يمامهْ

ليُرَبِّي طفلَهُ في البندقيةْ؟

من سيحتاج الضحيّةْ

ليكون السيِّد الأوحد في روما الأخيرةْ؟

من سيحتاج القيامةْ

ليرى قاتلَهُ – التوأمَ مجهولَ الهويّةْ؟

مَنْ سيَحتاجُ البقيةْ

مَنْ

سيحتاجُ

البقيَّةْ؟

ها هي الأرضُ بما فيها وَمَنْ يمشي عليها

بندقيَّةْ

ها هي الأرض لروما

ولروما دَقَّتِ الساعةُ

دَقَّتْ

كُلُّ يومٍ آخرُ الأيامِ , والأحلامُ نارٌ معدنيَّةْ

.....فسلاماً يَتُهَا الأرض / الضحيَّةْ !

كُلُّ مَنْ يَرْحَلُ في الليل إلى الليل – أنا

كُلُّ مناي قَسَمَ الحقلَ إلى اثنين :

مُنادٍ ومنادًّى لا يناديه – أنا

كُلُّ ما يُعجبني يحتلُّهُ الظلُّ هنا

كُلُّ مَنْ تَطلُبُ منِّي قُبلةً عابرةً

تسرق روحي... وخُطاي

كُلُّ طَيرٍ عابرٍ يأكُلُ خبزي من جروحي

ويُغني لسواي

كُلُّ مَنْ يضربه الحبُّ يناديني

لكي يزداد أعدائي ... فراشةْ

كُلُّ مَنْ تلمس نهديها لكي يخمش عصفوران قلبي...

تتلاشى

كُلُّ جدعٍ لَمَسْتُهُ راحتي طار سحابهْ

كُلُّ غيمٍ حطَّ في أُغنيتي صار كآبهْ

كُلُّ أرض أتمنَّاها سريراً

تتدلّى مشنقهْ

....وأُحبَّ إذ يبتعد الحبُّ,

أُحبُّ الزنبقهْ

عندما تذوي على كفِّي وتنمو في نشيدي فانتظرني يا نشيدي

رُبَّما نحفر في هذا المكانِ

موطئاً للروح من أجل غريبين يمرَّانِ على الأرض

ولا يلتقيانِ

آه ' من هذا المكانِ

آه ' لا شيء يهزُّ القلب في هذا المكانِ

نَحْنُ ما نحن عَلَيهْ,

نحن جيل المجزرةْ

أُمَّةٌ تَقْطَعُ ثَدْيَيْ أُمِّهَا.

أُمِّةٌ تَقتلُ راعي حُلْمها

في الليالي المقمرةْ

دون أن تبكي عليهْ

أيْن ظلُّ الشجرةْ؟

نحن ما نحن عليهْ

نحن مَنْ كُنَّا لنا

نحن مَنْ صرنا .... لِمَنْ؟

فارسٌ يُغمد في صدر أَخيه

خنجراً باسم الوطنْ

ويُصَلِّي لينال المغفرةْ

أين شَكْلُ الشجرةْ؟

نحن ما نحن عليه الآن ,

ماتوا لأُغنِّي

أَم ليبنوا خيمةً من أجل نايْ؟!

كلما سارتْ خطايَ

خلفهم , قبل خطايَ

انفتحتْ صحراءُ من أجلي ,

وماتتْ قُبِّرةْ

أين جذعُ الشجرةْ؟

نحن ما نحن عليهْ

قاتِلٌ مَنْ شهد القَتْلَ ولم يشهد عليهْ

غَيَّروا اسماءَهُ

واستبدلوا شارةَ نصري

يدمي فوق يديهْ

وضعوا عينيٍّ كي أشهد أني لم أرَهْ

أيْنَ ... أيْنَ الشجرةْ؟

نَحْنَ ما نَحْنُ عليهِ,

موتُنا لا موتَ فيه الآن لا يبتدئ النهرُ من السرجِ ولا لا يشرئبُّ الشبَقُ العالي ليخفي جبلاً في ساعدٍ لا يتدلّى من نشيدي شَفَقُ الدين النحاسيِّ

ولا يصطفُّ شعبٌ في جحيم اللذة الكبرى...

((أسأنا لك يا شعبي))

أسأنا للنباتات التي تخفيكَ عنا

موتُنا لا موت فيه الآن لا إيقاعَ للصخرة لا صخرةَ في حادثنا المائيِّ

فلنذهبْ إلى ما ليس فينا كي نرى ما ليس فينا ليس فينا دعوةٌ للناس من مذبحةٍ نمشي إلى لكي نهتفَ:

مرحى ! ها هي الوردةُ .... فلنسجدْ

((أسأنا لَكَ يا شعبي))

يا شعبَ نشيدي , منذ جاءَ الربُّ من فكرته مَشْياً إلى القدس , ولا صخرةَ نبني فوقها أصواتنا أو صلواتٍ تطلب الغفرانَ....

نحن الآن ما نحن عليهِ

كُلَّمَا قَامَ نبيٌّ من ضحايانا ذبحناه بأيدينا بأيدينا ,

ولي حُرِّية القولِ

وللكاهن حَقُّ القتل

لي حقُّ العصافير

وللقاضي حُدُودُ الأُفق الوارفِ

لي شرعيَّةُ الحُلْمِ

وللجلاَّدِ أن يسمعني أو يفتح الباب لكي تهرب أحلامي

ولي حُرِّيتي حريتي أن أكتب الحاء كما شئتَ

وأن أقفز من حرف إلى حرفٍ

وأن أقطع كفّي كي أُسمِّي زمني

لا موتَ في الموت الذي يتبعني كالظلِّ,

أو ينزلقُ الآن على جسمي كأنثى حرمتني لذّة الحرمانِ,

لاَ يَخْرُجُ مِني حُلُمٌ إلاّ لكي يُضْحِكَني

أو يُضْحِكَ الناس علَى شخص يَجُرُّ الحُلْمَ كالنَّاقَةِ في سوق الغواني ليس هذا الموت موتاً لا ولا أَعرفُ شيئاً عن بداياتي لهذا أتمني أن أُحاذي النهر حتى أصبحَ النهرَ ولا لا أستطيعُ الموت في الموتِ الذي لا موت فيهِ

حَجَرٌ روحي ,

وأُنثايَ وَحُلْمي حَجَرٌ

لا أشتهي أن اشتهيهِ

حَجَرٌ لا لونَ فِيه

حَجَرٌ ليلي ,

وظلّي حَجَرٌ يندسُّ ما بيني وبيني

حَجَرٌ خبزي

نبيذي حَجَرٌ

لا أستطيعُ الموتَ في الموت الذي

لا موت فيه الآن....

لا شيء يثير الموتَ في هذا المكانِ .

تأملات سريعة

في مدينة قديمة وجميلة

على ساحل البحر الأبيض المتوسط

لتكنْ أُمًّا لهذا البحرِ ,

أوْ صرختَهُ الأولى على هذا المكانِ

....وليكُنْ أَنَّ الذي شَيَّدها من موجةٍ

أقوى من الماضي ومن ألف حصانِ

....وليكُنْ أن التي نامتْ على وردتها الأولى

فتاةٌ من بلاد الشام ....

ما شأني , وما شأنُ زماني

بهواءٍ لم يُجَفِّف دَمِيَ العاري,

وما شأني أنا

بسماء لا تُغَطِّيني بطير أو دخانِ؟

ما الذي يجعلني أقفزُ من هذا الأذانِ

لأُصلِّي للَّذي علَّمها أسماءَهُ

ثُمَّ رماني للأغاني .

... فلتكُنْ هذي المدينةْ

أُمَّ هذا البحر , أو صَرْخَتَهُ الأُولى

علينا أن نُغَنِّي لانكسار البحر فينا

أو لقتلانا على مرأى من نمضي إلى كُلِّ الموانى

قبل أن يَمتَصَّنا النسيانُ,

لا شيء يُعيدُ الروحَ في هذا المكان

نَحْنُ أوراقُ الشَّجَرْ,

كلماتُ الزمنِ المكسورِ ' نَحْنُ

النايُ إذ يبتعدُ البيتُ عن الناي . ونَحْنُ

الحقلُ إذ يمتدٌّ في اللوحةِ ... نحنُ

نحن سوناتا على ضوء القمرْ

نحن لا نطلب من مرآتنا

غيرَما يُشبهنا,

نحن لا نطلب من أرض البشَرْ

موطئاً للروحِ ,

نحن الماءُ في الصوت الذي سوف ينادينا

فلا نسمعُ . نحن الضفة الأخرى لنهرٍ بين صوت وحَجَرْ

نحن ما تنتجُهُ الأرضُ التي ليستْ لنا

نحن ما نُنتجُ في الأرض التي كانت لنا

نجن ما نترك في المنفى وفينا من أثَرْ

نحن أعشابُ الإناءِ المنكسِرْ

نحن ما نحن وَمَنْ نحنُ ' فما جدوى المكان ؟

وعلينا أن ندور الآن حول الكُرَةِ الأرضيَّةِ الحبلى بمن يُشبهها ,

وبمن يُسقطها عن عرشها العالي

لكي نُدْفَنَ في أيِّ مكانِ

ألِفٌ . باءُ . وباءْ

كيف كُنَّا نقضم الأرضَ

كما يقضمُ طفلٌ حَبَّة الخوخِ

ونرميها كما يُرمى المساءْ

فيْ ثياب الزانيهْ !

ألِفٌ . جيمٌ . وياءْ
كيف كنا ندخُلُ الضوءَ
كما يدخُلُ فيْ القمح الغناءْ
ونَعُدُّ الشهداءْ
مثلما كنا نُعُدُّ الماشيهْ !

ألِفٌ . دالٌ. وياءْ
قد دخلنا الهاويهْ
دون أنْ نهوي ' لأَنَّ السنبلهْ
تسند العُشَّاق إن مالوا ....
تَمَهَّلْ يا نشيدي
ريثما يَتَّحِدُ القلبُ بحدِّ المقصلهْ
ريثما أكْسر قُفْلَ الهاويهْ !

أيُّ شيء يخمشُ الروحَ هنا
أيُّ شيء يخمش الروحَ؟
وما
شأني
أنا
بيدٍ تفتَحُ بابَ الفجرِ للقهوةِ؟

ما شأني أنا؟

نارنجةٌ تَضحكُ كي تضحكَ...

شمسٌ تفتح الوردة كي تفتحها...

لا شيء ، لا شيء ، بياضْ...

وبياض آخرٌ يُولد من هذا البياضْ...

رأس هانيبال ، أو خاتَمُ انطونيو, وسروال الأميرةْ

حَجَرٌ يشهد أنَّ الناس مَرُّوا من هنا

حَجَرٌ ، أو نصفهُ , يشهد أنَّ الناس ماتوا

حَجَرٌ يشهد أني ذكرياتٌ كلماتٌ ذكرياتُ

قَمَرٌ ، أَو نصفُهُ ، يتبع أنثاهُ...

سُفُوحٌ تشربُ البَحْرَ . قَطَاةُ

قطَطٌ بيضاءُ. دِفلى رفعتها الأُغنياتُ

ثابتُ هذا الزوالْ،

زائلٌ هذا الثباتُ

((والذي أعرفه أجهلُهُ))

((والذي أجهله أعرفه)) بعد الأوانِ

وفتاةٌ تقسمُ الفجر بساقيها سريرينِ

ولا تدخل إلا الغامضَ الغامضَ

....لا شيء يُثير الروحَ في هذا المكانِ

ساحِلٌ كالأفعى على أجراس خصر الراقصةْ

وملوكٌ تَوَّجوا البحر بإكليل الزَبَدْ

أَيُّ شيء ينتهي في هذه اللحظةِ،

في هذا الجَسَدْ؟

أَي شيء يبتدئْ؟

قد أكلنا البحرَ في رحلة صيدٍ يائسهْ

أيُّ شيء ينتهي

أي شيء يبتدئْ

بَلَدٌ يُولَدُ من قبر بَلَدْ

ولصوصٌ يعبدون اللّه

كي يعبدهم شَعْبٌ...

ملوكٌ للأبدْ

وعبيدٌ للأبدْ

لا أحدْ

يسأل القصير : ما شأني أنا

بَوَليِّ العهدِ ، أَوْ هَذا البلدْ ؟

آه ،

ما

شأني

أنا

ما دامتِ الروحُ هنا

فحمة في موقد السلطانِ...

لا شيء يهزُّ الروح في هذا المكانِ
ألفُ شُبَّاك على البحرِ الذي قد أغرَقَ الإغريقَ
كي يُغرقنا الرومانُ
بيضاءُ هي الجدرانُ
زرقاءُ هي الموجةُ
سوداءُ هي البهجةُ
والفكرةُ مرآةُ الدماء الطائشهْ
فلتُحَاكَمْ عائشهْ
ولتُبَرَّأْ عائشهْ
آه ' لا شيء يثير الروح في هذا المكانِ

... ولتكُنْ هذي المدينةْ
جَدَّةَ الدنيا وما شاءَتْ وما شاءتْ
فما شأني أنا ؟ كلُّ صباحٍ
لم يجئني أوَّلاً ليس صباحي !
لا ...
وما شأني أنا ؟ كلُّ رياحٍ
لم تُكَسِّرْني مَدَى ليستْ رياحي !
لا ...
وما شأني أنَا ؟ كلُّ جراحٍ
لم تَلِدْ فيَّ إلهاً طَازجاً ليست جراحي !
لا ...

وما شأني أنَا؟

أيُّ سلاح في يدي

لا يُرْجِعُ الخبزَ إلى حنطته ليس سلاحي !

.. وليكُنْ أنَّ الذي شيَّد هذا السورَ جَدِّي

أو عَدُوِّي.

..وليَكُنْ أنَّ الذي سمَّى المدينهْ

فارسٌ

أو عاشقٌ

أو لا أحدْ

..وليَكُنْ أنَّ عيون الياسمينهْ

تَحْفَظُ الأسرار منذ انبجستْ حَوَّاءُ...

ما شأني أنا الضائع ما بين سماءٍ وَحَجَرْ

بقضاءٍ

لم أُطَيِّرْ فيه أسراب حمامي ,

لم أُدخِّنْ فيه أحلامي ,

ولم أصطدْ قَمَرْ...

كُلُّ غُصْنٍ لم يُقَلِّدْ لعبتي الأُولى ,

ولم يجرح يدي ليس شَجَرْ

وليَكُنْ ما كان ,

لا شيء يهزُّ الروح في هذا المكانِ

المكانُ الرائحةْ

قهوةٌ تفتح شُبَّاكاً غُموضُ المرأة الأولى

أبٌ علَّق بحراً فوق حائطْ

المكانُ الشَهَواتُ الجارحةْ

خطوتي الأولى إلى أول ساقين أضاءا جسدي

فتعرَّفْتُ إليه وإلى النرجس فيَّ

المكان المَرَضُ الأوَّلُ....

أُمٌّ تعصُرُ الغيمةَ كي تغسل ثوباً . والمكانْ

هو ما كان وما يمنعني الآن من اللهوِ

المكانُ الفاتحةْ,

المكانُ السَنَةُ الأولى . ضجيجُ الدمعة الأُولى

التفاتُ الماء نحو الفتيات . الوَجَعُ الجنسيُّ في أوَّلِهِ, والعَسَلُ المُرُّ

هُبوبُ الريح من أُغنيَّةٍ . صخرةُ أجدادي وأُمِّي الواضحةْ

المكانُ الشيءُ في رحلته منِّي إليَّ

المكانُ الأرضُ والتاريخُ فيَّ

المكانُ الشّيء إنْ دَلَّ عليَّ

آهِ , لا شيءَ يضيءُ الاسم في هذا المكانِ

..... وسلاماً أيها البحرُ المريضْ

أيها البحر الذي أَبْحَرَ من صور إلى إسبانيا

فوق السُفُنْ

أيها البحر الذي يسقط مِنَّا كالمُدُنْ !

ألفُ شُبَّاك على تابوتك الكحليِّ مفتوحٌ

ولا أبصر فيها شاعراً تسندُهُ الفكرةُ ,

أو ترفعُهُ المرأةُ....

يا بحر البدايات , إلى أين تعودْ

أيها البحر المحاصرْ

بين إسبانيا وصورْ

ها هي الأرض تدورْ

فلماذا لا تعود الآن من حيث أتيتْ؟

آه ,مَنْ يُنْقِذُ هذا البحرَ

دَقَّتْ ساعة البحرِ

تراخي البحرُ

من يُنْقِذُنَا من سَرَطَان البحرِ

مَنْ يُعْلِنُ أنَّ البحرَ مَيِّتْ؟!

....وسلاماً أيها البحر القديمُ,

أيها البحر الذي أَنْقَذَنا من وحشة الغاباتِ

يا بحرَ البدايات...[يغيبُ البحرُ]

يا جُثَّتَنا الزرقاءَ , يا غبطتنا , يا روحنا الهامدَ من يافا إلى قرطاج , يا إبريقنا المكسور , يا لوح الكتابات التي ضاعت

بَحَثْنَا عن أساطيرِ الحضارات

فلم نُبْصِرْ سوى جمجمة الإنسان قرب البحرِ....

يا غبطتنا الأولى ويا دهشتنا –

هل يموتُ البحرُ كالإنسان في الإنسان

أمْ فِي البحرِ؟

لا شيء يثير البحرَ في هذا المكانِ

حين نعتادُ الرحيلْ

مَرَّةً

تصبح كُلُّ الأمكنهْ

زَبَداً نطفو عَلَيهْ

ونميلْ

كلما مالَت بنا الريحُ

ونعتادُ بُكاء الأحصنهْ

حين نعتاد الرحيلْ

مَرَّةً

تصبح كُلُّ الأزمنهْ

لحظةً للقتل

كم مُتنا وكم مُتنا,

وكان الكَهَنَهْ

خَدَماً للسيف منذ المعبد الأوَّلِ

حتى آخر الثورات،

والعاشقُ عَبْدَ السوسنهْ

....وسلاماً يَتُها الأرضُ الأسيرةْ

يا التي كانت عقابَ الله فينا

ثم صارت جَنَّةَ الله الصغيرةْ....

من سيحتاجُ ضحيَّه

ليرى البحر أمَامَهْ؟

من سيحتاج يمامةْ

ليُرَبِّي طفلَهُ في البندقيةْ؟

من سيحتاج الضحيّةْ

ليكون السيِّد الأوحد في روما الأخيرةْ؟

من سيحتاج القيامةْ

ليرى قاتلَهُ – التوأمَ مجهولَ الهويّةْ؟

مَنْ سيَحتاجُ البقيةْ

مَنْ

سيحتاجُ

البقيَّةْ؟

ها هي الأرضُ بما فيها وَمَنْ يمشي عليها

بندقيَّةْ

ها هي الأرض لروما

ولروما دَقَّتِ الساعةُ

دَقَّتْ

كُلُّ يومٍ آخرُ الأيامِ . والأحلامُ نارٌ معدنيَّةْ

.....فسلاماً يَتُّهَا الأرض / الضحيَّةْ !

كُلُّ مَنْ يَرْحَلُ في الليل إلى الليل – أنا

كُلُّ مناي قَسَمَ الحقلَ إلى اثنين :

مُنادٍ ومنادًّى لا يناديه – أنا

كُلُّ ما يُعجبني يحتلُّهُ الظلُّ هنا

كُلُّ مَنْ تَطلُبُ منِّي قُبلةً عابرةً

تسرق روحي... وخُطاي

كُلُّ طَيرٍ عابرٍ يأكُلُ خبزي من جروحي

ويُغني لسواي

كُلُّ مَنْ يضربه الحبُّ يناديني

لكي يزداد أعدائي ... فراشةْ

كُلُّ مَنْ تلمس نهديها لكي يخمش عصفوران قلبي...

تتلاشى

كُلُّ جدعٍ لَمَستْهُ راحتي طار سحابهْ

كُلُّ غيمٍ حطَّ في أُغنيتي صار كآبهْ

كُلُّ أرض أتمنَّاها سريراً

تتدلّى مشنقهْ

....وأُحبَّ إذ يبتعد الحبُّ,

أُحبُّ الزنبقهْ

عندما تذوي على كفّي وتنمو في نشيدي فانتظرني يا نشيدي

رُبَّما نحفر في هذا المكانِ

موطئاً للروح من أجل غريبين يمرَّانِ على الأرض

ولا يلتقيانِ

آه ' من هذا المكانِ

آه ' لا شيء يهزُّ القلب في هذا المكانِ

نَحْنُ ما نحن عَلَيهْ,
نحن جيل المجزرةْ
أُمَّةٌ تَقْطَعُ ثَدْيَيْ أُمِّهَا.
أُمَّةٌ تَقتلُ راعي حُلْمها
في الليالي المقمرةْ
دون أن تبكي عليهْ

أيْن ظلُّ الشجرةْ؟

نحن ما نحن عليهْ
نحن مَنْ كُنَّا لنا
نحن مَنْ صرنا .... لِمَنْ؟
فارسٌ يُغمد في صدر أَخِيه
خنجراً باسم الوطنْ
ويُصَلِّي لينال المغفرةْ

أين شَكْلُ الشجرةْ؟
نحن ما نحن عليه الآن ,
ماتوا لأُغنِّي
أَم ليبنوا خيمةً من أجل نايْ؟!

كلما سارتْ خطايَ

خلفهم , قبل خطايَ

انفتحتْ صحراءُ من أجلي ,

وماتتْ قُبِّرةْ

أين جذعُ الشجرةْ؟

نحن ما نحن عليهْ

قاتِلٌ مَنْ شهد القَتْلَ ولم يشهد عليهْ

غَيَّروا اسماءَهُ

واستبدلوا شارةَ نصري

يدمي فوق يديهْ

وضعوا عينيٍّ كي أشهد أني لم أرَهْ

أيْنَ ... أيْنَ الشجرةْ؟

نَحْنَ ما نَحْنُ عليهِ,

موتُنا لا موتَ فيه الآن لا يبتدئ النهرُ من السرجِ ولا لا يشرئبُّ الشَبَقُ

العالي ليخفي جبلاً في ساعدٍ لا يتدلّى من نشيدي شَفَقُ الدين النحاسيِّ

ولا يصطفُّ شعبٌ في جحيم اللذة الكبرى...

((أسأنا لك يا شعبي))

أسأنا للنباتات التي تخفيكَ عنا

موتُنا لا موت فيه الآن لا إيقاعَ للصخرة لا صخرةَ في حادثنا المائيِّ

فلنذهبْ إلى ما ليس فينا كي نرى ما ليس فينا ليس فينا دعوةٌ للناس من
مذبحةٍ نمشي إلى لكي نهتفَ:
مرحى ! ها هي الوردةُ .... فلنسجدْ
((أسأنا لَكَ يا شعبي))

يا شعبَ نشيدي , منذ جاءَ الربُّ من فكرته مَشْياً إلى القدس , ولا صخرةَ
نبني فوقها أصواتنا أو صلواتٍ تطلب الغفرانَ....
نحن الآن ما نحن عليهِ
كُلَّمَا قَامَ نبيٌّ من ضحايانا ذبحناه بأيدينا بأيدينا ,
ولي حُرِّية القولِ
وللكاهن حَقُّ القتل
لي حقُّ العصافير
وللقاضي حُدُودُ الأُفق الوارفِ
لي شرعيَّةُ الحُلْمِ
وللجلاَّدِ أن يسمعني أو يفتح الباب لكي تهرب أحلامي
ولي حُرَّيتي حريتي أن أكتب الحاء كما شئتَ
وأن أقفز من حرف إلى حرفٍ
وأن أقطع كفّي كي أُسمِّي زمني
لا موتَ في الموت الذي يتبعني كالظلِّ,
أو ينزلقُ الآن على جسمي كأنثى حرمتني لذّة الحرمانِ,
لاَ يَخْرُجُ مِني حُلُمٌ إلاّ لكي يُضْحِكَني
أو يُضْحِكَ الناس علَى شخص يَجُرُّ الحُلْمَ كالنَّاقَةِ في سوق الغواني ليس هذا

الموت موتاً لا ولا أَعرفُ شيئاً عن بداياتي لهذا أتمني أن أُحاذي النهر حتى أصبحَ النهرَ ولا لا أستطيعُ الموت في الموتِ الذي لا موت فيهِ

حَجَرٌ روحي ,

وأُنثايَ وَحُلْمي حَجَرٌ

لا أشتهي أن اشتهيهِ

حَجَرٌ لا لونَ فِيه

حَجَرٌ ليلي ,

وظلّي حَجَرٌ يندسُّ ما بيني وبيني

حَجَرٌ خبزي

نبيذي حَجَرٌ

لا أستطيعُ الموتَ في الموت الذي

لا موت فيه الآن....

لا شيء يثير الموتَ في هذا المكانِ .

يـطـيـر الـحـمـام

يطير الحمام

يطيرُ الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ
أعدّي لِيَ الأرضَ كي أستريحَ
فإني أحُبّك حتى التَعَبْ...

صباحك فاكهةٌ للأغاني
وهذا المساءُ ذَهَبْ
ونحن لنا حين يدخل ظلٌّ إلى ظلّه في الرخامِ
وأُشْبِهُ نَفْسِيَ حين أُعلّقُ نفسي
على عُنُقٍ لا تُعَانِقُ غير الغمام
وأنتِ الهواءُ الذي يتعرّى أمامي كدمع العنَبْ
وأنت بدايةُ عائلة الموج حين تَشَبّثَ بالبرّ
حين اغتربْ
وإني أحبّك، أنتِ بدايةُ روحي، وأنت الختامُ

يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

أنا وحبيبيَ صوتان في شَفَةٍ واحدهْ
أنا لحبيبي أنا. وحبيبي لنجمته الشاردهْ

وندخل في الحُلْمِ، لكنّهُ يَتَبَاطَأُ كي لا نراهُ
وحين ينامُ حبيبيَ أصحو لكي أحرس الحُلْمَ مما يراهُ

وأطردُ عنه الليالي التي عبرتْ قبل أن نلتقي
وأختارُ أيّامنا بيديّ
كما اختار لي وردة المائدهْ
فَنَمْ يا حبيبي

ليصعد صوتُ البحار إلى ركبتيّ
وَنَمْ يا حبيبي
لأهبط فيك وأُنقذَ حُلْمَكَ من شوكةٍ حاسدهْ
وَنَمْ يا حبيبي
عليكَ ضفائر شعري، عليك السلامُ
يطيرُ الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

رأيتُ على البحر إبريلَ
قلتُ: نسيت انتباه يديكِ
نسيتِ التراتيلَ فوق جروحي
فَكَمْ مَرّةً تستطيعين أن تُولَدي في منامي

وَكَمْ مَرّةً تستطيعين أن تقتليني لأصْرُخَ: إني أحبّكِ
كي تستريحي؟

أناديكِ قبل الكلامِ

أطير بخصركِ قبل وصولي إليكِ
فكم مَرّةً تستطيعين أن تَضَعِي في مناقير هذا الحمامِ
عناوينَ روحي
وأن تختفي كالمدى في السفوحِ
لأدرك أنّك بابل، مصرُ، وشامُ

يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

إلى أين تأخذني يا حبيبي من والديّ
ومن شجري، من سريري الصغير ومن ضجري،
من مراياي من قمري، من خزانة عمري ومن سهري،
من ثيابي ومن خَفَري؟

إلى أين تأخذني يا حبيبي إلى أين
تُشعل في أذنيّ البراري، تُحَمّلُني موجتين
وتكسر ضلعين، تشربني ثم توقدني، ثم
تتركني في طريق الهواء إليك
حرامٌ... حرامُ

يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

لأني أحبكِ، خاصرتي نازفهْ
وأركضُ من وَجَعي في ليالٍ يوسّعها الخوفُ مما أخافُ
تعالى كثيرًا، وغيبي قليلاً
تعالى قليلاً، وغيبي كثيرًا
تعالى تعالى ولا تقفي، آه من خطوةٍ واقفهْ
أحبّكِ إذ أشتهيكِ. أحبّك إذ أشتهيك
وأحفن هذا الشعاعَ المطوّقَ بالنحل والوردة الخاطفهْ
أحبك يا لعنة العاطفهْ

أخاف على القلب منك، أخاف على شهوتي أن تَصِلْ
أُحبّك إذْ أشتهيكِ
أحبك يا جسدًا يخلق الذكريات ويقتلها قبل أن تكتملْ
أُحبك إذْ أشتهيكِ

أطوّع روحي على هيئة القدمين - على هيئة الجنّتين
أحكُّ جروحي بأطراف صمتك.. والعاصفهْ

أموتُ، ليجلس فوق يديكِ الكلامُ

يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

لأني أحبّك (يجرحني الماءُ)
والطرقاتُ إلى البحر تجرحني
والفراشةُ تجرحني
وأذانُ النهار على ضوء زنديك يجرحني
يا حبيبي، أناديكَ طيلة نومي، أخاف انتباه الكلام
أخاف انتباه الكلام إلى نحلة بين فخذيّ تبكي
لأني أحبّك يجرحني الظلّ تحت المصابيح، يجرحني
طائرٌ في السماء البعيدة، عطر البنفسج يجرحني
أوّلُ البحر يجرحني
آخِرُ البحر يجرحني
ليتني لا أحبّكَ
يا ليتني لا أُحبّ
ليشفى الرخامُ

يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

أراكِ، فأنجو من الموت. جسمُكِ مرفأْ

بعشرِ زنابقَ بيضاء، عشر أتأمل تمضي السماءُ
إلى أزرقٍ ضاع منها

وأْمسكُ هذا البهاء الرخاميّ، أمسك رائحةً للحليب المُخبّأْ
في خوختين على مرمر، ثم أعبد مَنْ يمنح البرّ والبحر ملجأْ
على ضفّة الملح والعسل الأوّلين، سأشرب خَرّوبَ لَيْلكِ
ثم أنامُ

على حنطةٍ تكسر الحقل، تكسر حتى الشهيق فيصدأْ
أراك، فأنجو من الموت. جسمك مرفأْ
فكيف تُشرّدني الأرض في الأرضُ
كيف ينامُ المنامُ

يطير الحمامُ
يَحُطّ الحمامُ

حبيبي، أخافُ سكوتَ يديكْ
فَحُكّ دمي كي تنام الفرسْ
حبيبي، تطيرُ إناثُ الطيور إليكْ
فخذني أنا زوجةً أو نَفَسْ

حبيبي ، سأبقي ليكبر فُستُقُ صدري لديكْ

ويجتثّني من خطاك الحَرَسْ

حبيبي ، سأبكي عليكَ عليكَ عليكْ

لأنك سطحُ سمائي

وجسميَ أرضك في الأرضِ

جسمي مقَامُ

يطير الحمامُ

يَحُطّ الحمامُ

رأيت على الجسر أندلُسَ الحبّ والحاسّة السادسهْ

على وردة يابسهْ

أعاد لها قلبَها

وقال: يكلفني الحُبّ ما لا أُحبّ

يكلفني حُبّها.

ونام القمرْ

على خاتم ينكسرْ

وطار الحمامُ

رأيتُ على الجسر أندلُس الحب والحاسّة السادسهْ

على دمعةٍ يائسهْ

أعادتْ له قلبَهْ

وقالت: يكلفني الحبّ ما لا أُحبّ

يكلفني حُبّهُ

ونام القمرْ
على خاتم ينكسرْ
وطار الحمامُ
وحطّ على الجسر والعاشِقْينِ الظلامُ

يطير الحمامُ
يطير الحمامُ

سنة أخرى ... فقط

أصدقائي ,
مَنْ تبقّى منكمُ يكفي لكي أحيا سَنَهْ
سنةً أُخرى فقط ,
سنةً تكفي لكي أعشق عشرين امرأةْ
وثلاثين مدينهْ ,
سنةً واحدةً تكفي لكي أُعطيَ للفكرة جسمَ السوسنهْ
ولكي تسكن أرضٌ ما فتاةً كُلٌّ الأمكنهْ,
سَنَةً وَاحدةً تكفي لكي أحيا حياتي كُلّها
دُفعةً واحدةً
أو قُبْلَةً واحدةً
تقضي على أسئلتي
وعلى لُغز اختلاط الأزمنهْ

أصدقائي , لا تموتوا مثلما كنتم تموتونَ
رجاءً ' لا تموتوا , انتظروني سنةً أُخرى
سنهْ
سنةً أُخرى فقط .
رُبَّما أُنْهي حديثاً قد بَدَأْ
ورحيلاً قد بدأْ
ربما نستبدل الأفكارَ بالمشي على الشارعِ

أحراراً من الساعة والرايات ,

هل خُنَّا أحدْ

لنسمِّي كُلّ أرضٍ , خارجَ الجرح , زَبَدْ؟

ونخافَ الدندنهْ

رُبَّما نحمي اللُغَهْ

من سياقٍ لم نكن نقصدُهُ

ونشيدٍ لم نكن ننشدُهُ

للكهنهْ.....

أصدقائي شهدائي الواقفينْ

فوق تختي.... وعلى خصر فتاةٍ لم أذُقْها بَعْدُ

لم أرفع صلاتي فوق ساقيها لربِّ الياسمينْ....

اذهبوا عني قليلاً

فلنا حَقّ بأن نحتسيَ القهوةَ بالسُكّر لا بالدمِ

أن نسمعَ أصواتَ يَدَيْنا وهما تستدرجان الحَجَل الباكي

إلينا , لا سُقُوطَ الأحصنهْ

ولنا حَقّ بأن نُحُصِي الشرايينَ التي تغلي

بريح الشهوات المزمنهْ

ولنا حَقّ بأن نشكر هذا الزَغَبَ النامي

على البطن الحليبيِّ

وأن نكسر إِيقاع الأغاني المؤمنهْ...

أصدقائي شهدائي

لا تموتوا قبل أن تعتذروا من وردةٍ لم تبصروها

وبلادٍ لم تزوروها ,

وأن تعتذروا من شهوةٍ لم تبلغوها

ونساءٍ لم يُعَلِّقْنَ على أعناقكم

أيقونَةَ البحر

ووشمَ المئذنهْ,

لا تموتوا قبل أن نسأل ما لا يسألُ الباقي على الأرضِ:

لماذا تشبهُ الأرضُ السفرجلْ

ولماذا تشبهُ المرأة ما لا تشبه الأرضُ

وحرمانَ المحبين... ونهراً من قرنفلْ؟

ولماذا عرفوني

عندما متُّ تماماً ... عرفوني

ولماذا أنكروني

عندما جئتُ من الرحلة حَيّا؟

يا إلهي , جُثَّتي دَلّتْ عليّا

وأعادَتْهُمْ إليّا

فبنوها بينهم... كالمدخنهْ !

أصدقائي شهدائي

فَكّروا فيَّ قليلا

وأحِبُّوني قليلا

لا تموتوا مثلما كنتم تموتون , رجاء , لا تموتوا

انتظروني سَنَةً أُخرى

سنهْ

سنةً أُخرى فقطْ

لا تموتوا الآن ' لا تتصرفوا عَنِّي

أحبُّوني لكي نشرب هذي الكأسَ

كي نَعْلَمَ أنّ الموجَة البيضاءَ ليستْ امرأة

أو جزيرةْ'

ما الذي أفعله من بعدكم ؟

ما الذي أفعله بعد الجنازات الأخيرةْ؟

ولماذا أعشق الأرضَ التي تسرقكم مني

وتُخْفيكم عن البحرِ؟

لماذا أعشق البحرَ الذي غَطَّى المصلّينَ

وأعلى المئذنهْ؟

ولمن أمضي مساءَ السبت

مَنْ يفتح قلبي للقططْ

ولمن أمدَحُ هذا القمرَ الحامضَ فوق المتوسِّطْ

ولمن أحملُ أشياءَ النساء العابرات الفاتنات

ولمن أتركُ هذا الضَجَرَ اليوميَّ

ما معنى حياتي

عندما يُسندني ظلّي على حائط ظلّي حينما تترفون

من سيأتي بي إلى نفسي

ويرضيها بأن تبقى معي ؟

لا تموتوا , لا تموتوا مثلما كنتم تموتون رجاءً

لا تَجُرُّوني من التُّفاحة – الأنثى

إلى سفر المراثي

وطقوسِ العَبَرات المدمنهْ !

ليس قلبي لأرميهِ عليكُمْ كتحيَّهْ

ليس جسمي لي لكي أصنع تابوتاً جديداً ووصيَّهْ

ليس صوتي لي لكي أقطع هذا الشارع المرفوعَ فوق البندقيهْ

فارحموني ٬ أصدقائي

وارحموا أمَّ الزغاريد التي تبحث عن زغرودة أُخرى

لميلاد المرايا من شظيّهْ

وارحما الحيطانَ إذ تشتاقُ للأعشاب,

والكُتَّابَ في باب الوفيّات

ارحموا شعباً وعدناهُ بأنْ نُدْخِلَهُ الوردةَ من باب الرماد المُرّ,

لا تتصرفوا الآن كما ينصرف الشاعرُ في قُبَّعة الساحر

من يقطف ورد الشهداءِ؟

انتظروا يا أصدقائي , وارحمونا...

فلنا شُغْلٌ سوى التفتيش عن قبرٍ وعن مَرْثِيَّةٍ

لا تشبه الأُولى

وما أَصغَر هذا الدم

وما أكبرَ هذا الدم

ما أجملكم يا أصدقائي
عندما تغتصبون الأرض في معجزة التكوين
أو تكشفون النبع في صخر السفوح الممكنهْ !

أصدقائي
مَنْ تبقّى منكُم يكفي لكي أحيا سَنَهْ
سنةً أُخرى فقط
سنةً تكفي لكي نمشي معا
نُسْدِلُ النهرَ على أكتافنا مثل الفَجَرْ
ونهدُّ الهيكل الباقي معا
حجراً تحت حَجَرْ
ونُعيد الروحَ من غربتها
عندما نمضي معا
عندما نُعْلِنُ إِضراباً عن عبادات الصُوَرْ

فإذا أنتم ذهبتمْ أصدقائي الآن عني
وإذا أنتم ذهبتمْ
وأقمتمْ في سديم الجمجمهْ
لن أناديكم عنكم كَلِمَهْ

فأنا لا أستطيع الآن أن أرثي أحدْ

بلداً في جَسَدٍ

أو جسداً في طلقةٍ

أو عاملاً في مصنع الموت المُوَحَّدْ

لا أحَدْ

لا أحَدْ...

وليكن هذا النشيدْ

خاتَمَ الدمع عليكم كُلِّكُمْ يا أصدقائي الخَوَنَهْ

ورثاءً جاهزاً من أجلكم !

ولذلكْ.....

لا تموتوا أصدقائي ، لا تموتوا الآنَ

لا وردةَ أغلى من دمٍ في هذه الصحراء

لا وقتَ لكم

لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاءُ ، لا تموتوا

انتظروني سنةً أخرى

سَنَهْ,

من تبقّى منكم يكفي لكي أحيا سنهْ

سنه أُخرى فقط

سنة تكفي لكي أعشق عشرين امرأةْ

وثلاثين مدينهْ

سنة تكفي لكي أمضي إلى أُمِّي الحزينهْ

وأناديها : لِدِيني من جديد

لأرى الوردةَ من أَوِّلها

وأَحبَّ الحبَّ من أَوَّله

حتى نهايات النشيد

سنة أخرى فقط

سنة تكفي لكي أحيا حياتي كُلَّها

دفعةً واحدةً

أو قبلة واحدةً

أو طلقة واحدةً تقضي على أسئلتي

سنة أخرى فقط

سنة أخرى

سنهْ.....

قـصيـدة بـيـروت

قصيدة بيروت

، تُفّاحةٌ للبحر , نرجسةٌ الرخام

، فراشةٌ حجريّةٌ بيروتُ . شكلُ الروح في المرآة

وَصْفُ المرأة الأولى ، ورائحة الغمام

بيروتُ من تَعَبٍ ومن ذَهَبٍ , وأندلس وشام

فضَّةٌ , زَبَدٌ ، وصايا الأرض في ريش الحمام

وفاةُ سنبلة . تشرُّدُ نجمةٍ بيني وبين حبيبتي بيروتُ

...وتنامُ..... لَم أسمع دمي من قبلُ ينطقُ باسم عاشقةٍ تنام على دمي

وبرتقال القادمين من مِنْ مَطَرٍ على البحر اكتشفنا الاسم , من طعم الخريف

...بيروتَ الجنوب , كأنَّنا أسلافُنا نأتي إلى بيروتَ كي نأتي إلى

كأنَّ الريح مسمارٌ على ، من مَطَرٍ بَنَيْنا كوخنا , والرِيحُ لا تجري فلا نجري

الصلصال ، تحفر قبونا فننام مثل النمل في القبو الصغير

: كأننا كنا نُغَنِّي خلسةً

بيروتُ خيمتُنا

بيروتُ نَجْمتُنا

سبايا نحن في الزمان الرخو

أَسْلَمَنا الغزاةُ إلى أهالينا

فما كدنا نعضُّ الأرضَ حتى انقضَّ حامينا

على الأعراس والذكرى فوزَّعنا أغانينا على الحُرّاس

مِنْ ملكٍ على عرشٍ

إلى ملك على نعشٍ

سبايا نحن في هذا الزمان الرخو

لَمْ نعثر شَبَهٍ نهائيٍّ سوى دمنا

ولم نعثر على ما يجعلُ السلطانَ شعبياً

ولم نعثر على ما يجعل السَّجانَ وديّا

ولم نعثر على شيء يَدُلُّ على هويتنا

.....سوى دمنا الذي يتسلّق الجدران

خلسةً: نُنشدُ

بيروتُ خيمتُنا

بيروتُ نَجْمتُنا

ونافذةٌ تطلُّ على رصاص البحرِ .....

يسرقنا جميعاً شارعٌ ومُوَشَّحٌ

بيروتُ شكل الظلِّ

أجملُ من قصيدتها وأسهلُ من كلام الناس

:تُغرينا بألف بدايةٍ مفتوحة وبأبجدياتٍ جديدة

بيروتُ خيمتُنا الوحيدة

بيروتُ نجمتُنا الوحيدة

أجسادنا جئنا إلى هل تمدَّدنا على صفصافها لنقيس أجساداً محاها البحر عن بيروت من أسمائنا الأولى

...نفتِّشُ عن نهايات الجنوب وعن وعاء القلبِ

...سال القلبُ سال

الأغلال؟ وهل تمدَّدنا على الأَطلال كي نَزِنَ الشمال بقامة

مال الظلِّ مال عليَّ , كسَّرني وبعثرني

....وطال الظلُّ طال

ليَسْرُوَ الشجرُ الذي يسرو ليحملنا من الأعناق

...عنقوداً من القتلى بلا سببٍ

وجئنا من بلادٍ لا بلاد لها

....وجئنا من يد الفصحى ومن تَعبٍ

خرابٌ هذه الأرض التي تمتدُّ من قصر الأمير إلى زنازننا

ومن أحلامنا الأولى إلى ... حطبِ

فأعطينا جداراً واحداً لنصيح يا بيروتُ !

أعطينا جداراً كي نرى أُفقاً ونافذةً من اللهبِ

وأعطينا جداراً كي نُعلّق فوقه سدُومَ

التي انقسمت إلى عشرين مملكةً

لبيع النفط .... والعربي

وأعطينا جداراً واحداً

لتصيح في شبه الجزيرةْ

بيروت خيمتُنا الأخيرةْ

بيروت نجمتُنا الأخيرةْ

أُفُقُ رصاصيٌّ تناثر في الأُفق

طُرُقٌ من الصدف المجوَّف... لا طُرُقْ

ومن المحيط إلى الجحيم

من الجحيم إلى الخليج

ومن اليمين إلى اليمين إلى الوسطْ

شاهدتُ مشنقةً بحبلٍ

واحدٍ

! من أجل مليونيْ عُنُقْ

بيروتُ ! من أين الطريقُ إلى نوافذ قُرْطُبهْ

أنا لا أُهاجرُ مَرتَّين

ولا أُحبُّك مرتين

لكنِّي أُحوِّمُ حول أحلامي

وأدعو الأرض جمجمةً لروحي المتعبهْ

وأُريد أن أمشي

لأمشي

ثم أسقط في الطريق

إلى نوافذ قرطبهْ

بيروتُ شاهدةٌ على قلبي

وأرحلُ عن شوارعها وعنِّي

عالقاً بقصيدةٍ لا تنتهي

...وأقولُ: ناري لا تموتُ

على البنايات الحمامُ

...على بقاياها السلام

أطوى المدينةَ مثلما أطوي الكتابْ

وأحملُ الأرضَ الصغيرةَ مثل كيسٍ من سحابْ

أصحو وأبحثُ في ملابس جُثّتي عنّي

فنضحك : نحن ما زلنا على قيد الحياةِ

وسائرِ الحُكّام

...شكراً للجريدة لم تقل إني سقطتُ هناك سهواً

العابرين أفتَحُ الطُرُقَ الصغيرة للهواء وخطوتي والأصدقاءِ

وتاجر الخبز الخبيث , وصورةِ البحر الجديدة

...شكراً لبيروت الخراب

...شكراً لبيروت الخراب

تكسَّرتْ روحي , سأرمي جُثّتي لتصيبني الغزواتُ ثانيةً

...ويُسْلِمَني الغزاةُ إلى القصيدة

أحمل اللغة المطيعة كالسحابةِ

:فوق أرصفة القراءة والكتابةِ

((إن هذا البحر يترك عندنا آذانه وعيونه))

ويعود نحو البحر بحرياّ

وأحمل أرض كنعانَ التي اختلف الغزاةُ على مقابرها....

وما اختلف الرواةُ على الذي اختلف الغزاةُ عليهِ

من حجرٍ ستنشأ دولةُ الغيتو

ومن حجرٍ سننشئ دولةَ العُشَّاقِ

أرتجلُ الوداع

وتغرقُ المدنُ الصغيرةُ في عباراتٍ مشابهة

وينمو الجرحُ فوق الرمح أو يتناوبان عليَّ

.....حتى ينتهي هذا النشيد

وأهبط الَدَجَ الذي لا ينتهي بالقبو والأعراس

...أصعدُ مرةً أُخرى على الدرج الذي لا ينتهي بقصيدةٍ

...أهذي قليلاً كي يكون الصحوُ والجلاّدُ

...أصرخُ: أيها الميلادُ عَذَّبْني لأصرخ أيها الميلادُ

منْ أجل التداعي أمتطي درب الشآم

لعلَّ لي رؤيا

وأخجلُ من صدى الأجراس وهو يجيئني صداً

وأَصرخُ في أثينا : كيف تتهارين فينا ؟

:ثُمَّ أهمسُ في خيام البدو

...وجهي ليس حنطيًّا تماماً والعروقُ مليئةٌ بالقمح

: أَسأل آخر الإسلام

هل في البدء كان النفطُ

أم في البدء كان السخط؟

أهذي , رُبَّما أبدو غريباً عن بني قومي

فقد يفرنقعُ الشعراءُ عن لغتي قليلاً

...كي أُنظِّفها من الماضي ومنهم

لم أجد جدوى من الكلمات إلا رغبة الكلمات

...في تغيير صاحبها

وداعاً للذي سنراهُ

للفجر الذي سيشُقُّنا عمّا قليلْ

لمدينةٍ ستعيدُنا لمدينةٍ

لتطول رحلتُنا وحكمتُنا

وداعاً للسيوف وللنخيلْ

لحمامةٍ ستطير من قلبين محروقين بالماضي

.....إلى سقفٍ من القرميدْ

هل مَرَّ المحاربُ من هُنا

كقذيفةٍ في الحرب؟

هل كسرتْ شظاياهُ كؤوسَ الشاي في المقهى ؟

, أرى مُدُناً من الورق المسلّح بالملوك وبدلة الكاكي

أرى مُدُناً تتوِّج فاتحيها

والشرقُ عكس الغرب أحياناً

وشرقُ الغرب أحياناً

....وصورتُه وسلعته

أرى مُدُناً تتوِّجُ فاتحيها

وتصدِّرُ الشهداء كي تستورد الويسكي

....وأحدثَ منجزات الجنس والتعذيبِ

هل مَرَّ المحاربُ من هنا

كقذيفةٍ في الحرب؟

هل كسرتْ شظاياهُ كؤوسَ الشاي في المقهى؟

أَرى مُدُناً تعلِّقُ عاشقيها

فوق أغصان الحديدْ

...وتشرِّدُ الأسماء عند الفجر

عند الفجر يأتي سادنُ الصنَمِ الوحيدْ...

ماذا نودّع غير هذا السجن؟

ماذا يخسر السجناء؟

نمشي نحو أُغنية بعيدة

نمشي إلى الحرية الأولى

..فنلمس فتنةَ الدنيا لأوّل مرةَ في العمر

هذا الفجر أزرقُ

والهواءُ يُرَى ويؤكلُ مثل حَبِّ التين

نصعدُ

واحداً

وثلاثةً

مائةً

وألفا

باسم شعب نائم في هذه الساعاتِ

عند الفجر عند الفجر ، نختتمُ القَصيدة

ونرتِّب الفوضى على درجات هذا الفجر

بوركت الحياةُ

وبورك الأحياءُ

فوق الأرض

لا تحت الطغاة

!تحيا الحياة

!تحيا الحياة

قَمَرٌ على بْعَلْبَكَ

ودمٌ على بيروتْ

يا حلوُ ، من صَبَّكْ

!فرساً من الياقوتْ

قل لي , ومن كَبَّكْ

!نهرين في تابوتْ

يا ليت لي قلبكْ

لأموت حين أموتْ

...الحربَ من مبنى بلا معنى إلى معنى بلا مبنى وجدنا....

هل بيروتُ مرآة لنكسرها وندخل في الشظايا

أم مرايا نحن يكسرنا الهواءُ؟

:تعال يا جنديَّ حَدِّثني عن الشرطيّ

هل أوصلتَ أزهاري إلى الشبُّاك؟

هل بلّغتَ صمتي للذين أُحبهم ولأول الشهداء؟

...هل قتلاكَ ماتوا فيكَ من أجلي وأجل البحر

أم هجموا عليَّ وجرَّدوني من يد امرأةٍ

تُعدُّ الشاي لي والنّاي للمتحاربينَ؟

عسكرياً؟ وهل تغيَّرت الكنيسةُ بعدما خلعوا على المطران زِيّاً

أم تغّيرت الفريسةُ؟

هل تغيرت الكنيسةُ

أمْ تغيَّرْنا ؟

شوارعُ حولنا تلتفُّ

خذ بيروت من بيروت ' وزِّعها على المدنِ

النتيجةُ: فسحةٌ للقبو

ضع بيروت في بيروت ' واسحبها من المدنِ

النتيجةُ: حانةٌ للهو

نمشي بين قنبلتين .....

هل نعتادُ هذا الموت؟

نعتاد الحياة وشهوةً لا تنتهي

هل تعرف القتلى جميعاً؟

أعرف العُشَّاق من نظراتهم

وأرى عليها القاتلات الراضيات بسحرهن وكيدهن

وننحني لتمرَّ قنبلةٌ؟....

نتابعُ ذكريات الحربُ في أيامها الأولى

تُرى' ذهبتْ قصيدتُنا سدى؟

لا...لا أظُنُّ

إذن , لماذا تسبقُ الحربُ القصيدةَ

نطلبَ الإيقاع من حجر فلا يأتي

وللشعراء آلهة قديمة

وتمرٌّ قنبلةٌ ، فندخل حانةً في فندق الكمودور.....

يعجبني كثيراً صمتُ رامبو

أو رسائلُه التي نطقتْ بها إفريقيا

وخسرتُ كافافي

لماذا ؟

قال لي : لا تترك الاسكندرية باحثاً عن غيرها

ووجدتُ كافكا تحت جلدي نائماً

ولائماً لعباءة الكابوس , والبوليس فينا

ارفعوا عنّي يديّ

ماذا ترى في الأفق؟

أفقاً آخراً

هل تعرف القتلى جميعاً؟

....والذين سيُولدون

سيولدون

تحت الشجرْ

وسيولدون

تحت المطرْ

وسيولدون

من الحجرْ

وسيُولدون

من الشظايا

يولدون

من المرايا

يولدون

من الزوايا

وسُيولدون

من الهزائم

يولدون

من الخواتم

يولدون

من البراعم

وسيولدون

من البداية

يولدون

من الحكاية

يولدون

بلا نهايةْ

"وسيولدون , ويكبرون , ويُقتلون

ويولدون , ويولدون " ويولدون

فسّر ما يلي:

بيروت (بحر – حرب – حبر – ربح)

البحرُ: أبيض أو رصاصيٌّ , وفي ابريل أخضرُ

أزرق , لكنه يحمرٌّ في كل الشهور إذا غضبْ

والبحر : مال على دمي

ليكون صورةَ مَنْ أُحِبّ

الحربُ: تهدمُ مسرحيتنا لنلعب دون نصّ أو كتابْ

والحرب: ذاكرةُ البدائيين والمتحضرين

والحرب : أولها دماء

والحرب : آخرها هواء

والحرب : تثقب ظلّنا لتمرَّ من بابٍ لبابْ

الحِبْرُ: للفصحى , وللضباط , والمتفرجين على أغانينا

وللمستسلمين لمنظر البحر الحزين

الحبر : نَمْلٌ أسودٌ ' أو سيِّدٌ

والحبرُ : برزخُنا الأمين

والربحُ : مُشْتَقٌ من الحرب التي لا تنتهي

منذ ارتدتْ أجسادُنا المحراثَ

منذ الرحلة الأولى إلى صيد الظباء

حتى بزوغ الاشتراكيين في آسيا وفي إفريقيا !

والربح : يحكمنا

يُشَرِّدنا عن الأدوات والكلمات

يسرقُ لحمنا

ويبيعُه

بيروت - أسواقٌ على البحرِ

اقتصادٌ يهدم الإنتاجَ

...كي يبني المطاعم والفنادقَ

دولةٌ في شارعٍ أو شُقَّةٍ

مقهى يدور كزهرة العبَّاد نحو الشمس

وَصْفٌ للرحيل وللجمال الحُرّ

فردوسُ الدقائق

مقعدٌ في ريش عُصفورٍ

جبال تنحني للبحر

بحرٌ صاعدٌ نحو الجبال

غزالةُ مذبوحةُ بجناح دوريّ

وشعبٌ لا يحبُ الظلّ

بيروتُ – الشوارعُ في سُفُنْ

بيروت – ميناء لتجميع المُدُنْ

دارتْ علينا واستدارتْ . أدبرتْ واستدبرتْ

هل غيمةٌ أُخرى تخون الناظرين إليكِ يا بيروت؟

هندسةٌ تلائمُ شهوة الفئة الجديدة

طحلبِ الأيام بين المدِّ والجزر

...النفاياتِ التي طارت من الطبقات نحو العرش

هندسة التحلُّل والتشكُّل

...واختلاط السائرين على الرصيف عشيَّةَ الزلزال

دارتْ واستدارتْ

هندسيَّتها خطوطُ العالم الآتي إلى السوق الجديدة

يُشترى ويُباع يعلو ثم يهبط مثل أسعار الدولار

الشرقيِّ وأُونصةِ الذهب التي تعلو وتهبط وفق أسعار الدم

...لا... بيروتُ بوصلةُ المحارب

....نأخذُ الأولاد نحو البحر كي يثقوا بنا

...مَلِكٌ هو الملك الجديد

وصوتُ فيروزَ الموزَّعُ بالتساوي بين طائفتين

يرشِدنا إلى ما يجعل الأعداء عائلةً

ولبنانَ انتظاراً بين مرحلتين من تاريخنا الدمويِّ

هل ضاق الطريقُ

ومن خُطاك الدربُ يبدأ يا رفيق ؟

مُحاصرٌ بالبحر والكتب المقدسة

انتهينا؟

لا . سنصمد مثل آثار القدامى

مثل جمجمةٍ على الأيام نصمدُ

يخلطان الليل بالمتراس . ينتظران ما لا يعرفان

..يخبِّئان العالم العربيَّ في مِزَقٍ تُسمَّى وحدةً

:يتقاسمان الليل

ليلى لا تُصَدِّقني

...ولكني أُصَدِّقُ حَلْمتيها حين تنتفضان

:أغريني بمشيتها الرشيقة

شمعدان أيطلا ظبي ، وساقُ غزالةٍ ، وجناح شحرور ، وومضةُ

كُلّما عانقتُها طلبتْ رصاصاً طائشاً

ملك هو الملك الجديد

إلى متى نلهو بهذا الموت؟

لا أدرى ، ولكنّا سنحرس شاعراً في المهرجان

لأيّ حزبٍ ينتمي؟

حزب الدفاع عن البنوك الأجنبية واقتحام البرلمان

إلى متى الأحزابُ ، والطبقاتُ قلّتْ يا رفيق الليل؟

لا أدري،

ولكن ربما اقضي عليك ، وربما تقضي عليَّ

...إذا اختلفنا حول تفسير الأنوثة

إنها الجمرُ الذي يأتي من الساقين

يحرقنا

هي الصدر الذي يتنفّس الأمواج

يغرقنا

هي العينان حين تضيِّعان بداية الدنيا

هي العُنُقُ الذي يُشرَب

هي الشفتان حين تناديان الكوكب المالح

هي الغامضْ

هي الواضحْ

، سأقتلك المسدِّسُ جاهزٌ مَلِكُ

المُسدَّس جاهزٌ

بيروتُ شكلُ الشكل

....هندسةُ الخراب

الأربعاء . السبت . بائعةُ الخواتم

حاجز التفتيش . صيَّاد . غنائم

لغة وفوضى . ليلة الاثنين

قد صعدوا السلالم

وتناولوا أرزاقهم . من ليس منّا

فهو من عَرَبٍ وعاربة سوائم

يوم الثلاثاء . الخميس . الأربعاء

وتأبطوا تسعين جيتاراً وغنُّوا

حول مائدة الشواء الآدمي

قَمَرٌ على بعلبكْ

ودمٌ على بيروتْ

يا حلو , من صَبَّكْ

فرساً من الياقوتْ

قل لي , ومن كَبَّكْ

نهرين في تابوتْ

يا ليت لي قلبكْ

....لأموت حين أموتْ

أحرقنا مراكبنا..وعلّقنا كواكبنا على الأسوار....

:نحن الواقفين على خطوط النار نعلن ما يلي

بيروت تُفّاحَهْ

والقلبُ لا يضحكْ

وحصارنا واحهْ

ﻓﻲ عالمٍ يهلكْ

سنرقِّصُ الساحهْ

ونزوِّجُ الليلكْ

أحرقنا مراكبنا ..وعلَّقنا كواكبنا على الأسوار

لم نبحث عن الأجداد ﻓﻲ شَجَر الخرائط

لم نسافر خارج الخبز النقيِّ وثوبنا الطينيِّ

لم نرسل إلى صَدَف البحيرات القديمة صورة الآباء

عضوياً لم نولد لنسأل: كيف تَمَّ الانتقالُ الفذُّ مما ليس

إلى العضويِّ؟

...لم نولد لنسأل

قد وُلدنا كيفما اتفق

انتشرنا كالنمال على الحصيرة

..ثم أصبحنا خيولاً تسحبُ العربات

نحن الواقفين على خطوط النار

أحرقنا زوارقنا ، وعانقنا بنادقنا

سنوقظ هذه الأرض التي استندت إلى دَمنا

سنوقظها ، ونُخرجُ من خلاياها ضحايانا

سنغسل شعرهم بدموعنا البيضاء

نسكبُ فوق أيديهم حليبَ الروح كي يستيقظوا

:ونرشُّ فوق جفونهم أصواتنا

جنوب الأرض من قوموا ارجعوا للبيت يا أحبابنا عودوا إلى الريح التي اقتلعت أضلاعنا

عودوا إلى البحر الذي لا يذكر الموتى ولا الأحياء

عودوا مرة أخرى

فلم نذهب وراء خطاكُمُ عبثاً

مراكبنا هنا احترقت

وليس سواكمُ أرضٌ ندافع عن تعرُّجها وحنطتها

سندفع عنكمُ النسيان, نحمِيكُمْ

بأسلحة صككناها لكم من عَظْم أيديكمْ

نسيّجكُمْ بجمجمةٍ لَكُمْ

وبركبةٍ زَلَقَتْ

...فليس سواكُمُ أرضاً نسمِّرُ فوقها أقدامنا

...عودوا لنحميكُمْ

((ولو أنَّا على حَجَرٍ ذُبحنا))

لن نغادر ساحة الصمت التي سَوَّتْ أياديكُمْ

سنفديها ونفديكُمْ

مراكبنا هنا احترقتْ

وخَيَّمنا على الريح التي اختنقتْ هنا فيكُمْ

ولو صعدتْ جيوشُ الأرض هذا الحائط البشريَّ

لن نرتدَّ عن جغرافيا دمكم

مراكبنا هنا احترقتْ

ومنكم ... مِنْ ذراعٍ لن تعانقنا

سنبني جسرنا فيكُمْ

شَوَتْنا الشمسُ

أدمتنا عظامُ صدوركم

حَفَّتْ مفاصلنا منافيكُمْ

((ولو أنَّا على حَجَرٍ ذُبحنا))

((لن نقول ((نعم

فمن دمنا إلى دمنا حدودُ الأرض

من دمنا إلى دمنا

سماءُ عيونكم وحقولُ أيديكُمْ

نناديكُمْ

فيرتدُّ الصدى بَلَداً

نناديكُمْ

فيرتدُّ الصدى جَسَداً

من الأسمنت

:نحن الواقفين على خطوط النار نعلن ما يلي

لن نترك الخندقْ

حتى يمرَّ الليلْ

بيروتُ للمطلقْ

وعيونُنا للرملْ

في البدء لم نُخْلقْ

في البدء كان القولْ

والآن في الخندقْ

ظهرتْ سماتُ الحملْ

تُفّاحةٌ في البحر ، إمرأةٌ الدم المعجون بالأقواس،

شطرنج الكلامْ،

بقيَّةُ الروحِ ، استغاثاتُ الندى،

قَمَرٌ تحطَّم فوق مصطبة الظلامْ

بيروتُ . والياقوتُ حين يصيح من وهج على ظهر الحمامْ

أعناقنا حُلُمٌ سنحملُهُ . ونحلمه متى شئنا . نعلِّقهُ على

بيروتُ زنبقةُ الحطامْ

وقُبلةٌ أولى .مديحُ الزنزلخت معاطف للبحر والقتلى

سطوحٌ للكواكب والخيامْ

صدرٍ قصيدةُ الحجر . ارتطامٌ بين قُبَّرتين تختبئان في...

ʼسماءٌ مُرَّةٌ جلستْ على حَجَرٍ تفكّرُ

والحُسامْ وردةٌ مسموعةٌ بيروتُ . صوتٌ فاصلٌ بين الضحية

وَلَدٌ أطاح بكل ألواح الوصايا

والمرايا

ثم....نامْ

علي مولا

محمود درويش

MAHMOUD DARWISH